الموازنة
بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

(ت: ٣٧٠ هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله حمد محارب رحمه الله

أتم تحقيقه

الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد الشرقاوي

المجلد الثاني



مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

الموازنـــــة
بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي
(ت ٣٧٠ هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور عبدالله حمد محارب رحمه الله

أتم تحقيقه

الدكتور عبدالرحمن عبدالحميد الشرقاوي

عضو هيئة التدريس في كلية التربية الأساسية - الكويت

المجلد الثاني

ردمك: ISBN 978 - 99906 - 72 - 78 - 7
رقم الإيداع: 2023 - 2250

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية
هاتف: 22415172 965 +
فاكس: 22455039 965 +
بريد إلكتروني: info@albabtaincf. org
تصميم الغلاف: محمد ناجي

الكويت 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

مساوئُ البحتريِّ(١)

[قالَ أَبو القاسمِ الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ](٢):

لما كنتُ قد(٣) خَرَّجتُ مساويَ أبي تمامٍ، وابتدأتُ منها بسرقاتِهِ وجبَ أَن أَبتدئَ من مساوي البحتريِّ بسرقاتِهِ؛ فإنهُ قد أَخذَ من معاني مَنْ تقَدَّمَ منَ الشعراءِ، وتأَخرَ أَخْذًا كثيرًا.

وحكىٰ أَبو عبد الله محمد بن داود(٤) بن الجراح في كتابهِ الذي سماهُ الورقةَ(٥): أَنَّ ابنَ أبي طاهرٍ أَعلمهُ أَنهُ أَخرجَ للبحتريِّ ستَّمائةِ بيتٍ مسروقٍ، ومنها ما أَخذَهُ من أَبي تمام خاصةً مائةُ بيتٍ.

وكانَ ينبغي أَن لا أَذكرَ السرقاتِ فيما أخرِّجهُ من مساوي هذينِ الشاعرينِ؛ لأَنني قَدَّمتُ [١٠٥/١/١أ] القولَ في أَنَّ مَنْ أَدركتُهُ من أَهلِ العلمِ بالشعرِ لم يكونوا يَرَوْنَ سرقاتِ المعاني من كبيرِ مساوي الشعراءِ، وخاصة المتأَخرينَ إِذ كانَ هذا بابًا ما(٦) تعرّىٰ منهُ متقدمٌ ولا متأَخرٌ، ولكنَّ أَصحابَ

(١) (مساوئ البحتري) مستدركة في الهامش، وجاء تحتها في الهامش: (وهو أول الجزء الثاني منقولا من نسخة عبد السلام البصري).
وفي الهامش المقابل من الصحفة وردت العبارة التالية: (يتلوه باب ما لا يعرف معناه من أبياته إلا بالظن)، ولم أجد هذا الباب في نسخ الموازنة التي بين يديّ.
(٢) ما بين المعقوفين من «م».
(٣) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (كنت خرجت).
(٤) (أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح) مستدركة في الهامش.
(٥) (الذي سماه الورقة) مستدركة في الهامش.
(٦) (ما) مستدركة في الهامش. والعبارة في «م» مضطربة هنا.

أَبي تمامٍ ادَّعوا أَنَّهُ أَولٌ وسابقٌ، وأَنَّهُ أَصلٌ في الابتداعِ والاختراعِ؛ فوجبَ إِخراجُ ما استعارهُ من معاني الناسِ؛ ووجبَ من أَجلِ ذلك إِخراجُ ما أَخذَهُ البحتريُّ أَيضًا من معاني الشعراءِ، ولم أَستقصِ بابَ البحتريِّ، ولا صرفتُ الاهتمامَ إِلىٰ تتبعهِ؛ لأَنَّ أَصحابَ البحتريِّ لم يدَّعوا لهُ ما ادَّعاهُ[1] أَصحابُ أَبي تمامٍ لأَبي تمامٍ[2]، بل استقصيتُ ما أَخذهُ من أَبي تمامٍ خاصةً: إِذ كانَ من أَقبحِ المساوي أَن يتعمَّدَ الشاعرُ ديوانَ رجلٍ واحدٍ من الشعراءِ فيأْخذَ من معانيهِ ما أَخذَهُ البحتريُّ من معاني أَبي تمامٍ، ولو كانَ ذلكَ[3] عشرةُ أَبياتٍ، فكيفَ والذي أَخذَهُ منها يزيدُ علىٰ مائةِ بيتٍ؟

فأَما مساوي البحتريِّ - من غير السرقاتِ - فقد حرصتُ واجتهدتُ في[4] أَن أَظفرَ لهُ بشيءٍ يكونُ بإِزاءِ ما خرّجتُهُ من مساوي أَبي تمامٍ في سائرِ الأَنواعِ التي ذكرتُها، فلم أَجدْ في شعرِهِ[5] - لشدَّةِ تحرزِهِ، وجَوْدةِ طبعِهِ، وتهذيبِهِ لأَلفاظِهِ - من ذلكَ إِلا أَبياتًا يسيرةً أَنا ذاكرُها عند الفراغِ من سرقاتِهِ، فإِن مرَّ بي منها شيءٌ أَلحقتُهُ بهِ إِن شاءَ اللهُ[6].



(١) (لم يدعوا ما ادعاه) مصححة في الهامش.

(٢) (لأبي تمام) مستدركة في الهامش.

(٣) (ذلك) مستدركة في الهامش.

(٤) (في) مستدركة في الهامش.

(٥) (في) مستدركة في الهامش.

(٦) من قوله: (فإن مر) إلىٰ (الحقته به) ساقطة من «ص»، «ر»، والمطبوع.

سرقاتُ البحتريِّ

١ ـ قالَ البحتريُّ(١):

يُخْفِي الزُّجاجَةَ لَوْنُها فكَأَنَّها ❊ فِي الْكَأْسِ قائِمَةٌ بِغَيْرِ إِناءِ

[١٠٥/١/ب] أَخذَهُ من قولِ عليِّ بنِ جَبَلَةَ(٢):

كأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْها ❊ شُعاعًا لا يُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ

٢ ـ وقالَ أَيضًا(٣):

كالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً ❊ مُنْقادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الأَصْيَدِ

أَخذَهُ من قولِ بَشَّارٍ(٤):

خُلِقُوا قَادَةً وكانوا سَوْاءً ❊ كَكُعُوبِ الْقَناةِ تَحْتَ السِّنانِ

وأَخذَهُ أَبو تمامٍ أَيضًا فقالَ(٥):

جَمَعْتَ عُرَىٰ أَعْمالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ ❊ إِلَيْكَ كما ضَمَّ الأَنابِيبَ عامِلُ

٣ ـ وقالَ(٦):

---

(١) سبق ١/١٩٠، وفي الهامش: (كامل).

(٢) شعر علي بن جبله، ص٧٢، جمعه وحققه د. حسين عطوان، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

(٣) ديوانه: ١/٥٤٨، وفيه: (خلف السنان).

(٤) ديوان بشار: ٤/٢١٢، وفي ملحقات ديوانه عن الموازنة ومصادر أخرىٰ، انظر تخريجه هناك.

(٥) شرح الصولي: ٢/٣٣٠، شرح التبريزي: ٣/١٢٢. وفيهما: (عرىٰ أعمالها)، والميم واللام من (عامل) مصححة في الهامش، وفي الأصل: (عرىٰ أعبائه) ورواية الديوان أوجه فأثبتها، وفي «ص»، «ر»: (أعيانه).

(٦) ديوانه: ١/٨٢، وفي الهامش: (كامل).

أَعْطَيْتَنِـي حَتَّـىٰ حَسِبْتُ جَزيـلَ مَـا ❁ أَعْطَيْتَنِيــهِ وَدِيعَــةً لَــمْ تُوهَــبِ

أَخذَهُ من قولِ الفرزدقِ(١):

أَعْطانِيَ الْمَالَ حَتَّىٰ قُلتُ: يُودِعُنِي ❁ أَوْ قُلْـتُ: أعطـي مـالًا قَـدْ رَآهُ لَنـا

وبيتُ البحتريِّ أَجود(٢).

٤ ـ وقالَ(٣):

أُرَدُّ دُونَــكِ يَقْظانًــا وَيَــأْذَنُ لِــي ❁ عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَىٰ إِنْ جِئتُ وَسْنانَا

أَخذَهُ من قولِ قَيْسِ بنِ الْخَطِيمِ(٤):

مَــا تَمْنَعِــي يَقْظَــىٰ فَقَــدْ تُؤْتِينَــهُ ❁ فــي النَّــوْمِ غَيْـرَ مُصَـرَّدٍ مَحْسُـوبِ

٥ ـ وقالَ البحتريُّ(٥):

مُلُــوكٌ يَعُــدُّونَ الرِّمــاحَ مَخَاصِـرًا ❁ إِذا زَعْزَعُوهَــا وَالــدُّرُوعَ غَلائِــلا

وهذا مثلُ قولِ محمدِ بنِ عبدِ الملكِ الْفَقعَسيِّ، ولعلَّهُ منهُ أَخذهُ(٦):

---

(١) لم أجده في ديوانه، ووجدته ثاني أبيات أربعة قالها الفرزدق في عمرو بن عتبة رواها ابن قتيبة في عيون الأخبار، وفيه (أو قلت أودع لي)، انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، ٢٦٨/٣، دار الكتاب العربي، بيروت مصور عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) في الأصل، «ص»، «ر»: (وبيت البحتري أجود لأنه قال:) ولا يستقيم المعنىٰ بهذه العبارة حيث إن بيت البحتري الذي يشير إليه يذكر الكرىٰ وأحلامه، والتصحيح من باقي النسخ.

(٣) ديوانه: ٢١٤٩/٤، وفي الهامش: (بسيط).

(٤) ديوانه: ص٥٦، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت. وفي الهامش: (كامل).

(٥) ديوانه: ١٦٠٦/٣، وفي الهامش: (طويل).

(٦) لم أجده فيما بين يدي من مصادر، وقد أعاد الآمدي ذكره في: ٤٨٨/٣، ونسبه هناك إلىٰ عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وفي الهامش: (طويل).

وَلَا لَاقيا كَعْبَ بْنَ عَمْرٍو يَقُودُهُمْ ❁ أَبُو دهثمٍ نسجُ الْحَدِيدِ ثِيَابُهَا

٦ ـ وقالَ [البحتريُّ][1] :

كوعولِ الهِضابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ ❁ ـلِكْنَ إِلَّا صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَا

وهذا من نَادرِ[2] المعاني، وما أَعرفُ مثلَهُ إلا قولَ نصرِ بنِ الحجاجِ بن علاطٍ [١٠٦/١/أ] السُّلَمِيِّ[3]، ولعلَّهُ منهُ أَخذهُ[4]:

تَرَىٰ غَابَةَ الْخَطِّيِّ فَوْقَ مُتُونِهِمْ ❁ كما أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصِّوَارِ قُرُونُها

٧ ـ وقالَ [البحتريُّ][5] :

يَنالُ الْفَتَىٰ ما لَمْ يُؤَمِّلْ وَرُبَّمَا ❁ أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ

أَخذَهُ من قولِ الآخرِ وأَنشدَهُ ثَعْلَبٌ[6]:

---

(١) في الأصل، «م»، «ر»: (وقال)، والزيادة من «ق»، «ط»، والبيت في ديوانه: ٢١٦٧/٣، وفي الهامش: (خفيف).

(٢) «م»: (نوادر) (وما عرف).

(٣) الحجاج بن علاط السُّلَمِيُّ معدود في أهل المدينة، سكنها وبنىٰ بها دارًا ومسجدًا يعرف به، أسلم وحسن إسلامه، وفي عام خيبر رخص له رسول الله ﷺ أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة من أجل ماله وولده بها، فجاء العباس بفتح خيبر وأخبره بذلك سرًّا، وأخبر قريشًا بضده جهرًا، حتىٰ جمع ما كان له من مال بمكة وخرج عنها، عاش إلىٰ ما بعد وقعة الجمل، وذكر صاحب الاستيعاب أنه مدفون: بـ«قاليقلا»، من نواحي تركيا ﷺ «الاستيعاب ٣٢٥/١، والطبري ٥٦٥/٤، انظر فهرسته».

(٤) ديوان المعاني: ٦١/٢، والصناعتين: ص١٤، والصوار: القطيع من بقر الوحش، وفي الهامش: (طويل).

(٥) ديوانه: ٩٦٢/٢، وفي الأصل، «م»، «ر»: (وقال)، والزيادة من باقي النسخ، و(أتاحت) مصححة في الهامش، وفيه: (طويل).

(٦) هو سهم بن حنظلة بن حلوان بن خويلد، قال الآمدي: (فارس مشهور، وشاعر محسن)=

وَحَــذِرْتُ مِــنْ أَمْــرٍ فَمَــرَّ بِجَــانِبِي ❊ لَــمْ يُنْكِنِـي ، وَلَقِيـتُ مَـا لَـمْ أَحْـذَرِ[1]

٨ ـ وقالَ [البحتريُّ][2] :

وَإذا الأَنْفُــسُ اخْــتَلَفْنَ فَمَــا يُغْــ ❊ ـنِــي اتِّفَــاقُ الأَسْــمَاءِ والأَلْقَــابِ

أَخذهُ من قولِ الفرزدقِ[3]:

وَقَدْ تَلْتَقِي الأَسْمَاءُ في النَّاسِ والْكُنَى ❊ كَثِيـرًا ، وَلكِـنْ فُرِّقُـوا فِـي الْخلائـقِ

٩ ـ وقالَ [البحتريُّ][4] :

لَــمْ تَخْــطُ بَــابَ الــدِّهْلِيزِ مُنْصَــرِفًا ❊ إِلَّا وَخَلْخَالُهَــــا مَــــعَ الشُّــــنُفِ

أَخذَهُ من قولِ أَبي نُوَاسٍ[5]:

= وساق بيتين منهما هذا البيت والآخر قوله:

كــم مــن عــدو قــد رمــاني كاشــحٍ ❊ ونجــوت مــن أمــر أغــر مشــهَّر

المؤتلف والمختلف ص٢٠٠ ، وفيه: (لم يبكني)، خزانة الأدب للبغدادي: ٤٣٥/٩ ، وفي الهامش: (كامل).

(١) لم ينكني: أي لم يؤذني ، اللسان: (نكأ).

(٢) ديوانه: ٨٦/١ ، في الهامش: (خفيف).

(٣) ديوانه: ١٣٩/٢ ، وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه: ١٤١١/٣ ، يهجو ابن أبي قماش وجاريته ، وقوله: (وخلخالها مع الشُنُفِ)، الشُنُف: الأقراط ، ويريد أن ساقيها قد بلغتا موضع أذنيها ، كناية عن فجورها ، وفي الهامش: (منسرح). والحسن بن عمرو بن أبي قماش كان صاحب الخبر من قبل المعتز «الطبري أحداث سنة ٢٥١» وسماه «ابن قماش» وجاء في ديوانه «وقال يهجو ابن أبي قماش وكانت له جارية يعشقها أحمد بن صالح بن شيرزاد فحملها إليه» «انظر هامش: ١٤٠٢ في ديوانه».

(٥) ديوانه: ٦٠/٢ ، وفيه: (يهجو عليا الأسواري الكلابي):

بـــات علـــيٌّ وأبـــات صَـــحْبَهْ

فـــي ســـوءةٍ أكثـــرُ منهـــا عَتَبَـــهْ

=

قَـــدْ جَمَعُــــوا آذانَـــــهُ وَعَقْبَـــــهْ

١٠ ـ وقالَ [البحتريُّ][1] :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيانِ قَلْبِكِ لِي ❊ عَمْدًا، إِذا كانَ قَلْبي فِيكَ يَعْصِينِي

أَخذَهُ من قولِ الحُسَينِ بن الضحاكِ الخليعِ[2]:

أَتَطمَـعُ أنْ يُطِيعَـكَ قَلْـبُ سُـعْدَىٰ ❊ وَتـزْعُمُ أَنَّ قَلْبَـكَ قَـدْ عَصـاكا ؟

وبيتُ البحتريِّ أَجودُ.

١١ ـ وقالَ محمدُ بنُ وهيبٍ[3]:

= بشـــــادن لا يســــأمرن قرْبَـــــهْ
قـــد جمعــــوا آذانــــه وعَقْبَـــهْ
لــم يخـش فـي شـهر الصيام ربَّــهْ
يـــا ربنـــا لا تغفـــرن ذَنْبَـــهْ.

وقال حمزةُ الأصبهاني: أخذ هذا المعنىٰ البحتري، وساق البيت. وفي الهامش: (رجز).

(١) ديوانه: ٢٢٤٨/٤، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) البيت في شعر الخليل بن أحمد، شعراء مقلون، ص٣٥٢، د. حاتم الضامن. وفي «ص»: (الحسن) تحريف، وفي الهامش: (وافر).

والحسين بن الضحاك الباهلي البصري (١٥٠هـ ـ ٢٥٠هـ) شاعر عباسي، مولىٰ لباهلة، وهو بصري المولد والمنشأ، وهو من ندماء الخلفاء من بني هاشم، شاعر أديب ظريف، اشتهر بالخليع، وهو مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب، وكان أبو نواس يأخذ منه معانيه في وصف الخمر فيغير عليها، عمر طويلاً قارب المائة، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر. انظر: (مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون، ٩٧/٥، د. إبراهيم النجار، كلية الآداب الجامعة التونسية، سنة ١٩٩٠.

(٣) محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر (توفي سنة ٢٢٥هـ)، شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح ويتشيع، وله تراث في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، وخص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، عاصر دعبلاً الخزاعي وأبا تمام، انظر: (شعراء عباسيون، ص٦٥، يونس أحمد السامرائي)،=

هَــلِ الــدَّهْرُ إِلَّا غَمْــرَةٌ ثُــمَّ تَنْجَلِــي ❊ وَشِــيكا، وَإِلَّا ضِــيقَةٌ تَتَفَــرَّجُ

أَخذَهُ البحتريُّ فقالَ(١):

هَــلِ الــدَّهْرُ إِلَّا غَمــرةٌ وَانْجِلاؤُهَــا ❊ وَشِــيكًا، وَإِلَّا ضِــيقَةٌ وَانفِرَاجُهَــا

١٢ ـ وقالَ في وصفِ الذئبِ(٢):

فَأَتْبَعْتُهــا أُخْــرَىٰ فَأَضْــلَلْتُ نَصْــلَهَا ❊ بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُ والرُّعْبُ وَالْحِقْدُ

وقالَ في هذا المعنىٰ(٣):

قَــوْمٌ تَــرَىٰ أَرْمَــاحَهُمْ يَــوْمَ الْــوَغَىٰ ❊ مَشْــغُوفَةً بِمَــوَاطِنِ الْكِتْمَــانِ

[١/١٠٦/ب] أَخذَهُ منْ قولِ عمرِو بنِ معدِ يكربَ الزبيديِّ(٤):

والضَّــارِبِينَ بِكُــلِّ أبْــيَضَ صــارمٍ ❊ وَالطَّــاعِنِينَ مَجَــامِعَ الأَضْــغَانِ

إلا أَنَّ قولَ عمرٍو: «والطاعنين مجامع الأَضغان» في غاية الجودة وإصابة

= وفي «ص»، «ر»: (فتفرج)، وفي الهامش: (طويل).

(١) ديوانه: ٤٢٦/١، وفيه: (إلا كربة وانجلاؤها)، وفي الهامش: (طويل). وفي الأصل: (فضلها) تحريف.

(٢) ديوانه: ٧٤٤/٢، وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ٢٣٦٥/٤، وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ص١٧٤، وفي «م»، «ط»، والمطبوع: (أبيض مرهف)، وفي الهامش صححت: (الضاربون) إلىٰ (الضاربين)، وفي الهامش: (كامل).
وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، فارس اليمن مصاحب الغارات المذكورة، وفد علىٰ النبي ﷺ سنة ٩ للهجرة في عشرة من بني زبيد فأسلم وأسلموا، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ثم رجع إلىٰ الإسلام، وشهد اليرموك، والقادسية، وكان عصي النفس أبيًا، وبه قسوة الجاهلية يكنىٰ أبا ثور، توفي يوم القادسية. ديوانه: ص١٧٤، جمع مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٨٥، وفيه: (أبيض مخذمٍ).

المعنى[1]؛ لأنهم إنما يُطاعنونَ الأَعداءَ من أَجلِ أَضغانِهمْ، فإذا وقعَ الطعنُ في موضعِ الضغنِ فذلكَ غايةُ كلِّ مطلوبٍ.

١٣ ـ وقالَ [البحتريُّ][2] :

إِلَـى فَتًـى يُتْبِـعُ النُّعْمَـى نَظائِرَهَـا ✻ كـالبَحْرِ يُتْبِـعُ أَمْوَاجًـا بـأَمْوَاجِ

أَخذَهُ من قولِ أَبي دَهْبلٍ الجمحيِّ[3]:

وَلَيْلَـةٍ ذاتِ أَجْـرَاسٍ وَأَرْوِقَـةٍ ✻ كـالبَحْرِ يُتْبِـعُ أَمْوَاجًـا بِـأَمْوَاجِ

وهذا إِنما أَرادَ قولَ امرئِ القيسِ[4]:

وَلَيْـلٍ كَمَـوْجِ الْبَحْـرِ

١٤ ـ وقالَ البحتريُّ[5]:

مُحَـرِّكٌ رَأْسَـهُ تَوَهُّمُـهُ ✻ مِـنْ عَطْسَـةٍ قائمًـا عَلَـى شَـرَفِ

---

(١) «م»، «ط»، والمطبوع: (والإصابة).

(٢) ديوانه: ٤١٢/١، وفي الهامش: (بسيط).

(٣) ديوانه: ص٥٩، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، النجف الأشرف، سنة ١٩٧٢، وفي الهامش: (بسيط).

وأبو دهبل الجمحي هو وهب بن زمعة بن أسد بن جمح بن لؤي بن غالب القرشي أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، وأخباره كثيرة مع عمرة الجمحية، وعاتكة بنت معاوية، وفي شعره رقة وجزالة، توفي سنة ٦٣هـ. (الأغاني ساسي: ١٤٩/٦).

وأجراس جمع جرس أي: وقت، يقال: مرجوس من الليل، أي: وقت، وأروقة من الرواق وهو الستر، وأروقة الليل: أستار ظلامه (اللسان: جرس، روق).

(٤) ديوانه بشرح أبي سعيد السكري: ٢٣٩/١، وهو يعني: بيت امرئ القيس المشهور:

وليـل كمـوج البحـر أرخـى سـدوله ✻ علـي بـأنواع الهمـوم ليبتلـي

(٥) ديوانه: ١٤١٤/٣، وفيه: (قد قام من عطسةٍ على شرف). وفي الهامش: (منسرح).

يشبهُ قولَ الآخرِ[1]:

كـــأَنَّ أَبـــا السُّـــميِّ إِذا تَغَنَّـــى ❁ يُحـاكِي عاطِسًـا فِـي عَـيْنِ شَـمْسِ

١٥ ـ وقالَ البُحتريُّ[2]:

سَـــقَمٌ دُونَ أَعْـــيُنٍ ذاتِ سُـــقْمٍ ❁ وَعَـــذابٌ دُونَ الثَّنايـــا الْعِـــذَابِ

أَخذَهُ من قولِ بشارٍ[3]:

ذات الثَّنايَـــــا الْعِـــــذابِ ❁ مِـــــن دُونِهِـــــنَّ عـــــذابِي

١٦ ـ وقالَ [البحتريُّ][4]:

وَكَـــأَنَّ فِـــي جِسْـــمي الَّـــذِي ❁ فـــي ناظِرَيْـــكَ مِـــنَ السَّـــقَمْ

أَخذَهُ من قولِ منصورِ بنِ الفرجِ[5]:

حَـــلَّ فِـــي جِسْـــمكَ مَـــا كـــا ❁ نَ بِعَيْنَيْـــــكِ مُقِيمَـــــا

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١/٨٥، وفيه: (كأن أبا الشموس) ولم ينسبه، والعقد الفريد، ٧/٦٩، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة سنة ١٩٤٠. ونسبه إلىٰ أبي نواس، ولم أجده في ديوانه. وفي ديوان المعاني: ص٤٣٧، وفيه: (كأن أبا الحسين إذا تغنىٰ) وهو غير منسوب، وفي الهامش: (سريع) وهو خطأ فالبيت من (الوافر).

(٢) ديوانه: ١/٨٣.

(٣) لم أجده في ديوان بشار، ووجدته في ملحقات الديوان: ٤/٢٤ نقلاً عن الموازنة، ولم أجده في باقي المصادر التي بين يدي، وفي «ط»، والمطبوع: (عذابُ) تحريف.

(٤) ديوانه: ٤/١٩٩٨، وفيه: (في ناظريه).

(٥) التشبيهات لابن أبي عون: ص٨٧، وفيه: (حَلَّ في جسمي) ونسبه مع آخر لأبي نواس، ولم أجده في ديوانه، والوساطة: ص٢٢٨. والبيتان في التبيان في شرح الديوان المنسوب لأبي البقاء العكبري، ٢/١١٧، ضبطه وصححه مصطفىٰ السقا وآخرَيْن، دار المعرفة، بيروت.

١٧ ـ **وقالَ [البحتريُّ]**(١): [١٠٧/١/أ]

تَجِدْ بَدْرَ الدُّجَىٰ يَدْنُو بِشَمْسٍ ❁ إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرُوَانِي

أَخذَهُ من قولِ الخليعِ(٢):

قَمَرًا يَحْمِلُ شَمْسًا ❁ مِنْ رَحِيقٍ خُسْرُوَانِي

١٨ ـ **وقالَ البحتريُّ**(٣):

كأنَّ سُهيْلاً شَخْصُ ظَمْآنَ جانحٌ ❁ مَعَ الْأُفْقِ في نِهْيٍ مِنَ الأَرْضِ يَكْرَعُ

أَخذَهُ من قولِ محمدِ بنِ يزيدَ الحصنيِّ السلميِّ(٤) يصفُ النجومَ(٥):

حَتَّىٰ إِذَا مَا الحُوتُ فِي ❁ حَوضٍ مِنَ الدَّلْو كَرَعْ

١٩ ـ **وقالَ البحتريُّ**(٦):

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَيَّرُوا ❁ كُمَمَ الرِّماحِ جَمَاجمَ الأَقْرَانِ

---

(١) ديوانه: ٤/٢٢٧٦، وفيه: (تجد شمس الضحىٰ تدنو بشمس) وفي الهامش: (وافر).

(٢) هو الحسين بن الضحاك، سبقت ترجمته، ولم أجد البيت فيما بين يديّ من مراجع. وفي الهامش: (رمل).

(٣) ديوانه: ٢/١٢٧٣، وفي الهامش: (طويل).

(٤) في الأصل: (الحصني الأموي)، ثم ذكر اسمه كاملاً في الهامش، وفي معجم الشعراء ص٣٥٥، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص٩٩. هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، يعرف بالحصني، كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه، شاعر محسن مكثر، مدح المأمون، وهجا عبد الله بن طاهر.

(٥) البيت في الأنواء لابن قتيبة، ص٣٣، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند سنة ١٩٥٦. وفي الهامش: (رجز).

(٦) ديوانه: ٣/٢٣٦٦، وفي الهامش: (كامل). وكُمَمْ: جمع كمة، وهي القلنسوة التي تغطي الرمح، أي جعل جماجم الأعداء كمما للرماح، وفي «ط»: (جماجم الأبطال) تحريف.

أَخذَهُ من مسلمِ بنِ الوليدِ(١):

يَكْسُـو السُّـيُوفَ رُؤُوسَ النَّـاكِثِينَ بِـهِ ❊ وَيَجعَـلُ الْهَـامَ تِيجَـانَ الْقَنَـا الـذُّبُلِ

وأَخذَهُ مسلمُ من قولِ جريرٍ(٢):

كـأَنَّ رُؤُوسَ الْقَـوْمِ فَـوْقَ رِمَاحِنَـا ❊ غَدَاةَ الْوَغَىٰ تِيجَانُ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَا

٢٠ ـ **وقالَ البحتريُّ(٣):**

وَلِـمْ لا أُغـالِي بالضيَـاعِ وَقَـدْ دَنَـا ❊ عَلَـيَّ مَـدَاهَا وَاسْـتَقَامَ اعْوجَاجُهَـا

إِذَا كـانَ لِـي تَرْبِيعُهَـا وَاغْتِلَالُهـا ❊ وَكـانَ عَلَـيْكُمْ عُشْـرُهَا وَخَرَاجُهـا

أَظنهُ ـ واللهُ أَعلمُ ـ حذا علىٰ قولِ شَبيبِ بنِ البَرْصَاءِ(٤):

تَـرَىٰ إِبِـلَ الجَـارِ الغَرِيـبِ كَأَنَّمَـا ❊ بِمَكَّـةَ بَـيْنَ الأَخْشَـبَيْنِ مَرَادُهَـا

يَكُـونُ عَلَيْنَـا نَقْصُـهَا وَضَـمَانُهَا ❊ وللجَـارِ، إِنْ كانَتْ تَزِيـدُ، ازْدِيادُهَا

---

(١) سبق ١/٢٥٦، وفي «ص»: (مسلمة)، وفي الأصل (الناكثين له) ثم صححت فوقها إلىٰ (به)، وفي «ص»: (الناكثين له)، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) سبق ٢٥٦، وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ١/٤٢٨، وفيه: (وكان عليك عُشْرها). وفي الهامش: (طويل). «ص»، «ط»: (تربيعها)، «م»: (توسيعها).

(٤) شبيب بن البرصاء هو شبيب بن يزيد جمرة بن عوف بن أبي حارثة المري، شاعر إسلامي بدوي، لم يحضر إلا وافدًا أو منتجعًا، عنيف الهجاء، اشتهر بنسبته إلىٰ أمه أمامة بنت الحارث بن عوف المري المنعوتة بالبرصاء، لبياضها، لا لبرص فيها، قيل أن النبي ﷺ هم بأن يتزوجها، أدرك إمارة عثمان عفان في المدينة، وعده الجمحي في الطبقة الثامنة من الإسلاميين، وقال صاحب الخزانة: كان شريفًا سيدًا في قومه، من شعراء الدولة الأموية، خزانة الأدب للبغدادي: ١/٣٩٥، الأغاني: ١١/١٦٩، والبيتان من قطعة له في طبقات فحول الشعراء للجمحي: ٢/٧٢٧، وفيه: (كأنها بمكة)، والأخشبان: جبلا مكة أبو قيس وقيقعان ومراد الأبل: حيث ترود، تجيء وتذهب في طلب الرعي، يريد أنها آمنة لا يذعرها أحد، وفي الهامش: (طويل)، و(حذا) مصححة في الهامش.

٢١ ـ وقالَ أَبو صَخْرٍ الهُذَليُّ(١):

أَغَــــرُّ أســــيديٌّ تَـــرَاهُ كأَنَّـــهُ ✿ إِذا جَـدَّ يُعْطِـي مَالَـهُ وَهْـوَ لاعِـبُ

أَخذَهُ البحتريُّ فقالَ(٢):

وَادِعٌ يَلْعَــــبُ بِالــــدَّهْرِ إِذا ✿ جَــدَّ فــي أُكْرُومَــةٍ قُلْــتَ هَــزَلْ

٢٢ ـ وقالَ عبدُ الصمدِ بنُ المعذَّلِ(٣):

[١٠٧/١/ب] ظَبْـــيٌ كـــأَنَّ بِخَصْـــرِهِ ✿ مِـــنْ دِقَّـــةٍ ظَمَـــأً وَجُوعَـــا

إِنِّـــي عَلِقْـــتُ لِشِـــقْوَتِي ✿ يَـــا قَـــوْمِ مَمْنُوعًـــا مَنُوعَـــا

أَخذَهُ البحتريُّ فقالَ(٤):

مِـنْ غَـادَةٍ مُنِعَـتْ وَتَمْنَـعُ نَيْلَهـا ✿ فلَـوَ انَّهـا بُـذِلَتْ لَنَـا لَـمْ تَبْـذُلِ

فزادَ علىٰ عبدِ الصمدِ بقولِهِ: «فلو انها(٥) بذلتْ لنا لم تَبذُلِ».

٢٣ ـ وقالَ البحتريُّ(٦):

---

(١) هو عبد الله بن سلم السهمي، من بني هذيل بن مدركة شاعر من الفصحاء، كان في العصر الأموي مواليًا لبني مروان متعصبا لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح، والبيت في شرح أشعار الهذليين: ٩٤٨/٣، وفيه: (كأنه من الجود). يمدح عبد العزيز بن مروان، وانظر ترجمته في الأغاني: ١٤٤/٢١.
وفي الهامش: (طويل)، و(تراه) مستدركة في الهامش، وبيته ساقط من «ص».

(٢) ديوانه: ١٧١٨/٣، وفي الهامش: (رمل)، والبيت ساقط من «ر».

(٣) البيتان في الصناعتين: ص ٢٤٠، وفيه: (ومن البلية أنني عُلِّقْتُ).
وقال: (بيت عبد الصمد أبين معنىً مع شدة الاختصار، وبيت البحتري كالعويص لا يقام إعرابه إلا بعد نظر طويل). وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ١٧٤٢/٣ وانظر هامشه، وفي الهامش: (كامل).

(٥) (فلو انها) مستدركة في الهامش.

(٦) ديوانه: ٧٦/١، وفي الهامش: (كامل).

سُـــلِبُوا وَأَشْــرَقَتِ الــدِّماءُ عَلَـيْهِمُ ❖ مُحْمَــرَّةً فَكَـــأَنَّهُمْ لَـــمْ يُسْـــلَبُوا

وهذا مثلُ قولِ الحِنْتِفِ بن السِّجْفِ الضَّبِّي، ويجوزُ أَن يكونَ أَخذَهُ منهُ(1):

وَفَرَّقْــتُ بــين ابْنَــيْ هُتَـيْمٍ بطَعْنــةٍ ❖ لَهــا عانِــدٌ يَكْسُــو السَّــلِيبَ إِزارا

قولهُ: «لها عاندٌ» يعني الدمَ.

٢٤ ـ وقالَ عبدُ الملكِ بنُ عبدِ الرحيمِ الحارثيُّ(2):

وَإِنِّـــي لَيَــدْعُونِي لِأَنْ أَسْـــتَزِيدَها ❖ فُـؤَادِي، فأَخْشَـى سُـخْطَها وَأَهَابُهـا

ونحوهُ قولُ البحتريِّ ويجوزُ أَن يكونَ منهُ أَخذ(3):

وَعَتَبْــتِ مِــنْ حُبِّيــكِ حَتَّــى إِنَّنِـي ❖ أَخْشَــى مَلامَــكِ أَنْ أَبُثَّــكِ مَــا بــي

٢٥ ـ وقالَ أَبو نُوَاسٍ(4):

---

(١) الحنتف بن السجف الضبي، قال الآمدي في المؤتلف والمختلف: (شاعر فارس، وهو الذي قتل ابني هتيم العامريين عامرًا وطارقا من بني عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، عادى بينهما فقتلهما، وهزمت بنو عامر)، فقال الحنتف أبياتا ذكر منها الآمدي ثلاثة أبيات منها هذا البيت. المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٥١، وفي الهامش: (طويل). وفي «م»: (هميم).

(٢) هو مُحمَد بن عبد الملك بن صالحٍ بن علىٰ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعر مشهور أديب، كان ينزل قنسرين من أرض الشام وله مع المأمون خبر «عيون الأخبار ١/١٠٥» وبقي إلىٰ أيام المتوكل وجرت بينه وبين أبي تمام والبحتري مخاطبات «أخبار أبي تمام ص ٢٤٨، ومعجم الشعراء ص ٣٦٣».

والبيت في: (الحارثي، حياته وشعره)، ص٥٦، زكي ذاكر العاني، وزارة الإعلام ببغداد.

وفي «م»: (واخشىٰ). وفي الأصل صححت (عبد الرحمن) إلىٰ (عبد الرحيم) في الهامش، وفيه أيضًا: (طويل).

(٣) ديوانه: ١/٢٩٥، وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ١/١٥٣، وفيه وفي «م»، «ط»، والمطبوع: (منك يشكو) وفي ديوانه: (قوله: «بح صوت=

بُـــحَّ صَـــوْتُ الْمَـــالِ مِمَّـــا ❁ مِنْـــكَ يبكـــي وَيَصِـــيحُ

أَخذَهُ البحتريُّ(١):

فَكَمْ لَكَ في الأَمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ ❁ طَوِيـلٍ مِـنَ الأمـوال فِيـهِ عَوِيلُهـا

٢٦ ـ وقالَ جابرُ بن السُّلَيكِ الهمْدانِيُّ(٢):

أَرْمـي بَهَـا اللَّيْـلَ قُـدَّامِي فَتغْشِـم بِـي ❁ إِذ الْكَوَاكِـبُ مِثْـلُ الأَعْـيُنِ الحُـولِ

أَخذَهُ البحتريُّ فقالَ(٣):

وَخَـدَانُ الْقِـلَاصِ حُـولًا إِذا قَـا ❁ بَلْـنَ حُـولاً مِـنْ أَنجُـمِ الأَسْـحَارِ

٢٧ ـ وقالَ عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ العبسيُّ(٤): [١٠٨/١/أ]

مُطِـلًّا عَلَـىٰ أَعْدَائِـهِ يَزْجُرُونَـهُ ❁ بِسَـاحاتِهِمْ زَجْـرَ الْمَنِـيحِ الْمُشَـهَّرِ

فَـإِنْ بَعُـدُوا لا يَـأْمَنُونَ اقْتِرَابَـهُ ❁ تَشَـوُّفَ أَهْـلِ الغَائِـبِ الْمُتَنَظَّـرِ

= المال» ليس بجيد لأنه إفراط).

(١) ديوانه: ١٧٨٢/٣، وفيه: (من الأهوال)، وقال في الهامش: في أربع نسخ من ديوانه: (من الأموال)، وقال: وأثبتنا رواية الموازنة، وفي كل نسخ الموازنة التي بين يدي جاءت الرواية: (الأموال)، وفي الهامش: (طويل).

(٢) الصناعتين، ص١٧٧، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٣١٩هـ، وفي الهامش: (بسيط). و(السليك) مصححة في هامش الأصل، وفي الهامش صححت (إذا الكواكب) إلىٰ (إذ الكواكب).

(٣) ديوانه: ٩٨٧/٢. وفي الهامش: (خفيف).

(٤) شعر عروة بن الورد العبسي، ص٤٧. جمهرة أشعار العرب، ٥٨٣/٢، تحقيق د. محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. و(العبسي) ليست موجودة إلا في الأصل، ولم ترد في باقي النسخ، و«مطلاً علىٰ أعدائه»: أي مشرفا عليهم يغزوهم دائمًا. وفي الهامش: (طويل).

أَلَمَّ بهِ البحتريُّ فقالَ[1]:

فتَرَىٰ الأَعَادِي ما لَهُمْ شُغُلٌ ❁ إلا تَوَهُّمَ مَوْقِعٍ يَقَعُهْ

٢٨ ـ وقالَ [البحتريُّ][2]:

عَلَيَّ نَحْتُ القَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِها ❁ ومَا عَلَيَّ لَهُمْ أَن تَفْهَمَ البَقَرُ

ذكرَ «عليُّ بنُ يحيىٰ المنجّمُ» أَن البيتَ للمجثَّم[3] الرَّاسِبِيِّ، وكانَ شاعرًا اتصلَ بمحمدِ بنِ منصورِ بنِ زيادٍ فكسبَ معهُ أَلفَ أَلفَ درهمٍ[4]، فلما ماتَ اتصلَ بمحمدِ بنِ يحيىٰ بن خالدٍ البرمكيِّ فأَساءَ صحبتَهُ، فهجاهُ، فقالَ[5]:

شَتَّان بَيْنَ مُحَمَّدٍ ومُحَمَّدٍ ❁ حَيٌّ أَمَاتَ وَمَيِّتٌ أَحْيانِي

فَصَحِبْتُ حَيًّا فِي عَطايا مَيِّتٍ ❁ وَبَقِيتُ مُشْتَمِلاً عَلَىٰ الخُسْرَانِ

فهذا ما مرَّ بي من سرقاتِ البحتريِّ من أَشعارِ الناسِ علىٰ غيرِ[6] تَتَبُّعٍ فخرَّجْتُها، ولعلي لو استقصيتُها لكانتْ نحوَ ما خرجتُهُ من سرقاتِ أَبي تمامٍ أَو تزيدُ عليها، وعلىٰ أَني قدْ بيَّضْتُ في آخرِ البابِ، فمهما مرَّ بي من شيءٍ منها أَلحقتُهُ بهِ، إِن شاءَ اللهُ [تعالىٰ][7].



(١) ديوانه: ٢/١٢٥٠، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ٢/٩٥٥، وفي الهامش: (بسيط).

(٣) «ص»: (المختمر).

(٤) «ص»، «ر»، والمطبوع: (دينار)، «م»: (ألف درهم).

(٥) الإعجاز والإيجاز الثعالبي، ص١٧٤، الطبعة الثالثة، دار غصون بيروت. وفيه (المخيّم الراسبي).

(٦) (غير) ساقطة من المطبوع.

(٧) (تعالىٰ) من «ص»، «م». وهي ساقطة من الأصل، «ط»، «ر».

وهذا ما أخذَهُ البحتريُّ من معاني أبي تمام خاصةً



مما نقلتهُ من صحيحِ ما خَرَّجهُ أَبو الضياءِ: بشرُ بنُ يحيىٰ الكاتبُ ؛ لأَنهُ استقصىٰ ذلكَ استقصاءً بالَغَ فيهِ حتىٰ تجاوزَهُ إِلىٰ ما ليسَ بمسروقٍ ، فكفانا مؤونةَ الطلبِ.

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ(١):

فَسَـــواءٌ إِجــابَتِي غَيْـــرَ داعٍ ❁ وَدُعــائِي بِــالْقَفْرِ غَيْــرَ مُجِيــبِ

فقالَ البحتريُّ(٢): [١٠٨/١/ب]

وَسَأَلْتَ من لا يَسْتَجِيبُ فكُنْـتَ فِـي ❁ اسـتخْبَارِهِ كَمُجِيــبِ مَـنْ لا يَسْـأَلُ

٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٣):

فكــادَ بــأَنْ يُـرَىٰ لِلشَّـرْقِ شَـرْقًا ❁ وَكــادَ بــأَنْ يُـرَىٰ لِلغـرْبِ غَرْبَـا

فقالَ البحتريُّ(٤):

فـأَكُونُ طَـوْرًا مَشْـرِقًا لِلمَشْـرِقِ الْــ ❁ أَقْصــىٰ وَطَـوْرًا مَغْرِبًـا لِلمَغْـرِبِ

٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٥):

---

(١) ديوانه شرح الصولي: ١/٢٢٧ ، وشرح التبريزي: ١/١١٩ ، وقال الصولي: (يقول: فسواء أجبت من لم يدعني ، أو دعوت من لم يجبني). وفي الهامش: (خفيف).

(٢) ديوانه: ٣/١٧٥٤ ، وفي الهامش: (كامل).

(٣) شرح الصولي: ٣/٧٤ ، شرح التبريزي: ٤/٣٠٣ ، وفي الهامش: (وافر).

(٤) ديوانه: ١/٧٩ ، وفي الهامش: (كامل).

(٥) سبق ١/٣٣٢ ، وفي الهامش: (كامل).

وإِذَا أَرادَ اللهُ نَشْـــــرَ فَضِـــــيلَةٍ ❊ طُوِيَـتْ أَتَـاحَ لَهـا لِسَـانَ حَسُـودِ

فقالَ البحتريُّ(١):

وَلَـنْ تَسـتثيرَ الـدَّهْرَ مَوْضِـعَ نِعْمَـةٍ ❊ إذا أَنْـتَ لَـمْ تُـدْلَلْ عَلَيْهـا بِحاسِـدِ

٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

فـإِنْ تَكُـنْ وَعْكَـةٌ قَاسَـيْتَ سَـوْرَتَها ❊ فـالْوِرْدُ حِلْـفٌ لِلَيْـثِ الْغَابَـةِ الأَضـمِ

إِنَّ الرِّيـاحَ إِذا مَـا أَعْصـفَتْ قَصَـفَتْ ❊ عَيـدانَ نَجْـدٍ وَلَـمْ يعرضـنَ بـالرَّتَمِ(٣)

فقالَ البحتريُّ(٤):

وَلَسْـتَ تَـرَىٰ شَـوْكَ الْقَتَـادَةِ خَائِفًـا ❊ ريـاحَ السَّـمُومِ الآخِـذاتِ مِـنَ الرَّنْـدِ

وَلَا الْكَلْبَ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ ❊ أَلَا إِنَّمَا الحُمَّىٰ عَلَىٰ الأَسَدِ الْوَرْدِ(٥)

٥ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٦):

رَأَيْـتُ رَجَـائي فِيـكَ وَحْـدَكَ هِمَّـةً ❊ وَلَكِنَّـهُ فـي سَـائِرِ النَّـاسِ مَطْمَـعُ

فقالَ البحتريُّ(٧):

---

(١) ديوانه: ٦٢٥/١، وفي الهامش: (طويل)، ورواية الديوان، «م»، «ط»، والمطبوع: (ولن تستبين).

(٢) شرح الصولي: ٤٥٥/٢، شرح التبريزي: ٢٧٩/٣، وفيهما: (فإن يكن وَصَبٌ...).
والورد: من أسماء الحمىٰ، والأضم: الغضبان. وهي مصححة في الهامش.

(٣) في ديوانه، «م»، «ط»، والمطبوع: (ولم يعبأن). والرتم: نوع من الشجر.

(٤) ديوانه: ٧٥٧/٢، وفيه: (عود الأراكة)، (سموم الرياح).

(٥) في الديوان: (وما الكلب)، والوَرْدُ: الشجاع الجريء.

(٦) شرح الصولي: ١٩/٢، شرح التبريزي: ٣٣٣/٢، وانظر ٢٧٣/٣ من الموازنة. وفي الهامش: (طويل).

(٧) ديوانه: ١٣٠٣/٢، وقد ورد في ٢٧٣/٣ من الموازنة برواية (فاختاره).

ثَنَـى أَمَلِـي فَاحْتَـازَهُ عَـنْ مَعَاشِـرٍ ✤ يَبِيتُـونَ وَالآمَـالُ فِـيهِمْ مَطَـامِعُ

٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[1]:

بمُحَمَّـدٍ وَمُسَـوَّدٍ وَمُحَسَّـدٍ ✤ وَمُكَفَّـرٍ ومُمَـدَّحٍ وَمُعَـذَّلِ

فقالَ البحتريُّ[2]:

ذاكَ المُسَـوَّدُ والمُمَجَّـدُ ✤ ـدُ والمكَفَّـرُ وَالْمُحَسَّـدْ

٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

وَقَـدْ قَـرَّبَ الْمَرْمَـى البَعِيـدَ رَجَـاؤُهُ ✤ وَسَـهَّلَتِ الأَرْضَ الْعَـزَازَ رَكائِبُـهْ

[١٠٩/١/١/أ] فقالَ البحتريُّ[4]:

أَدَارَ رَحـاهُ فاغْتَـدَى جَنْـدَلُ الفَـلا ✤ تُرَابَـا، وقَـدْ كـانَ التُّـرَابُ جَنَـادِلَا

٨ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[5]:

رَافِـعٌ كَفَّـهُ لِبِـرِّي فَمَـا أَحْـ ✤ ـسِبُهُ جـاءَنِي لِغَيْـرِ اللِّطَـامِ

---

(١) شرح الصولي: ٢/٢٦٣، وشرح التبريزي: ٣/٤٤، وفي الهامش: (كامل)، وفيهما: (بمحمد ومكفر)، (ومسوّد وممدح) وقال الصولي: (بمحمد في خصاله، ومُكفِّرٍ نِعَمَهُ، ومُحسَّدٍ في سؤدده)، و(معذل) مصححة في الهامش.

(٢) ديوانه: ١/٦٠٥، وفيه:

ذاك المرجّـى والمؤمَّـ ✤ ـل والمبجـل والمحسَّـد

والمكفر: أي المعظم، كان الرجل يُكفِّرُ لسيده: أي ينحني، وفي الهامش: (كامل).

(٣) شرح الصولي: ١/٢٩٤، وشرح التبريزي: ١/٢٢٦، وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه: ٣/١٦٠٧، وفي الهامش: (طويل).

(٥) شرح الصولي: ٢/٣٧٠، شرح التبريزي: ٣/٢١٠، وفيهما (رافعًا)، (فلا أحسبه). وفي الهامش: (خفيف). وفي «ر»: (لغير النظام).

فقالَ البحتريُّ[1]:

وَوَعْـدٌ لَـيْسَ يُعْـرَفُ مِـنْ عُبُـوسِ انْـ ❀ ـقبَاضِـــــهِمُ أَوَعْـــدٌ أَمْ وَعِيـــدُ

٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

وَنَغْمَـــةُ مُعْتَـــفٍ جَـــدْوَاهُ أَحْلَـــىٰ ❀ عَلَـىٰ أُذُنَيْـهِ مِـنْ نَغَـمِ السَّـماعِ

فقالَ البحتريُّ[3]:

نَشْـــوَانُ يطـــربُ للسُّـــؤَالِ كأَنَّمَـــا ❀ غَنَّـــاهُ «مَالِـــكُ طيِّـــئٍ» أَوْ «مَعْبَـــدُ»

١٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

وَمُجَرَّبُـــونَ سَـــقَاهُمُ مِـــنْ بَأْسِـــهِ ❀ فـــإِذا لُقُـــوا فكـــأَنَّهُمْ أَغْمَـــارُ

فقالَ البحتريُّ[5]:

مَلِـكٌ لَـهُ فِـي كُـلِّ يَـوْمِ كَرِيهَـةٍ ❀ إِقْـدَامُ غِـرٍّ واعْتِـزامُ مُجَـرِّبِ

---

(١) ديوانه: ١/٥٨١، وفي الهامش: (وافر).

(٢) شرح الصولي: ٢/٢٦، وشرح التبريزي: ٢/٣٣٩، وفيهما: (ومُعْتَفٍ يرجوه)، وجاءت رواية الموازنة متفقةً مع رواية النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام ص٤١٧، وقال أمام القصيدة (صحت من خطه) فهي رواية موثقة من خط أبي تمام.
وفي «ص»، «ر»: نسب هذا البيت للبحتري، وسقط بيت البحتري التالي. وفي الهامش: (وافر).

(٣) ديوانه: ١/٦٣٩، وفي «م»، والمطبوع: (من طرب السؤال). ومالك طيئ: هو أبو الوليد مالك ابن أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي، كان من مغنيي العصرين الأموي والعباسي، أخذ صناعة الغناء من معبد، توفي نحو ١٤٠هـ.
ومعبد: هو معبد بن وهب، أصله من الموالي نشأ في المدينة يرعىٰ الغنم لمواليه، وربما اشتغل بالتجارة، ولما ظهر نبوغُهُ في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلىٰ الشام فاتصل بأمرائها وعلا شأنه، وقد عاش طويلاً إلىٰ أن انقطع صوته، وتوفي سنة ١٢٤هـ، وفي الهامش: (كامل).

(٤) سبق ١/٢٥٢، وفي الهامش: (كامل).

(٥) ديوانه: ١/٨١، وفي الهامش: (كامل).

١١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

لا المَنْطِـقُ اللَّغْـوُ يَزْكُـو فـي مَقاوِمِـهِ ❁ يَوْمًـا، ولا حُجَّـةُ المَلْهُـوفِ تُسْـتَلَبُ

فقالَ البحتريُّ[٢]:

إِنْ أَغْفَلـوا حُجَّـةً لـم يُلْـفَ مُسْـتَرِقًا ❁ لَهَا، وَإِن وَجِمُوا في الأَمرِ لم يَجِمِ

١٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٣]:

مَجْدٌ رَعَىٰ تَلَعاتِ الـدَّهْرِ وَهْـوَ فَتًـىٰ ❁ حَتَّىٰ غَدا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الْهَرِمِ

فقالَ البحتريُّ[٤]:

صَـحِبُوا الزَّمَـانَ الفَـرْطَ، إِلا أَنَّـهُ ❁ هَـرِمَ الزَّمَـانُ وعِـزُّهُمْ لَـمْ يَهْـرَمِ

١٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٥]:

كَـرِيمٌ مَتَـىٰ أَمْدَحْـهُ أَمْدَحْـهُ وَالْـوَرَىٰ ❁ مَعِي، ومتـىٰ مَـا لُمْتُـهُ لمتُـهُ وَحْـدِي

فقالَ البحتريُّ[٦]: [١/١٠٩/ب]

أَأَشْـكُو نـداهُ بَعْـدَ مـا وَسِـعَ الْـوَرَىٰ ❁ وَمَـنْ ذَا يَـذُمُّ الغَيْـثَ إِلَّا مُـذَمَّمُ

١٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٧]:

---

(١) شرح الصولي: ١/٣٠٥، شرح التبريزي: ١/٢٤٩، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) ديوانه: ٤/١٥٧٦، وفيه: (أو أغفلوا) و(إن يهموا في الأمر لم يَهم)، وهي في «م»، «ط» كذلك.

(٣) شرح الصولي: ٢/٣٤٩، وفي الهامش: (بسيط). وتلعات: جمع تلعة، وهي: (أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلىٰ تلعة أسفل منها) اللسان: تلع.

(٤) ديوانه: ٤/٢٠٨٤، وفي الهامش: (كامل)، والفرط: السابق والمتقدم.

(٥) شرح الصولي: ١/٤٨٨، وشرح التبريزي: ٢/١١٦. وفي الهامش: (طويل).

(٦) ديوانه: ٣/١٩٨٠، وفي الهامش: (طويل).

(٧) سبق في ١/١٥٩، وفي الهامش: (بسيط).

الْبِيـدُ وَالعِيسُ واللَّيْـلُ التَّمـامُ مَعًـا ❊ ثَلاثَـــةٌ أَبَـــدًا يُقْـــرَنَّ فِـــي قَـــرَنِ

فقالَ البحتريُّ(١):

أُطْلُبـــا ثالِثًـــا سِـــوايَ فـــإِنِّي ❊ رَابـــعُ العـــيسِ وَالـــدُّجى وَالبيـــدِ

١٥ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

وما نَفْعُ مَنْ قَدْ ماتَ بالأَمْسِ صَادِيًا ❊ إِذا مَـا سـماءُ اليَـوْمِ طـالَ انْهِمَارُهَـا

فقالَ البحتريُّ وقصَّرَ(٣):

واعْلَـمْ بـأَن الغَيْـثَ لَـيْسَ بِنَـافِعٍ ❊ لِلنَّـاسِ مـا لَـمْ يَـاتِ فـي إِبَّانِـهِ

١٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٤):

تكـــادُ مَغانِيـــهِ تَهَـــشُّ عِراصُـــها ❊ فَتَرْكَبُ مِـنْ شَـوْقٍ إِلَـىٰ كُـلِّ رَاكِـبِ

فقالَ البحتريُّ(٥):

لَـوْ أَنَّ مُشْـتاقًا تكَلَّـفَ فـوقَ مـا ❊ فِـي وُسْـعِهِ لَمَشَـىٰ إِلَيْـكَ الْمِنْبَـرُ

١٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٦):

---

(١) سبق في ١/٢٥٩، وفي الهامش: (خفيف).

(٢) شرح الصولي: ٣/٥٠٩، شرح التبريزي: ٤/٤٦١، وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ٤/٢٢٦٤، وفي الهامش: (كامل).

(٤) شرح الصولي: ١/٢٨١، شرح التبريزي: ١/٢٠٤، وفي الهامش: (طويل).
وقال التبريزي: (عراص جمع عرصة، وهي ساحة الدار، واستعار لها الهشاشة، والتي هي من البِشْر والأريحية).
وقال الصولي: (المغاني الديار، هذا مثل: يقول: من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عراص مغانيه وهي صحون رباعه تسير إلىٰ من يسير إليها طلبا لنيله).

(٥) ديوانه: ٢/١٠٧٣، وفي الهامش: (كامل).

(٦) سبق ١/٢٧١، وفي الهامش: (طويل).

وَكَيْـفَ احْتمـالِي لِلسَّـحَابِ صَـنيعَةً ❁ بإِسْـقَائِهَا قَبْـرًا وفـي لَحْـدِهِ البَحْـرُ

فقالَ البحتريُّ[1]:

مَـلْآنُ مِـنْ كَـرَمٍ؛ فَلَـيسَ يَضُـرُّهُ ❁ مَـرُّ السَّـحَابِ عَلَيْـهِ وَهْـوَ جَهـامُ

١٨ ـ وقالَ أبو تمامٍ[2]:

فَلْيَشْـكُرُوا جُـنْحَ الظَّـلَامِ وَدَرْوذًا ❁ فَهُـمُ لِـدَرْوَذَ والظَّـلامِ مَـوَالِي

فقالَ البحتريُّ[3]:

نَجا وَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَها ❁ عَلَيْـهِ، وَمَـنْ يُـولَ الصَّـنِيعَةَ يَشْـكُرِ

[١١٠/١/أ] **١٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:**

أَنْـتَ الْمُقِـيمُ فَمَـا تسـري رَوَاحِلُـهُ ❁ وطرفُـهُ أَبَـدًا مِنْـه عَلَـى سَـفَرِ

فقالَ البحتريُّ[5]:

مُسَـافِرٌ وَمَطايـاهُ مُحَلَّلَـةٌ ❁ غُرُوضُـهَا وَمُقِـيمٌ وَهْـوَ مُرْتَحِـلُ

---

(١) ديوانه: ١٩٥٠/٣، والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، وفي الهامش: (كامل).

(٢) شرح الصولي: ٢١٣/٢، وشرح التبريزي: ١٣٩/٣، ودروذ: إحدى الهضبتين اللتين ذكرهما أبو تمام في قوله في البيت السابق:

وبهضـبتي أبرَشْـتويم ودروذ ❁ لقحـت لقـاح النصـر بعـد حيـال

وفي الهامش: (كامل).

(٣) ديوانه: ٩٨٥/٢، وفي الهامش: (طويل). وفي الديوان: (مضى وهو...).

(٤) شرح الصولي: ٥١١/٣، شرح التبريزي: ٤٦٣/٤، وفيهما: (فما تغدو رواحله)، و(أيره أبدًا)، وقد وردت القصيدة كاملة برواية: (فما تسري)، و(أيره) في الجزء الثالث من الموازنة ص ٦٤٠، وفي الهامش قصة الأبيات رواها الصولي في أخبار أبي تمام ص١٩٤، وفي هامش الأصل: (بسيط).

(٥) ديوانه: ١٧٦٤/٣، وفي الهامش: (بسيط). والغروض جمع غرض، وهو حزام الرَّحْل.

٢٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[1]:

وَتَشَرَّفُ الْعُلْيَا، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ ❁ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمُ

فقالَ البحتريُّ[2]:

مُتَقَلْقِلُ الْعَزَماتِ في طَلَبِ الْعُلا ❁ حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكارِمِ قَيِّمَا

٢١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقاصِدٍ ❁ وَلا الْمَجْدُ في كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّراهِمُ

فقالَ البحتريُّ[4]:

لِيَفِرْ وَفْرُكَ الْمُوَفِّي وَإِنْ أَعْـ ❁ ـوَزَ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهْ

٢٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[5]:

فَوَقَّرْتَ يَافُوخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى ❁ وَزِدْتَ غَداةَ الرَّوْعِ فِي نَجْدَةِ النَّجْدِ

فقالَ البحتريُّ[6]:

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فِي الْوَغَى ❁ تُدَرِّبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ

---

(١) شرح الصولي: ٣٦٢/٢، شرح التبريزي: ٢٠٢/٣، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ١٩٦٠/٣، وفي الهامش: (كامل)، «ص»، «ر»: (مقلقل).

(٣) شرح الصولي: ٣٨٧/٢، وشرح التبريزي: ١٧٨/٣. ونقل التبريزي شرح المرزوقي فقال: (أي كما لا يجتمع السير نحو الشرق والغرب في حالة واحدة من سائر واحد، كذلك لا يجتمع الشرف والمعالي لرجل مع إمساكه المال، لأن المجد يكتسب ببذل المال وإتلاف الرغائب). وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه: ٩١٢/٢، وفيه: (المُلَقَّى). وفي «م»، والمطبوع: (الموفى)، وفي الهامش: (خفيف).

(٥) شرح الصولي: ٤٩٣/١، شرح التبريزي: ١٢٣/٢، وفيهما: (ووقّرتَ)، وفي الهامش: (طويل).

(٦) ديوانه: ٢٢١٩/٤، وفي الهامش: (متقارب). وفي «ص»، «ر»: (نجدان) تحريف.

٢٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

مـا زالَ وَسْوَاسِـي لِعَقْلِـيَ خادِعًـا ❊ حَتَّـىٰ رَجـا مَطَـرًا وَلَـيْسَ سَـحَابُ

فقالَ البحتريُّ[٢]:

وَعَجِيــبٌ أَنَّ الْغُيُــوثَ يُرَجِّــي ❊ هِــنَّ مَــنْ لا يَــرَىٰ مَكَــانَ الْغُيُــومِ

٢٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٣]:

بكلِّ صَعْبِ الذُّرَىٰ مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ ❊ أَقَــامَ مُتَّئِــدًا أَمْ ســارَ مُعْتزِمَــا

فقالَ البحتريُّ[٤]:

لا يَبْـرَحُ الْحَـزْمُ يَسْـتَوْفِي صَـرِيمَتَهُ ❊ أَقَــامَ مُتَّئِــدًا أَمْ ســارَ مُعْتزِمَــا

٢٥ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٥]: [١١٠/١/ب]

لَـرَدَدْتُ تُحْفَتَــهُ عَلَيْــهِ وَإِنْ غَلَــتْ ❊ في السَّوْمِ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعضَ خِصَالِهِ

وقولُهُ[٦]:

---

(١) شرح الصولي: ٨٢/٣، وشرح التبريزي: ٣١٢/٤، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ١٩٣٧/٣، ولم يذكر أمامه شيء في الهامش، والبيت من الوافر.

(٣) شرح الصولي: ٤٣٤/٢، شرح التبريزي: ١٦٩/٣، وفيهما: (إن حل متئدًا أو)، وقال التبريزي: (أكثرت القتل بمعونة كل صعب وجسور من ولد مصعب، متيقظ في حالتي حلوله ومسيره) وفي الهامش: (بسيط).

(٤) ديوانه: ٢٠٥٠/٣، ولم يذكر بحره في الهامش وهو من البسيط.

(٥) شرح الصولي: ٢٨٠/٢، شرح التبريزي: ٥٧/٣، ونقل ابن المستوفي في النظام شرح الخارزنجي للبيت فقال: (لو كان يُهدىٰ لامرئٍ ما لا يتهيأ إهداؤه لِعِظَمِ فراقه إذا زال عن صاحبه، لرددت تحفته، وسألته أن تهدىٰ لي بعض خصاله المحمودة ولكن لا سبيلَ إلىٰ ذلك) النظام: ج٢ لوحة ٢٥٧، وفي «ص»: (ازددت)، «م»، والمطبوع: (وإن علت عن ذلك). وفي الهامش: (كامل).

(٦) «م»، «ط»، «ر»: (وقال)، وفي المطبوع: (وقال أَبو تمام أَيضًا). وهي غير موجودة في النسخ=

وَانْفخْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْخَةً ❊ إنْ كانَتِ الأَخْلاقُ مِمَّا يُوهَبُ

فقالَ البحتريُّ[1]:

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكثِيرَ وَسَلْهُ ❊ خَصْلةً تَسْتَفِيدُها مِنْ خِصَالِهْ

٢٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

غَريبَةٌ تُؤْنِسُ الآدَابَ وَحْشَتُهَا ❊ فمَا تَحُلُّ علىٰ قَوْمٍ فتَرْتَحِلُ

فقالَ البحتريُّ[3]:

ضَوَارِبَ في الآفاقِ لَيسَ بِبَارِحٍ ❊ بِهَا مِنْ مَحَلٍّ أَوْطَنَتْهُ ارْتِحَالُها

٢٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

كأَنما خامَرَهُ أَوْلَقٌ ❊ أَوْ غَازَلَتْ هامَتَهُ الْخَنْدَرِيس

= التي بين يدي!

والبيت في شرح الصولي: ٢٣٧/١، وشرح التبريزي: ١٣٧/١. وهو يخاطب الحسن بن وهب كما جاء في شرح التبريزي، ويذكر غلامًا أهداه إياه، وقال التبريزي:

(يقول: خذ العبد إليك، وأعطني من أخلاقك ما هو أحسن منه، وإن كان الكريم إذا رفد رفدًا لم يرتجعه).

وفيهما و«م»، والمطبوع: (توهبُ)، وفي الهامش: (كامل).

(١) ديوانه: ١٨٤٥/٣، وفيه (ربك الخطير). وفي الهامش: (خفيف).

(٢) شرح الصولي: ١٨٩/٢، شرح التبريزي: ١٩/٣، وورد في ٣١٠/٤ من الموازنة، وفي وصف قصائدهما.

(٣) ديوانه: ١٦٩٤/٣، يقصد بالضوارب: قصائده، وفي الهامش: (طويل)، والهمزة والواو من (أوطنته) مصححة في الهامش.

(٤) شرح الصولي: ٥٩٠/١، شرح التبريزي: ٢٨٠/٢، وقال: («خامرة»: خالطه، و«أولق»: جنون، و«غازلت»: من مغازلة النساء، ذكره مستعارًا، و«الخندريس»: الخمر القديمة). وفي الهامش: (سريع).

فقالَ البحتريُّ[1]:

وَتَخَـــالُ رَيْعــانَ الشَّــبابِ يَرُوعُــهُ ❖ مِـــنْ جِنَّـــةٍ أَوْ نَشْـــوَةٍ أَوْ أَفْكَـــلِ

٢٨ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

حَمْــدٌ حُبِيــتَ بِــهِ وَأَجْــرٌ حَلَّقَــتْ ❖ مِــنْ دُونِــهِ عَنْقَــاءُ لَيْــلٍ مُغْــرِبُ

فقالَ البحتريُّ[3]:

فَأَنْتَ تُصِيبُ المجدَ حَيْثُ تَلَألأَتْ ❖ كَوَاكِبُـهُ إِنْ أَنْـتَ لَـمْ تُصِـبِ الأَجْـرا

٢٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

تُدْعَىٰ عَطاياهُ وَفْرًا وَهْيَ إِنْ شُهِرَتْ ❖ كانَــتْ فَخَــارًا لِمَــنْ يَعْفُــوهُ مُؤْتَنِفَــا

فقالَ البحتريُّ[5]:

---

(١) ديوانه: ١٧٤٨/٣، و«الأفكل»: الارتعاد من الخوف أو البرد، وفي الهامش: (كامل). وجاءت في الهامش عبارة لم أعرف مغزاها بعد وضع علامة إلحاق علىٰ (أفكل) وقال: (يتلوه في الورقة الصغيرة قوله: فالجود طوعك) ولم أجد قوله هذا في القصيدة.

(٢) شرح الصولي: ٢٣٧/١، شرح التبريزي: ١٣٤/١. قال الصولي: (يقول قد جلب إليك حمدًا وشكرًا هذا الغلام لما أهديته لي، ولكن ليس لك في إهدائه أجر لأنك أهديته عمدا لأسومه الحرام، فكأن أجره طارت به عنقاء مغرب). «ص»، «ط»، «ق»، «ر»: (مجد........ وآخر حلقت) تحريف، وفي الهامش: (كامل).

(٣) ديوانه: ٩٢٨/٢، وفي الهامش: (طويل). «ص»، «ر»: (وأنت)، «م»: (فأنت تصيب الأجر)، وفي المطبوع: (تصيب الحمد).

(٤) شرح الصولي: ٥٤/٢، شرح التبريزي: ٣٦٥/٣. وقال التبريزي: («وفرا»، أي غني؛ لأن كل من أعطاه هذا فقد استغنىٰ عن الناس كلهم، فهو يعطي سرًا وجهرًا، فعطاياه في السر إن هي شُهرتْ كانت فخرًا مؤتنفا ـ أي مستقبلاً ـ وشرفًا مستظرفا لسائله، لأنه شريف العطاء فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخرًا وغنىٰ)، وفي الهامش: (بسيط).

(٥) ديوانه: ٢٤٨/١، وفيه: (في نيله الموهوب)، وفي الهامش: (كامل).

وإِذا اجْتَـــدَاهُ المجْتَـــدُونَ فإِنَّـــهُ ❊ يَهَـبُ الْعُلَـىٰ فـي سَـيْبِهِ المَوْهُـوبِ

٣٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(١):

وَتَلْــبَسُ أَخْلاقًــا كِرَامًــا كأَنَّهَــا ❊ عَلَىٰ الْعِرْضِ مِنْ فَرْطِ الْحصَانَةِ أَدْرُعُ

فقالَ البحتريُّ(٢):

قَــوْمٌ إِذا لَبِسُــوا الــدُّرُوعَ لِمَوْقِـفٍ ❊ لَبِسَــتْهُمُ الأَحْسَــابُ فِيــهِ دُرُوعَــا

[١١١/١/أ] **٣١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ**(٣):

لَمَّــا أَظلَّتْنِــي غَمَامُــكَ أَصْـبَحَتْ ❊ تِلْـكَ الشُّـهُودُ عَلَـيَّ وَهْـيَ شُـهُودي

فقالَ البحتريُّ(٤):

وَمُعْتَرِضِــينَ إِنْ حاوَلْــتُ أَمْــرًا ❊ بِهِـمْ شَـهِدُوا عَلَـيَّ وهُـمْ شُـهُودِي

٣٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٥):

أَنْضَـرَتْ أَيْكَتِــي عَطايــاكَ حَتَّــىٰ ❊ عــادَ غُصْـنِي سَــاقًا وكــانَ قَضِــيبَا

فقالَ البحتريُّ(٦):

---

(١) شرح الصولي: ٣/٣١٦، شرح التبريزي: ٤/٩٦، وفي الهامش: (طويل).

(٢) ديوانه: ٢/١٢٢٥، وفيه: (لبستهم الأعراض فيه....) وفي الأصل، «ص»، «ر»: (لبستهم الأجساد) ولا يستقيم بها المعنىٰ. وفي «م»، «ط»، والمطبوع: (لبسوا من الأحساب). وفي الهامش: (كامل).

(٣) شرح الصولي: ١/٣٩٥، شرح التبريزي: ١/٣٩٦، وقال الصولي: (يقول: أصغيتَ إلىٰ قولي، وتحققت أمري، فكفَّ أعدائي فعلُك معي). وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ١/٥٧٧، وفيه: (إن عَظَّمتُ)، وفي «م»، «ط»: (ومعترضون).

(٥) شرح الصولي: ١/٢٥٨، شرح التبريزي: ١/١٧١، وفيهما وفي «م»، والمطبوع: (حتىٰ صار ساقا عودىٰ).

(٦) ديوانه: ٣/١٤٥٦، والقرارة: الثابت المطمئن من الأرض، القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر،=

حَتَّىٰ يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا ❊ والْغُصْنُ سَاقًا والْقَرَارَةُ نِيقَا

٣٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(١):

فَمَا تَصْطادُ غَيْرَ الصِّيدِ

فقالَ البحتريُّ(٢):

تصطادُ الفوارسَ صِيدُها

٣٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٣):

الآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِي تِلْكَ الرُّبَىٰ ❊ تِلْكَ الْمُنَىٰ وَبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ

فقالَ البحتريُّ(٤):

= والنيق: أرفع موضع في الجبل.

(١) شرح الصولي: ٣٨٨/١، شرح التبريزي: ٣٨٥/١، وصدر البيت:

وحشية ترمي القلوب إذا اغتدت ❊ وسنىٰ فما تصطاد غير الصيد

ونقل التبريزي شرح المرزوقي للبيت فقال:

(«وحشية» يجوز أن يكون أراد أنها في حسنها كالوحشية، ويجوز أن تكون تنفر عن الرِّيَبَ، فكأنها وحشية، وقوله «فما تصطاد غير الصيد» يجوز أن يكون عنىٰ أنه لا يرومهن ولا يهم بهن إلا الكبار من الرجال، المتكبرون، لعزتهنَّ وجلالهن في النفوس، ويجوز أن يكون أراد أنهن لا يتواضعن إلا لرمي الرجال المعجبين بأنفسهم ظرفًا وعزة)، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ٦٥٢/٢، وصدره:

علىٰ أنني أخشىٰ علىٰ دار أمنها ❊ بني الروع يصطادُ الفوارس صِيدُها

والصيدُ: جمع: الأصْيدُ، وهو الملك وكل ذي حول، والمتكبر المزهو بنفسه. وفي الهامش: (كامل) وهو خطأ، فالبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ٥٧٤/١، شرح التبريزي: ٢٥٣/٣، وفيهما: (في كرم الثرىٰ)، «م»: (في كرم الندىٰ). وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ١١٣٦/٢، والبيت في ديوانه مرويٌّ برواية فيها اختلاف وجاء علىٰ هذه الصورة:

فإذا بني غفلُ الرجالِ بُنيٍّ علىٰ ❊ جَدَدٍ، بنيتَ علىٰ ذُرَىً وأساسِ

غُفْلُ الرِّجالِ بَنَوْا علَىٰ جَدَدِ الثَّرَىٰ ❁ لَمَّا بَنَوْا، وبَنَيْتَ فَوْقَ أَسَاسِ

٣٥ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(١):

فَعَلامَ الصُّدُودُ في غَيْرِ جُرْمٍ ❁ والصُّدُودُ الفِراقُ قَبْلَ الفراقِ

فقالَ البحتريُّ(٢):

عَلَىٰ أَنَّ هِجْرانَ الْحَبيبِ هُوَ النَّوَىٰ ❁ لَدَيَّ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ العَذْلُ

٣٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٣):

وَفتًىٰ إذا خِيفَ الزَّمَانُ فَما يُرىٰ ❁ إلَّا إلىٰ عَزَمَاتِهِ يُتَظَلَّمُ

فقالَ البحتريُّ(٤):

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِي سُرَّ مَرَّاءُ لَمْ أَكُنْ ❁ إلىٰ العِيسِ مِنْ إيطَانِهَا أَتَظَلَّمُ

٣٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٥):

مِنْ دَوْحَةِ الكَلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْفَكِكْ ❁ وَقْفًا عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسا

فقالَ البحتريُّ(٦): [١١١/١/ب]

---

(١) شرح الصولي: ٤٥٣/٣، شرح التبريزي: ٢٤١/٤. وفي الهامش: (خفيف).

(٢) ديوانه: ١٦١٦/٣، وفيه: (هو النوىٰ أَشَتُّ). وفي الهامش: (طويل).

(٣) شرح الصولي: ٣٨٣/٢، شرح التبريزي: ٢١٤/٣. وفيهما: (إذا ظلم الزمان)، وفي الهامش: (كامل). وفي النسخة الأندلسية، (حنف الزمان)، وأمام القصيدة أنها: (صحت من خطه)، أي: من خط أبي تمام، والشيخ السيد صقر رواها (جنفت)، وباقي النسخ لم تنص عليها.

(٤) ديوانه: ١٩٧٨/٣، وإيطانها: اتخاذها وطنًا يقول: لو أنهضتني سامرَّاء، ووضعتني في مكاني اللائق ما شكوت إلىٰ إبلي بقاءها واستقرارها. و(إيطانها) مصححة في الهامش، وفيه: (طويل).

(٥) شرح الصولي: ٥٨٥/١، شرح التبريزي: ٢٧٣/٢، وفيهما: (يمسي عليك رصينها)، وفي الهامش: (كامل). وصححت كلمة: «دوحة» و«ينفكك» في هامش النسخة.

(٦) ديوانه: ١١٣٣/٢، وفي الهامش: (طويل).

وَلَـكَ السَّـلامَةُ والسَّـلامُ فـإِنَّنِي ✤ غَـادٍ وَهُـنَّ عَلـىٰ عُـلاكَ حَبـائِسُ

٣٨ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(١)]:

وكَـذَاكَ لَـم تُفْـرِطْ كآبَـة عاطِـلٍ ✤ حَتَّـىٰ يُجاوِرَهـا الزَّمَـانُ بِحَـالِ

فقالَ البحتريُّ[(٢)]:

وَقَـدْ زادَهـا إِفْـرَاطَ حُسْـنٍ جِوَارُهَـا ✤ خَلائِـقَ أَصْـفارٍ مِـنَ المَجْـدِ خُيَّـبِ

٣٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(٣)]:

ومـا العُـرْفُ بالتَّسْـويفِ إِلَّا كَخُلَّـةٍ ✤ تَسَـلَّيْتَ عَنْهـا حِـينَ شَـطَّ مَزارُهـا

فقالَ البحتريُّ[(٤)]:

وكُنْـتُ وَقَـدْ أَمَّلْـتُ مُـرًّا لِحَـاجَتِي ✤ كَطالِـبِ جَـدْوَىٰ خُلَّـةٍ لا تُوَاصِـلُ

٤٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(٥)]:

آسـادُ مَـوْتٍ مُخْـدِراتٌ مـا لَهـا ✤ غيـرُ الصَّـوَارِمِ والقَنـا آجـامُ

فقالَ البحتريُّ[(٦)]:

---

(١) في الأصل: (وقال البحتري) ثم صححت إلىٰ (أبو تمام). والبيت في شرح الصولي: ٢/٢٠٦، وشرح التبريزي: ٣/١٣٢. وفي الأصل: (يجاوزها) تصحيف، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ١/١٩٢، والماء في (زادها) تعود إلىٰ أخلاق الممدوح، راجع الديوان. وفي الهامش: (طويل).

(٣) شرح الصولي: ٣/٥٠٩، شرح التبريزي: ٤/٤٦١ والخُلَّةُ: الخليلة، وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه: ٣/١٨٦٨، وفيه: (مُرًّا لنائل) وفي «م»: (أمرًا) تحريف، وفي الهامش: (طويل).

(٥) شرح الصولي: ٢/٣٧٨، شرح التبريزي: ٣/١٥٦، وفيهما: (ما لها إلا الصوارم)، وجاءت هذه الرواية في ٣/٤٨١ من الموازنة.

(٦) ديوانه: ٢/١٢٤٤، وقال في ٣/٤٨١ من الموازنة: (الموالي في ذلك الوقت الأتراك، وهي لا تعمل بالرماح «العوالي» وكذلك الخَزَرُ والسُّغُدُ فيما أظن)، وفي الهامش: (خفيف).

حشــدَتْ حَوْلَهــا سِــباعُ المَــوَالِي ✤ وَالعَــوَالِي غــابٌ لِتِلْــكَ السِّــباعِ

٤١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

ولاذَتْ بِحِقْوَيْــهِ الخِلافَــةُ والتَقَــتْ ✤ عَلَــىٰ خِــدْرِها أَرْماحُــهُ ومَناصِــلُهْ

فقالَ البحتريُّ[٢]:

ولاذَتْ بِحقْوَيْــهِ الخِلَافَــةُ ؛ إِنَّهَــا ✤ قِسْــمٌ لأَفْضَــلِ هاشِــمٍ فالأَفْضَــلِ

٤٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٣]:

قَــدْ جاءَنــا الرَّشَــأُ الَّــذِي أَهْدَيْتَــهُ ✤ خِرْقًــا وَلَــوْ شِــئْنا لَقُلْنــا المَرْكَــبُ

فقالَ البحتريُّ[٤]:

حَمَلْــتَ عَلَيْــهِ فــي سَــبِيلِ فُتُــوَّةٍ ✤ هيَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا

٤٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٥]:

---

(١) شرح الصولي: ١٩٩/٢، شرح التبريزي: ٢٦/٣، «ص»: (فألقت) تحريف، وفي الهامش: (طويل).

(٢) (فقال البحتري) مستدركة في الهامش، والبيت في ديوانه: ١٦٢٧/٣، وفيه: (عاذت بحقويك). وفي الهامش: (كامل).

(٣) شرح الصولي: ٢٣٦/١، شرح التبريزي: ١٣٥/١. وقال التبريزي: (يعني الغلام الذي أهداه إليه، و«الخرق» الذي دهش وتحير كأنه رشأ، هو مع ذلك يصلح للتمتع، وقال الصولي: وأصل «الخرق» الضعف في القوائم من النعمة). وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ٩٣٧/٢، وفي الأصل: (بل تفضل المجدا) وصححت في الهامش إلىٰ (الثغرا)، وفيه: (طويل).

(٥) شرح الصولي: ٣٤٠/٢ شرح التبريزي: ١٢٨/٣. وفي الهامش: (طويل)، وقد شرح الآمدي هذا البيت في كتابه الآخر المفقود «تفسير معاني أبيات أبي تمام» ومنه نقول في كتاب (النظام لابن المستوفي)، جمعتها في كتابي: الآمدي الحسن بن بشر بين الموازنة وآثار له نادرة، مكتبة آفاق، الكويت سنة ٢٠١١. في الأصل: (ويرجىٰ دواء السم) وصححت (دواء) إلىٰ (شفاء).

وقَدْ تَأْلَفُ العَيْنُ الدُّجَى وَهْوَ قَيْدُها ✿ وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ والسُّمُّ قاتِلُ

فقالَ البحتريُّ[1]:

وَيَحْسُنُ دَلُّها والمَوْتُ فِيهِ ✿ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

[١١٢/١/أ] ٤٤ ـ **وقالَ أَبو تمامٍ**[2]:

أَوْرَقْتَ لِي وَعْدًا وَثِقْتُ بِنُجْحِهِ ✿ بِالأَمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ

فقالَ البحتريُّ وقصَّرَ[3]:

والوَعْدُ كالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ ✿ مِنهُ الغُصُونُ ونُجْحُهُ أَن يُثْمِرَا

٤٥ ـ **وقالَ أَبو تمامٍ**[4]:

إِنَّ الهِلالَ إِذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ ✿ أَيقَنْتَ أَنْ سَيَكونُ بَدْرًا كامِلا

فقالَ البحتريُّ[5]:

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ ✿ صَوْغُ اللَّيالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا

---

(١) ديوانه: ١٨٢٢/٣، وفي الهامش: (وافر).

(٢) لم يرد هذا البيت في نسخ ديوان أبي تمام المطبوعة والمخطوطة التي بين يدي، وانظر: «قصائد وأبيات لأبي تمام لم ترد في نسخ ديوانه المطبوعة» للمحقق، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ديسمبر ٢٠١٢.

(٣) في الأصل، «ص»، «ر» ورد بيت لأبي تمام وهو في ديوانه، ونسبه الناسخ للبحتري، وهو قوله:

أفديك مورق موعدٍ لم يفْدني ✿ من قول باغٍ أَنه لم يثمر

شرح الصولي: ٥٠١/٣، شرح التبريزي: ٤٥٥/٤. والتصحيح من «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع. وهذا البيت في ديوان البحتري: ٩٧٧/٢. وفيه: (ونجحها). وفي «ط»: (وعدهُ لم يثمر) تحريف، والبيت من الكامل.

(٤) شرح الصولي: ٣٣٤/٣، شرح التبريزي: ١١٥/٤، وفي الهامش: (كامل).

(٥) ديوانه: ٩٧٩/٢، وفي الهامش: (كامل).

٤٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

تَرْمِـــي بِأَشْـــبَاحِنَا إِلَـــىٰ مَلِـــكٍ ✤ نَأْخُـــذُ مِـــنْ مَالِـــهِ ومِـــنْ أَدَبِـــهْ

فقالَ البحتريُّ[٢]:

نَغْـدُو فَإِمَّـا اسْـتَمَحْنا مِـنْ مَوَاهِبِـهِ ✤ فَضْــلاً وَإِمَّـا اسْـتَفَدْنا مِنْـهُ آدَابَـا

٤٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٣]:

وَمَـا خَيْـرُ بَـرْقٍ لاحَ فِـي غَيْـرِ وَقتِـهِ ✤ وَوَادٍ غَــدَا مَــلْآنَ قَبْــلَ أَوَانِــهِ

فقالَ البحتريُّ[٤]:

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ الْغَيْـثَ لَـيْسَ بِنَـافِعٍ ✤ لِلنَّـاسِ مَـا لَـمْ يَـأْتِ فِـي إِبَّانِـهِ

٤٨ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[٥]:

---

(١) شرح الصولي: ١/٣٢٠، شرح التبريزي: ١/٢٧١.
وقال الصولي: (حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيىٰ قال: كان ابن الأعرابي يمضي إلىٰ إسحاق الموصلي، فقال له علي بن محمد المدائني: إلىٰ أين يا أبا عبد الله؟ فقال: إلىٰ هذا الذي نحن وهو كما قال الشاعر: (وساق بيت أبي تمام).
قال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ (ثعلب)، (وأظن أنه لو علم أن أبا تمام قائل هذا البيت ما تمثل به) قال الصولي: (ولم يكن أبو العباس يرويه أيضا لعصبيتهما عليه). وانظر: أخبار أبي تمام للصولي ص١٧٧، أبوتمام بين ناقديه قديمًا وحديثًا للمحقق ص٦٦، ص١٤٧ وما بعدها).

(٢) لم يرد في ديوانه ولا في المصادر التي بين يدي، ووجدت في ديوانه معنىً قريبًا منه وهو قوله:

نغــدو فإمــا اسـتعرنا مــن محاسِـنه ✤ فضــلا، وإمــا اسـتمحنا مــن أياديــه

ديوانه: ٤/٢٤٢٣، وفي الهامش: (بسيط).

(٣) شرح الصولي: ٣/٨، شرح التبريزي: ٣/٢٩٦، وفي الهامش: (طويل).

(٤) سبق في ٢/٢٦. وفي الهامش: (كامل).

(٥) شرح الصولي: ١/٣٠٣، شرح التبريزي: ١/٢٥٠، وقال الصولي: (يقول: لا يكون كريم الظفر حتىٰ يكون كريم الطلب، وأكرم الرجل: إذا طلب مطلبًا كريما). و(يكرم) مصححة في الهامش، وفيه: (بسيط).

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ المُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ ❁ بـهِ الرَّغَائِـبُ حَتَّـى يَكْـرُمَ الطَّلَـبُ

فقالَ البحتريُّ(١):

عَلَّمْتَنِـي الطَّلَـبَ الشَّـرِيفَ ورُبَّمَـا ❁ كُنْـتُ الْوَضِـيعَ مِـن اتِّضَـاعِ مَطـالِبِي

٤٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

أَرْسَـى بِنادِيـكَ النَّـدَى وَتَنَفَّسَـتْ ❁ نَفَسًـا بِعَقْوَتِـكَ الرِّيَـاحُ ضَـعِيفَا

فقالَ البحتريُّ(٣): [١١٢/١/ب]

رَاحَـت لِأربُعِـكَ الرِّيَـاحُ مَرِيضَـةً ❁ وَأَصَـابَ مغْنَـاكِ الْغَمَـامُ الصَّـيِّبُ

٥٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٤):

الْـوُدُّ لِلْقُرْبَـى ولكِـنْ رِفْـدُهُ ❁ لِلْأَبْعَـدِ الأَوْطَـانِ دُونَ الأَقْـرَبِ

فقالَ البحتريُّ(٥):

بَـلْ كَـانَ أَقْـرَبَهُمْ مِـنْ سَـيْبِهِ سَـبَبًا ❁ مَـنْ كـانَ أَبْعَـدَهُمْ مِـنْ جِذْمِـه رَحِمَـا

٥١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٦):

شَـرْخٌ مِـنَ الشَّـرَفِ المُنِيـفِ يَهُـزُّهُ ❁ هَـزَّ الصـفِيحَةِ شَـرْخُ عُمْـرٍ مُقْبِـلِ

فقالَ البحتريُّ(٧):

---

(١) ديوانه: ١٦٢/١، وفي الهامش: (كامل).
(٢) سبق في ٢٩٣/١، ٣٥٩، وفي الهامش: (كامل).
(٣) سبق في ٣٦٠/١، وفي الهامش: (كامل).
(٤) سبق ٣٧٤/١، وفي الهامش: (كامل).
(٥) سبق ٣٩٠/١، وفي الهامش: (بسيط).
(٦) شرح الصولي: ٢٧٠/٢، شرح التبريزي: ٥٠/٣، وفي الهامش: (كامل).
(٧) ورد في الأصل، «ص»، «ر»: البيت التالي لبيت أبي تمام السابق على أنه من قول البحتري،=

أَدْرَكْتَ مَا فَاتَ الكُهُولَ مِنَ الحِجَىٰ ❁ فــي عُنْفُــوانِ شَـبَابِكَ المسْــتَقْبَلِ

٥٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(١)]:

بَعَثْنَ الْهَوَىٰ فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائمًا ❁ فَقُـلْ فـي فُـؤَادٍ رُعْنَـهُ وَهْـوَ هَـائِمُ

فقالَ البحتريُّ[(٢)]:

فَبَعَـثْنَ وَجْـدًا للْخَلِـيِّ وَزِدْنَ فـي ❁ بُرَحَــاءِ وَجْــدِ الْهَــائِم المسْــتَهترِ

٥٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(٣)]:

غُـــرَّةٌ مُـــرَّةٌ أَلَا إِنَّمـــا كُنْـــ ❁ ـــتُ أَغـــرَّ أَيَّـــامَ كُنْــتُ بَهِيمَـــا

فقالَ البحتريُّ[(٤)]:

عجبَــتْ لِتَفْويــفِ الْقَــذَالِ وَإِنَّمَــا ❁ تَفْوِيفُــهُ لَــوْ كــانَ غَيْــرَ مُفَــوَّفِ

٥٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[(٥)]:

= والتصحيح من «م»، «ط»، «ق». وفي ديوان أبي تمام: (فاسلم لجدة سؤدد مستقبل)، وبيت البحتري في ديوانه: ١٨٠٢/٣ وهو من (الكامل).

(١) شرح الصولي: ٣٨٦/٢، شرح التبريزي: ١٧٧/٢، وفي الهامش: (طويل).

(٢) ديوانه: ١٠٣٩/٢، وفيه: (وجد العاشق)، وفي الهامش: (كامل).

(٣) شرح الصولي: ٣٩٩/٢، شرح التبريزي: ٢٢٣/٣، وفيه وفي المطبوع (غُرةٌ بهمةٌ)، وذكر رواية الموازنة. وفي الهامش: (خفيف).

(٤) ديوانه: ١٤١٦/٣، وفي الهامش: (كامل). والتفويف: هو تخطيط الثوب بخيوط بيض على الطول، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

(٥) جاء في دواوين أبي تمام المنشورة والمخطوطة التي بين يدي بيت يتفق مع هذا البيت ما عدا قافيته وهو قوله:

ومـــا زالَـــت تُجِـــدُّ أســـىً وشـــوقا ❁ لـــه وعليـــه إخـــلاق الطلـــول

شرح الصولي: ١٨٨/٣، شرح التبريزي: ٤١٥/٤، وفي الهامش: (وافر). و(تُجِدُّ) مصححة في الهامش.

وَمـا زالَـتْ تُجِـدُّ أسًـى وَشَـوْقًا ❁ لَـهُ وَعَلَيْـهِ إِخْـلاَقُ الرُّسُـومِ

فقالَ البحتريُّ[1]:

فَهَـيَّجَ وَجْـدِي رَبْعُهَـا وَهْـوَ سَـاكِنٌ ❁ وَجَـدَّدَ شَـوْقِي رَسْـمُهَا وَهْـوَ مُخْلِـقُ

٥٥ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

تَـرَاهُ يَـذُبُّ عَـنْ حَـرَمِ الْمَعَـالِي ❁ فَتَحْسِـبُهُ يُـدَافِعُ عَـنْ حَـرِيمِ

[١١٣/١/أ] فقالَ البحتريُّ[3]:

حـامَىٰ عَـنِ الْمَكْرُمَـاتِ مُجْتَهِـدًا ❁ ذَبَّ الْمُحَـامِي عَـنْ مَالِـهِ وَدَمِـهْ

٥٦ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

تَنَصَّـلَ رَبُّهَـا مِـنْ غَيْـرِ جُـرْمٍ ❁ إِلَيْـكَ سِـوَىٰ النَّصِـيحَةِ وَالـوِدَادِ

فقالَ البحتريُّ[5]:

أُقِـرُّ بِمَـا لَـمْ أَجْنِـهِ مُتَنَصِّـلاً ❁ إِلَيْـكَ، عَلَـىٰ أَنِّـي إِخالُـكَ أَلْوَمَـا

٥٧ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[6]:

---

(١) ديوانه: ١٤٩٣/٣، وفيه: (فحرّك بثي..... وجدد وجدي)
وروىٰ الآمدي البيت في موضع آخر (انظر ٢٣٣/٢) برواية الديوان، وعلق عليه فانظره هناك.
وفي الهامش: (طويل).

(٢) شرح الصولي: ٣٩٢/٢، شرح التبريزي: ١٦١/٣، وفي الهامش: (وافر).

(٣) ديوانه: ٢٠٦٤/٤، وفيه: (جهد المحامي)، وفي الهامش: (منسرح).

(٤) شرح الصولي: ٣٨٦/١، شرح التبريزي: ٣٨٦/١، يصف قصائده، وأن صاحبها تبرأ من كل نية سيئة سوىٰ النصيحة والود، وفي الهامش: (وافر).

(٥) ديوانه: ١٩٨٦/٤، وفي الأصل: (إخالك) و(أخالك) معًا، كلاهما صحيح، وفي الهامش: (طويل).

(٦) شرح الصولي: ٤١٠/١، شرح التبريزي: ٤٢٢/١، وفيهما، و«م»، والمطبوع: (مرر القصيد)=

وَتَنِــدُّ عِنْــدَهُمُ الْعُلَــىٰ إِلَّا عُلًــىٰ ❁ جُعِلَــتْ لَهــا مِــرَرُ القــريض قُيُــودَا

فقالَ البحتريُّ[1]:

وَالْمَجْــدُ قَــدْ يَــأبِقُ عَــنْ أَهْلِــهِ ❁ لَــوْلَا عُــرَىٰ الشِّــعْرِ الَّــذي قَيَّــدَهْ

٥٨ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

شَــكَّ حَشَــاها بِخُطْبَــةٍ عَــنَنٍ ❁ كَأَنَّهَــا مِنْــهُ طَعْنَــةٌ خَلْــسُ

وقالَ أبو تمامٍ[3]:

فرَّجْــتَ جونتَهــا بِخُطْبَــةِ فَيْصَــلٍ ❁ مِثْــلٌ لَهــا فــي الــرَّوْعِ طَعْنَــةُ فَيْصَــلِ

٥٩ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

= ورواية الموازنة: (مرر القريض) روتها النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام ص ٢٨١. وتند: تنفر وتشرد، والمرر: جمع مرة، وهو الحبل الذي أجيد فتله، وقال التبريزي: (يقول: إن المكارم إذا لم تقيد بالشعر تتفرق وتتبدد)، وفي الأصل (قصيدا) ثم صححت إلىٰ: (قيودا)، وفي الهامش: (كامل).

(١) ديوانه: ٦٦٤/٢، ويأبق: يهرب، العُرىٰ: جمع، عروة: ما يوثق به الشيء، وفي الهامش: (سريع).

(٢) شرح الصولي: ٥٦٢/١، شرح التبريزي: ٢٣١/٢، وقال أبو العلاء:
(الشك: أي ينتظم الشيء بالطعنة، وهو هاهنا استعارة، وعنن: أي معترضة، وهو من عنَّ الشيء يعنُّ: إذا بدا لك).
وحشاها يقصد: حومة الخطاب في البيت السابق. وفي الهامش: (منسرح). وقال التبريزي: (هذا الضرب «يعني الوزن» لم يذكره الخليل في العروض، وذكره غيره في المنسرح، ولم يستعمله القدماء، وهو قليل في أشعار المحدثين).

(٣) هذا البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه، وليس للبحتري كما هو في كل النسخ، كذلك المطبوع، ولم ينتبه الشيخ السيد صقر إلىٰ وهم الآمدي، انظر: شرح الصولي: ٢٧١/٣، شرح التبريزي: ٥١/٣، وفيهما: (مَثَلٌ). قال أبو العلاء: (يحوز: «مِثْل لها»، و«مثلَ لها»، والمعنىٰ: أنها تفصل بين القوم، فكأنها طعنة فيصل، وهي التي يطعن بها رئيس القوم في الحرب فتؤدي إلىٰ قتله)، وفي الهامش: (طويل).

(٤) شرح الصولي: ٥٣/٢، شرح التبريزي: ٣٦٤/٢، وفيهما: (من أطرافها)، وقد ساق الآمدي=

بــادي التَّوَاضُــعِ والــدُّنْيَا بِسُــؤْدَدِهِ ✿ تكــادُ تَهْتَــزُّ مِــنْ أَقْطَارِهــا صَــلَفَا

فقالَ البحتريُّ[1]:

أَبْــدَىٰ التَّواضُــعَ لمَّــا نَالَهــا رِعَــةً ✿ عَنْهَــا ونالَتْــهُ فَاخْتَالَــتْ بِــهِ تِيهــا

٦٠ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

إِذَا أَطْلَقُــوا عنــهُ جَوَامِــعَ غُلِّــهِ ✿ تَــيَقَّنَ أَنَّ المَــنَّ أَيْضًــا جَوَامِــعُ

فقالَ البحتريُّ[3]:

وَفــي عَفْــوِهِ لَــوْ تَعْلَمُــونَ عُقُوبَــةٌ ✿ تُقَعْقِعُ فــي الأَعْـراضِ إِنْ لَـمْ يُعَاقِـبِ

٦١ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

قصِّـرْ بِبَـذْلِكَ عُمْـرَ مَطْلِـكَ تَحْـوِ لِـي ✿ شــكرًا يُعَمَّــرُ عُمْــرَ سَــبْعَةِ أَنسُــرِ

[١/١١٣/ب] فقالَ البحتريُّ[5]:

وَجَعَلْـتَ فِعْلَـكَ تِلْـوَ وَعْـدِكَ قَاصِـرًا ✿ عُمْــرَ الْعَــدُوِّ بِــهِ وَعُمْــرَ المَوْعِــدِ

٦٢ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[6]:

= البيت في ٣/٢١٠، وعلق عليه فانظره، وفي الهامش: (جم التواضع)، وهي رواية الصولي والتبريزي، و«م». وفي «ط»: (بادي جم التواضع)!! وفي الهامش: (بسيط).

(١) ديوانه: ٢٤٢١/٤، وفيه: (رعة منه)، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) شرح الصولي: ٦٣٢/٣، شرح التبريزي: ٥٨٠/٤، وقد أورد الآمدي القصيدة في ٢٠٣/٣ فانظرها، وفي الهامش: (طويل) و(غُلِّهِ) مصححة فيه.

(٣) ديوانه: ١٨٢/١، وفي الهامش: (طويل).

(٤) شرح الصولي: ٥٠١/٣، شرح التبريزي: ٤٥٤/٤، وفيهما، والمطبوع: (حمدًا يعمر)، و(ببذلك) مصححة في الهامش، وفيه أيضًا (تحتوي) كأنه تصحيح لـ(تحو لي) وهي خطأ.

(٥) ديوانه: ٥٤٩/١، وأورده الآمدي في ٢٨١/٣.

(٦) سبق ٤٢٧/١.

دَعَا شَوْقُهُ يـا ناصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً ❁ فَلَبَّـاهُ طَـلُّ الـدَّمْعِ يَجْـرِي وَوَابِلُـهْ

فقالَ البحتريُّ(١):

نَصَرْتُ لَهَـا الشَّوْقَ اللَّجُـوجَ بِعَبْـرَةٍ ❁ تَلَاحَـقُ فـي أَعْقَـابِ وَصْـلٍ تَصَـرَّمَا

٦٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

مِـنْ لَيْلَـةٍ فِـي وَبْلِهَـا لَـيْلَاءَ ❁ فَلَـوْ عَصَـرْتَ الصَّـخْرَ صَـارَ مَـاءَ

فقالَ البحتريُّ(٣):

أَشْـرَقْنَ حَتَّـىٰ كـادَ يُقْتَبَسُ الـدُّجَىٰ ❁ وَرَطَـبْنَ حَتَّـىٰ كـادَ يَجْـرِي الْجَنـدَلُ

٦٤ ـ وقالَ أَبو تمامٍ(٤):

بِـرٌّ بَـدَأْتَ بِـهِ ودَارٌ بابُهـا ❁ لِلْخَلْـقِ مَفْتُـوحٌ وَوَجْـهٌ مُقفَـلُ

فقالَ البحتريُّ(٥):

إِلَامَ بابُـكَ مَعْقُـودٌ عَلَـىٰ خُلُـقٍ ❁ وَرَاءَهُ مِثْـلُ مَـدِّ النِّيـلِ مَحْلُـولِ

فهذا ما أَخذَ البحتريُّ من أَبي تمامٍ.

ولعلَّ قائلًا يقولُ: إِني قدْ تجاوزتُ في هذا البابِ، وقَصَّرْتُ، ولم أَستقصِ جميعَ، ما خرّجهُ «أَبو الضياءِ: بشرُ بنُ يحيىٰ» من المسروقِ، وليس

---

(١) ديوانه: ٢٠٤٢/٣، وفيه: (بأدمع). وقد رواه في ٤٢٨/١ برواية الديوان، والبيت من (الطويل).

(٢) شرح الصولي: ٥٤٧/٣، شرح التبريزي: ٥٠٠/٤، وفيهما قدم البيت الأول علىٰ الثاني، وفي الهامش: (سريع) وهو خطأ فالأبيات من الرجز.

(٣) ديوانه: ١٧٥٦/٣، يمدح المتوصل وأيامه، وفي الهامش: (كامل).

(٤) شرح الصولي: ٢٨٤/٢، شرح التبريزي: ٥٨/٣، وفي الهامش: (كامل).

(٥) ديوانه: ١٨٦١/٣، وفيه: (مثل مد المزن).

الأَمرُ كذلكَ ، بل قدْ استوفيتُ جميعَهُ ، وتسامحتُ بأَنْ ذكرتُ ما لعلَّهُ لا يكونُ مسروقًا ، وإِن اتفقَ المعنيَانِ أَو تَقاربا ، غيرَ أَني اطَّرَحتُ سائرَ ما ذكرَ «أَبو الضياءِ» بعدَ ذلكَ لأَنهُ لمْ يقنعْ بالمسروقِ الذي يشهدُ التأَملُ الصحيحُ لِصحتهِ[١] حتىٰ تعدَّىٰ ذاكَ إِلىٰ التكثيرِ ، وإِلىٰ أَن أَدخلَ في البابِ ما ليسَ [١١٤/١/أ] منهُ ، بعد أَن قَدَّمَ مقدمةً افتتحَ بها كلامَهُ ، فقالَ:

«ينبغي لمنْ نظَرَ في هذا الكتابِ أَنْ لا يَعْجَلَ بأَنْ يقولَ: ما هذا بمأخوذٍ من هذَا ، حتىٰ يتأَملَ المعنَىٰ دونَ اللفظِ ، ويُعْملَ الفكرَ فيما خفِيَ. وإِنما السَّرَقُ[٢] في الشعرِ ما نُقلَ معناهُ دونَ لفظِهِ ، وأَبعدَ آخذُهُ في أَخْذِهِ».

قالَ: «ومن الناسِ منْ يبعُدُ ذهنُهُ إِلا عن مثلِ بيتيْ[٣] امرئ القيسِ وطَرَفَةَ حينَ لمْ يختلفَا إِلا في القافيةِ ، فقالَ أَحدُهما: «وتجمَّلِ» ، وقالَ الآخرُ: «وتجلَّدِ»».

وقالَ: «ففي الناسِ طبقةٌ أَخرىٰ يحتاجونَ إِلىٰ دليلٍ من اللفظِ معَ المعنىٰ[٤] ، وطبقةٌ يكونُ الغامضُ عندَهمْ بمنزلةِ[٥] الظاهرِ ، وهمْ قليلٌ».

فجعلَ هذهِ التقدمةَ[٦] توطئةً لما اعتمدَهُ من الإِطالةِ والحَشْوِ ، وأَن يُقْبَلَ منهُ كلُّ ما يوردُهُ ، ولم يستعملْ ـ مما وصَّىٰ بهِ من التأَملِ وإِعمالِ الفكرِ ـ شيئًا ، ولو فعلَ ذلكَ لجوَّزتُ[٧] أَن يُوَفَّقَ لطريقِ الصوابِ ، فيعلمَ أَن السَّرَقَ[٨]

---

(١) «م» ، «ط» ، «ق» ، والمطبوع: (بصحته .... حتىٰ تعدىٰ ذلك).

(٢) «ر» ، المطبوع: (المسْروق في الشعر).

(٣) «ط» ، «م»: (بيت) ، وهي ساقطة من المطبوع.

(٤) «ص»: (مع النفي) تحريف.

(٥) «ص» ، «ر» ، والمطبوع: (بمنزلة اللفظ الظاهر).

(٦) «ر» ، «ص» ، «ط»: (المقدمة).

(٧) «ص» ، «ر»: (لجوزت وأن) «م» ، «ط» ، والمطبوع: (لرجوت).

(٨) «ص» ، والمطبوع: (السرقة إنما هي).

إنما هو في البديعِ المخترعِ الذي يختصُّ بهِ الشاعرُ، لا في المعاني المشتركةِ بينَ الناسِ التي هي جاريةٌ في عاداتهمْ، ومستعملةٌ في أمثالهمْ ومحاوراتهِمْ، مما ترتفعُ الظنَّةُ فيهِ عن الذي يورِدُهُ أن يقالَ: إنهُ أخذَهُ من غيرِهِ.

غيرَ أنَّ «أَبا الضياءِ» استكثرَ من هذا البابِ، وخلَطَ بهِ ما ليسَ من السَّرَقِ في شيءٍ، ولا بينَ المعنيينِ[1] تناسبٌ ولا تقاربٌ، وأتىٰ بضَرْبٍ آخرَ ادَّعىٰ أيضًا فيهِ السرَقَ والمعاني مختلفةٌ؛ وليسَ فيهِ إلا اتِّفاقُ الألفاظِ، وليسَ مثلُها ما احتاجَ[2] واحدٌ أَن يأخذَهُ من آخرَ؛ إذْ كانتِ الأَلفاظُ مباحةً غيرَ محظورةٍ، فبلغَ غرضَهُ في توفيرِ الورقِ وتعظيمِ حجمِ الكتابِ.

وأَنا أَذكرُ في كل بابٍ من هذهِ الأَبوابِ أَمثلةً يُستدَلُّ [١/١١٤/ب] بها علىٰ صحةِ ما ذكرتُهُ[3]، ونجعلُها قياسًا علىٰ ما لمْ أذكرهُ[4]؛ فإنَّ في البعضِ غِنًىٰ عن الإِطالةِ بذكرِ الكلِّ.

١ ـ فمِمَّا أَوردَهُ «أَبو الضياءِ» من المعاني المستعملةِ الجاريةِ مجرىٰ الأمثالِ، وذَكَرَ أَن البحتريَّ أَخذَهُ من أَبي تمامٍ، قولُ أَبي تمامٍ[5]:

جَرَىٰ الْجُودُ مَجْرَىٰ الروحِ مِنْهُ، فَلَمْ يَكُنْ ❊ بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحالِمِ

وقولُ البحتريِّ[6]:

(١) «ص»، «ر»: (النقيضين).

(٢) «م»، والمطبوع: (مما يحتاج....).

(٣) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (ما ذكرناه).

(٤) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (ما لم نذكره).

(٥) شرح الصولي: ٣/٣٥٠، وشرح التبريزي: ٤/١٣٢، وفيهما وفي «م»، والمطبوع: (جرىٰ المجد مجرىٰ النوم منه)، وفي الهامش: (طويل).

(٦) ديوانه: ٣/١٩٨٩، وفي الهامش: (كامل).

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بالْمَكَارِمِ والْعُلَى ❊ حَتَّى يكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ

وهذا المعنى موجودٌ في عاداتِ الناسِ، ومعروفٌ في معاني[1] كلامِهِمْ، وجارٍ كالمثَلِ على ألسنتِهِمْ، بأَنْ يقولوا لمنْ أَحبَّ شيئًا أَو استكثرَ منهُ: فلانٌ لا يَحْلُمُ إِلَّا بالطعامِ، وفلانٌ لا يحلمُ إِلا بفلانةٍ من شدةِ وَجْدِهِ بها، وهذا الزِّنْجيُّ ما حُلْمُهُ إِلا بالتمرِ، ولا يقالُ لما كانتْ هذهِ سبيلُهُ: سَرَقٌ، وإِنما يقالُ لهُ: اتفاقٌ، فإِن كانَ واحدٌ سمِعَ هذا المعنى أَو مثلَهُ من آخرٍ فاحتذاهُ فإِنما ذكرهُ بمعنى[2] عرفَهُ واستعملَهُ، لا أَنهُ أَخذَهُ أخذَ سَرَقٍ.

٢ ـ وأَنشدَ لأبي تمامٍ[3]:

إِذَا القَصَائِدُ كانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ ❊ يَوْمًا فَأَنْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدائِحِها

وذكرَ أَنَّ البحتريَّ أَخذَهُ فقالَ[4]:

وَمَنْ يَكُنْ فاخِرًا بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ فِي ❊ أَصنافِهِ فَبِكَ الأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

وهذا غلطٌ على البحتريِّ؛ لأَنَّ الناسَ لا يزالونَ يقولونَ: فلانٌ يَزينُ الثيابَ ولا تزينهُ، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمّلهُ، وفلانةُ تزيدُ في حُسنِ الحليِّ ولا يزيدُ في حُسِنَها، وفلانٌ تفخرُ بهِ [١١٥/١/أ] الأَنسابُ ولا يفخَرُ بها، وهذا ليسَ من المعاني التي يجوزُ أَن يدعي أَحدٌ من الناسِ أَنهُ ابتدعَها واخترعَها أَو

(١) (معاني) مستدركة في الهامش.

(٢) «ط»، «م»: (ذكره بمعنى)، وفي المطبوع: (ذكر معنى).

(٣) شرح الصولي: ٣٧١/١، شرح التبريزي: ٣٥٥/١، وفيه: (فأنت لاشك عندي) وفي الهامش: (بسيط).

(٤) ديوانه: ٩٥٨/٢، وفيه: (بالشعر يمدح في أضعافه) وفي «ص»: (فاخرا فالشعر يذكر وأصنافه قبل) تحريف، «م»، «ط»، والمطبوع: (في أضعافه).

سَبَق إِليها ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ مثلُ هذا إِذا اتفقَ فيهِ خطيبانِ ، أَو شاعران ، أَنْ يقالَ: إِن[1] أَحدَهما أَخذَ منَ الآخرِ[2].

٣ ـ وأَنشدَ لأَبي تمامٍ[3]:

ثُـمَّ انْقَضَـتْ تِلْـكَ السِّنُونَ وَأَهْلُهـا ❁ فكأَنَّهـــا وَكـــأَنَّهُمْ أَحْـــلامُ

وذكرَ أَنَّ البحتريَّ أَخذَهُ فقالَ[4]:

وَأَيامُنَـــا فيهـــا اللَّـــوَاتِي تَصَـــرَّمَتْ ❁ مَعَ الوَصْـلِ أَضْـغَاثٌ وَأَحْـلامُ نَـائِمِ

وكأَنهُ ما سمعَ الناسَ يقولونَ: ما كانَ الشبابُ إِلا حُلُمًا ، وما كانتْ أَيامُنا إِلا نومةَ نائمٍ ، وما أَشبهَ ذلكَ من اللفظِ ، فكيفَ يجوزُ أَن يكونَ مثلُ هذا[5] مسروقًا؟

٤ ـ وذكرَ أَنَّ من ذلكَ قولَ أَبي تمامٍ[6]:

قَدْ يُقْدِمُ الْعَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَىٰ الأَسَدِ[7]

وقولُ البحتريِّ[8]:

---

(١) الزيادة من «م» ، «ط».

(٢) (الآخر) مصححة في الهامش.

(٣) شرح الصولي: ٣٧٣/٢ ، شرح التبريزي: ١٥٢/٣ ، و(أنشد لأبي....) مستدركة في الهامش ، وفيه: (كامل).

(٤) ديوانه: ١٩٧٠/٣ ، وفيه في «م» ، «ط»: (وأيامنا فيك) ، و(أم أضغاث أحلام).

(٥) «ق» ، والمطبوع: (مثل ذلك) ، «ط» ، «م»: (أن يكون هذا).

(٦) شرح الصولي: ١٢٢/٣ ، وفيه: (من خوف) ، وشرح التبريزي: ٣٥١/٤ ، و(من ذلك) مستدركة في الهامش.

(٧) صدره: (أطلْتَ روعَك حتىٰ صرت لي غرضًا) ، و(خوف) مصححة في الهامش إلىٰ (ذعر) ، وفي الهامش: (بسيط).

(٨) ديوانه: ٨٧٩/٢ ، وفي الهامش: (طويل). وأهرت الشدقين: واسعهما.

فَجَـاءَ مَجِــيءَ الْعَيْـرِ قَادَتْــهُ حَيْـرَةٌ ❊ إِلَـىٰ أَهْـرَتِ الشِّـدْقَيْنِ تَـدْمَىٰ أَظَـافِرُهْ

أَوَلَمْ يسمعْ[1]: ما هو كالمُجْمَعِ عليهِ من أَنَّ الْعَيْرَ إِذا رأَىٰ السَّبُعَ أَقبلَ إِليهِ من شدةِ خوفهِ منهُ، حتىٰ صارَ مثلًا يُتَمثلُ بهِ، كما يُتَمثلُ بالفَراشِ إِذا تهافتَ[2] في النارِ، وفي ذلكَ أَشعارٌ وأَمثالٌ كثيرةٌ، ما أَظنُّ عِلْمَها سقطَ عنِ البحتريِّ.

٥ ـ ومنْ ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[3]:

هَيْهَـاتَ لَـمْ يَعْلَـمْ بِأَنَّـكَ لَـوْ ثَـوَىٰ ❊ بِالصِّـينِ لَـمْ يَبْعُـدْ عَلَيْـكَ الصِّـينُ

وقولُ البحتريِّ[4]:

يُضْحِي مُطِلاً عَلَىٰ الأَعْدَاءِ لَو وقعُوا ❊ بالصِّينِ في بُعْدِها مَا استَبْعَدَ الصِّينا

وهذا جارٍ علىٰ أَفواهِ العامةِ والخاصةِ والنساءِ والصبيانِ أَن يضرِبُوا [١/١١٥/ب] المثلَ في البعدِ بالصينِ، وأَن يوقِعُوا التهدّدَ بهِ؛ فيقولوا: لو أَنكَ بالصينِ لما بعدتَ عليَّ، فكيفَ لا يهتدي البحتريُّ إِلىٰ [مثلٍ][5] هذا؟

٦ ـ ومنْ ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[6]:

كــأَنَّ بَنِــي نَبْهــانَ يَــوْمَ وفَاتِــهِ ❊ نُجُـومُ سَـمَاءٍ خَـرَّ مِـنْ بَيْنِهَـا الْبَـدْرُ

---

(١) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (يسمع ما).

(٢) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (تهافتت).

(٣) شرح الصولي: ٣/٣٦، وشرح التبريزي: ٣/٣٢١، وفيهما: (لم تبعد)، وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ٤/٢٢٠٣، وفي «ط»، «م»: (من بعدها).

(٥) زيادة من «م».

(٦) سبق في ١/٢٤٣. وفي الهامش: (طويل).

وقولُ البحتريِّ[1]:

فَــإِذا لَقيــتَهُمُ فَمَوْكِــبُ أَنْجُــمٍ ✤ زُهْــرٍ وَعَبْــدُ اللهِ بَــدْرُ الْمَوْكِــبِ

وهذا معنىً متقدِّمٌ مبتذَلٌ، قد جاءَ بهِ النابغةُ وغيرهُ، وكثُرَ على الأَلسُنِ حتىٰ صارَ أَشهرَ من كلِّ مشهورٍ[2].

وبيتُ أَبي تمامٍ خاصةً فإِنما سَرَقهُ علىٰ سياقتِهِ[3] من مريمَ بنتِ طارقٍ ترثي أَخاها[4]:

كُنَّــا كــأَنْجُمِ لَيْــلٍ بينَنَــا قَمَــرٌ ✤ يَجْلُو الدُّجَىٰ فَهَوَىٰ مِنْ بَيْنِنا الْقَمَرُ

أَو من قولِ جريرٍ يرثي الوليدَ بن عبدِ الملكِ[5]:

أَمسىٰ بنـوهُ وقـد جَلَّـتْ مُصـيبتُهُمْ ✤ مثلَ النجـومِ هـوىٰ مـنْ بينهـا القمرُ

٧ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[6]:

هِمَّــةٌ تَــنْطَحُ النُّجُــومَ وَجَــدٌّ ✤ آلِــفٌ لِلْحَضِــيضِ فَهْــوَ حَضِــيضُ

وقولُ البحتريِّ[7]:

مُتَحَيِّــرٌ يَغْــدُو بِعَــزْمٍ قــائِمٍ ✤ فــي كُــلِّ نائِبَــةٍ وَجَــدٍّ قاعِــدِ

وهذانِ المعنيانِ جنسهما واحدٌ، ولفظهُمَا مختلفٌ، وهما شائعانِ في

---

(١) ديوانه: ٢٨٣/١، وفي الهامش: (كامل).

(٢) «ق»، «ط»، «م»: (مشتهر).

(٣) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (علي ساقته).

(٤) سبق ٢٤٣/١ برواية الأصل. وفي الهامش: (بسيط).

(٥) سبق ٢٤٣/١ وفي الهامش: (بسيط).

(٦) سبق ٣١٩/١ وفي الهامش: (خفيف).

(٧) ديوانه: ٥٠٧/١، وفي الهامش: (كامل).

الكلامِ وجاريانِ في الأَمثالِ، بأَنْ يقولوا[1]: فلانٌ عالي الهمةِ، وهمَّتُهُ في الثريَّا وحالهُ في الحضيضِ، وفلانٌ يُسامي بهمتِهِ النجمَ ولكنْ قد[2] قَعَدَ بهِ حَظُّهُ، ونحوُ هذا من اللفظِ؛ فليسَ يجوزُ أَن يَعْتَوِرَ هذا المعنىٰ شاعرانِ فيقالُ: إِنَّ أَحدَهما أَخذَ منَ الآخرِ.

٨ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[3]:

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلَّا ❊ لمَوْقُوفٍ عَلىٰ تَرَحِ الْوَدَاعِ

وقولُ البحتريِّ[4]:

مَا لِشَيْءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَيْءٍ ❊ كَتَلَاقٍ مُواشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ

وهذا معنًى مستفيضٌ معروفٌ، منهُ قولُ الحجاجِ: «لولا فَرْحَةُ الأَوباتِ لما عذبتُهمْ إِلا بالأَسفارِ».

وغرضُ كلِّ واحدٍ من هذينِ الشاعرينِ في هذينِ البيتينِ مخالفٌ لغرضِ صاحبِهِ؛ لأَنَّ أَبا تمامٍ ذكرَ أَنهُ لا يفرحُ بالقدومِ إِلَّا مَنْ شَجَاهُ وحَزَنهُ[5] التوديعُ.

وأَرادَ البحتريُّ أَنهُ [١١٦/١/أ] ليسَ لشيءٍ منَ المسرةِ والجذَلِ إِذا جاءَ في أَثرِ شيءٍ ما ما للتلاقي[6] بعدَ التفرقِ.

---

(١) «ق»، «ط»، والمطبوع: (أن يقال) «م»: (يقال) بإسقاط (أن).

(٢) (قد) مستدركة في الهامش.

(٣) من قوله: (ومن ذلك....) إلىٰ قوله في الصفحة التالية: (أن يأخذه واحد من آخر) مستدرك في هامش النسخة، والبيت في شرح الصولي: ٢١/٢، وشرح التبريزي: ٣٣٦/٢ والبيت من الوافر.

(٤) ديوانه: ٢٢٦٠/٤، والبيت من الخفيف.

(٥) قال الشيخ السيد صقر: في اللسان: (حزن): (حزنة لغة قريش، وأحزنه لغة تميم، وقد قرئ بهما).

(٦) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (ما كالتلاقي)، «ر»: (للتلاقي).

فليسَ ـ وإنْ كانَ جنسُ المعنيينِ واحدًا ـ يجب[1] أَن يقالَ: إنَّ أَحدَهُما أَخذَ من الآخرِ: لأَنَّ هذا قد صارَ جاريًا في العاداتِ، وكثيرًا علىٰ الأَلسنِ، فالتُّهمَةُ ترتفعُ عنْ أَنْ يأخذَهُ واحدٌ من آخرَ.

٩ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

لَهُـمْ نَشَـبٌ وَلَـيْسَ لَهُـمْ سَـمَاحٌ ❁ وَأَجْسَـامٌ وَلَـيْسَ لَهُـمْ قُلُـوبُ

وقولُ البحتريِّ[3]:

خَلْـقٌ ممَثَّلَـةٌ بِغَيْـرِ خَلَائِـقٍ ❁ تُرْجـىٰ، وَأَجْسَـامٌ بِـلا أَرْوَاحِ

وهذا المعنىٰ أَيضًا هو أَعْرَفُ في كلامِهِمْ وأَشْهَرُ من أَنْ يَحتاجَ شاعرٌ أَنْ يأخذَهُ من آخرَ، وهم دائمًا يقولون: ما فلانٌ إلَّا شَبَحٌ من الأَشباحِ، وما هوَ إلَّا صورةٌ في حائطٍ، أَو جسدٌ فارغٌ، ونحوُ هذا من القولِ الشائعِ المُشْهَرِ.

١٠ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[4]:

لَا تَـدْعُوَنْ نُـوحَ بْـنَ عَمْـرٍو دَعْـوَةً ❁ لِلْخَطْـبِ إِلَّا أَنْ يَكُـونَ جَلِـيلَا

وقولُ البحتريِّ[5]:

---

(١) في الأصل: (وجب) وصححتها لتناسب السياق، في المطبوع: (يصح أن).

(٢) لم يرو الصولي هذا البيت، ورواه التبريزي: ٥٦٢/٤ وفيه: (وليس لهم فعال....) ونقل ابن المستوفي شرح الخارزنجي فقال: (يقول: لهم مال، ولكن ليس لهم سخاء، ولهم أجسام عظيمة، ولكن لا قلوب لهم في البأس والجود) النظام ج١ لوحة ١٤٣ ورواه: (لهم نسب) وهي رواية «ق»، «ط»، «م» في الهامش: (وافر).

(٣) ديوانه: ٤٧٧/١ وفيه: (خلق مخيّلة.... وتُرضىٰ...) وفي الهامش: (كامل).

(٤) شرح الصولي: ٢٩٦/٣، شرح التبريزي: ٧٠/٣، وفي الهامش: (كامل).

(٥) ديوانه: ٩٩٠/٢، وفي الهامش: (خفيف).

يَـا أَبَـا جَعْفَـرٍ! ومَـا أَنْـتَ بالْمَـدْ ❁ عُـــوِّ إِلَّا لِكُـــلِّ أَمْـــرٍ كُبَـــارِ

ونسيَ قولَ الناسِ: اخْتَرْ لعظيمِ الحوائجِ العظيمَ من الناسِ، ولكبيرِ[1] الأمورِ كبيرَهمْ، وقالَ رجلٌ لابنِ عباسٍ: إن لي إليكَ حاجةً صغيرةً، فقالَ: اطلبْ لها رجلاً صغيرًا.

١١ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

بِـيضٌ فَهُـنَّ إِذا رُمِقْـنَ سَـوَافِرًا ❁ صُـوَرٌ، وَهُـنَّ إِذا رَمَقْـنَ صِـوَارُ

وقولُ البحتريِّ:

إمّـا لَحَظْـتِ فَأَنْـتِ جُـؤذَرُ رَمْلَـةٍ ❁ وَإِذا صَدَدْتِ فَأَنْتِ ظَبْيُ كِنَاسِ[3]

وهذا تشبيهُ[4] أَعينِ النساءِ بأعينِ البقرِ؛ ويمثلهنَّ بالصِّوَار[5] والظباءِ، وجُلّ كلامِ العربِ عليهِ يجري؛ فلا يكونُ الشعراءُ فيهِ إِلَّا مُتفقينَ.

١٢ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[6]:

ولَقَـدْ جَهَلْـتُمْ عِـزَّهُ وجَهـدتُمُ ❁ فـإِذا أَبَـانٌ قَـدْ رَسَـا وَيَلَمْلَـمُ

[١١٦/١/ب] وقولُ البحتريِّ[7]:

(١) في الهامش: (عظيم الناس)، وفي المطبوع: (ولكبار الأمور).
(٢) شرح الصولي: ٥٢١/١، شرح التبريزي: ١٦٧/٢، وفي الهامش: (كامل).
(٣) ديوانه: ١١٣٤/٢، وفي المطبوع: (أنىٰ لحظت). وفي الهامش: (كامل).
(٤) «ص»، والمطبوع: (وهذا يشبِّهُ).
(٥) في الأصل و«ص»: (بالصور)، والتصحيح من «م».
(٦) شرح الصولي: ٣٦٠/٢، شرح التبريزي: ٢٠٠/٣ وفيهما: (ولقد جهدتم أن تزيلوا عزَّهُ)، وفي الهامش تحت كلمتي: (أبان)، (يلملم): (جبل)، وفيه: (كامل).
(٧) ديوانه: ١٣٠٥/٢، والبيت من الطويل. ورضوىٰ ومتالع: جبلان.

وَلَـنْ يَنْقُـلَ الحُسَّـادُ مَجْـدَكَ بَعْـدَمَا ❊ تَمَكَّـنَ رَضْـوَىٰ واطْمـأَنَّ مُتَـالِعُ

وهذا المعنىٰ أَيضًا فشائعٌ من معانيهِمْ، وكثيرٌ في أَشعارِهِمْ، ومنهُ قولُ الفرزدقِ[1]:

فَـادْفَعْ بِكَفِّـكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَـا ❊ ثَهْلانَ ذا الْهَضَبَاتِ هَـلْ يَتَحَلْحَـلُ؟

وقولُهُ يخاطبُ جريرًا[2]:

فَـرُمْ حَضَـنًا فـانْظُرْ مَتَـىٰ أَنْـتَ ناقِلُـهْ

أَفَتَرىٰ البحتريَّ ما سمعَ بهذا من قولِ الفرزدقِ ولا من قولِ غيرِهِ فنقلهُ كما سمِعَهُ أَبو تمامٍ فنقلَهُ؟

١٣ ـ ومن ذلك قولُ أَبي تمامٍ[3]:

وَفِي شَـرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيـلُ صِـدْقٍ ❊ لِمُخْتَبِـرٍ عَلَـىٰ شَـرَفِ القَـدِيمِ

وقولُ البحتريِّ[4]:

عَلَـىٰ أَنَّـا نُوَكَّـلُ بِـالأَدَانِي ❊ وتُخْبِرُنَـا الفُـرُوعُ عَـنِ الأَصُـولِ

---

(١) النقائض: ١/١٨٨، مطبعة لايدن سنة ١٩٠٥. وثهلان: جبل. وفي الهامش: (الذي أعرف «ثهلانُ ذو» بالرفع)، وفيه أيضا: (كامل).

(٢) النقائض: ٢/٦٠٥، وصدر البيت:

«فإن كنت ترجو أن توازن دارمًا»

وفي الهامش: (طويل)، وحَضَنٌ: جبل.

(٣) شرح الصولي: ٢/٣٩٤، شرح التبريزي: ٣/١٦٣، وفيهما: (على الشرف القديم). وفي الهامش: (وافر).

(٤) ديوانه: ٣/١٦٧١، وبنص مختلف وفيه:

وتسـتولي الشـكوك عليـه مـا لـم ❊ تخبـرك الأصـول عـن الفـروع

وفي الهامش: (وافر).

وهذا معنىً شائعٌ في الكلامِ أَيضًا، مشهورٌ كثيرٌ على الأَفواهِ أَنْ يقولوا: إِنَّ العروقَ عليها ينبتُ الشجرُ، ومَنْ أَشبهَ أَباهُ فما ظلَمْ، والعَصى من العُصَيَّةِ، والغصنُ من الشجرةِ، ودلَّتْ على الأمِّ السَّخلَةُ، ومثلُ هذا لا يكونُ مأْخوذًا مُستعارًا.

١٤ ـ ومن ذلك قولُ أَبي تمامٍ(١):

وِلـذَاكَ قِيـلَ: مِـنَ الظُّنُـونِ جَلِيَّـةٌ ❊ صِـدْقٌ، وفِـي بَعْـضِ القُلـوبِ عُيُـونُ

وقولُ البحتريِّ(٢):

وَإِذا صَـحَّتِ الرَّوِيَّـةُ يَوْمًـا ❊ فسـواءٌ ظَـنُّ امْـرِئٍ وَعِيانُـهْ

[١١٧/١/أ] وهذا أَيضًا من الأَمثالِ المشهورةِ المتداولةِ السائرةِ، وهو قولُهُمْ: ظنُّ العاقلِ كيقينِ غيرِهِ(٣)، ومنهُ قولُ أَوْسِ بنِ حَجَرٍ(٤):

الأَلمَعِـيُّ الَّـذِي يَظُـنُّ لـك الظَّـ ❊ ـنَّ كـأَنْ قَـدْ رأَى وقَـدْ سَـمِعَا

١٥ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(٥):

لا نَجْـمَ مِـنْ مَعْشَـرٍ إِلَّا وهِمَّتُـهُ ❊ عَلَيْـكَ دائـرَةٌ يـا أَيُّهـا القُطـبُ

وقولُ البحتريِّ(٦):

---

(١) شرح الصولي: ٤١/٣، شرح التبريزي: ٣٢٦/٣، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ٢٢٩٦/٤، وفي الهامش: (خفيف).

(٣) (العاقل كيقين غيره) مصححة في الهامش، وفي مجمع الأمثال للميداني: ٤٤٥/١ (ظن العاقل خيرٌ من يقين الجاهل).

(٤) ديوانه: ص٥٣، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت سنة ١٩٧٩، وفي الهامش: (المنسرح)، وقال المبرد في الكامل، ١٤٠٠/٣: (الألمعي: الحديد اللسان والقلب).

(٥) شرح الصولي: ٣٠٩/١، شرح التبريزي: ٢٥٦/١، وفي الهامش: (بسيط).

(٦) ديوانه: ٢٧٩/١، وفيه: (فعاله)، وفي الهامش: (منسرح).

مــــا دارَ للمكْرُمَـــاتِ مِـــنْ فَلَـــكٍ ❁ إلا وزَاكِـــــي أَفْعَالِـــــهِ قُطُبُـــــهْ

وكأَنهُ ما سمعَ قولَ الناسِ: فلانٌ قُطْبُ هذا الأَمرِ، وعلىٰ فلانٍ مَدارُ القصةِ، ونحوُ هذا من القولِ الذي يستغني الإِنسانُ بما جَرَىٰ منهُ في عاداتهِ أَن يستعيرَهُ من غيرهِ.

١٦ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[١]:

وأَقَـــلُّ الأَشْـــيَاءِ مَحْصُـــولَ نَفْـــعٍ ❁ صَـــحَّةُ القَـــوْلِ وَالْفَعَـــالُ مَـــرِيضُ

وقولُ البحتريِّ[٢]:

وَمَـا لِمِثْلِـي فِـي القَـوْلِ مِنْـكَ رِضًـا ❁ والْقَـوْلُ فـي الْمَجْـدِ غَيـرُ مَحْسُـوبِ

فأبو تمامٍ زعَمَ أَنَّ رَوْنَقَ القولِ بالمواعيدِ لا يتحصَّلُ منهُ نفعٌ إِذا لم يكنْ فعالٌ، وجَعلَ الصحةَ في القولِ والمرضَ في الفعلِ مثلينِ[٣] علىٰ الاستعارةِ.

والبحتريُّ إِنما[٤] ذكرَ أَنهُ لا يرضىٰ بالقولِ؛ لأَنَّ القولَ لا يُحْتَسبُ بهِ للماجدِ بغيرِ فعلٍ؛ فالغرضانِ مختلفانِ؛ والمعنىٰ معنىٰ واحدٌ شائعٌ جارٍ في عاداتِ الناسِ أَنْ يقولوا[٥]: إِنما زيدٌ كلامٌ، وإِنما عمرٌو قولٌ بلا فعلٍ، ومثلُ هذا ـ مع كثرتهِ علىٰ الأَلْسُنِ ـ لا يقالُ: إِنهُ مسروقٌ.

١٧ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[٦]: [١١٧/١/ب]

---

(١) شرح الصولي: ١/٦٠٠، شرح التبريزي: ٢/٢٩٣، وفي الهامش: (خفيف).

(٢) ديوانه: ١/٢٦٧، وفي الهامش: (منسرح).

(٣) (مثلين) مصححة في الهامش.

(٤) في الأصل: (فإنما)، والتصحيح من «م»، «ط».

(٥) في الأصل: (أن يقول)، والتصحيح من «ط»، «م»، «ر».

(٦) شرح الصولي: ٢/٤٢٣، شرح التبريزي: ٣/٢٩٣ وفيهما: (سرق الصنيعة فاستمر بلعنةٍ)،=

سَـــتَرَ الصَّـــنِيعةَ فَاسْـــتَمَرَّ مُلَعَّنَــا ❊ يَـــدْعُو عَلَيْـــهِ النَّائِـــلُ الْمَظْلُـــومُ

وقولُ البحتريِّ[1]:

لَكَـــافِرٌ مِنْـــكَ فَضْـــلَ نُعْمـــىٰ ❊ وَسَـــتْرُ نُعْمـــىٰ الكَـــريمِ كُفْـــرُ

فذكرَ أَبو تمامٍ رجلًا ذمَّهُ بسَتْرِهِ للصنيعةِ[2]، وجعلَهُ مُلَعَّنًا يدعو عليهِ النائلُ، علىٰ الاستعارةِ.

والبحتريُّ ذكرَ أَن سَتْرَ النُّعمىٰ كفرٌ. وكِلَا اللفظينِ مستعملانِ[3] شائعانِ جاريانِ علىٰ الأَلسُنِ؛ ولا يقالُ لمنْ تكلمَ بأحدِهِمَا[4]: إِنهُ استعارهُ من آخرٍ.

١٨ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[5]:

شَهدْتُ جسيماتِ العُلَىٰ وَهْوَ غَائِبٌ ❊ وَلَـوْ كـانَ أَيْضًـا شَـاهِدًا كـان غَائِبَـا

وقولُ البحتريِّ[6]:

بَشِـيرًا لَكُـمْ فِيهَـا نَـذِيرًا لِغَيْـرِكُمْ ❊ لدىٰ شاهِدٍ عَنْ مَوْضِعِ الفَهْم غائب

= وفي النسخة الأندلسية ديوان أبي تمام: (سرق الصنيعة فاستمر ملعنا)، وأمام القصيدة: (صحت من خطه)، وفي الهامش: (كامل).

(١) ديونه: ٢/١٠٥٠، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (بستر الصنيعة)، «ص»، «ر»: (بستره الصنيعة).

(٣) «ص»، «ط»، «ر»: (مستعملين) خطأ.

(٤) «م»، والمطبوع: (بأحد اللفظين).

(٥) شرح الصولي: ١/٢٤١، شرح التبريزي: ١/١٤٢، وفي الهامش: (كامل).

(٦) الذي في ديوانه: ١/١٨٢:

نصـحتكُمُ، لـو كـان للنصـح موضـعٌ ❊ لـدىٰ سـامع عـن موضـع الفهـم غائـبِ
نـذيرًا لكـم منـه، بشـيرًا لكـم بـه ❊ ومـا لـيَ فـي هـاتين قولـةُ كـاذبِ

وفي الهامش: (طويل).

وهذا المعنىٰ أيضًا جارٍ علىٰ الأَفواهِ، ومستعملٌ في الكلامِ، يعرفهُ العامُّ كما يعرفه الخاصُّ. وذلكَ قولُهمْ: فلانٌ شاهدٌ كغائبٍ، وحاضرٌ كمَنْ لمْ يحضرْ، وفلانٌ سَوَاءٌ والعَدمُ.

١٩ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(١):

دَعِينِي علَىٰ أَخْلَاقِيَ الصُّمِّ لِلَّتي ❊ هِيَ الوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ

وقولُ البحتريِّ(٢):

وَخْدُ القِلَاصِ يَرُدُّنِي لَكَ بالْغِنَىٰ ❊ في بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِي

وهذانِ المعنيانِ أَصلُهُما واحدٌ، وهو قولُ امرئ القيسِ(٣):

نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

وشهرتُهُ وكثرةُ استعمالِ الناسِ إِياهُ، يُغنِي البحتريَّ عن أَنْ يقالَ: [١١٨/١/أ] إِنهُ أَخذَهُ أَو استعارَهُ.

٢٠ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(٤):

كُحِلْتُ بقُبحِ صُورَتِهِ فأَمْسىٰ ❊ لَهَا إِنْسَانُ عَيْنِي في السِّياقِ

وقولُ البحتريِّ(٥):

---

(١) شرح الصولي: ١/٢٩٠، شرح التبريزي: ١/٢٢٠، وفي الهامش: (طويل).

(٢) ديوانه: ٤/٢٢٣٣، وفي الهامش: (كامل).

(٣) ديوانه: ص٦٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف. وصدره:
(فقلت له لا تبك عينك إنما)

(٤) شرح الصولي: ٣/١٨٠ وفيه: (في السياق). شرح التبريزي: ٤/٤٠٧، وفي الهامش: (وافر).

(٥) ديوانه: ٢/١١٢٧، وفي الهامش: (وافر).

شَـكَوْتَ قَـذًىٰ بعَيْنِـكَ بَـاتَ يُـدْمِي ✤ كأَنَّـكَ قَـدْ نَظَـرْتَ إِلَـىٰ طمَـاسِ

وهذا أَيضًا منَ المعاني التي تمنعُ شهرتُها وابتذالُ العامةِ والخاصةِ لها منْ أَنْ يقالَ: إِن أحدًا يأتمُّ فيها بآخرٍ.

١ ـ ومما جاءَ بهِ «أَبو الضياءِ» علىٰ أَنه مسروقٌ، والمعنيانِ مختلفانِ ليسَ بينهما اتفاقٌ ولا تناسبٌ قولُ أَبي تمامٍ[1]:

واقْسِـمِ اللَّحْـظَ بَيْنَنَـا إِنَّ فِـي اللَّحْـ ✤ ـظِ لَعُنْـوَانُ مَـا يُجِـنُّ الضَّـمِيرُ

وقالَ البحتريُّ[2]:

سَـلَامٌ وَإِنْ كَـانَ السَّـلامُ تَحِيَّـةً ✤ فَوَجْهُـكَ دُونَ الـرَّدِّ يَكْفِـي المُسَـلِّمَا

وأَبو تمامٍ سأَلَ مَنْ يُخَاطبهُ أَن يُقْبلَ عليهِ، ويجعلَ قِسْطًا من النظرِ لهِ؛ لأَنَّ إدامةَ النظرِ تدلُّ علىٰ المودةِ، كما أَنَّ الإِعراضَ يدلُّ علىٰ البُغْضةِ.

والبحتريُّ إِنما سَلَّمَ علىٰ الهيثمِ الغَنَوِيِّ[3]، وذكرَ أَن السلامَ تحية، وأَنَّ وجهَهُ لجمالهِ وطلاقتهِ يكفي المسلِّمَ قبلَ رَدِّه السلامَ. والمعنيانِ مختلفانِ، وليسَ بواحدٍ[4] منهما من الدقةِ والغرابةِ ما يُنسبُ أَحدُهما إِلىٰ أَنهُ مَحْذُوٌّ علىٰ الآخرِ أَو مسروقٌ منهُ.

---

(١) شرح الصولي: ٣/٥٠٤، شرح التبريزي: ٤/٤٤٨، وفي الهامش: (خفيف).

(٢) ديوانه: ٤/٢٠٨٩، وفي الهامش: (طويل).

(٣) الهيثم بن عثمان الغنوي وهو أحد قواد الأفشين من أهل الجزيرة، أنزله في رستاق يقال له «أرشق» فرم حصنه وحفر حوله خندقا، وذلك في حربه مع بابك الخُرَّمي سنة ٢٢٠ «الطبري ٧/٢٢٧».

(٤) «م»، «ط»، والمطبوع: (ليس لواحد).

٢ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(١):

وَرُحْبَ صَدْرٍ لَوَ اَنَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ ❁ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

وقولُ البحتريِّ(٢):

مَفَازَةَ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ ❁ لِيَسْلُكَها فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ

[١/١١٨/ب] فأَبو تمامٍ ذكرَ أَن رَحْبَ صَدْرِ الممدوحِ وأَن سَعَتَهُ تزيدُ على سعةِ الأَرضِ، فأَسرفَ، وأَخطأَ في المعنى بما قدمتُ ذكرَهُ في بابِ خطئِهِ في المعاني.

والبحتريُّ ذكرَ سَعَةَ صدرِ الممدوحِ، وجعلَ لهُ مفازةً على الاستعارةِ، وذكرَ أَنهُ لو تُطْرَقُ لم يكنْ ليسلُكَها سُلَيكُ الذي لمْ [يكنْ ليكبرَ](٣) عليهِ سلوكُ أَرضٍ(٤) وإِن عَرُضتْ وطالتْ.

وإِنما أَرادا جميعًا سعةَ صدرِ الممدوحِ، كما جرتِ العادةُ بهذا الضربِ منَ المدحِ، فأَفرطَا، ولكن سَلَكَ كلُّ واحدٍ منهما معنًى غيرَ معنى صاحبِهِ كما تَرَى.

٣ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(٥):

إِنَّمَا البِشْرُ رَوْضَةٌ فَإِذَا مَا ❁ كَانَ بِرٌّ فَرَوْضَةٌ وغَدِيرُ

---

(١) سبق ١/٤٠٧، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) سبق ١/٤٠٨، وفي الهامش: (طويل).

(٣) في الأصل: (لم يكبر عليه) والزيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل: (الأرض)، ثم صححت في الهامش إلى (أرضٍ).

(٥) شرح الصولي: ٣/٥٠٤، شرح التبريزي: ٤/٤٤٨، وفيهما: (فإذا كان ببذل....)، وفي الهامش: (خفيف).

وقولُ البحتريِّ[1]:

فَـإِنَّ العَطـاءَ الجَـزْلَ مـا لَـم تُحَلِّـهِ ✿ بِبِشْـرِكَ مِثْـلُ الـرَّوْضِ غَيْـرَ مُنَـوِّرِ

فأَرادَ أَبو تمامٍ أَنَّ البشرَ مع البرِّ كالروضةِ والغديرِ.

وأَرادَ البحتريُّ أَنَّ العطاءَ متى لم يكنْ معهُ بشرٌ كانَ كالروضِ غيرَ منوّرٍ.

فليسَ بينَ المعنيينِ اتفاقٌ إلا في ذكرِ البشرِ والروضِ، والأَلفاظُ غيرُ محظورةٍ على أَحدٍ.

٤ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

وَإِنِّيَ مَا حُورِفتُ فِي طَلَبِ الغِنَى ✿ وَلكِنَّمَـا حُـورِفْتُمُ فِـي الْمَكَـارِمِ

وقولُ البحتريِّ[3]:

إِذَا ابْتَـدَا بُخَـلاءُ النَّـاسِ عارفَـةً ✿ يَتْبَعُهَـا المَـنُّ فـالمَرْزُوقُ مَـنْ حُرِمَـا

فأَرادَ أَبو تمامٍ أَنَّهُ ليس بمَحْدودٍ ولا مُحَارَفٍ في ملتمساتهِ ومطالبهِ، ولكنَّ الذينَ[4] أَمَّلَهُمْ وطلبَ ما عندهَمْ حُورِفوا في مكارمهم، فأَحسنَ في المعنى [١١٩/١/أ] واللفظِ كلَّ الإِحسانِ.

وأَرادَ البحتريُّ أَنَّ البخيلَ إِذا امتنَّ[5] بمعروفهِ فالمرزوقُ من حُرِمَ ذلكَ المعروفُ.

---

(١) ديوانه: ٨٩١/٢، وفيه: (وكان العطاء)، وفي الهامش: (طويل).

(٢) سبق ٢٨٨/١، و(العلى) مصححة في الهامش، وفيه: (طويل).

(٣) ديوانه: ٢٠٤٨/٣، وفي الهامش: (بسيط).

(٤) (الذين) مصححة في الهامش.

(٥) (امتنَّ) مصححة في الهامش.

فهذا المعنىٰ غيرُ معنىٰ أَبي تمامٍ، وليسَ بينهما اتفاقٌ ولا تقاربٌ.

٥ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[١]:

إِذا شَبَّ نَارًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قائِمٍ ✤ وَقامَ لَها مِنْ خَوْفِهِ كلُّ قاعِدِ

وقولُ البحتريِّ[٢]:

ومُبَجَّلٌ وسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ ✤ لِقِيامِهِ وَقِيامُهُمْ لِقُعُودِهِ

وليسَ أَحدُ المعنين من الآخرِ في شيءٍ؛ لأَنَّ أَبا تمامٍ أَرادَ أَنَّ الممدوحَ إِذا شبَّ نارَ الحربِ أَقعدتْ كلَّ قائمٍ، أَي كلَّ قائمٍ لقتالهِ ومنابذتِهِ، أَو أَرادَ انْجَحَرَ لها[٣] كلُّ واحدٍ خوفًا وفَرَقًا. وذلكَ مأخوذٌ من قولِ الفرزدقِ[٤]:

أَتانِي وَرَحْلي بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ ✤ لآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كلَّ قائِمِ

وقولُهُ: «وقامَ لها من خوفهِ كلُّ قاعدِ» أَي: أَنهُ زالَ عن الطمأنينةِ والهدوءِ والقَرَارِ فقامَ، وإِنما يريدُ انزعاجَ الخائفِ؛ فجعلَ ذلكَ قيامًا لهُ.

والبحتريُّ فإنما ذكرَ أَنَّ الرجالَ يَخِفُّونَ لقيامِ ممدوحهِ، أَي: يُسْرِعونَ بينَ يديهِ إِذا قامَ، فإِذا قعدَ قاموا إِجلالًا وهَيْبَةً، أو لأَنَّ من شأنهِ أَنْ لا يجلسَ أَحدٌ بجلوسِهِ، وأَن يكونَ الناسُ كلهمْ قيامًا إِذا جَلَسَ.

فالمعنيانِ مختلفانِ[٥]، وليسَ بينهما اتفاقٌ إِلا في ذكرِ القيامِ والقعودِ،

---

(١) شرح الصولي: ٣/٢٨٣، شرح التبريزي: ٤/٧٢، وفي الهامش: (طويل).

(٢) ديوانه: ٢/٦٩٥، وفي الهامش: (كامل).

(٣) «ص»: (الحجر لها كل أحد)، «م»: (وأراد تزعج كل واحد)، «ط»: (زعج كل واحد).

(٤) النقائض: ١/٣٤١، يعني قتلَ وكيعِ بنِ حسانٍ قتيبةَ بنَ مسلمٍ الباهليَّ، وفي الهامش: (طويل).

(٥) من قوله: (وأن يكون الناس....) إلىٰ قوله: (فالمعنيان مختلفان) مستدركة في الهامش.

والأَلفاظُ مباحةٌ.

٦ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(١):

وَرُبَّ يَـــوْمٍ كأيَّـــامٍ تَرَكْـــتَ بِـــهِ ❁ مَـتْنَ الْقَنـاةِ وَمَـتْنَ القِـرْنِ مُنْقَصِـفَا

وقولُ البحتريِّ(٢):

فـي مَعْـركٍ ضَـنْكٍ تَخَـالُ بِـهِ القَنـا ❁ بَـيْنَ الضُّـلُوعِ إِذا انحنـينَ ضُـلُوعَا

وليسَ بين المعنيينِ اتفاقٌ إلا في أَنَّ الشاعرينِ وصَفا حالَ الطعنِ بالقَنا(٣) كيفَ يقعُ؛ فذكرَ ذاكَ أَنَّ ممدوحَهُ يَقْصِفُ مَتْنَ القِرْنِ ومتنَ القناةِ [١/١١٩/ب]، وشَبَّهَ هذا انطواءَ الرماحِ واعوجاجَها ـ إِذا وقعتْ بضلوعِ القومِ ـ باعوجاجِ ضلوعِهِمْ. وهذا منَ التشبيهاتِ الطريفةِ العجيبةِ، وهو المعنىٰ الذي استغربَهُ واستحسَنَهُ أَبو تمامٍ لما أَنشدَ البحتريُّ محمدَ بنَ يوسفَ القصيدةَ، وذلكَ أَولُ اجتماعِهِما وتعارفِهِمَا علىٰ ما يرويهِ الشاميونَ(٤).

٧ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(٥):

بَـيَّنَ البَـيْنُ فَقْـدَها، قَلَّمـا نَعْــ ❁ ــرِفُ فَقْـدًا لِلشَّـمْسِ حَتَّـىٰ تَغِيبَـا

---

(١) (من ذلك) مستدركة في الهامش، والبيت في شرح الصولي: ٢/٦٢، شرح التبريزي: ٢/٣٧١، والبيت من البسيط.

(٢) سبق ١/١٦٨.

(٣) في الأصل، «م»: (والقنا).

(٤) (الشاميون) مصححة في الهامش.

(٥) شرح الصولي: ١/٢٥٠، وفيه: (فقد الشموس)، شرح التبريزي: ١/١٥٨، وفي الهامش تصحيح لكلمة (قلما) التي كتبت في الأصل (قلّ ما) وصححت في الهامش وقال: (كذا يكتب). وفي الهامش: (خفيف).

وقولُ البحتريِّ[1]:

فَاضَـلَ بَـيْنَ الْإِخْـوْانِ عُسْـرِيَ فِـي ✿ ظَلْمَـــاءِ لَيْـــلٍ تَفَاضَـــلَتْ شُـــهُبُهْ

وليسَ بين المعنيينِ تناسبٌ ولا تقاربٌ؛ لأَنَّ أَبا تمامٍ ذكرَ أَنَّ موضعَ فقدِهَا بَانَ، وأَنهُ قليلًا ما يُعرفُ فقدُ الشمسِ إِلا بعدَ غروبِهَا، وهذا جارٍ في عاداتِ الناسِ واستعمالِهِمْ أَنْ يقولوا: لا تَعْرِفُ فضلَ الإِنسانِ حتىٰ تفقدَهُ، ولا تَعرِفُ قدرَ العافيةِ إِلا عندَ البَلِيَّةِ، ولا قَدْرَ الدرهمِ إِلا عندَ الحاجةِ إِليهِ.

والبحتريُّ أَرادَ أَنَّ عُسْرَهُ بَيَّنَ لهُ عن مراتبِ إِخوانهِ، وفَضْلِ بعضِهِمْ علىٰ بعضٍ في معونتِهِ وبرِّهِ، كما تتفاضلُ الشهبُ في ظلمةِ الليلِ، وبيَّنَ فضلَ بعضهِمْ علىٰ بعضٍ، وأَرادَ بالشهبِ الكواكبَ، وهذا معنىٰ لطيفٌ جدًّا، وليسَ منْ معنىٰ أَبي تمامٍ في شيءٍ.

ومما ادعىٰ فيهِ «أَبو الضياءِ» علىٰ البحتريِّ السَّرَقَ، والاتفاقُ في أَكثرِ ذلكَ إِنما هو في الأَلفاظِ التي ليستْ بمحظورةٍ علىٰ أَحدٍ، وقد مضىٰ فيما قبلُ من هذا البابِ أَبياتٌ.

[١٢٠/١/١أ] **١ ـ فمن ذلك قول أَبي تمام**[2]:

إِنَّ الصَّـفائحَ مِنـكِ قـدْ نُضِـدَتْ عَلـىٰ ✿ مُلْقَــىٰ عِظَــامٍ لَــوْ عَلِمْــتِ عِظَــامِ

وقولُ البحتريِّ[3]:

---

(١) ديوانه: ٢٧٧/١، وفي الهامش: (منسرح)، وورد في ١٧٨/٤ من الموازنة.

(٢) شرح الصولي: ٣٦٣/٢، وشرح التبريزي: ٢٠٣/٣، وفي الهامش: (كامل)، وهو يمدح الواثق، ويرثي المعتصم، وقبل البيت قوله:

يــا حفــرة المعصــوم تربــك مــودع ✿ مـــاء الحيـــاة وقاتـــل الإعـــدامِ

(٣) ديوانه: ١٩٤٨/٣، وفي الهامش: (طويل).

مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَىٰ جَدِيدُهَا ❊ وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ

فأَرادَ أَبو تمامٍ أَنَّ عِظامَ الرجلِ الذي رثاهُ عظامُ القدْرِ.

وأَرادَ البحتريُّ أَنَّ مساعي القومِ عظامٌ لا يبلي جديدُها وإِنْ بَلِيَتْ عظامُهمْ.

فليسَ ههنا اتفاقٌ إِلا في لفظِ العظامِ لا غيرَ.

٢ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[١]:

لا يَدْهَمَنَّكَ مِن دَهْمائِهِمْ عَدَدٌ ❊ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كلَّهُمْ بَقَرُ

وقولُ البحتريِّ[٢]:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا ❊ وَمَا عَلَيّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

فأَرادَ أَبو تمامٍ أَنهُ لا يجبُ أَن يُنْظَرَ إِلىٰ كثرةِ عددِهِمْ، فإِن أَكثرهَمُ بقرٌ.

وذكرَ البحتريُّ أَنَّ عليهِ أَن يُجيدَ القولَ، وليسَ عليهِ أَنْ تفهمهُ البقرُ.

وما ههنا أَيضًا اتفاقٌ إِلا في لفظِ البقرِ.

٣ ـ ومنْ ذلكِ قولُ أَبي تمامٍ[٣]:

---

(١) شرح الصولي: ٥٣٣/١، وشرح التبريزي: ١٨٦/٣. وفيهما: (فإن جُلَّهُم بل كلهم....) وفي الهامش: (بسيط). (ويدهمنَّكَ) مصححة في الهامش.

(٢) سبق ٢٠/٢.

(٣) في الأصل: (قول البحتري) والتصحيح من باقي النسخ، والبيت لأبي تمام وهو في شرح الصولي: ٣٠٦/٢، وشرح التبريزي: ٩٨/٣، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات ويعاتبه وعجزه:

ونذكر بعض الفضل منك وتُفْضِلا

والبيت من الطويل.

لَهَـــانَ عَلَيْنَـــا أَنْ نَقـــولَ وَتَفْعَـــلا

وقولُ البحتريِّ[(١)]:

إِنَّ الخلِيفَـةَ لَـيْسَ يَرْقـبُ فِـي الَّـذِي ❊ حاوَلْـــتُ إِلَّا أَنْ تَقُـــولَ وَيَفْعَـــلا

والاتفاقُ ههنا إِنما هوَ في (تقول) (ويفعلا)[(٢)].

٤ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[(٣)]:

ومَـا يَـوْمُ زُرْتَ اللَّحْـدَ يَوْمُـكَ وَحْـدَهُ ❊ عَلَيْنَـا، وَلكِـنْ يَـوْمُ زَيْـدٍ وَحـاتِمِ

وقولُ البحتريِّ[(٤)]:

بـــأَبْيَضَ وَضَّـــاحٍ كَـــأَنَّ قَمِيصَـــهُ ❊ يُـزَرُّ عَلـى الشَّـيْخَيْنِ زَيْـدٍ وَحـاتِمِ

أَفترَى البحتريَّ ما سمعَ بذكرِ زيدِ الخيلِ وحاتِمِ الطائيينِ ـ اللذينِ [١/١٢٠/ب] تَفْخَرُ بهما اليمنُ كلُّها، فيُشَبِّهَ ممدوحَهُ بهما ـ إِلَّا من بيت أَبي تمام؟

٥ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[(٥)]:

لَعَمْــرُكَ مَــا كَــانوا ثَلاثَــةَ إِخْــوَةٍ ❊ وَلكِـــنَّهُمْ كـــانوا ثَـــلاثَ قَبَائِـــلِ

---

(١) ديوانه: ٣/١٨٧٧: وفيه: (بالذي طالبت... فيفعلا) وفي الهامش: (كامل).

(٢) «ص»: (يقول ويفعلا)، «م»: (نقول وتفعل)، «ط»: (تقول ويفعل).

(٣) شرح الصولي: ٣/٣٥١، شرح التبريزي: ٤/١٣٣، وفيهما: (يوم عمرو وحاتم). وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه: ٣/١٩٧١، وفيه: (بأروع من طيٍّ...)، وفي الهامش: (طويل).

(٥) شرح الصولي: ٣/٣٣٨، شرح التبريزي: ٤/١٢٠، يرثي بني حُميد، وقد مات بعد أبي نصر محمد، وهو الأبعرُ أخوانِ له يقال لأحدهما محمد والآخر قحطبة، وفي الهامش: (طويل).

وقولُ البحتريِّ[1]:

كـــانُوا ثلاَثَــةَ أَبْحُـــرٍ أَفْضَـــىٰ بِهِـــمْ ❁ وَلَـــعُ الْمَنُـــونِ إِلَـــىٰ ثَلَاثَــةِ أَقْبُـــرِ

فجعلهمْ أَبو تمامٍ ثلاثَ قبائلَ، وجعلهمْ البحتريُّ ثلاثةَ أَبحرٍ.

وليسَ ههنا اتفاقٌ إلا في لفظِ ثلاثةٍ.

٦ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

كَســاكَ مِــنَ الأَنْــوَارِ أَبْـيَضُ ناصِــعٌ ❁ وأَحمـــرُ قـــانٍ وأَصْـــفَرُ فـــاقِعُ

وقولُ البحتريِّ[3]:

مِـــنْ وَاضِـــحٍ يَقَـــقٍ وأَصْـــفَرَ فـــاقِعٍ ❁ وَمُضَـــرَّجٍ جَسِـــدٍ وأَحْمَـــرَ قـــانِي

أَفترَىٰ البحتريَّ لمْ يكنْ ليهتديَ إِلىٰ أَصفرَ فاقعٍ وأَحمرَ قانٍ لولا بيتُ أَبي تمامٍ؟

٧ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[4]:

لَــــوْلَا مُرَاقَبَـــةٌ فـــيكمْ لَغَـــادَرَكُمْ ❁ فَرِيسَـــةَ الْمُـــرْهَفَيْنِ السَّـــيْفِ وَالْقَلَـــمِ

وقولُ البحتريِّ[5]:

---

(١) ديوانه: ١٠٣٢/٢، وفيه: (أفضىٰ بها)، وفي الهامش: (كامل).

(٢) سبق ٥١٨/١ مع اختلاف في رواية الموازنة عن رواية الشرحين، وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ٢٢٣٩/٤، وفي الهامش: (كامل)

(٤) شرح الصولي: ٣٥٣/٢، شرح التبريزي: وفيهما:

«لـــولا مناشـــدة القربـــىٰ لغـــادركم ❁ حصائد ... ...»

وفي الهامش: (بسيط).

(٥) ديوانه: ١٩٥٢/٣، وفي الهامش: (بسيط).

زِنْــتَ الْخِلَافَــةَ إِشْــرَافًا وحِيِّطَــةً ❁ وَذُدْتَ عَــنْ حَقِّهــا بالسَّـيْفِ والْقَلَـمِ

وكذلكَ أَيضًا لم يكنِ البحتريُّ يهتدي إِلىٰ الجمعِ بين السيفِ والقلمِ لو لمْ يجمعْهُما لهُ أَبو تمامٍ!

٨ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(١):

أَبَـىٰ لِـيَ نَجْـرُ الْغَـوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِـي ❁ أُسَـبُّ بِهَـا ، وَالنَّجْـرُ يُشْـبِهُهُ النَّجْـرُ

وقولُ البحتريِّ(٢): [١٢١/١/أ]

سَــيِّدٌ نَجْــرُ الْمَعَــالِي نَجْــرُهُ ❁ يَمْلِــك الْجُــودُ عَلَيْــهِ مــا مَلَــكْ

وقد كانَ ينبغي لأَبي الضياءِ أَنْ لا يُخَرِّجَ مثلَ هذا في السَّرَقِ ، ولا يَفْضَحَ نفسَهُ.

٩ ـ ومنهُ قولُ أَبي تمامٍ(٣):

مُتَوَاطِئُـو عَقِبَيْـكَ فِـي طَلَـبِ الْعُلَـىٰ ❁ وَالْمَجْـدِ ثمَّــةَ تَسْــتَوي الأَقْــدَامُ

وقولُ البحتريِّ(٤):

---

(١) شرح الصولي: ٣/٦١٥ ، شرح التبريزي: ٤/٥٧١ ، ونقل ابن المستوفي في النظام شرح أبي العلاء فقال: («النجر»: الأصل ، و«الغوث» من طيِّئ ، و«أرام التي أسب بها» مأخوذ من رئمت الناقة ولدها إذا شمته ودرت عليه ، يقول: لا أرأم أمرًا يعاب عليّ كما ترأم الناقة ولدها ، أي لا أدنو منه ولا أقاربه). وقد نقل التبريزي هذا الشرح في كتابه ولم يشر إلىٰ قائله ، وفي الهامش: (طويل).

(٢) ديوانه: ٣/١٥٦٥ ، وفي الهامش: (رمل).

(٣) شرح الصولي: ٢/٣٨٠ ، شرح التبريزي: ٣/١٥٨ ، ونقل التبريزي شرح المرزوقي فقال: (يقول: أنت المقدم في طلب العلا ، وعشيرتك يقتدون بك ويطأون علىٰ عقبيك ، ثم يتقارب التفاضل بين الناس) ، وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ٣/١٩٥٢ ، وفيه وفي «م» ، والمطبوع: (من بعده).

حُـزْتَ الْعُلَـىٰ سَبْقًا، وَصَـلَّىٰ ثانِيًـا ❖ ثــمَّ اسْـتَوَتْ مِـنْ بعـدك الأَقْـدَامُ

١٠ ـ ومثلُهُ قولُ أَبي تمامٍ[١]:

فِـي غــداةٍ مَهْضُــوبَةٍ كَــانَ فِيهَــا ❖ نَاضِــرُ الـرَّوْضِ لِلسَّـحَابِ نَـدِيمَا

وقولُ البحتريِّ[٢]:

قَـد تَعالَـتْ بِـكَ المُـروءَةُ حتـىٰ ❖ قَــد حَسِــبْناكَ لِلسِّــمَاكِ نَــدِيمَا

وما يَجعلُ مثلَ هذا مسروقًا إلا مَنْ لا معرفةَ لهُ بجليِّ المعاني فضلاً عنْ خفيِّها.

١١ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ يصفُ الفرسَ[٣]:

مِــنْ نَجْــلِ كــلِّ تَلِيــدَةٍ أعراقُــهُ ❖ طِـرْفٍ مُعِــمٍّ فِـي السَّـوَابِقِ مُخْـوِلِ

وقولُ البحتريِّ[٤]:

وَافِـي الضُّـلوعِ يَشُـدُّ عَقْـدَ حِزَامِـهِ ❖ يَــوْمَ اللِّقَــاءِ عَلَـىٰ مُعِـمٍّ مُخْـولِ

---

(١) شرح الصولي: ٢/٤٠٣، شرح التبريزي: ٣/٢٣٠، ورواها الصولي كرواية الموازنة، أما التبريزي فقال: (في النسخ «غداة») لكنه رواها: «وغداة»، وقال أبو العلاء: (مهضوبة: أي قد أصابتها هضبة من المطر، أي دفعة منه). وفي الهامش: (خفيف).

(٢) ديوانه: ٤/٢٠٥٨، وفي الهامش: (خفيف).

(٣) شرح الصولي: ٢/٢٦١، شرح التبريزي: ٣/٤٣ ونقل من ابن المستوفي في كتابه: (النظام) تعليق الخارزنجي على البيت فقال:
(قال الخارزنجي: يعني أن هذه الخيل معرقة في الكرم والنجابة من قبل أخوالها وعمومتها تسبق غيرها في الرهان). النظام: ج٢ لوحة ٢٥٣، وفي الهامش: (كامل).

(٤) ديوانه: ٣/١٧٤٤، وفي الهامش: (كامل).

وما في «معمٍّ مخولِ» من الغرابةِ حتىٰ يتلقنَهُ البحتريُّ من أَبي تمامٍ علىٰ كثرةِ ذكرهِ[1] علىٰ الأَلسنِ، وقولُ الناسِ في مدحِ الفرسِ: كريمُ الآباءِ والأمهاتِ، وشريفُ الأَنسابِ، ونحوُ هذا؟

١٢ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

فـأَذْرَتْ جُمانًـا مِـنْ دُمُـوعٍ نظامُهَـا ❊ عَلَـىٰ الْخَـدِّ إِلَّا صَـائِغَها الشَّـفْرُ

وقولُ البحتريِّ[3]:

جَـرَىٰ فِـي نَحْرِهَـا مِـنْ مُقْلَتَيْهـا ❊ جُمَـانٌ يَسْـتَهِلُّ عَلَـىٰ جُمَـانِ

[١/١٢١/ب] فالاتفاقُ ههنا إِنما هوَ في لفظِ «جُمَانٌ»، وقولُ ذاكَ: «نظامهُ علىٰ الخدِّ» وقولُ هذا: «جرىٰ في نحرِها» لا يقتضي أَن يكونَ أَحدُهما مأخوذًا من الآخرِ؛ لأَنَّ الدمعَ علىٰ الخدِ يجري[4]، وإِلىٰ النحرِ يَصِلُ، وهذه حالٌ لا يجهلُها أَحدٌ ممنْ[5] وصفَ الدمعَ.

١٣ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[6]:

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضِّ أَوْ مَنْ يَحُوكُهُ ❊ عَلَـىٰ أَحَـدٍ ـ إِلا عَلَيْـكَ ـ مُعـوَّلُ

---

(١) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (كثرته علىٰ الألسن)، وفي «ص»، «ر»: (كثرة الألسن).

(٢) شرح الصولي: ٣/٦١٠، وفيه: (فأبدت)، شرح التبريزي: ٤/٥٦٨، وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ٤/٢٢٢٩، وفي الهامش: (وافر)، وفي آخر الورقة وردت كلمة: (عُرِضَتْ)، فالنسخة مقابلة ومعارضة.

(٤) «م»، «ط»: (جريه).

(٥) في الأصل، «ص»: (أحد من).

(٦) شرح الصولي: ٢/٣٠٠، شرح التبريزي: ٣/٧٤، وفي الهامش: (طويل).

وقولُ البحتريِّ[1]:

وَعَلَيْـكَ سُـقْيَاهُمْ لَنَـا إِذْ لَـمْ يَكُـنْ ❊ فِـــي نَوْبَـــةٍ إِلَّا عَلَيْـــكَ مُعَـــوَّلُ

فحَظَرَ علىٰ البحتريِّ لفظةَ «مُعوَّلٍ» وحَرَّمَها عليه من أَجل أَن أَبا تمام لفظ بها!

١٤ ـ ومن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ[2]:

وَإِذا امْـرُؤٌ أَهْـدَىٰ إِلَيْـكَ صَـنِيعَةً ❊ مِـــنْ جَاهِـــهِ فَكأَنهـــا مِـــنْ مَالِـــهِ

وقولُ البحتريِّ[3]:

حَـازَ حَمْـدِي، وَلِلريَـاحِ اللَّـواتِي ❊ تَجْلِـبُ الْغَيْـثَ مِثـلُ حَمْـدِ الْغيُـومِ

فمعنىٰ أَبي تمامٍ مشتركٌ بينَ الناسِ، وليسَ مخترعًا لهُ؛ لأَنكَ تسمعُ أَبدًا قولَ القائل ـ إِذا بلغَ حاجتَهُ بشفاعةٍ ـ أَن يقولَ للشفيعِ: ما أَعتدُّ هذا إِلا منْ اللهِ ومنكَ، فليسَ لأَبي تمامٍ فيه شيءٌ أَكثرَ من أَن عَبَّرَ عنهُ بعبارةٍ حسنةٍ مكشوفةٍ، فالبحتريُّ لم يأخذِ المعنىٰ منهُ؛ لأَنهُ في العاداتِ موجودٌ، ولكنهُ أَبدعَ في التمثيلِ، وأَحسنَ.



(١) ديوانه: ٣/١٨٦٠، وفي الهامش: (كامل)، و(نوبة) مصححة في هامش النسخة.

(٢) سبق ١/٢٤١.

(٣) ديوانه: ٤/٢٠٧٣، وفي الهامش: (خفيف).

وهذا الآنَ ما أخطأَ فيه البحتريُّ منَ المعاني

١ ـ قالَ البحتريُّ[(١)]:

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ ✤ عُـرْفٍ، وَعُـرْفٌ كالْقِنَـاعِ الْمُسْبَلِ

هذا خطأٌ منَ الوصفِ؛ لأن ذَنَبَ الْفَرَسِ ـ إذا مسَّ [١٢٢/١/أ] الأَرضَ ـ كانَ عيبًا، فكيف إِذا سَحَبَهُ، وإِنما الممدوحُ من الأَذنابِ ما قَرُبَ من الأَرضِ ولم يمسَّها، كما قالَ امرؤ القيسِ[(٢)]:

فُوَيْـــقَ الأَرْضِ لَـــيْسَ بِـــأَعْزَلِ

فقالَ «فويقَ» أَي: فوقَ الأَرضِ بقليلٍ.

وقد عِيبَ امرؤ القيس قولُهُ[(٣)]:

لَهَـا ذَنَـبٌ مِثْـلُ ذَيْـلِ الْعَـرُوسِ ✤ تَسُـدُّ بِـهِ فَرْجَهَـا مِـنْ دُبُـرْ

وما أَرىٰ العيبَ يلحقُ امرأَ القيس في هذَا؛ لأَنَّ العروسَ وإِن كانتْ تسْحَبُ ذيلَها، وكانَ ذنبُ الفرسِ إِذا مسَّ الأَرضَ فهو عيبٌ؛ فليسَ بِمُنكَرٍ أَن

---

(١) ديوانه: ١٧٤٦/٣، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح أبي سعيد السكري، ٢٦٢/١، تحقيق د. أنور عليان أبو سويلم، د. محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة سنة ٢٠٠٠، وصدر البيت:

(ضـليع إذا اسـتدبرته سـد فرجـه ✤ بضافٍ ... ...)

وفي «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (يضاف فويق الأرض...).

(٣) ديوانه بشرح أبي سعيد السكري: ٦٢٥/٢.

يُشبَّهَ الذنبُ بهِ، وإِنْ لمْ يبلغْ إِلىٰ أَنْ يمسَّ الأَرضَ؛ لأَنَّ الشيءَ إِنما يُشبَّهُ بالشيءِ إِذا قاربَهُ، أَو دنا من معناهُ، فإِذا أَشبهَهُ[1] في أَكثرِ أَحوالِهِ فقدْ صحَّ التشبيهُ، ولَاقَ بهِ؛ لأَنَّ امرأَ القيسِ لم يقصدْ طولَ الذنبِ أَن يُشبِّهَهُ بطولِ ذيلِ العروسِ فقطْ، وإِنما أَرادَ السبوغَ[2] والكثرةَ والكثافةَ، أَلا تراهُ قالَ: «تسدُّ بهِ فرجَها منْ دُبُرْ».

وقد يكونُ الذنبُ طويلًا يكادُ يمسُّ الأَرضَ ولا يكونُ كثيفًا، بلْ قدْ يكونُ دقيقًا[3] نَزْرَ الشعرِ خفيفًا فلا يسدُّ فرجَ[4] الفرسِ، فلما قالَ: «تسدُّ بهِ فرجَها» علمنا أَنهُ إِنما أَرادَ الكثافةَ والسبوغَ مع الطولِ، فإِذا[5] أَشبهَ الذنبُ الطويلُ [ذيلَ العروسِ][6] من هذهِ الجهةِ، وكانَ في الطولِ قريبًا منهُ؛ فالتشبيهُ صحيحٌ، وليسَ ذلكَ بموجبٍ للعيبِ، ولا أَنْ يكونَ ذنبُ الفرسِ من أَجلِ تشبيهِهِ بالذيلِ مما يُحكمُ علىٰ الشاعرِ أَيضًا أَنهُ قصدَ إِلىٰ أَنَّ الفرسَ يسحبهُ علىٰ الأَرضِ.

وإِنما العيبُ[7] في قولِ البحتريِّ: «ذنبٌ كما سُحِب الرداءُ»، فأَفصحَ بأَنَّ الفرسَ يسحَبُ ذنبهُ.

[١٢٢/١/ب] ومثلُ قولِ امرئ القيسِ قولُ خِدَاشِ بنِ زُهَيرٍ[8]:

---

(١) «ص»، «ر»، والمطبوع: (شابهه).

(٢) «ص»: (الشيوع)، «م»، «ر»: (السبوع).

(٣) «م»، «ط»: (رقيقًا)، والدقيق: «ما لم يكن عريضًا ذا شعر كثيف».

(٤) في الأصل، «ر»: (فروج)، والتصحيح من باقي النسخ.

(٥) «م»: (فإنما).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو في «م»، «ط»، «ق».

(٧) «م»: (أجيب) تحريف.

(٨) ديوانه: ص٨٣، صنعة د. يحيىٰ الجبوري، مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٦. والمعاني=

لَهَــا ذَنَــبٌ مِثْــلُ ذَيْــلِ الْهَــدِيِّ ✿ إِلَــىٰ جُؤْجُــؤٍ أَيِّــدِ الزَّافِــرِ

الهديُّ: العروسُ التي تُهْدَىٰ إِلىٰ زوجِها، وأَيّدٌ: شديدٌ، والزافرُ: الصدرُ؛ لأَنها تزفرُ منهُ؛ وإِنما أَرادَ بذيلِ العروسِ طولَهُ وسُبُوغَهُ، فشبهَ الذنبَ الطويلَ السابغَ بهِ، وإِنْ لمْ يبلغْ في الطولِ إِلىٰ أَن يَمَسَّ الأَرضَ.

ومما يصححُ ذلكَ قولُهمْ: فرسٌ ذَيَّالٌ؛ إِذا كانَ طويلًا طويلَ الذنبِ، وإِنْ كانَ قصيرًا طويلَ الذيلِ قالوا: ذائلٌ، وإِنما قالوا ذلكَ تشبيهًا للذنبِ بالذيلِ لا غيرَ، قالَ النابغةُ الذبيانيُّ[1]:

بِكُــلِّ مُــدَجَّجٍ فــي النَــاسِ يَسْــمُو ✿ إِلَــىٰ أَوْصَــالِ ذَيَّــالٍ رِفَــنِّ

رفنٌ ورفلٌ واحدٌ، وهوَ: الطويلُ الذيلِ.

وقد استقصيتُ الاحتجاجَ لصحةِ بيتِ امرئ القيسِ فيما بينتُهُ من سهوِ [أَبي العباسِ عبدِ الله] (٢) المعتزِّ فيما ادعاهُ علىٰ امرئ القيسِ من الغلطِ، في كتابهِ الذي جمعَ فيهِ «سرقاتِ الشعراءِ».

٢ ـ وقالَ البحتريُّ[3]:

هَجَرَتْنَــا يَقْظَــىٰ وَكَــادَتْ عَلَــىٰ عَــا ✿ دَاتِهَــا فِــي الصُّــدُودِ تَهْجُــرُ وَسْــنَىٰ

= الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة، ١٤٩/١، صححه المستشرق سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة سنة ١٩٥٣. وفي الهامش: (سريع). وجؤجؤ: الصدر.

(١) ديوانه، ص١٢٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة. وفيه:

(بكــل مجــرب كالليــث يســمو ✿ على... ... ...)

وفي الهامش: (وافر).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من «ق»، «ط»، «م».

(٣) ديوانه: ٢١٤٣/٤، وفي الهامش: (خفيف).

وهذا أَيضًا عندي غلطٌ؛ لأَنَّ خيالَهَا يَتمَثَّلُ لهُ في كلِّ أَحوالِهَا، كانتْ يقظىٰ أَو وَسْنَىٰ أَو ميتةً. والجيدُ قولُهُ(١):

أُرَدُّ دُونَــكِ يَقْظانًــا، وَيَــأْذَنُ لِــي ❁ عَلَيْكِ سُكْرُ الكرىٰ إِنْ جِئْتُ وَسْنانَا

فصحَّحَ المعنىٰ وأَتىٰ بهِ علىٰ حقيقتهِ.

وكذلكَ قولُهُ(٢):

إِذا مــا تَبادَلْنــا النَّفــائِسَ خِلْتَنَــا ❁ مِــنَ الجِــدِّ أَيْقاظًــا ونَحْــنُ نِيــامُ

وقولُهُ(٣):

نُعــذَّبُ أَيْقاظًــا وَنَــنْعَمُ هُجَّــدَا

[١٢٣/١/أ] جيدٌ أَيضًا؛ لأَنهُ حملَهُ علىٰ أَنَّ حالَهَا مع خيالِه إِذا نامتْ كحالهِ معَ خيالِهَا إِذا نامَ، وإِنَّ كلَّ واحدٍ منهما ينعَمُ منفردًا معَ خيالِ صاحبهِ؛ لأَنهما ينعمانِ معًا في حالٍ واحدةٍ(٤) إِذا نامَ أَحدُهما فرأَىٰ خيالَ الآخرِ.

وإِنما أَخذَ معنىٰ بيتَهُ الأَولِ ـ وعليهِ بنىٰ أَكثرَ أَوصافهِ للخيالِ ـ من قولِ قيسِ بنِ الخطيمِ(٥):

أَنَّــىٰ سَــرَبْتِ وكُنْــتِ غيــرَ سَــرُوبِ ❁ وتُقَــرِّبُ الأَحْــلامُ غيــرَ قريــبِ

---

(١) سبق في ٨/٢.

(٢) ديوانه: ٢٠٦٧/٤ وفي الهامش: (طويل).

(٣) ديوانه: ٦٧١/٢، وصدره:
«ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا»
وفي الهامش: (طويل).

(٤) «ص»، «ر»، والمطبوع: (حال واحد).

(٥) ديوانه ص٥٥، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، وفي الهامش: (كامل).

مـــا تمنعـــي يقْظَـــىٰ فَقَـــدْ تُؤْتِينَـــهُ ❁ فـــي النَّـــومِ غيـــرَ مُصـــرَّدٍ مَحْسُـــوبِ

وما أَظنُ أَحدًا سبقَ قيسًا إلىٰ هذا المعنىٰ في وصفِ الخيالِ، وهو حسنٌ جدًّا، ولكنْ فيه أَيضًا مقالٌ لمعترضٍ، وذلكَ هوَ الذي أَوقعَ البحتريَّ في الغلطِ؛ لأَنَّ قيسًا قالَ: «ما تمنعي يقظىٰ فقدْ تؤتينَهُ في النومِ»، فأَرادَ أَنها أَيضًا تؤتيهِ نائمةً، وخيالُ المحبوبِ يتمثلُ في حالِ نوم المحبوبِ ويقظتِهِ كما ذكرتُ.

وكانَ الأَجودُ لو قالَ: ما تمنعي في اليقظةِ فقدْ تؤتينهُ في النومِ، أَي ما تمنعينَهُ في يقظَتِي فقد تؤتينَهُ في حالِ نومي، حتىٰ يكونَ النومُ واليقظةُ معًا منسوبَيْنِ إِليهِ، إِلا أَنهُ يتَّسعُ من التأَوُّلِ في هذا لقيسٍ مالا يتَّسعُ للبحتريِّ؛ لأَنَّ قيسًا قالَ: «فقد تؤتينَهُ في النومِ»، ولمْ يقلْ: فقدْ تؤتينَهُ نائمةً. فقدْ يجوزُ أَن يُحْملَ علىٰ أَنهُ أَرادَ ما تمنعِي يقظَىٰ وأَنا يقظانُ، فقد تؤتينَهُ في النومِ، أَي في نومي، ولا يسوغُ مثلُ هذا في بيتِ البحتريِّ؛ لأَنَّ البحتريَّ قالَ: «وَسْنىٰ» ولمْ يقلْ: في الوسنِ[1].

(١) انظر رأي الشريف المرتضىٰ في طيف الخيال ص٤٠، وابن رشيق في العمدة: ٢٤٦/٢، وقد شرحت موقف كل منهم في كتاب: (أبو تمام بين ناقديه قديمًا وحديثًا) ص٤٠٧ وما بعدها.
وقلت هناك:
(والملاحظُ هنا أن الآمدي والشريف المرتضىٰ انطلقا من فهم واحد للبيت، وهو أن البحتري يحكي عن نفسه، أي عن ترائي خيال المحبوبة له في نومه وهي نائمة، وأن هذه المحبوبة عندما هجرته في اليقظة، كأنها حاولت ألا تزوره في حلمه «أي طيفها» وهو نائم، هذا ليٌّ للمعنىٰ، وتعسفٌ في التفسير، ولهذا وقع التناقض عند الآمدي، وجاء الشريف فلم يتخط هذا المعنىٰ.
غير أن ابن رشيق نفذ إلىٰ المعنىٰ الصحيح الذي أراده البحتري وفهمه فهما سليما، فبرئ من التناقض، ذلك أن البحتري إنما أراد أن يحكي في بيته الأول عن حال المحبوبة، فهي هاجرة له في يقظتها فلا تظهر له المودة ولا تمن عليه بالوصل، فالصدود سمة معاملتها له، حتىٰ كادت هذه السمة تستغرقها فلا تسمح لخياله بأن يزورها في أحلامها، ولا تستدعي طيفه وهي وسنىٰ،=

٣ ـ وقالَ البحتريُّ في مدحِ المعتزِ باللهِ[١]:

لا الْعَـــذْلُ يَرْدَعُـــهُ وَلا الـــ ❁ ـتَّعْنِيـــفُ عَـــنْ كَـــرَمٍ يصُـــدُّهْ

وهذا عندِي منْ أَهجَىٰ ما مُدِحَ بهِ خليفةٌ وأَقبحِهِ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ [١٢٣/١/ب] علىٰ الكرمِ أَو يصُدُّهُ؟ إِنَّ هذا لبالهجوِ أَولىٰ منهُ بالمدحِ.

٤ ـ وقالَ البحتريُّ[٢]:

تَشُـــقُّ عَلَيْـــهِ الـــرِّيحُ كـــلَّ عَشِـــيَّةٍ ❁ جُيُـــوبَ الْغَمَـــامِ بَـــيْنَ بِكْـــرٍ وَأَيِّـــمِ

وهذا أَيضًا غلطٌ؛ لأَنهُ ظنَّ أَن الأَيمَ هي الثيِّبُ، وقد غلطَ في مثلهِ أَبو تمامٍ، وذكرتهُ في أَغاليطهِ، وسهَا أَيضًا فيهِ «بعضُ كبارِ الفقهاءِ»[٣] فظنَّ البحتريُّ أَنَّ الأَيمَ هي الثيبُ، فجعلهَا في البيتِ ضدَّ البكرِ. والأَيم: هي التي لا زوجَ لهَا، بكرًا كانتْ أَو ثيبًا؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾[٤] أَراد ـ جلَّ ثناؤهُ ـ اللواتي لا أَزواجَ لهنَّ؛ فالثيبُ والبكرُ جميعًا داخلتانِ تحتَ الآيةِ تكونُ بكرًا وقد تكونُ ثيبًا.

فإِن قيلَ: إِن الأَيِّمَ قد تكونُ ثيبًا وإِنما أَرادَ الثيبَ.

قيلَ: أَجلْ إِنها تكونُ ثيبًا وتكونُ بِكرًا[٥] ومعنسةً أَيضًا وكَعَابًا، إِلا أَنَّ

= وهذا معنىٰ جميل، وإن كان فيه نزوع إلىٰ المبالغة).

(١) ديوانه: ٦١٤/١، وقد ورد البيت في الجزء الثالث في باب (من خط الجواد بنائله من غير تميز) ٣٣٤/٣، وانظر الهامش هناك، وفي الهامش: (كامل).

(٢) ديوانه: ١٩٤٥/٣، وفي الهامش: (طويل).

(٣) انظر ٣٦٣/١ وما بعدها.

(٤) [سورة النور، الآية ٣٢].

(٥) من قوله: (فإن قيل...) إلىٰ قوله: (تكون ثيبًا) مستدركة في الهامش.

لفظةَ «أَيم» لا تدلُّ على شيءٍ من هذه الأَوصافِ، وليستْ عبارةُ الأيِّمِ[1] إلا عن التي لا زوجَ لها لا غيرَ، وقد شرحتُ هذا المعنى شرحًا شافيًا في غلطِ أَبي تمامٍ[2].

٥ ـ وقالَ البحتريُّ[3]:

شَرْطِيَ الإِنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ ❊ وَصَديقي مَنْ إذا صافَى قَسَطْ

وكانَ يجبُ أَن يقولَ «أَقسطَ» إِذا: عَدَلَ، وقسَطَ ـ بغيرِ أَلفٍ ـ إنما معناهُ جارَ.

[قالَ[4] اللهُ ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[5] وقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[6]][7].

٦ ـ وقالَ البحتريُّ[8]:

صِبْغَةُ الأُفْقِ بينَ آخِرِ لَيْلٍ ❊ مُنْقَضٍ شَأْنُهُ وأَوَّلِ فَجْرِ

يصفُ فرسًا أَشقر أَو خلوقيًّا، والحمرةُ لا تكونُ بينَ آخرِ الليلِ وأَولِ الفجرِ، وهوَ عندي غالطٌ في هذا، لأَنَّ أَولَ الفجرِ الزرقةُ، ثم البياضُ، ثم

---

(١) (الأيم) مستدركة في الهامش.

(٢) انظر ١/٣٦٤ وما بعدها.

(٣) ديوانه: ٢/١٢٧، وفيه: (لو قيل اشترط وعدويّ من إذا قال قسط)، وفي الهامش: (رمل).

(٤) «م»، «ط»، والمطبوع: (أي).

(٥) [سورة الجن، الآية ١٥].

(٦) [سورة المائدة، الآية ٤٢].

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من «م»، «ط».

(٨) ديوانه: ٢/٩٧٣، وانظر الموازنة: ٤/٢١، وفي الهامش: (خفيف)، وفي ديوانه: (صبغة الأفق عند).

الحمرةُ عندَ بدوّ قَرْنِ الشمسِ ، كما أَن آخرَ النهارِ عندَ غيبوبةِ الشمسِ الحمرةَ ، ثم البياضَ ، ثم الزرقةَ [١٢٢/١/أ] وهي آخرُ الشفقِ ، وقد قالَ البحتريُّ(١):

وَأَزْرَقُ الْفجْـرِ يبْـدُو قَبْـلَ أَبْيَضِـهِ ✿ وَأَوَّلُ الْغَيْـثِ رَشٌّ ثُـمَّ يَنْسَـكِبُ

وقالَ آخرُ(٢):

وأَنْ يَسْـجَعَ القُمْـرِيُّ فيهـا إِذا غَـدَا ✿ بِرُكْبانِهَـا قَـرْنٌ مِـنَ الشـمسِ أَزْرَقُ

وكأَنَّ البحتريَّ أَرادَ أَن يقولَ: بين آخرِ ليلٍ منقضٍ شأنهُ وأَولِ نهارٍ؛ فيكونُ قدْ قابلَ بين الليلِ والنهارِ ، والحمرةُ قد تكونُ بين آخرِ الليلِ وأَوَّلِ النهارِ ، كما تكونُ بين آخرِ النهارِ وأَولِ الليلِ؛ فقالَ: «وأَولِ فجرٍ»(٣) ضرورةً.

والجيدُ في مثلِ هذا المعنىٰ قولُ أَبي تمامٍ يصفُ فرسًا أَشقرَ(٤):

... ... كأَنْ ✿ قَـدْ كُسِـفَتْ فِـي أَدِيمِـهِ الشَّـمسُ

٧ ـ وقالَ البحتريُّ(٥):

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدنىٰ خُطاهَا كَلَالُها ✿ وَسَلْ دَارَ سُعْدىٰ إِنْ شَفاكَ سُؤالُها

---

(١) ديوانه: ١/١٧١ ، وفيه: (يبدو قبل أبيضه) و(رشٌّ ثم ينسكب) ، وفي الهامش: (بسيط).

(٢) لم أعرف قائله ولم أجده فيما بين يدي من مصادر ، وهو من الطويل.
قلت: وجدته منسوباً لصالح بن عبد الله بن الحجاج في [المنازل والديار لأسامة بن منقذ وقافيته «أروق» ، ص٨٠ ، تحقيق: مصطفىٰ حجازي ، ط٢ ، دار سعاد الصباح ـ القاهرة ، ١٩٩٢هـ] الشرقاوي.

(٣) «ص»: (أول الفجر).

(٤) شرح الصولي: ١/٥٥٦ ، شرح التبريزي: ٢/٢٢٣ . وصدره: (ضُمِّخَ من لونهِ فجاءَ) وفي الهامش: (منسرح) وانظر: ٤/٢٥ من الموازنة.

(٥) ديوانه: ٣/١٦٢٩ ، وفي الهامش: (طويل).

هذا لفظٌ حسنٌ، ومعنىً ليسَ بالجيدِ؛ لأَنهُ قالَ: «قد أَدنىٰ خُطاها كلالهُا» أَي قارَبَ من خطوِهَا الكَلالُ، وهذا كأَنهُ لمْ يقفْ لسؤالِ الدارِ التي تعرَّضَ لأَنْ تُشفيهُ، وإِنما وقفَ لإِعياءِ المطيِّ.

والجيدُ قولُ عنترةَ؛ فإنهُ[1] لما ذكرَ الوقوفَ علىٰ الدارِ احتاطَ بأَنْ شبَّهَ ناقتَهُ بالقَصْرِ، فقالَ[2]:

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا ✤ فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

قالَ ذلكَ ليُعْلَمَ أَنهُ لمْ يقفْهَا ليُرِيحَهَا.

وقدْ كشفَ ذو الرمةِ عنْ هذا المعنىٰ فأَحسنَ فيهِ[3] وأَجادَ، فقالَ[4]:

أَنَخْتُ بها الوَجْنَاءَ لَا مِن سَآمَةٍ ✤ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءٍ وذاهِبِ

يقولُ: أَنختُها لأُصَلِّيَ، لا منْ سآمةٍ بهَا، وقولُهُ: «لثنتينِ» يريدُ ركعتيْ العصرِ اللتينِ يَقصُرْهُما المسافرُ. «بينَ اثنينِ جاءٍ» يريدُ الليلَ، «وذاهبِ» [١٢٤/١/ب] يعني[5] النهارَ.

فإنْ قيلَ: إِنما قالَ: «قدْ أَدنىٰ خُطاها كلالهُا» ليُعلَمَ أَنهُ قصدَ الدارَ من شُقةٍ بعيدةٍ.

---

(١) «م»، «ط»، «ر»، والمطبوع: (لأنه).

(٢) ديوانه، ص١٨٤، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، وقوله: كأنها فدن، شبه ناقته بالقصر، والمتلوم: المنتظر المتمكث، وأراد به نفسه، وفي الهامش: (كامل).

(٣) (فيه) مستدركة في الهامش.

(٤) لم يرد في ديوانه، وجعله محققه في ملحقات الديوان نقلا عن الموازنة، ديوان ذي الرمة، ١٨٤٦/٣، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، وفي الهامش: (طويل).

(٥) «م»، والمطبوع: (يريد).

قيلَ: العربُ لا تقصِدُ الديارَ للوقوفِ علَيْها، وإنما تجتازُ بِهَا، فيقولُ الرجلُ لصاحبِهِ أَو صاحبيهِ؛ قِفْ، وقِفا، ولو كانَ هناكَ قصدٌ إليها لكانُوا إذا وصلُوا لا يقولونَ: قفْ ولا قِفَا، وإنما ذلكَ تعريجٌ على الديارِ، في مسيرهِمْ وسأَزيدُ في شرحِ هذا المعنى فيما بعدُ عندَ ذكرِ الوقوفِ على الديارِ.

٨ ـ وقالَ البحتريُّ[١]:

غَرِيـبُ السَّـجَايا مَـا تَـزَالُ عُقولُنـا ❊ مُدَلَّهَـةً فِـي خَلَّـةٍ مِـنْ خِلَالِـهِ

إِذا مَعْشَـرٌ صـانوا السَّـماحَ تَعَسَّـفَتْ ❊ بِــهِ هِمَّـةٌ مَجْنونَـةٌ فِـي ابْتِذَالِـهِ[٢]

قولُهُ: «إِذا معشرٌ صانوا السماحَ» معنى رديءٌ؛ لأنَّ البخيلَ ليسَ من أَهلِ السماحِ فيكونَ لهُ سماحٌ يصونُهُ، وسواءٌ عليهِ قالَ: صانوا السماحَ، أَو صانوا السخاءَ، أَو صانوا الجودَ، أَو صانوا الكرمَ؛ فإِن هذا كلُّهُ لا يملِكُ البخلاءُ منهُ شيئًا، وهو منهمْ بعيدٌ، فكيفَ يصونونَهُ؟ فإِن قيلَ: إنما أَقامَ السماحَ مُقامَ الشيءِ الذي يُسْمَحُ بهِ، وفي مَجَازاتِ العربِ ما هو أَبعدُ منْ هذَا.

قيلَ: البحتريُّ لا يُسوَّغُ له مثلُ ذلكَ، ولا يجوزُ لهُ؛ لأَنهُ متأَخرٌ، لا سيَّما وليستْ ههنا ضرورةٌ؛ لأَنهُ قدْ كانَ يمكنهُ أَنْ يقولَ: «صانوا الثراءَ»[٣] مكانَ «صانوا السماحَ».



(١) ديوانه: ٣/١٦٢٤، وفي الهامش: (طويل).

(٢) في ديوانه: (صانوا التلاد).

(٣) «ص»: (الثوا)، «م»: (الثرى) تحريف.

وهذا ما عِيبَ بهِ البحتريُّ وليس بعيبٍ

وإنما ذكرتُهُ لئلَّا يظنَّ ظانٌّ أَنَّهُ صحيحٌ، وأنّي[1] خطّأتُهُ:

فمن ذلكَ ما نعاهُ عليهِ أَصحابُ أَبي تمامٍ، وهما بيتانِ، قد ذكرتُ احتجاجَ أَصحابِ البحتريِّ فيهِمَا في ما قبلُ[2]، وأَنا أُعيدُ ذكرَهُمَا ها هنا لزيادةٍ عندي في الاحتجاجِ يُحتاجُ إِليْهَا.

١ ـ أَنكروا عليهِ قولَهُ[3]: [١٢٥/١/أ]

يُخْفِـي الزُّجاجَـةَ لَوْنُهـا فكأَنَّهـا ❊ فِـي الكَـفِّ قائِمَـةٌ بِغَيْـرِ إِنـاءِ

وقالُوا: لو مُلِئَ الإِناءُ دِبْسًا لكانتْ هذهِ حالَهُ.

والمعنى عندي صحيحٌ لا عيبَ فيهِ، ولا قَدْحَ، وذلكَ أَنَّ الرجلَ قد دَلَّ بهذا الوصفِ على أَنَّ شُعاعَ الشرابِ في غايةِ الغلبةِ، وأَنَّ الكأْسَ في غايةِ الرقةِ، واعتمدَ أَنْ وَصَفَ الإِناءَ وما فيهِ، ووَصَفَ الهيئةَ على ما هي عليهِ.

وإِنما أَخذَ المعنى من قولِ عليٍّ بنِ جَبَلَةَ[4]:

كَـأَنَّ يَـدَ النَّـدِيمِ تُـدِيرُ مِنْهـا ❊ شُـعاعًا لا تُحِـيطُ عَلَيْـهِ كـاسُ

---

(١) «ص»، «ر»: (وأسند خطائه)، «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (تخطيته) تحريف، ولا يستقيم بها المعنى، وفي الأصل جاءت كلمة (تخطيته) ثم شطبت وصححت في الهامش إلى: (خطأته).

(٢) «ق»، «ط»، «م»، والمطبوع: (احتجاج أصحاب البحتري فيهما في الجزء الأول من هذا الكتاب)، وانظر: ١٩٠/١.

(٣) سبق ١٩٠/١. وفي الهامش: (كامل).

(٤) سبق ١٩٧/١. وفي الهامش: (وافر)، وعلي بن جبلة هو الشاعر الضرير المعروف بالعَكَوَّكِ.

أَلا ترىٰ أَنَّ هذا أَيضًا قد دلَّ علىٰ أَنَّ الكاسَ في غايةِ الرقةِ؟

ومثلُهُ قولُ الآخرِ[1]:

إِنَّمـــا لقْحَتُنـــا موْسُـــومةٌ ❊ ضُـمِّنتْ حمـراءَ تَرْمِـي بِالزَّبَـدْ؟[2]

وإِذا مـــا بُـــذِلَتْ فـــي كأْسِـــهَا ❊ فَهْـيَ وَالكـاسُ مَعًـا شَـيْءٌ أَحَـدْ[3]

وقد أَنشدَ «أَبو العباسِ ثعلبُ» بيتَ البحتريِّ هذا في «أَماليهِ»، وقالَ: إِنهُ أَخذَ المعنىٰ من قولِ الأَعشَىٰ[4]:

تُريـكَ القَـذَىٰ مِنْ دُونِهَـا وهْـيَ دُونَـهُ ❊ إِذا ذاقَهـــا مَـــنْ ذاقَهـــا يَتَمَطَّـــقُ

وقالَ «أَبو العباسِ» في هذا البيتِ: إِنهُ[5] أَجودُ ما قيلَ في وصفِ الخمرِ؛ لأَنهُ جمعَ بينَ اللونِ والطعمِ، ونحوُهُ قولُ الآخرِ[6]:

وَلَقَـــدْ تُبـــاكِرُني عَلَـــىٰ لَـــذَّاتها ❊ صَـــهْباءُ عَارِيَـــةُ القَـــذَىٰ خُرْطُـــومُ

يريدُ أَنها صافيةٌ، فالقذَىٰ فيهَا لا يستَتِرُ.

ولمْ يُعِبْ «أَبو العباسِ» البحتريَّ، ولا طعنَ في بيتهِ، بل دلَّ إِنشادُهُ لهُ[7] وذكرُهُ في موضعِ السرَقِ، علىٰ استجادتِهِ لهُ واستحسانِهِ إِياهُ.

---

(١) لم أجدهما فيما بين يدي من مصادر، وقد سبق أن ذكرهما الآمدي في ٢/٨٣، وأعاد ذكرهما في الجزء الرابع ص٢٣٥.

(٢) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (نعجتنا)، وفي الهامش: (رمل).

(٣) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (نزلت)، ورواها في ج٣: (بُزِّلت).

(٤) ديوانه: ص٢٦٩، وانظر ٤/٢٣٥، وفي الهامش: (طويل).

(٥) (إنه): مستدركة في الهامش.

(٦) «م»، والمطبوع: (وهو الأخطل)، والبيت في ديوان الأخطل، ص٣٠٥، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٤، وفي الهامش: (كامل).

(٧) (له) مستدركة بين السطرين.

٢ ـ **وأَنكروا قولهُ**(١):

ضَــحِكاتٌ فــي إِثْــرِهِنَّ العَطايــا ❁ وبُـــرُوقُ السَّـــحَابِ قَبْــلَ رُعُــودِهْ

وقالوا: أَقامَ الرعودَ مُقَامَ العطايا، وإِنما كانَ ينبغي أَنْ يقيمَ [١/١٢٥/ب] الغيوثَ مُقَامَ العطايا.

وهذا جهلٌ ـ ممَّنْ قالَهُ ـ بمعاني كلامِ العربِ، ومعنىٰ التمثيلِ في البيتِ صحيحٌ؛ لأَنَّ الرعدَ مقدِّمةُ الغيثِ، وقَلَّ رعدٌ لا يتلوهُ المطرُ، وإِذا كانَ هذا هكَذا فقدْ صارَ كأنهُ أولٌ لهُ.

وإِنما أَخذَ البحتريُّ المعنىٰ من قولِ بشارٍ(٢):

وَعْــدُ الْجَــوَادِ يَحُــثُّ نَائِلَــهُ ❁ كــالْبَرْقِ ثــم الرَّعْــدُ فِــي أَثَــرِهْ

فأَقامَ الرعدَ مُقامَ الغيثِ، ونحوُهُ قولُ بشارٍ أَيضًا(٣):

حَلَبْــتُ بِحَمْــدِي رَاحتَيْــه فَــدَرَّتَا ❁ سَمَاحًا كما دَرَّ السحابُ علىٰ الرَّعْدِ

وأَظنهُمَا جميعًا أَخَذَا المعنىٰ من قولِ الأَعشىٰ(٤):

وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَـريمَ كَمَـا اسْـ ❁ ـتَنْــزَلَ رَعْــدُ السَّــحَابَةِ السَّــبَلا

وأَنشدَ ابنُ الأعرابيِّ في نوادِرِهِ(٥):

فَــإِنْ لَــمْ أُصَــدِّقْ ظَــنَّهُمْ بِتَيَقُّنِــي ❁ فَـلا سَقَتِ الأَوْصـالَ مِنِّـي الرَّوَاعـدُ

---

(١) سبق ١/١٩٠، ١٩٦، وفي الهامش: (خفيف).

(٢) لم يرد في ديوانه ولم أجده فيما بين يديّ من مصادر، وفي الهامش: (كامل).

(٣) ديوانه: ٣/١٢٥، وفيه: (راحتيه وقدوفا....) وفي الهامش: (طويل).

(٤) سبق في ١/١٩٨، وفي الهامش: (منسرح).

(٥) البيت لحسان بن ثابت، وهو في ديوانه ص١٩٥، تحقيق د. سيد حنفي حسنين، دار المعارف بمصر، وفيه: (بتيقن). وفي الهامش: (طويل).

فجعلَ التي تسقِي هي الرواعدُ.

وقالَ الكميتُ[1]:

وَأَنْـتَ فِـي الشَّـتْوةِ الْجَمـادِ إِذا ✤ أَخْلَـفَ مِـنْ أَنْجُـمٍ رَوَاعِـدُها

ومثلُ هذا كثيرٌ في كلامهمْ لا يُنكِرُهُ مُنْكِرٌ.

وقدْ قالَ أَبو تمامٍ[2]:

وكَـذا السَّـحائِبُ قَلَّمَـا تَـدْعُو إِلـىٰ ✤ مَعْرُوفِهَـا الـرُّوَّادَ مَـا لَـمْ تبْـرُقِ

فجعلَ البرقَ عند الروادِ دليلَ الغيثِ، وقدْ يكونُ برقٌ لا مطرَ معهُ كثيرًا، وبرقُ الخُلَّبِ تلكَ حالُهُ.

فالبحتريُّ في أَنْ أَقامَ الرعدَ مُقَامَ الغيثِ أَعْذَرُ من أَبي تمامٍ؛ لأَنهُ قدْ يرتفعُ سحابٌ ويبرُقُ [١٢٦/١/أ] ولا يمطرُ، فإذا أَرعدَ فلا يكادُ يخلفُ.

٣ ـ ومن ذلكَ قولهُ[3]:

يـا هِـلالًا أَوْفَـىٰ بِـأَعلىٰ قَضِـيبٍ ✤ وَقَضِـيبًا علـىٰ كَثيـبٍ مَهِيـلِ

وقالوا: هذا خطأٌ؛ لأَنَّ الكثيبَ ـ إِذا كانَ مَهيلاً ـ فإِنهُ يذهبُ ولا يستمسِكُ، وذلكَ مذمومٌ منَ الوصفِ.

قالوا: والجيدُ قولُهُ[4]:

---

(١) سبق ١٩٨/١، وفي الهامش: (منسرح).

(٢) سبق ٢٧٦/٢، وفي الهامش: (كامل).

(٣) ديوانه: ١٦٧٧/٣، وفي الهامش: (خفيف).

(٤) ديوانه: ١٧٤٢/٣، والمخيّل، الذي يحجبه الغيم، والدعص: كثيب الرمل المجتمع، وقال الباقلاني في إعجاز القرآن ص٣٢٩: (إن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف، لأن التشبيه=

كالبَـدْرِ غيـرَ مُخَيَّـلٍ والغُصْـنِ غـ ❊ ـيـرَ مُمَيَّـلٍ والـدِّعْصِ غَيْـرَ مُهَيَّـلِ

وقالوا: فقدْ تراهُ هنا كيف شرطَ في الدِّعْصِ ـ لما شبهَ العَجُزَ بهِ ـ أَنْ جعلَهُ غيرَ مهيلٍ ؛ لأَنَّ العربَ إِذا شبهتْ أَعجازَ النساءِ بكثبانِ الرملِ شَرَطَتْ فيها أَنْ تكونَ نديةً ، وأَن تكونَ مَمْطُورَةً ، كما قالَ الراجزُ[1]:

جِـئْنَ بأَعْجـازٍ لَهُـنَّ ناوِيَـهْ ❊ كأَنَّهـا الكُثْبـانُ غِـبَّ سـارِيَهْ

ناوِيهْ: سِمانٌ ، من النِّيِّ وهو الشحمُ ، وكقولِ الآخرِ[2]:

مِثْـلُ الْكَثيـبِ إِذا مـا بَلَّـهُ الْمَطَـرُ

وكما قالَ مِرْدَاسُ بنُ أَبي عامرٍ السُّلَمِيُّ[3]:

إِذا هِي قَامَتْ في النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا ❊ فُوَيْـقَ نِطَـاقِ الْعَقْـدِ صَـعْدةَ سَأْسَـمِ

وَأَسْـفَلُ مِنْـهُ ظَهْـرُ دِعْـصٍ أَصَـابهُ ❊ نَجَـاءُ السِّـماكِ فـي الكَثيـبِ المخيَّمِ

وقالَ الأَخْضَرُ بنُ جَابرٍ الفَزَاريُّ[4]:

= بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال: كالغصن غير مموج ، كان ذاك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنئ عنها). وفي الهامش: (كامل).

(١) لم أعرف قائله ولم أجده فيما بين يدي من مصادر ، وفي الهامش: (رجز)

(٢) لم أعرف قائله ولم أجده فيما بين يدي من مصادر ، وفي الهامش: (بسيط).

(٣) لم أجد البيتين فيما بين يدي من مصادر ، وفي الهامش: (طويل).

(٤) الأخضر بن جابر الفزاري ، أحد بني حرام بن سعد بن عدي شاعر فارس جاهلي ، انظر المؤتلف والمختلف للآمدي ، ص٤٠ .

وأنيار اللِّفاع: جمع نير ، وهو علم الثوب ولحمته ، ونيْرُ الثوبِ: حاشيته. (اللسان: نير) ، وفي «م» ، «ط» ، «ق» والمطبوع: (أثناء) تحريف ، واللفاع: كساء أو مرط يشتمل به كالملحفة. (اللسان: لفع).

الأتحمي: فيه خطوط حمراء وصفراء (اللسان: تحم). وفي الهامش: (رجز).

تَلُـوثُ أنيـارَ اللِّفَـاعِ الأَتْحَمِـي
بِمِثْـلِ دِعْـصِ الرَّمْلَـةِ الْمُـدَيَّمِ

أَرادَ الذي قد بَلَّتهُ الديمةُ ، وهي السحابةُ .

وقالَ جنْدلُ بنُ المُثنَّىٰ الطُّهَوِيُّ[1] :

لا بَـلْ كَدَعْصَـاءَ نقاهَـا مُثْـرِ ❊ عَفْـرَاءُ حُفَّـتْ بِرِمَـالٍ عُفْـرِ

وقالَ امرؤُ القيسِ[2] : [١/١٢٦/ب]

كَحِقْفِ النَّقَا يَمْشي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ ❊ بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وإسهالِ

والْحِقفُ : المستديرُ من الرملِ ؛ لأَنَّ الريحَ تنخلُهُ وتجمعُهُ ، وقالَ : «يمشي الوليدانِ فوقَهُ» ؛ لأَن الندىٰ أَصابَهُ فهو صلبٌ وفيهِ معَ ذلكَ لينٌ ونعمةٌ .

وقد شبهَ امرؤُ القيسِ أَيضًا كَفَلَ الفرسِ بالدِّعْصِ النَّديِّ ، فقالَ[3] :

لَـهُ كَفَـلٌ كالـدِّعْصِ لَبَّـدَهُ النَّـدَىٰ ❊ إِلـىٰ كاهِـلٍ مِثْـلِ الرِّتَـاجِ الْمُضَبَّبِ

وقالَ عبدُ الرحمنِ بنِ حسانِ بنِ ثابتٍ[4] :

وَإِنْ مَـالَ الضَّـجيعُ بهَـا فَـدِعْصٌ ❊ مِـنَ الْكُثْبَـانِ مُلْتَبِـدٌ مَطِيـرُ[5]

(١) لم أجده فيما بين يدي من مصادر ، وفي الهامش : (سريع) .

(٢) ديوانه بشرح السكري : ص٣٢٤ ، وفي الهامش : (طويل) . وفي «م» ، «ط» ، والمطبوع والديوان : (وتسهال) ، وروىٰ الطوسي : (إسهال) .

(٣) ديوانه بشرح السكري : ص٣٨١ ، وفيه : (له حارك) وهو : ما انظم عليه الكتفان ، وفي الهامش : (طويل) .

(٤) لم أجده في ديوانه : جمع وتحقيق د . سامي موسىٰ العاني . ولا في المصادر التي بين يدي .
[قلت : وجدته منسوباً له في العمدة لابن رشيق ، ٢/٢٦٨ ، وفيه «مهيلُ» بدل «مطيرُ»] الشرقاوي .

(٥) من قوله : (وقال حسان . . . . .) إلىٰ قوله : (ملتبد مطير) ساقط من «ص» ، «ر» .

وقالوا: هذا هو الوصفُ المحمودُ، والمعنىٰ الصحيحُ من معاني العربِ.

ولولا أَنَّ تشبيهَ الرادفةِ[1] بالكثيبِ المُنْهَال خطأٌ لَمَا قالَ البحتريُّ في بيتِهِ الآخرِ: «والدعصُ غيرَ مهيلِ».

وهذا المذهبُ الذي ذهبوا إِليه لعمري صحيحٌ من مذاهبهم، إِلا أَنَّ الشعراءَ إِذا شَبَّهتْ أَعجازَ النساءِ بكثبانِ الرملِ ثُم وصفتها بالانهيالِ فإِنما تقصدُ إِلىٰ تحرُّكِ أَعجازِهِنَّ عندَ المشي، كما قالَ رؤبةُ بنُ العجَّاجِ[2]:

إِذا وَصَلْنَ الْعَوْمَ بِالْهِرْكَلِّ ❁ رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلِ[3]

أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ في رَمْلِ

فقال: «أَوراكَ رملٍ والجٍ في رملٍ»، ووُلُوجُهُ هو تحرُّكُهُ ودخولُ بعضِهِ في بعضٍ، وكما قالَ الأَعشىٰ[4]:

ورابيةٍ تَثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ ❁ إِلىٰ مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ

نِيَافٌ كَغُصْنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ ❁ دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ في كلِّ مَنْهَلِ[5]

---

(١) (الرادفة) مصححة في الهامش، وهي مفرد الروادف: (اللسان: ردف). وفي «م»، «ط»، والمطبوع: (أردافه).

(٢) مجموع أشعار العرب، ديوان رؤبة بن العجاج، ص١٣١، اعتنىٰ بتصحيحه وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت.

(٣) (الخُزْلِ) مصححة في الهامش. وفي الهامش: (سريع)، وهو خطأ فالأبيات من الرجز. وفي «ص»: (خرجن من أعجازهن) تحريف.
والعوم: السير للإبل والسفينة، والهركلة: سير فيه بطء واختيال، والخُزْل: التثاقل في السير (اللسان: عوم، هركل، خزل).

(٤) ديوانه: ص٣٥٣، وفيه وفي المطبوع: (روادفه)، وفي «م»، «ط»، «ق»: (رادفة).
ورابية: أي عجيزتها مرتفعة، تثني الرداءَ: أي تظهر منه بارزة.

(٥) نياف: طويلة، وفي الهامش: (طويل).

فدلَّ بقولهِ: «ترتَجُّ إِنْ مَشَتْ» على أَنَّ قولَهُ: «إلى مثلِ دعصِ الرملةِ المتهيلِ» إنما أَرادَ تحركَ[1] عَجُزِها في حالِ مَشْيِهَا.

وكذلكَ قولُ رُؤْبةَ[2]: [١٢٧/١/أ]

مَيّالَــةٌ مِثْــلُ الكَثِيــبِ الْمُنْهَــالْ ❊ عَــزَّزَ مِنْــهُ وَهْــوَ مُعْطِــي الأَسْــهَالْ

صَوْبُ السَّــوَارِي مَتْنَهُ بالتَّهْتَــالْ[3]

التهتالُ والتهتانُ بمنزلةٍ واحدةٍ[4]، فقالَ: «مثْل الكثيبِ المنهالْ» لمَّا قالَ: «ميالةٌ» أَي: أَنها تتثنَّى في مشيَتِها وتتحرَّكُ أردافُها، ثمَّ شرطَ أَنهُ «عزَّزَ منهُ صَوْبُ السواري» أَي شَدَّهُ ليمنعَ من سيلانهِ وذهابهِ، وإِنما أَرادَ حالًا بينَ الحالينِ، أَلا تراهُ قالَ: «وهو مُعْطِي الأَسْهَالْ» أَي شدةُ ضربِ السواري وهوَ معَ ذلكَ يتهَّيلُ.

وقالَ ابنُ أَبي سفيانَ الغَامِدِيُّ[5]:

ذَاتُ شَــوًى خــدْلٍ وَخَصْــرٍ أَبْتَــلِ ❊ وَكَفَــلٍ مِثْــلِ الكَثِيــبِ الأَهْيَــلِ

فأَرادَ بالأَهيلِ الذي يترجرجُ عندَ المشيِ.

---

(١) «ص»: (تحري عجزها) تحريف.

(٢) وجدت الأبيات في ديوان العجاج، ٣١٨/٢، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس دمشق (ملحقات الديوان)، ورويت الأبيات عن الموازنة والخزانة واللسان، وفيه: (فهي ضيناك كالكثيب).

(٣) هذا البيت مستدرك في الهامش، والأبيات رواها صاحب اللسان للعجاج وليست في ديوانه انظر: (ضنك) وعزز منه: شدا من الكثيب فلا تسوخ فيها الأرجل، ضرب السواري: أمطار الليل، شبه خلقها بالكثيب وقد أصابه المطر، وهو معطي الأسهال: أي يعطيك سهولة ما شئت.

(٤) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (واحد)..

(٥) لم أعرف قائله، والخدلُ: العظيمُ الممتلئُ، والأبتلُ: الدقيقُ الضامرُ (اللسان: خدل، بتل)، وفي الهامش: (رجز).

وقالَ الْمُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ[1]:

إِذا قامَــــتْ تَنُــــوءُ بِمُـــرْجَحِنٍّ ❊ كَــدِعْصِ الرَّمْــلِ يَنْهَــالُ انْهِيَــالا

فَحَسُنَ[2] ذكرُ الانهيالِ من أَجلِ ذكرِهِ للقيامِ، ولو لمْ يذكرْهُ لكانَ غرضُهُ فيهِ معروفًا.

وقالَ عبدُ الرحمنِ بن الحَكَمِ[3]:

كــأَنَّ مــا بَــيْنَ قُصْـرَاهَا وخِنْصَـرِهَا ❊ مِنْهَــا نَقًــا دَمِــثٌ مِــنْ عَــالجٍ هَــارِ

قُصْرَاها: آخرُ الأَضلاعِ، وهي القُصْرىٰ[4] والقُصَيْرىٰ، فدلَّ بقولهِ: «هارٍ» علىٰ أَنهُ أَرادَ تحركَ رادفتها[5].

وكذلكَ قولُ البحتريِّ:

وقَضِــــيبًا علــــىٰ كَثيــــبٍ مَهِيــــلِ

إِنما أَرادَ تحركَ الرادفةِ، وقدْ دلَّ علىٰ المشي بقولهِ:

---

(١) لم أجد البيت في ديوانه الذي جمعه د. نوري حمودي القيسي في (شعراء أميون).
ومرجحن: مهتز، تنوء: أي تثقلها عجيزتها. اللسان (رجحن، نوء).

(٢) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (فجاء بذكر).

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنىٰ أبا مطرف شاعر إسلامي كان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحد منهما من صاحبه، وأخوه مروان بن الحكم ولاه معاوية المدينة، ثم عزله عنها. انظر: الأغاني ساسي ٢/٦٩.
قصرىٰ: وهي الضلع التي بين الشاكلة وبين الجنب والبطن، وقال السيد صقر ﷺ: (يصف ما يرىٰ من المرأة المدبرة مهتزًا مترجرجًا بين قصيرها وخنصريها وهو ردفها، وجمال البطون في ضمورها ودقة خلقها).

(٤) في الأصل: (القَصْيرَةُ) تحريف والتصحيح من باقي النسخ.

(٥) «م»، «ط»، «ق»: (روادفها).

يــا هــلالاً أَوْفَــى بــأَعْلى قَضــيبِ

فالمعنيانِ لا يتناقضانِ ؛ لأَنَّ الشاعرَ إِنْ ذكرَ الانهيالَ فإِنهُ أَرادَ الحركةَ عندَ المشي ، وإِن لمْ يذكرْ ذلكَ وشَرَطَ في الكثيبِ النديِّ أَو أصابهُ الغيثُ فإِنما قصدَ أَن يبقى على اجتماعهِ واستمساكِهِ ؛ كما قالَ رؤبةُ:

[١/١٢٧/ب] مَيَّالَــةٌ مِثْــلُ الكَثِيــبِ المُنْهَــالْ

ثم قالَ:

عَــزَّزَ منــهُ وهــو مُعْطِــي الْأَسْــهالْ ❊ صَــوْبُ السَّــواري مَتْنَــهُ بالتَّهْتَــالْ

فانتظمَ الوجهين جميعًا.

والذي شَرَح هذينِ المعنيينِ أَتمَّ الشرحِ ، وأَبرَّ في الوصفِ على كلِّ محسنٍ تميمُ بن أَبيٍّ بن مُقبلٍ ، في قولهِ يصفُ مشيَ النساءِ[١]:

يَمْشِــينَ هَيْــلَ النَّقــا لانَــتْ جَوَانِبُــهُ ❊ يَنْهَــالُ حِينًــا وَيَنْهَــاهُ الثَّــرَى حِينَــا

وإِنما أَرادَ بقولهِ: «ينهالُ حينًا» تحركَ أَعجازِهِنَّ إِذا مَشَيْنَ كما يتحرَّكُ جانبُ الرملةِ للانهيالِ فينهاه الثرى وهوَ ما تحتهُ منِ الترابِ والرملِ النديِّ ، وهذا لا شيءَ أَوضحُ منهُ.

٤ ـ ومن ذلكَ قولُهُ[٢]:

مَتَــى أَرَدْنــا وَجَــدْنا مَــنْ يُقَصِّــرُ عَــنْ ❊ مَسْــعَاتِهِ أَوْ فَقَــدْنا مَــنْ يُدَانِيــهِ

وقالوا: ليسَ هذا بالجيدِ ؛ لأَنهُ وصفٌ يَشْرَكُ ممدوحَهُ فيهِ البقَّالُ والحمّالُ

(١) ديوانه: ص٢٣٢ ، وفيه: (مالت جوانبه) ، وفي الهامش: (بسيط).
(٢) ديوانه: ٤/٢٤٢٤. وفي الهامش: (بسيط).

والمَرَّاقُ وباعةُ الدواءِ ولُقَّاطوا[1] النوى؛ لأَنَّ هؤلاءِ أَيضًا متى شِئنا وجَدْنا من يقصّرُ عن مسعاتِهم، وهو الحجامُ والكنَّاسُ والتَّيَّاسُ[2].

والبيتُ عندي صحيحٌ، وغرضُ البحتريِّ فيهِ معروفٌ، ومثلهُ أَو نحوُهُ قولُ الأَعشى[3]:

وأَخُـو النِّسَـاءِ مَتَـى يَشَـأْ يَصْـرِمْنَهُ ✤ وَيَعُـــدْنَ أَعْـــدَاءً بُعَيْـــدَ وِدَادِ

وهو لا يشاءُ ذلكَ بحالٍ، وإِنما أَرادَ أَنَّ ذلكَ سهلٌ موجودٌ في النساءِ.

وكذلكَ قولُ البحتريِّ: «متى أَردنا وجدْنَا» أَيْ: أَن ذلكَ سهلٌ موجودٌ حاصلٌ[4]، وإِنْ لمْ يكنْ هناكَ إِرادةٌ ولا طلبٌ؛ لأَنَّ تلكَ حالٌ قد عُلمتْ منهُ، وقد صَحَّحَ المعنى ووكَّدَ المدحَ بقولهِ: «أَو فقدنا منْ يدانيهِ» والبقالُ والمرَّاقُ وأَمثالُهما غيرُ مفقودٍ منْ يدانِيهِمْ؛ فجعلَ البحتريُّ أَحدَ القسمينِ في البيتِ معلقًا بالآخرِ: أَي ذلك كلُّهُ [١٢٨/١/أ] سهلٌ موجودٌ، ولو اقتصرَ على نصفِ البيتِ الأَولِ كانَ ـ لَعَمْري ـ للقدحِ فيهِ متعلَّقٌ.

٥ ـ ومن ذلكَ قولُهُ[5]:

تَهَـــاجُرٌ أَمَـــمٌ لا وَصْـــلَ يَخْلِطُـــهُ ✤ إِلَّا تَـــزَاوُرُ طَيْفَيْنَـــا إِذَا هَجَـــدا

وقالوا: الطيفانِ لا يهجدانِ، وإِنما أَرادَ أَنْ[6] يقولَ: إِذا هجدنا، فقالَ:

---

(١) «م»، والمطبوع: (ولقاط النوى).

(٢) «ص»، «ر»: كلمة غير واضحة، «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (النَّباش): وهو الذي يستخرج المدفون، و(التيّاس): الذي يمسك التيس، (اللسان: نبش، تيس).

(٣) ديوانه: ص١٢٩، وفيه: (ويَكُنَّ أعداء)، وفي الهامش: (كامل).

(٤) «م»، «ط»، والمطبوع: (موجود سهل حاصل).

(٥) ديوانه: ٧١٧/٢، وفي الهامش: (بسيط).

(٦) (أن) مستدركة في الهامش.

«إِذا هجدَا».

وقد سمعتُ من يحتجُّ فيهِ بما لا يبعدُ عندي من الصوابِ، وهو أَن قالَ: إِنهُ أَرادَ إِلا تزاورَ نفسينا إِذا هجدَا، فأَقامَ الطيفَ مُقامَ النفسِ، وقالَ: «هجدَا» ولم يقلْ: «هجدنا» للفظِ الطيفِ وهو مذكرٌ.

وقالَ: إِن النفسَ تنامُ علىٰ الحقيقةِ كما قالَ جلَّ اسمهُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾(١).

فقيلَ لهُ: النفسُ ـ لعمري ـ يطلقُ عليها النومُ، فإِذا نامتْ رأَتْ خيالاتِ الأَشياءِ التي ترىٰ حَقائِقَها في اليقظةِ، فالنفسُ غيرُ الخيالِ، وقد تتمثلُ للنفسِ في حالِ يقظتِهَا خيالاتُ الأَشياءِ الغائبةِ عنها وصورُها علىٰ ما هيَ، فتراها النفسُ في حالِ يقظتِهَا، وإِن لمْ ترها العينُ؛ فليسَ النفسُ من الخيالِ في شيءٍ.

فقالَ: فإِذا كانتِ النفسُ والخيالُ يلتقيانِ في النومِ، فلمَ لا أُسميهِمَا خَيَالَيْنِ ـ وإِن كانَ أَحدُهما خيالًا والآخرُ نفسًا ـ علىٰ المجازِ الذي تفعلهُ العربُ؟

وهذا عندي احتجاجٌ صحيحٌ، ويصحُّ عليهِ معنىٰ البيتِ.

٦ ـ ومما نسبوا البحتريَّ فيهِ إِلىٰ سوءِ القسمةِ قولُهُ(٢):

فكَـأَنَّ مَجْلِسَـهُ الْمُحَجَّـبَ مَحْفِـلٌ ❁ وَكَـأَنَّ خَلْوَتَـهُ الْخَفِيَّـةَ مَشْـهَدُ

وقالوا: إِنهُ ليسَ في المصراعِ الثاني منَ الفائدةِ إِلا ما في الأَولِ؛ لأَنَّ مجلِسَهُ المحجّبُ هي خلوتُهُ الخفيةُ، وقولُهُ: «محفلٌ» كقولِهِ: «مشهدُ».

---

(١) [سورة الزمر، الآية ٤٢]، و(الله) مستدركة في الهامش.

(٢) ديوانه: ٦٢٩/١، وفي الهامش: (كامل).

والمعنىٰ عندي صحيحٌ ؛ لأَنَّ المجلسَ المحجّبَ قد يكونُ فيه الجماعةُ الذين يخصُّهُم، وفي الأَكثرِ الأَعمِ لا يسمىٰ مجلسًا إِلا وفيهِ قومٌ، [١/١٢٨/ب] ألا ترىٰ إِلىٰ قولِ مُهَلْهِلٍ[1]:

وَاسْـتَبَّ بَعْـدَكَ يـا كُلَيْـبُ الْمَجْلِـسُ

أَي: أَهلُ المجلسِ، علىٰ الاستعارةِ؟

فجعلَ البحتريُّ مجلسَهُ الذي احتجَبَ فيهِ مع منْ يخصُّهُ كالمحفلِ، والمحفلُ: هو الجمعُ الكثيرُ، والخلوةُ الخفيةُ قد يكونُ فيها منفردًا، أو يكونُ معهُ محبوبٌ، فبينها وبين المجلسِ والمحفلِ فرقٌ؛ فكأنهُ إِذا خلا خلوةً خفيةً ففيها[2] معهُ من يشاهدُهُ، ومن يشاهدُهُ يجوزُ أَن يكونَ واحدًا أَو اثنينِ، والمحفلُ لا يكونُ إِلا عددًا كثيرًا، فهذا أَيضًا فرقٌ صحيحٌ بين المحفلِ والمشهدِ.

وإِنما أَرادَ البحتريُّ أَنهُ لا يفعلُ في مجلسهِ المحجّبِ إِلا ما يفعلُهُ في المحفلِ، ولا يفعلُ في خلوتهِ الخفيةِ إِلا ما يفعلهُ حَضَرهُ[3] مَنْ يشاهدُهُ، ينسِبَهُ إِلىٰ شدةِ التصوُّنِ وكرمِ السريرةِ.

٧ ـ ومثلُهُ قولُهُ[4]:

أَمِـينَ اللهِ، دُمْـتَ لَنَـا سَـلِيمًا ❊ وَمُلِّيـتَ السَّـلامَةَ وَالـدَّوَامَا

(١) شرح الحماسة للمرزوقي، ٩٢٨/٢، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، سنة ١٩٩١. وصدره: «نُبيتُ أن النارَ بعدك أُوقدت»

(٢) من قوله: (محبوب فبينها....) إلىٰ قوله: (ففيها معه...) مستدركة في الهامش.

(٣) «م»، والمطبوع: (إلا مع من...).

(٤) ديوانه: ٢٠١١/٣، وفي الهامش: (وافر).

قالوا: فقولُهُ: «دُمْتَ لنا سليمًا»[١] ، هو قولُهُ: «ومُلِّيتَ السلامةَ والدواما» وهذا قبيحٌ جدًّا.

وليسَ الأَمرُ عندي كذلكَ، بل القسمةُ صحيحةٌ؛ لأَنهُ لمَّا تقدمَ ذكرُ السلامةِ والدوامِ في أَولِ البيتِ قالَ في عجزِهِ: «ومليتَ السلامةَ» أَي: أُديمتْ لكَ تلكَ السلامةُ [وذلكَ الدوامُ. وأَجودُ من هذا أَن يكونَ لمَّا قالَ: «دُمتَ لنا سليمًا» وَكَّدَ ذلكَ بذكرِ السلامةِ وفيها الأَلفُ واللامُ؛ لأَنها اسمُ الجنسِ، وكذلك الدوامُ، فكأَنه قالَ: مُلِّيتَ السلامةَ كلَّها والدوامَ كلَّهُ. ثم إِنهُ ليس[٢] بمنكرٍ أَن يقولَ القائلُ[٣] في الدعاءِ: «دامَ لكَ الدوامُ» كما يقولُ: طالَ طوالُكَ، وقرَّ قرارُكَ، وضلَّ ضلالُكَ، وزالَ زوالُكَ، وذلكَ كلامٌ مستعملٌ حَسَنٌ.

ومعنى «مُلِّيتَ»: أَي أُطِيلتْ لكَ وأديمتْ، مثلُ تَمَلَّيتَ حبيبك [١٢٩/١/أ] وهو مأْخوذ من الْمَلاوةِ والْمَلَّاوَةِ وهما الدهرُ، والملوانُ: الليلُ والنهارُ، ومنهُ قولُهم: وَقَفْتُ مَلِيًّا.

٨ ـ وقالَ البحتريُّ[٤]:

الْيَـــوْمَ أُطْلِـــعَ لِلْخِلَافَـــةِ سَـــعْدُهَا ✤ وَأَضَـــاءَ فيهـــا بَـــدْرُها الْمُتَهَلِّـــلُ
لَبِسَـــتْ جَلالَـــةَ جَعْفَـــرٍ فكَأَنَّهـــا ✤ سَـــحَرٌ تَجَلَّلَـــهُ النَّهَـــارُ الْمُقْبِـــلُ

وقالوا: هذا معنى فاسدٌ؛ لأَنَّ السَّحَرَ طُرَّةُ النهارِ وأَولُهُ وبدءُ ضيائِهِ،

---

(١) (سليما) مستدركة في الهامش.
(٢) ما بين المعقوفين مستدركة في الهامش.
(٣) (القائل) مستدركة بين السطرين.
(٤) ديوانه: ١٧٥٤/٣، وفي «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (أضاء فينا)، وفي الهامش: (كامل).

والشيءُ في مثلِ هذا لا يتجللُ أَولُهُ ؛ لأَنَّ التجللَ هوَ: أَنْ يشتملَ عليهِ ويغطيهِ، والسحرُ أَمامُ النهار أَبدًا، فلا يجوزُ أَنْ يتغشَّاهُ؛ لأَنهُ المتصلُ بالظلمةِ والمختلطُ بها والطاردُ لها، فهو يدورُ حولَ «كرةِ الأَرضِ» دائمًا علىٰ صورةٍ واحدةٍ لا يتغيرُ.

وهذهِ عندي معارضةٌ صحيحةٌ، إِلا أَنَّ هذا معنىٰ يُتَجَاوزُ في مثلهِ؛ لأَنَّ البحتريَّ إِنما أَرادَ تجللهُ النهارُ في رأي أَعيننا وما نُشاهدُهُ؛ لأَنَّ زُرْقةَ السَّحَرِ لمَّا استطارَ الضوءُ كانَ كأَنَّهُ شيءٌ غَطَّىٰ عليها، وإِنْ كانتْ حقيقتُها أَنها انتقلتْ إِلىٰ قطرٍ آخرَ منَ الأَرضِ.

٩ ـ وقالَ البحتريُّ(١):

لَـمْ أَرَ كَـالْهَجْرِ لَـمْ يُـرْحَمْ مُعَذَّبُـهُ ❊ وَالْوَصْـلِ لـم يَعْتَمِـدْ مُعْطَـاهُ بِالْحَسَـدِ

وهذا كانَ(٢) بعضهُمْ يراهُ سهوًا، ويقولُ: إِن المعذَّبَ بالهجرِ مرحومٌ، فأَما منْ يواصلُهُ حبيبهُ فمغبوطٌ أَبدًا ومحسودٌ، وقد قيلَ في ذلكَ من الأَشعارِ ما هوَ أَشهرُ وأَكثرُ، فمنها قولُ يزيدَ بنِ الطَّثَريةِ(٣):

أَعُـوذُ بِخَـدَّيْكِ الْكَـرِيمَيْنِ أَنْ يَـرىٰ ❊ لَنَـا حَاسِـدٌ فِـي غُبَّـرِ الْوَصْـلِ مَطْمَعَـا

وقولُ أَبي صخرٍ الهذليِّ(٤): [١٢٩/١/ب]

---

(١) ديوانه: ٥١٤/١، و(بالحسد) مصححة في الهامش، والبيت من البسيط.

(٢) (كان) مستدركة في الهامش.

(٣) شعر يزيد بن الطثرية، ص٤٨، صنعة حاتم صالح الضامن، وزارة الأعلام، بغداد. وفي الهامش: (طويل). وغبّر الوصل: بقيته، وغَبَّرُ الشيء: بقاياه (اللسان: غبر).

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٢٣١/٣، وفيه: (أحسد الوحش) (لا يروعهما الذعر)، وفوق كلمة (أغبط) رسمت كلمة (أحسد) روايتان، وفي «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (لم يُرَوِّعهما)، وفي الهامش: (طويل).

فَقَـدَ تَرَكَتْنـي أغـبِطُ الطَّيْـرَ أَنْ أَرَىٰ ❊ أَلِيفَـيْنِ مِنْهَـا لا يَرُوعُهُمَـا النَّفْـرُ

وقولُ جريرٍ[1]:

وَنُحْسَـــدُ أَنْ نَـــزُورَكُمْ وَنَرْضَـــىٰ ❊ بِـدُونِ الْبَـذْلِ لَـوْ عَلِـمَ الْحَسُـودُ

وقولُ جميلِ بنِ معمرٍ[2]:

لَـوْلَا الْوُشَـاةُ لَـزُرْتكُمْ بِـبِلادكُمْ ❊ لكِـنْ أَخَـافُ مَقَالَـةَ الْحُسَّـادِ

وقولُ عُتْبَةَ بنِ بُجيرٍ الحارِثيِّ[3]:

أَيَّـامَ تَهْجُرُنِـي لَيْلَـىٰ وَأُحْسَـدُها ❊ وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسَدِ

أَي: هيَ تهجرُني وأَنا أُحْسَدُها[4]: أَي أُحْسَدُ عليها.

وليسَ الأَمرُ عندي في هذا البيتِ علىٰ ما تأَوَّلهُ هذا المتأَوِّلُ وظَنَّهُ، وذلكَ لأَنَّ البحتريَّ لم يردْ بقولهِ: «لمْ أَرَ كالهجرِ» جنسَ الهجرِ، ولا جنسَ الوصلِ، فيخرجَ الكلامُ مخرجَ العمومِ لكلِّ هجرٍ وكلِّ وصلٍ، كما يقالُ: أَهْلَكَ النّاسَ الدينارُ والدرهمُ، وإِنما أَرادَ: «لم أَر كالهجرِ لم يُرحَم مُعذَّبُهُ» أَي: كالهجرِ الذي هذهِ حالُهُ علىٰ طريقِ التعجبِ، «والوصلِ لمْ يعتمدْ مُعطاهُ بالحسدِ»، أَي: والوصلُ الذي هذهِ حالُهُ. وهذا[5] كما تقولُ: لم أَرَ كالرجلِ يسيءُ فلا يُذَمُّ، ويُحْسِنُ فلا يُشكَرُ؛ أَي كالرجلِ الذي هذهِ حالُهُ ولمْ يردْ كلَّ الرجالِ.

---

(١) ديوانه: ٣١٨/١، وفي الهامش: (وافر).

(٢) لم أجد البيت في ديوانه، وفي الهامش: (كامل).

(٣) لم أعرفه ولم أجد البيت فيما بين يدي من مصادر، وفي الهامش: (بسيط).

(٤) (أحسدها) مستدركة في الهامش.

(٥) (وهذا) مصححة في الهامش.

وكيفَ يُظَنُّ مثلُ هذا بالبحتريِّ وهو يقولُ[1]:

وَنُحْسَدُ أَنْ تَسْرِي إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَىٰ ❊ عَقابيلُ يَعْتَادُ الجَوَىٰ باعْتِيادِها
فكَمْ نَافَسُوا فِي حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ ❊ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنا وَامْتِدادِها

فقدَ ترىٰ كيفَ يزعمُ أنهُ يُحْسَدُ علىٰ الْجَوَىٰ وعلىٰ الْحُرَقِ، فكيفَ علىٰ الوصلِ؟

١٠ ـ وقالَ[2]:

[١٣٠/١/أ] أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَىٰ بِغَيْرِ نُجُومٍ ❊ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَىٰ بِغَيْرِ بُرُوقِ

عابهُ بعضهُمْ بهذا، وقالوا: قدْ يكونُ بَرْقٌ لا غيثَ معهُ، وهو برقُ الخُلَّبِ، والرجلُ لم يقلْ: لا برقَ إلا ومعهُ مطرٌ، وإنما قالَ: لا مطرَ إلا ومعهُ برقٌ.

١١ ـ وسمعتُ من يعيبُ قولَهُ[3]:

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِقًا بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ ❊ وبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ

ويقولُ: النَّورُ هو الأَبيضُ خاصةً، والزهرُ هو الأَصفرُ لا محالةَ، فإذا قلتَ: «في هذا الروضِ أَنوارٌ مختلفةٌ» جازَ ذلكَ؛ لأَنكَ تضمُّ إلىٰ البياضِ غيرَهُ فيجري الاسمُ علىٰ الجميعِ علىٰ سبيلِ المجازِ، كما يقالُ: «الْعُمَرَانِ» أَبو بكرٍ وعمرُ ﵄، و«الْقَمَرانِ» الشمسُ والقمرُ، وما أَشبهَ ذلكَ.

---

(١) ديوانه: ٦٧٥/٢، وفي الهامش: (طويل). والعقابيل: الشدائد.

(٢) «م»، والمطبوع: (وقال البحتري)، والبيت في ديوانه: ١٤٨٦/٣ وفيه: (أو سحاب يندىٰ)، وفي «ص»: (أرىٰ ليل) تحريف، وفي الهامش: (خفيف).

(٣) ديوانه: ١٦٥/١، وفي الهامش: (بسيط).

وكذلكَ إِذا قلتَ: «فيها أَزهارٌ كثيرةٌ» جازَ ذلكَ وإِن كانَ فيها أَبيضُ وأَحمرُ وما سِواهُما معَ الصفرةِ تَوَسُّعًا ومجازًا؛ فإِذا فصَّلتَ مُعْتمدًا لأَن تخصَّ كلَّ جنسٍ باسمٍ ـ كما فعلَ البحتريُّ ـ لم يَجُزْ أَن يعدلَ بكلِّ جنسٍ عن اسمهِ المخصوصِ؛ فتقولَ حينئذٍ: يعجبُني مِنْ هذا الموضعِ صفرةُ زَهْرِهِ، وبياضُ نَوْرِهِ، وحُمْرةُ شَقَائقِهِ، ولا يجوزُ أَن تقولَ: يعجبني حُمْرةُ نَوْرِهِ[1]، ولا بياضُ زهرتِهِ[2]، كما قالَ البحتريُّ؛ لأَنَّ ذلكَ خطأٌ في اللغةِ علىٰ ما استعملتهُ العربُ.

ولعمري إِنَّ هذا هو الأَشهرُ في كلامِهِمْ، والأَغلبُ في المأْثورِ عنهمْ، إِلا أَنهم قدْ جعلوا الزَّهرَ نَوْرًا، والنَّوْرَ زَهَرًا، وجاءَ ذلكَ في الشعرِ، قالَ عَدِيُّ ابنُ زَيْدٍ[3]:

حتــىٰ تعــاوَنَ مُسْــتَكٌّ لَــهُ زَهَــرٌ ✿ مِنَ التَّناوِيرِ شَكْلَ الْعِهْنِ في اللُّؤَمِ

اللؤمُ: جمعُ لُؤَمَةٍ ولأمَةٍ، وهي مَتَاعُ الرَّحْلِ من الأَشِلَّة[4] [١٣٠/١/ب] والوَلايا، وتكونُ مُوَشَّاةً بالعِهْنِ وهو الصوفُ المصبوغُ بالحمرةِ وغيرِ ذلكَ من الأَلوانِ؛ فقالَ: «زهرٌ» ثم قالَ: «من التناويرِ» وقالَ: «شكلَ العهنِ».

---

(١) من قوله: (وحمرة شقائقه) إلىٰ (حمرة نوره)، مستدركة في الهامش.

(٢) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (زهره).

(٣) ديوانه: ص١٢٣، حققه محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة، بغداد سنة ١٩٦٥. وعدي بن زيد العبادي من شعراء (عباد) من تميم، شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويا من أهل الحيرة، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرىٰ، ولما مات كسرىٰ وولي الحكم هرمز أعلىٰ شأنه ووجهه رسولًا إلىٰ القسطنطينية، ثم وُشي به إلىٰ النعمان فسجنه بالحيرة. وفي الهامش: (بسيط).

(٤) الأشلة، جمع شليل: وهو مسح من صوف أو شعر يجعل علىٰ عجز البعير من وراء الرحل، والولايا: جمع ولية: وهي البردعة تسمىٰ بذلك إذا كانت علىٰ ظهر البعير لأنها حينئذٍ تليه (اللسان: شلل، ولي).

وقالَ زُهَيرُ بنُ مسعودٍ الضَّبِّيُّ(١):

ومُنَــوَّرٍ غَــدِقُ النَّــدَىٰ قُرْيانُــهُ ❁ مِثْـلُ العُهُـونِ مِـنَ الحَوَاضِـرِ مُقْفِـرُ

وقالَ أَبو النَّجْمِ(٢):

فــالرَّوْضُ قَــدْ نَــوَّرَ فِـي دَجْوَائِــهِ ❁ مُخْتَلِــفُ الأَلْــوَانِ فِــي أَسْــمائِهِ

نَــوْرٌ تَحَــارُ الشَّـمْسُ فـي حَمْرَائـهِ ❁ مُكَلَّــلاً بِــالنَّوْرِ مِــنْ صَــفْرائِهِ

فقالَ: «بالنَّوْرِ من صَفْرائِهِ».

وقالَ حُمَيدُ بنُ ثَوْرٍ(٣):

كَـأَنَّ عَلَـىٰ أَشْـداقِهِ نَـوْرَ حَنْـوَةٍ ❁ إِذَا هُـوَ مَـدَّ الْجِيـدَ مِنْـهُ لِيَطْعَمَـا

يصفُ فرخَ الحمامةِ وصُفْرةَ أَشداقِهِ، ويشبهُهُا بصفرةِ زهرِ الحنوةِ لا محالةَ فقالَ: نَوْرُ حَنْوةٍ؛ ولم يقلْ زهرُ حنوةٍ.

وقالَ الأَعشىٰ(٤):

وَشَــمُولٍ تَحْسِــبُ الْعَــيْنُ - إِذَا ❁ صُــفِّقَتْ - وَرْدَتَهـا نَــوْرَ الــذُّبَحْ

والذُّبَحُ نبتٌ، ونَوْرهُ أَحمرُ شديدُ الحمرةِ، ويقالُ: «الذِّبَحُ».

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مصادر، وفي الهامش: (كامل).

(٢) وردت الأبيات في ٣/١٩١ من الموازنة، انظر تخريجها هناك مع ترجمة لأبي النجم، وفي الهامش: (رجز).

(٣) ديوانه: ص٢٥، دار الكتب المصرية، سنة ١٩٥١. انظر ٣/١٩٠ من الموازنة، مع ترجمة لحميد بن ثور، وفي الهامش: (طويل).

(٤) ديوانه، ص٢٤١، شرح وتعليق د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز القاهرة. وقال في اللسان روىٰ البيت: (صفّق الشراب: مزجه، أو حوله من إناء إلىٰ إناء) (اللسان: صفق)، وفي الهامش: (رمل).

وهذا كلهُ دليلٌ علىٰ أَنَّ هذهِ الأَسماءَ تُستعملُ في هذهِ الأَلوانِ كما ترىٰ علىٰ اختلافِهَا.

١٢ ـ وسمعتُ من يعيبُ قولَهُ[١]:

فَمُجَــدَّلٌ وَمُوَسَّــدٌ ومُرَمَّــلٌ ❊ وَمُضَــرَّجٌ وَمُضَــمَّخٌ وَمُخَضَّــبُ

ويقولُ: إِن قولَهُ: «مضرجٌ ومضمّخٌ ومخضَّبُ» بمعنىٰ واحدٍ، وذكرَ أَنهُ لو[٢] أَرادَ رجلًا واحدًا أَنهُ مُضَرَّجٌ ومضمَّخٌ ومخضَّبُ [١٣١/١/١/أ] جازَ[٣]؛ لأَنَّ كلَّ لفظةٍ تكونُ مؤكدةً للأخرىٰ، قالَ: ولكنَّهُ إِنما أَرادَ فمنهمْ مضرَّجٌ ومنهمْ مضمَّخٌ ومنهمْ مخضَّبُ، كما قسَّمَ في صدرِ البيتِ.

ولَعَمري إِنَّ البحتريَّ كذا أَرادَ، وليسَ بمنكرٍ عندي؛ لأَنَّ المضرّجَ من الضَّرجِ وهي الحمرةُ المشرقةُ التي ليستْ بقانيةٍ، والمضمَّخُ يريدُ بهِ غلظَ الدمِ، وأَنهُ قدْ صارَ في متانةِ الطيبِ الذي يُتضمخُ بهِ، والمخضَّبُ[٤] أَرادَ أَنَّ الدمَ قد خَضَّبهُ كما يُخضَّبُ الحناءُ[٥]؛ ففي كلِّ لفظةٍ ما ليسَ في الأخرىٰ، وإِن كانت الحمرةُ قد شمِلت[٦] الجميعَ؛ لأَنَّ المضرجَ يجوزُ أَن يكونَ أَرادَ بهِ طراوةَ الدمِ، أَي: منهمْ حديثُ عهدٍ بالقتلِ ومضمخٌ مَنْ قد خَثُرَ عليهِ الدمُ كأَنَّ قتلَهُ قد تقدَّمَ قَبْلَ قتلِ الآخرِ، والمخضَّبُ يجوزُ أَنْ يكونَ من قدْ مضىٰ لقتلهِ يومٌ أَو أَكثرَ، فقد اسودَّ عليهِ الدمُ.

---

(١) ديوانه: ٧٦/١، وفي الهامش: (كامل).

(٢) (لو) مستدركة في الهامش.

(٣) (جاز) مصححة في الهامش.

(٤) (المخضبُ) مستدركة في الهامش.

(٥) في «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (كما يُخَضَّبُ بالحناء).

(٦) (شملت) مصححة في الهامش.

وهذهِ معانٍ كلها محتملٌ.

وقدْ يجوزُ أَن يريدَ بقولهِ: «مضرَّجٌ» سائرَ جسدِهِ، وبالمضمَّخِ أَن السيفَ أَخذَ عوارضَهُ وتحتَ لحيتهِ، وذلكَ موضعٌ من مواضعِ التضميخِ بالطيبِ، وأَرادَ بالمخضَّبِ أَنَّ[1] السيفَ أَخذَ في رأْسهِ وفي يديهِ ورجليهِ، وذلكَ موضعُ الْخِضابِ، وقد يكونُ المضرّجُ: المقطّعُ، يقالُ[2]: «ضَرَّجَهُ» إِذا قطّعهُ.

وهذه معانٍ لطيفةٌ ويجوزُ أَنْ يُعتذرُ[3] بهَا، والوجهُ القويُّ هو الأَولُ.

١٣ ـ وسمعتُ قومًا ينكرونَ قولَهُ في وصفِ الخمرِ[4]:

وَفَوَاقــعٌ مِثْــلُ الــدُّمُوعِ تَــرَدَدَّتْ ❊ فِـي صَـحْنِ خَـدِّ الكاعِـبِ الْحَسْـنَاءِ

ويقولونَ: الدموعُ[5] لا تترددُّ في الخدِّ كما يترددُ الحَبابُ في الكأَسِ، وإِنما الدمعُ يجري ويتتابعُ.

والمعنىٰ صحيحٌ، [١/١٣١/ب] ولا عيبَ فيهِ؛ لأَنَّ[6] التردُّدَ قد يكونُ الْجَوَلانُ، وقد يكونُ التتابعُ والتواترُ، يقالُ: قد تَتَابعتْ كُتُبي إِليكَ، وتردَّدتْ: بمعنىٰ، وتواترتْ رُسُلي وتتابعتْ، والكتابُ الأَولُ غيرُ الثاني، وكذلكَ قد يكونُ الرسولُ الأَولُ غيرَ الرسولِ الثاني: وإِنما حَسُنَ أَن يقالَ: تتابعتْ وتردَّدتْ لأَنَّ كلَّ واحدٍ منَ الكتبِ يقالُ لهُ: كتابٌ، ويقالُ لكلِّ واحدٍ من

(١) (أن) مستدركة في الهامش.

(٢) زيادة من «م»، «ط».

(٣) (يعتذر) مصححة في الهامش. وفي «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (يعتد بها).

(٤) ديوانه: ١/٧، وفي الهامش: (كامل).

(٥) «م»، والمطبوع: (إن الدموع).

(٦) (لأن) مستدركة في الهامش.

الرسلِ: رسولٌ؛ فلما ضَمَّهمْ اسمٌ واحدٌ حَسُنَ استعمالُ التتابعِ والترددِ، وإن كانتْ أَشخاصًا متباينةً، وكلّ واحدٍ غيرُ الآخرِ.

وكذلكَ الدمعُ يحسنُ أن يقالَ: قد تَتابعتْ دموعُهُ على خدِهِ، وتردّدتْ، وإن كانتْ كلٌّ[1] دمعةٍ غيرَ الأخرى، والْحَبابُ وإن جالَ في الْقَدَحِ دائرًا فيهِ فإنهُ ربما جَرَى فيهِ على جهَةٍ واحدةٍ، كما يجري الدمعُ على جهةٍ واحدةٍ.

وهذا من أَحسنِ التشبيهِ وأَليقهِ؛ لأَنَّ الخمرَ قد يكونُ منها ما هو أَحمرُ إلى التوريدِ الخفيفِ كحمرةِ الخدِّ، وخاصّةً إذا أُرِقَّتْ بالماءِ، كما قالَ الشاعرُ[2]:

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ، وفي الكأْس ورْدَةٌ ❊ لهـا فـي عِظـامِ الشَّـارِبينَ دَبِيـبُ

فإذا شُبِّهتْ الخمرةُ بالخدّ وذكرَ الحَبابُ، فمن أَليقِ ما شُبهِ بهِ وأَحسنهِ وأَصحِّهِ الدمعُ؛ لأَنَّ الدمعَ قد يقفُ في الخدِّ [١٣٢/١/أ] كوقوفِ الحَبابِ في صحنِ الكأْسِ، وبابُ اختلافِ حركةِ الحَبابِ وحركةِ الدمعِ[3]، فليسَ كلُّ شيءٍ يُشَبَّهُ بشيءٍ يقعُ التشبيهُ فيهِ من جميعِ الجهاتِ حتى لا يغادرَ منها شيئًا، قد يكونُ إنما شُبِّهَ بهِ ببعضِ ما فيهِ لا بكلِّهِ.

١٤ ـ ورأَيتُ مَنْ عابَ قولَهُ[4]:

---

(١) من قوله: (أن يقال...) إلى قوله: (وإن كانت كل...) مستدركة في الهامش.

(٢) البيت للأقيشر الأسدي، وهو في ديوانه: ص٤٩، صنعة د. محمد علي دقة، دار صادر، بيروت سنة ١٩٩٧. والشاعر هو الملقب بالأُقَيْشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدي، وعمّر عمرًا طويلًا، ويقال إنه أدرك الجاهلية ونشأ في أول الإسلام، وكان كوفيًا خليعًا ماجنًا مدمنًا لشرب الخمر، وتوفي نحو ثمانين للهجرة. وفي الهامش: (طويل).

(٣) كذا العبارة في النسخ كلها ولم أهتدِ لإصلاحها.

(٤) ديوانه: ١٦٦/١، وفي الهامش: (كامل).

فَصَـبَغْتُ أَخلاقـي برَوْنَـقِ خُلْقِـهِ ❊ حَتَّـى عَـدَلْتُ أُجَـاجَهُنَّ بِعَذْبِـهِ

وقالوا: إِنما كانَ ينبغي لمَّا ذكرَ الأُجاجَ والعذبَ أَن يقولَ: «فمزجتُ» لا أَنْ يقولَ: «فصبغتُ»، أَو لمَّا قالَ: «فصبغْتُ أَخلاقي» أَن يقولَ: «حتى عدلتُ أَلوانَها بحسنِ لونِهِ».

وليستْ هذهِ المعارضةُ بشيءٍ، والمعنى صحيحٌ، أَنهُ ليسَ هناكَ صَبْغٌ على الحقيقةِ فيَقابلَ بذكرِ لونٍ حتى يتكافَأَ المعنيانِ، ولا مشروبٌ عذبٌ ولا أُجاجٌ على الحقيقةِ[1] فيستعملَ ذكرَ المزاجِ، وإِنما[2] هذهِ استعاراتٌ ينوبُ بعضُها عن بعضٍ، ويقومُ بعضُها مقامَ بعضٍ؛ لأَنها ليستْ بحقائقَ فيما استعيرتْ لهُ، أَلا ترى أَنكَ تقولُ: فلانٌ قد شابكَ فلانًا، وخالطَهُ، وداخلَهُ ومازجَهُ، وانصبغَ بهِ، بمعنى واحدٍ وإِن كانَ بعضُها أَوكدَ من بعضٍ، ولا يكونُ هناكَ مُدَاخلةٌ ولا ممازجةُ جسمٍ في جسمٍ ولا مخالطةٌ على الحقيقةِ.

١٥ ـ ومما عيبَ عليهِ من التعسُّفِ في اللفظِ والتعقيدِ قولُهُ[3]:

فَتًى لَمْ يَمِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلى ❊ إِلـى غَيْرِهَـا شَـيْءٌ سِـوَاهُ مُمِيلُهَـا

وكانَ بعضُ الناسِ يرى أَنه لاحنٌ فيهِ[4]، ويقولُ إِنهُ إِنما أَرادَ: فتى لم يملْ بنفسهِ عن العلى شيءٌ مميلُ نفسٍ سواهُ، أَي: ما يميلُ النفسَ عن المعالي من اللهوِ واللعبِ والدَّعةِ وحبِّ الراحةِ والضَّنِّ بالمالِ، ونحوِ هذا من الأَشياءِ الشاغلةِ عن السؤددِ، فقدَّمَ «سِوَاه» وكنى عن النفسِ بقوله «مميلُها» بعد أَن حَذفَها.

---

(١) (على الحقيقة) مستدركة في الهامش.

(٢) (إنما) مستدركة في الهامش.

(٣) ديوانه: ٣/١٧٨٠، وفيه: (يميلها). وفي الهامش: (طويل).

(٤) (فيه) مستدركة في الهامش.

قالَ: وذلك غيرُ جائزٍ ؛ لأَنكَ إِذا قلتَ: «لن يضربَ [١/١٣٢/ب] هامةَ عمرٍو أَحدٌ ضاربُ هامةِ غيرهِ»، فقدمتَ هامةَ غيرهِ فقلتَ: «لن يضربَ هامةَ عمرٍو أَحدٌ هامةُ غيرِه ضاربُها»، وجعلتَ الهاءَ في «ضاربُها» كنايةً عن الهامةِ لتقدمها جازَ، إلا أَنَّ البصريينَ من النحويينَ يقولونَ: «هامةُ غيرهِ ضاربُها هوَ»، كما أَنهُ لو قالَ: «شيءٌ نفسُ سِوَاهُ مميلُها هوَ» جازَ.

فإنْ فكَكْتَ الإِضافةَ وأَسقطتَ «هامة»، وقدمتَ «غيرَهُ» فقلتَ: «لن يضربَ هامةَ عمرٍو أَحدٌ غيرُهُ ضاربُها» لم يجزْ: لإِسقاطِكَ الهامةَ التي كنايتها الهاءُ في قولكَ: «ضاربُها»، ولا تجوزُ الكنايةُ عن غيرِ مذكورٍ في مثلِ هذا، فكذلكَ لا يجوزُ في البيتِ «شيءٌ سواهُ مميلُها» وهو يريدُ: شيءُ نفسٍ سواهُ مميلُها؛ لأَنَّ الهاءَ في قولهِ: «مميلها» كنايةٌ عن النفسِ؛ فلا يجوزُ إِسقاطُ النفسِ.

وهذا لعمري إِن كانَ البحتريُّ أَرادَهُ فهو غالطٌ، غير أَنهُ ـ والله أَعلمُ ـ إِنما أَرادَ فتًى لم يملْ بالنفسِ منهُ عن العلىٰ إِلىٰ غيرِها شيءٍ، بخفضِ «شيءٍ» علىٰ أَنَّ الممدوحَ هو الذي لم يملْ بنفسهِ عن العلىٰ إِلىٰ شيءٍ غيرِها، ثم قالَ «سواهُ مميلُها» علىٰ الابتداءِ والخبرِ؛ أَي لكنْ سواهُ منَ الناسِ مميلُها، فأَضمرَ «لكنْ» وهذا سائغٌ، وأَنشدَ سيبويه[1]:

عَلىٰ الحَكمِ الْمَأْتِيِّ يَوْمًا إِذَا قَضَىٰ ❊ قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ، وَيَقْصِدُ

قالَ: أَراد ولكنهُ يقصدُ، فأَضمرَ «لكنْ»، فلذلكَ رفعَ «يقصدُ».

(١) كتاب سيبويه: ٥٦/٣، ونسبه إلىٰ عبد الرحمن بن أم الحكم، ونسبه صاحب الخزانة إلىٰ أبي اللحام التغلبي، وهو شاعر جاهليٌّ اسمه (حريث) مصغر حارث: ٥٥٥/٨، ورواه في اللسان: (قصد) وصحح نسبه إلىٰ أبي اللحام، وفي الهامش: (طويل).

وعلىٰ أَنهُ مستعملٌ كثيرٌ فاشٍ في كلامِ الناسِ أَن يقولوا: زيدٌ لا يقعدُ عن المكارمِ وعمرٌو يقعدُ عنها، وأنا لا أَجفوكَ بكرٌ هو الجافي لكَ؛ فيكونَ الكلامُ مستغنيًا بنفسهِ؛ فلا يحتاجُ إِلىٰ إِضمارٍ.

فإنْ سَلِمَ البيتُ من عيبِ اللحنِ لم يَسْلَمْ من عيبِ التعسفِ، ولستُ أَعرفُ [١٣٣/١/أ] لهُ بيتًا تعسفَ في نظمهِ غيرَ هذا البيتِ.

١٦ ـ ومنْ رديءِ التجنيسِ وقبيحهِ قولهُ[1]:

أَمِنَّا أَن تصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ ❁ وَلِلْآمَالِ في يَدِكَ اصْطِراعُ

يريدُ: أَمنَّا أَنْ يغلبَكَ غالبٌ يَصْرعُكَ عن السماحِ ويمنعكَ منهُ، وللآمالِ في يدكَ اصطراعُ: أَي تنافسٌ وتغالبٌ وازدحامٌ، وقولُهُ: «في يدكَ»؛ لأَنَّ العطاءَ إِليها يُنْسبُ.

وقد جاءَ بهذه اللفظة في موضعٍ آخرَ، فقالَ يصفُ أَخلاقَ الممدوحِ[2]:

يَتَصَرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ الْـ ❁ ـمُزْنِ وَالْوَدْقُ خارِجٌ مِنْ خِلالِهْ

وهي ههنا أَقلُّ قبحًا منها في البيتِ الأَولِ، ولو كانَ قالَ: «يتدانين للرجاءِ دُنُوَّ المزنِ» كان أَحسَنَ في اللفظِ، وأَوْفَقَ من أَجلِ التجنيسِ، ولكن «يتصرعن» أَوكدُ في المعنىٰ؛ لأَنهُ بمعنىٰ[3] يتساقطنَ ويتطرَّحنَ، يريدُ الإسراعَ إِلىٰ الرجاءِ من غيرِ ترفُّقٍ ولا توقٍّ للانحطاطِ والوقوعِ، ليدلَّ علىٰ الحرصِ والشهوةِ.

---

(١) ديوانه: ١٢٤٦/٢، وفي الهامش: (وافر).

(٢) ديوانه: ١٨٤٣/٣، وفيه: (دنو الغيم)، وفي الهامش: (خفيف).

(٣) (بمعنىٰ) ساقطة من النسخ كلها، وهي لازمة للسياق.

وقد جاءَ بهذهِ اللفظةِ في موضعٍ آخرَ، وأَوقعَها موقعَ الذمِّ، فقالَ[1]:

مَـــنْ يَتَصَـــرَّعْ فَـــي إِثْـــرِ مَكْرُمَـــةٍ ❁ فَدَأْبُـــهُ فَـــي اتِّباعهَـــا دَأَبُـــهْ

يريدُ مَنْ يتساقطُ في إِثرِ مَكرُمةٍ إِذا سَعَىٰ لطلبِهَا ولم يكنْ لهُ نهوضٌ فيها فدأْبُ هذا الممدوحِ دأَبهُ المعروفُ المشهورُ منهُ، أَي: جِدُّه ولحَاقه، وحركَ الدأَبَ الثاني وسكَّنَ الأَولَ، ومعناهما واحدٌ.

ويجوزُ أَن يكونَ أَرادَ: فدَأْبهُ في اتباعها: أَي عادتُهُ في اتباعها دأبهُ، أَي: سَعْيُهُ وحَرَكتهُ، وهو أَجودُ.

١٧ ـ ومن رديءِ التجنيسِ أَيضًا قولُهُ[2]: [١٣٣/١/ب]

حُيِّيـــتِ بَـــلْ سُـــقِّيتِ مِـــنْ مَعْهُـــودَةٍ ❁ عَهْـــدِي غَـــدَتْ مَهْجُـــورَةً مَـــا تُعْهَـــدُ

ويروىٰ: «سُقيتِ من معمورةٍ» يخاطبُ الدِّمَنَ، أَي: عهدي بها معمورةٌ.

ومن رواهُ[3]: «معهودةٍ عهدي» أَي: عهدي بها معهودةٌ فغدتْ مهجورةً ما تعهدُ[4].

وقد يكونُ العهدُ من التعهُّدِ، ويكونُ قولُهُ: «ما تعهدُ» أَي: قد نُسِيتْ، وهذا يشبهُ تجنيساتِ أَبي تمامٍ.



(١) ديوانه: ٢٧٩/١، وفي الهامش: (منسرح)، وفيه: (في ابتغائها).

(٢) ديوانه: ٦٢٨/١، وفي الهامش: (كامل).

(٣) من قوله: (معمورة...) إلىٰ (ومن رواه...) مستدرك في الهامش.

(٤) قوله: (فغدت مهجورة ما تعهد) ساقطة من «ص».

وهذا بابٌ
في اضطرابِ الأوزانِ

وما رأَيتُ شيئًا مما عيبَ به أَبو تمامٍ إِلَّا وجدتُ في شعرِ البحتريِّ مثلَهُ، إِلا أَنهُ في شعرِ أَبي تمامٍ كثيرٌ وفي شعرِ البحتريِّ قليلٌ.

فمن ذلكَ اضطرابُ الأَوزانِ في شعرِ أَبي تمامٍ.

١ ـ وقد جاءَ في شعرِ البحتريِّ بيتٌ هو عندي أَقبحُ من كلِّ ما عيبَ بهِ أَبو تمامٍ في هذا البابِ، وهو قولُهُ[١]:

ولِمَاذا تَتَبَّعُ النَّفْسُ شَيْئًا ❊ جَعَلَ اللهُ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاءَ

وكذا وجدتُهُ في أَكثرِ النسخِ، وهذا خارجٌ عن الوزنِ، والبيتُ من العروضِ هو البيتُ الأَوَّلِ[٢] من الخفيفِ وهو سُداسِيٌّ وزنهُ:

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاتُنْ

وتقطيعه:

---

(١) ديوانه: ١/٤٠، وقال أبو العلاء المعري في عبث الوليد ـ وروى البيت ـ: («جعل الله الخلد منه بواءا»، كان في النسخة: «جعل الله الفردوس منه بواءا»، وهو كسر، والتغيير الذي ذكره ابن العميد: «جعل الله الخلد منه بواءا»، وقد جاء أبو عبادة في شعره بمثل هذا في غير موضع، من ذلك قوله:

وأحق الأيام بالحسن أن ❊ يؤثر عنه يوم المهرجان الكبير

تقويمه: ذو المهرجان، أو نحو ذلك، عبث الوليد)، علق عليه محمد عبد الله المدني، ص٢٦، دمشق سنة ١٩٢٥. وفي الهامش: (خفيف).

(٢) (البيت الأول) مصححة في الهامش.

وَلِمَاذَا تَتَبَّعُنْ نَفْسُشَيْئًا جَعَلْلَا هُلْ فِرْدوْسَمِنْ هُبَوَاءَ

فَعِلاتُنْ مَفَاعِلنْ فَاعِلاتُنْ فَعِلاتُنْ مُستفْعِلُنْ فَعِلاتُنْ

فَحُذفَ أَلفُ «فاعلاتُنْ» الأولىٰ والثانيةَ والأَخيرةَ، فصارتْ: «فعِلاتُنْ»، وسينَ «مستفعلن» الأولىٰ فصارتْ: «مَفَاعِلُنْ»، وذلك كلهُ زحافٌ جائزٌ.

وزادَ في البيتِ سَبَبًا، وهو حرفانِ: الهاءُ من اسمِ اللهِ تعالىٰ، واللامُ من لفظِ الفردوسِ وهو: هل[1]، ولا أعرفُ مثلَ هذا البيتِ.

وقد رأيتُ في بعضِ النسخِ: «جَعَلَ [١٣٤/١/أ] اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاءَ» فإن يكنْ هكذَا قالَ فقد تخلَّصَ من العيبِ، ويكونُ تقطيعُ البيتِ[2]:

جَعلَلْــــلَا هُلْخُلْـــد مِـــنْ هُبَـــوَاءَ

فعلاتـــــن مســـــتفعلن فعلاتـــــن

٢ ـ وقالَ البحتري[3]:

حَلَّأَتْنــا عَــنْ حاجَــةٍ مَمْنُــوعٍ ❊ مُبْتَغَاهــا وَحاجَــةٍ مَمْطُولَــهْ

وهذا من العروضِ هو البيتُ الأَولُ من الخفيفِ، وتقطيعُهُ:

حَلْلَأَتْنَا عَنْحَاجَتِنْ مَمْنُوعِنْ مُبْتَغاها وَحَاجَتِنْ مَمْطُولَهْ

فَاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولُنْ فَاعِلاتُنْ مَفَاعِلُنْ مَفْعولُنْ

وكانَ يجبُ أَن تكونَ عروضُ البيتِ ـ وهيَ «مفعولن» الأولىٰ ـ

---

(١) «م»: (وهو كفل).

(٢) «ص»: (البيت من مستفعلن هو أفعلان) تحريف.

(٣) ديوانه: ١٦٣٩/٣، وفي الهامش: (خفيف).

«فاعلاتن»، ولا يجوزُ فيها «مفعولن»، بلىٰ لو كانَ البيتُ مُصَرَّعًا لجازَ في عروضهِ «مفعولن» كما جازَ في ضَرْبهِ ـ وهي القافيةُ ـ وذلكَ قولُهُ: «ممطوله».

وأَما جَعْلهُ «مفاعلن» في موضعِ «مستفعلن» الثانيةِ في البيتِ، فذلكَ جائزٌ من الزِّحافِ.

وقد غيَّرَ قومٌ هذه اللفظةَ في البيتِ ـ وهي «ممنوع» ـ فقالوا: «بممنوعِ مبتغاها» أَي: حلَّأَتنا عن حاجةٍ بمانعٍ منعَ مبتغاها من عائقٍ أَو والٍ عليها، ويكونُ «مبتغاها» في موضعِ نصبٍ بممنوعٍ، وهو وجهٌ محتملٌ(١).

[قالَ أَبو القاسمِ الحسنُ بنُ بشرِ بنِ يَحيىٰ الآمِدِيُّ](٢):

وأَنا أَذكرُ بإِذنِ اللهِ الآنَ في هذا الجزءِ أَنواعَ المعاني التي يَتَّفقُ فيها الطائيان؛ وَأُوَازِنُ بين معنًىٰ ومعنًىٰ، وأَقولُ: أَيهما أَشعرُ في ذلكَ المعنىٰ بعينهِ، فلا تطالبني أَن أَتعدَّىٰ هذا إِلىٰ أَن أُفصحَ لكَ بأَيهما أَشعرُ عندي علىٰ الإِطلاقِ؛ فإِني غيرُ فاعلٍ ذلكَ؛ لأَنكَ إِنْ قَلَّدتني لمْ تحصلْ لكَ الفائدةُ بالتقليدِ.

وإِن طالبتَ بالعللِ والأَسبابِ التي أَوجبتْ التفضيلَ، فقد أَخبرتُكَ فيما تقدمَ بما أَحاطَ بهِ علمي مِنْ نَعْتِ مذهبيهما، وذكرِ مساويهما في [١/١٣٤/ب] سرقةِ المعاني من الناسِ، وغلطِهما في المعاني والأَلفاظِ، وفي إِساءَةِ مَنْ أَساءَ منهُما في الطِّباقِ والتجنيسِ والاستعارةِ ورَدَاءَةِ النظمِ واضطرابِ الوزنِ، وغيرِ ذلكَ مما أَوضحتُهُ في مواضعِهِ وبينتُهُ، وما سيعودُ ذكرهُ في الموازنةِ من هذه الأَنواعِ علىٰ ما يقودُهُ القولُ وتقتضيهِ الحجةُ، وما ستراهُ من محاسنهِمَا

---

(١) في الهامش: (آخر معايب البحتري).

(٢) الزيادة من «م»، «ط»، «ق».

وبدائعهما وعجيبِ اختراعاتِهما؛ فإني أُوقِعُ الكلامَ على جميعِ ذلكَ وعلى سائرِ أغراضِهِمَا ومعانيهِمَا في الأَشعارِ التي أُرتبها في الأبوابِ، وأَنصُّ على الجيدِ وأفضِّلهُ، وعلى الرديءِ وأَرذِّلُهِ؛ وأَذكرُ من عللِ الجميعِ ما ينتهي إِليهِ التلخيصُ، وتُحيطُ بهِ العبارةُ. ويبقى ما لا يمكنُ إخراجُهُ إِلى البيانِ، ولا إِظهارُهُ إِلى الاحتجاجِ، وهوَ علَّةُ مالا يُعْرفُ إِلا بالدُّرْبَةِ ودائمِ التجربةِ وطولِ الملابسةِ، وبهذا يَفْضُلُ أَهلُ الحذاقةِ بكلِّ علمٍ وصناعةٍ مَنْ سِواهم ممن نقصتْ تجربتُهُ، وقلَّتْ دُرْبَتُهُ، بعد أَنْ يكونَ هناكَ طَبْعٌ فيهِ تقبُّلٌ لتلكَ الصناعةِ وامتزاجٌ بها، وإِلَّا فلَا.

ثم أَكِلُكَ بعدَ هذا إِلى اختيارِكَ، وما تقضي عليهِ فِطْنَتُكَ وتمييزُكَ؛ فينبغي أَن تُنعِمَ النظرَ فيما يردُ عليكَ، ولن ينتفعَ بالنظرِ إِلا من يُحسنُ أَن يتأَملَ، ومن إِذا تأَملَ علمَ، ومن إِذا علم أَنْصَفَ.

ثم إِنَّ العلمَ بالشعرِ قد خُصَّ بأَن يَدَّعيهِ كلُّ أَحدٍ، وأَن يتعاطاهُ مَنْ ليسَ من أَهلهِ؛ فلم لا يدَّعي أَحدُ هؤلاءِ المعرفةَ بالعينِ والْوَرِقِ والخيلِ [١٣٥/١/أ] والسلاحِ والرقيقِ والبَزِّ والطيبِ وأَنواعهِ، ولعلهُ قد لابسَ من أَمرِ الخيلِ وركوبِها والسلاحِ والعملِ بهِ[١]، أَو الرقيقِ واقتنائهِ[٢] أَو الثيابِ ولبسِهَا أَو الطيبِ واستعمالِهِ أَكثَرَ مما عاناهُ من أَمرِ الشعرِ وروايتهِ؛ فلا يتَّهِمُ نفسَهُ في المعرفةِ [بالشعرِ][٣] تُهَمتَهُ إِياها بالمعرفةِ ببعضِ هذهِ الأَشياءِ مما عاناهُ وزاولهُ، وما بالُهُ ـ وقد ركبَ الخيلَ كثيرًا ـ لمَّا راقهُ من الفرسِ ملاحةُ سَبِيبهِ[٤]،

(١) «ص»: (والعمل بها)، «م»، «ط»، «ق»: (والعلم بذلك).
(٢) (واقتنائه) مستدركة في الهامش.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل وهو في «م»، «ط»، «ق».
(٤) في الأصل (شبيته) تحريف، والتصحيح من «م»، «ط»، «ق».
والسبيب: من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية. (اللسان: سبب).

واستدارةُ كَفَلِهِ، وبريقُ شعرهِ، وحسنُ إشراقهِ وجودةُ[1] حُضْرهِ توقفَ عن ابتياعهِ حتىٰ يشاورَ من يخبرُ أَمرَهُ في جنسهِ وعِتْقِهِ، وموضعِ نتاجهِ، وصحةِ قوائمهِ، وسلامةِ أَعضائهِ، وبراءَتهِ من العيوبِ الظاهرةِ والباطنةِ.

وكذلكَ السيفُ لَمَّا بَهَرَهُ جلاؤهُ، وصِقَالهُ وصَفاءُ حديدتهِ لم يعجلْ في[2] اختيارهِ علىٰ غيرهِ من السيوفِ، حتىٰ شاورَ مَنْ يعرفُ جنسَهُ[3] وطبعَهُ وجوهرَهُ وفِرِنْدَهُ ومضاءَهُ.

وكذلكَ لمَّا أَعجبَهُ من ثوبِ الوشي حسنُ طُرُوحهِ[4]، وكثرةُ صورهِ، وبديعُ نقوشهِ، واختلافُ أَلوانهِ، لم يبادرْ إلىٰ إِعْطاءِ ثمنهِ حتىٰ رجعَ إلىٰ أَهلِ العلمِ بجوهرهِ، وكثرةِ مائهِ، وجَوْدةِ رُقْعتهِ، وصحةِ نساجتهِ وخالصِ[5] إِبْرَيْسَمِهِ.

فكيفَ لم يفعلْ ذلكَ في الشعرِ لَمَّا رَاقَهُ حسنُ وَزْنهِ وقوافيهِ، ودقيقُ معانيهِ، وما يشتملُ عليهِ من مواعظَ وآدابٍ[6] وحكمٍ وأَمثالٍ؛ فلم يتوقَّفْ عن الحكمِ لهُ علىٰ ما سواهُ حتىٰ يرجعَ إلىٰ من هو أَعلمُ منهُ بأَلفاظهِ، واستواءِ نظمهِ، وصحةِ سبكهِ، ووضعِ الكلمِ منهُ في مواضعهِ، وكثرةِ مائهِ ورَوْنقهِ؛ إذ كانَ الشعرُ لا يُحكمُ لهُ بالجودةِ إلا بأَنْ تجتمعَ هذهِ الخلالُ فيه!

أَلا ترىٰ أَنهُ قد يكونُ فَرَسَانِ سليمانِ من كلِّ عيبٍ، موجودٌ فيهما سائرُ

(١) من قوله: (ملاحة سببه) إلىٰ قوله: (وجودة حضره) مستدركة في الهامش.

(٢) (فلم يعجل) ساقطة من «م».

(٣) «م»، والمطبوع: (حسنه).

(٤) «م»: (طرره)، «ط»، والمطبوع: (طرزه). طُروحه: عروضه، يقال: طرح عليه ثوبًا أي: عرض عليه.

(٥) «م»، والمطبوع: (خلاص). والخالص: ما صفا ونصع من الألوان. (اللسان: خلص).

(٦) «م»، «ط»، «ق» والمطبوع: (وأدب).

علاماتِ العِتْقِ والجودةِ [١/١٣٥/ب] والنجابةِ، ويكونُ أَحدُهما أَفضَلَ من الآخرِ بفَرْقٍ لا يعلمهُ إلا أَهلُ الخبرةِ والدُّرْبةِ[١] الطويلةِ.

وكذلكَ الجاريتانِ البارعتانِ في الجمالِ، المتقاربتانِ في الوصفِ، السليمتانِ من كلِّ عيبٍ؛ قد يَفْرقُ بينهما العالمُ بأَمرِ الرقيقِ، حتىٰ يجعلَ بينهما في الثمنِ فضلًا كبيرًا، فإذا قيلَ لهُ وللنخّاسِ: من أَين فضَّلْتَ أَنتَ هذه الجاريةَ علىٰ أختِها؟ ومن أَينَ فضلتَ أَنتَ هذا الفرسَ علىٰ صاحبهِ؟ لم يقدرْ علىٰ عبارةٍ توضحُ الفرقَ بَيْنَهما، وإنما يعرفهُ كلُّ واحدٍ منهما بطبعهِ، وكثرةِ دُرْبتهِ، وطولِ ملابستهِ.

وكذلكَ الشعرُ: قد يتقاربُ البيتانِ الجيِّدانِ النادرانِ، فيعلمُ أَهلُ العلمِ بصناعةِ الشعر أَيهما أَجودُ إن كانَ معناهُما واحدًا، أَو أَيهما أَجودُ في معناهُ إن كانَ معناهُما مختلفًا.

وقد ذكرَ هذا المعنىٰ بعينهِ محمدُ بنُ سَلّامٍ الجُمَحيُّ[٢] وأَبو عليٍّ: دِعْبِلُ ابنُ عليٍّ، في كِتابَيْهِمَا.

وحكىٰ إِسحاقُ الموصليُّ قالَ: قالَ لي المعتصمُ: أَخبرني عن معرفةِ النَّغَمِ وبَيِّنْهَا لي، فقلتُ: إِنَّ منَ الأَشياءِ أَشياءَ تُحيطُ بها المعرفةُ، ولا تؤديها الصفةُ.

قالَ: وسأَلني محمدُ الأَمينُ عن شعرينِ متقاربينِ، وقالَ: اخترْ أَحدَهما، فاخترتُ، فقالَ: من أَينَ فضلتَ هذا علىٰ هذا وهما متقاربانِ؟

فقلتُ: لوْ تَفاوتَا لأَمكنني التبيينُ، ولكنهما تقاربا وفضلتُ هذا بشيءٍ

---

(١) من قوله: (ويكون أحدهما....) إلىٰ قوله: (والدربة) مستدركة في الهامش.

(٢) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحي، ١/٥ وما بعدها، قرأه وشرحه محمود شاكر.

تشهدُ به الطبيعةُ ولا يعبرُ عنهُ اللسانُ.

وقيلَ لخلفِ الأحمر: إنكَ لا تزالَ تردُّ الشيءَ من الشعرِ، وتقولُ: هو رديءٌ، والناسُ يستحسنونَهُ!

فقالَ: إذا قالَ لكَ الصَّيْرفيُّ: إن هذا [١/١/١٣٦] الدرهمَ زائفٌ فاجهدْ جَهْدَكَ أَنْ تنفقَهُ فإنهُ لا ينفعكَ قولُ غيرهِ: إنهُ جيدٌ.

فمِنْ سبيلِ مَنْ عُرِفَ بكثرةِ النَّظَرِ في الشعرِ والارتياضِ بهِ وطولِ الملابسةِ لهُ، أَن يُقْضَىٰ لهُ بالعلمِ بالشعرِ والمعرفةِ بأَغراضهِ[١]، وأَن يسلَّمَ لهُ الحكمُ فيهِ، ويُقْبلَ منهُ ما يقولهُ، ويعملَ علىٰ ما يمثلهُ، ولا يُنازَعَ في شيءٍ من ذلكَ؛ إذْ كانَ من الواجبِ أَن يُسلِّمَ لأَهلَ كلِّ صناعةٍ صناعتُهم، ولا يخاصمُهمْ فيها، أو يُنازعهمْ[٢] إلا مَنْ كانَ مثلُهم نظيرًا في الخبرةِ وطولِ الدُّرْبَةِ والملابسةِ.

وإنهُ ليسَ في وُسْعِ كلِّ أَحدٍ منهمْ[٣] أَن يجعلكَ أَيها السائلُ المتعنتُ أَو المسترشدُ المتعلمُ في العلمِ بصناعتهِ كنفسهِ، ولا يجدُ إِلىٰ قذفِ ذلكَ في نفسكِ ولا في نفسِ ولدهِ أَو مَنْ هو أَخصُّ الناسِ به سبيلًا، ولا أَنْ يأْتيكَ بعلةٍ قاطعةٍ، ولا حجةٍ باهرةٍ، وإِن كانَ ما اعترضتَ بهِ اعتراضًا صحيحًا، وما سأَلتَ عنه سؤالاً مستقيمًا؛ لأَنَّ ما لا يدركُ إلا علىٰ طولِ الزمانِ ومرورِ الأَيامِ، لا يجوزُ أَن يحيطَ محيطٌ[٤] بهِ في ساعةٍ من نهارٍ.

---

(١) في الأصل و«ص»، «ر»: (بأعوانه) تحريف، والتصحيح من «م»، «ط»، «ق».

(٢) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (ولا ينازعهم).

(٣) (منهم) مستدركة في الهامش.

(٤) (محيط) مستدركة في الهامش.

ثم إِنَّ العلمَ بالذي لا يُعْلمُ في أَكثرِ أَحوالِهِ إِلا بالرؤْيةِ والمشافهةِ لا يعرفُ حقَّ المعرفةِ بالقولِ والصفةِ، وقد قيلَ: ليس الخبرُ كالمعاينةِ؛ وعلَّةُ ذلكَ بينةٌ واضحةٌ، ومعلومةٌ ظاهرةٌ، وهي: أَنهُ لا يمكنهُ أَن يشاهدَ بكَ[1] جميعَ المعلوماتِ التي اختبرها وعلمَ علمهُ منها[2] بملابستِهَا في السنينِ الطويلةِ، فمن المحالِ أَن يقدرَ علىٰ أَنْ[3] يصوِّرَ لكَ عشرةَ آلافِ فرسٍ أَو عشرةَ آلافِ جاريةٍ أَو عشرةَ آلافِ سيفٍ مختلفاتِ الأَجناسِ والجواهرِ والأَوصافِ[4] فيجعلكَ مشاهدًا لذلكَ كلِّهِ في لحظةٍ واحدةٍ ووقتٍ واحدٍ، مجريًا[5] لكَ كلَّ علةٍ وكلَّ حجةٍ وكلَّ نعتٍ وصفةٍ في كلِّ [١٣٦/١/ب] نوعٍ من ذلكَ وكلِّ جنسٍ في تلكَ الساعةِ، وهو إِنما عَلِمَ ذلكَ علىٰ مرورِ الأَيامِ وطولِ الزمانِ، وهذا محالٌ لا يمكنُ ولا يسوغُ ولا يقدرُ عليهِ أَحدٌ إِلَّا خالقُ الخلقِ وبارئُ النَّسَمِ[6].

وبعدُ: فلمَ لا تصدقُ نَفْسَكَ أَيها المدعي، وتعرفَنَا من أَينَ طرأَ عليكَ العلمُ بالشعرِ؟ أَمنْ أَجلِ أَنَّ عندكَ خزانةَ كتبٍ تشتملُ علىٰ عدةٍ من دواوينِ الشعراءِ؟ وأَنكَ ربما قَلَّبْتَ ذلكَ وتصفحتَهُ أَو حفظتَ القصيدةَ والخمسينَ منهُ؟

فإِن كانَ ذلكَ هوَ الذي قَوَّىٰ ظنكَ، ومَكَّنَ ثقتكَ بمعرفتكَ، فلمَ لمْ تدَّعِ المعرفَةَ بثيابِ بدنكَ ورحْلِ بيتكَ ونفقتكَ؟ فإِنكَ دائمًا تستعملُ ذلكَ وتستمتعُ بهِ، ولا تخلو من ملابستهِ، كما تخلو في كثيرٍ من الأَوقاتِ من ملابسةِ الشعرِ

---

(١) (بك) مستدركة في الهامش.

(٢) (منها) مستدركة في الهامش.

(٣) (أن) مستدركة في الهامش.

(٤) (والأوصاف) مستدركة في الهامش.

(٥) «م»، والمطبوع: (ومخبرًا).

(٦) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (بارئ البشر).

ودراستهِ، حتىٰ إِذا رُمْتَ تصريفَ دينارٍ بدراهمَ أَو تصريفَ دراهمَ بدنانيرَ أَو ابتياعَ ثوبٍ أَو شيءٍ من الآلةِ، لم تثقْ بفهمكَ ولا علمكَ حتىٰ ترجعَ إِلىٰ من يعرفُ ذلكَ دونكَ فتستعينُ بهِ علىٰ حاجتكَ، ولم لَمَّا خِفْتَ الغَبِينةَ في مالكَ فأَذعنتَ وسلَّمتَ وأَقررتَ بقلَّةِ المعرفةِ لم تخشَ الغبينةَ والوَكْسَ في عقلكَ فتسلِّمَ العلمَ بالشعرِ إِلىٰ أَهلِهِ؟ فإِنَّ الضررَ في غَبَنِ العقلِ أَعظمُ من الضررِ في غبنِ المالِ.

فإِن قلتَ: وما العلمُ بالبزِّ والخيلِ والرقيقِ والذهبِ والفضةِ التي لمْ يُطْبَعْ الإِنسانُ علىٰ المعرفةِ بها، والعلمِ بجيدِهَا ورديئِها كما طُبِعَ علىٰ الكلامِ؛ فكانَ كلُّ أَحدٍ يكونُ متكلمًا، وليسَ كلُّ أَحدٍ صيرفيًّا ولا بزازًا ولا نَخَاسًا، ولا كلُّ[1] أَحدٍ يكونُ شاعرًا، ولا خطيبًا، ولا في منطقهِ بارعًا ولا بليغًا، ولو كانَ ذلكَ كذلكَ [١٣٧/١/أ] لما رأَيتَ أَحدًا يتكلمُ فيُستحسنُ كلامُهُ[2] ولا يستعادَ، وآخرُ يتكلمُ فيُضْحَكُ منهُ، فالإِنسانُ المتكلمُ يعلمُ معانيَ أَلفاظِ لغتهِ، ولا يعلمُ جيدَها من رديئها ومُتَخَيَّرَها من مرذولِهَا، كما أَنهُ يعلمُ أَيضًا أَنواعَ الثيابِ والجواهرِ والخيلِ والرقيقِ، ويميزُ بين أَجناسها، ولا يعلمُ جَيِّدَ كلِّ جنسٍ من رديئهِ، وأَرْفَعَهُ من أَدونهُ، فكما أَنَّ المعرفةَ بكلِّ جنسٍ من هذهِ صناعةٌ، فكذلك المعرفةُ بأَجناسِ الكلامِ من الشعرِ والخطابةِ صناعةٌ، فإِذا رجعتَ في المعرفةِ بتلكَ إِلىٰ أَهلها، فارجعْ أَيضًا في المعرفةِ بهذهِ إِلىٰ أَهلها.

وبعدُ: فإِني أَدُلُّكَ علىٰ ما يَنْتهي بكَ إِلىٰ[3] البصيرةِ والعلمِ بأَمرِ نفسِكَ

---

(١) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (قيل ولا كل أحد).
ومن قوله: (يكون متكلمًا....) إلىٰ قوله: (يكون شاعرًا) مستدركة في الهامش.

(٢) (كلامه) مستدركة في الهامش. ومن قوله: (فيستحسن كلامه....) إلىٰ قوله: (أخر يتكلم) ساقطة من «م»، «ط»، «ق»، وفي الأصل: (يستفاد) تحريف. والتصحيح من «م»، «ط»، «ق».

(٣) (إلىٰ) مستدركة في الهامش.

في معرفتكَ بهذهِ الصناعةِ أَو الجهلِ بها ، وهو أَن تنظرَ ما أَجمعَ عليهِ الأَئمةُ في علمِ الشعرِ من تفضيلِ بعضِ الشعراءِ علىٰ بعضٍ ، فإِن عَرَفتَ علَّةَ ذلكَ فقد علمتَ ، وإِن لمْ تعرفْها فقد جهلتَ ، وذلكَ أَنْ تتأَملَ شعرَ أَوْسِ بنِ حجَرٍ والنابغةَ الجعديَّ ؛ فتنظرَ من أَين فَضَّلوا أَوسًا ؟ وتنظرَ في شعريْ بشرِ بنِ أَبي خازمٍ وتميمِ بنِ أُبَيِّ بنِ مُقْبِلٍ ، فتنظرَ من أَينَ فَضَّلوا بشرًا ؟

وأَخبرني بعضُ الشيوخِ عن أَبي العباسِ ثعلبٍ عن ابنِ الأَعرابيِّ عن المفضَّلِ: أَنَّ سائلاً سأَلهُ عن الرَّاعي وذي الرُّمَةِ أَيهما أَشعرُ؟ فصاحَ عليهِ صَيْحَةً منكرةً ؛ أَي لا يقاسُ ذو الرمةِ بالراعي ، وكذلك غَيْرُ المُفضَّلِ لا يقيسهُ بهِ ولا يقاربُ بينهما .

فتأَملْ أَيضًا شعرَيْ هذينِ فتنظرَ من أَينِ وقعَ تفضيلُ الراعي أَو غيرِ هؤلاءِ من شاعرين أُجمعَ علىٰ تفضيل أَحدِهما علىٰ الآخرِ فينظرَ من أَينَ وقعَ[1] التفضيلُ ؟

فهذا البابُ أَقربُ الأَشياءِ لكَ إِلىٰ أَنْ تعلمَ حالكَ في العلمِ بالشعرِ ونقدِهِ .

فإِن علمتَ [١/١٣٧/ب] من ذلكَ ما علموهُ ، ولاحتْ لكَ الطريقُ التي بها قَدَّموا مَنْ قَدَّموهُ وأَخَّرُوا مَنْ أَخَّروهُ ؛ فَثِقْ حينئذٍ بنفسكِ ، واحكمْ يُسمعْ حكمُكَ .

وإِن لمْ ينتهِ بكَ التأَمُّلُ إِلىٰ علمِ ذلكَ فاعلمْ أَنكَ بمَعْزِلٍ عن الصناعةِ ، ثم إِن كنتَ شاعرًا فلا تظهرنَّ شعرَكَ ، واكتمْهُ كما تكتمُ سِرَّكَ .

فإِنْ قلتَ : إِنَّه قد انتهىٰ بكَ التأَمُّلُ إِلىٰ علمِ ما[2] علموهُ ، لم يُقبلْ ذلك

---

(١) من قوله: (تفضيل الراعي....) إلىٰ قوله: (من أين وقع التفضيل) مستدركة في الهامش.

(٢) (ما) مستدركة في الهامش.

منكَ حتىٰ تذكرَ العللَ والأَسبابَ، فإن لم تقدرْ علىٰ تلخيصِ العبارةِ عن ذلكَ فحتىٰ تُعْلَمَ شواهدُهُ من فهمكَ، ودلائلُهُ من اختياراتكَ وتمييزكَ بين الجيدِ والرديءِ.

ثم إِنِّي أَقولُ بعدَ ذلكَ: لعلكَ ـ أَكرمكَ اللهُ ـ اغْتَرَرْتَ بأَنْ شارفتَ شيئًا من تقسيماتِ المنطقِ، أَو جُمَلًا من الكلامِ والجدلِ، أَو علمتَ أَبوابًا من الحلالِ والحرامِ، أَو حفظتَ صدرًا من اللغةِ، أَو اطَّلعتَ علىٰ بعضِ مقاييسِ العربيةِ، وأَنكَ لمَّا أَخذتَ بطرَفِ نوعٍ من هذه الأَنواعِ بمُعَاناةٍ ومزاولةٍ ومُتَّصِلِ عِنايةٍ، فتوجهتَ فيه ومهرتَ ظننتَ أَنَّ كلَّ ما لمْ تُلابسهُ من العلومِ ولم تزاولهُ يجري ذلكَ المجرىٰ[1]، وأَنكَ متىٰ تعرّضتَ لهُ وأَمْرَرْتَ قريحتكَ عليهِ نَفذَتْ فيهِ، وكشفتْ لكَ عن معانيه، هيهات! لقد ظننتَ باطلًا، ورُمْتَ عسيرًا؛ لأَنَّ العلمَ ـ من أَيّ نوعٍ كانَ ـ لا يدركُهُ طالبُهُ إِلا بالانقطاعِ إِليهِ، والإِكباب عليهِ، والجدِّ فيهِ، والحرصِ علىٰ معرفةِ أَسرارِهِ وغوامضِهِ.

ثم قدْ يتأَتىٰ جنسٌ من العلومِ لطالبهِ ويتسهَّلُ، ويمتنعُ عليهِ جنسٌ آخرَ ويتعذَّرُ؛ لأَنَّ كلَّ امرئٍ إِنما ييسرُ له ما في طينتهِ قبولُهُ، وما في طباعهِ تعلُّمُهُ.

فينبغي ـ أَصلحكَ اللهُ ـ [١٣٨/١/أ] أَن تَقَفَ حيث وُقِفَ بكَ، وتقنعَ بما قُسمَ لكَ، ولا تتعدىٰ إِلىٰ ما ليسَ من شأَنكَ ولا من[2] صناعتِكَ.



(١) (المجرىٰ) مستدركة في الهامش.

(٢) (من) مستدركة في الهامش.

بابٌ
في فضلِ أبي تمامٍ

وجدتُ أَهلَ النَّصَفَةِ من أَصحابِ البحتريِّ، ومَنْ يُقَدِّمُ مطبوعَ الشعرِ دونَ متكلَّفِهِ، لا يَدْفَعُون أَبا تمامٍ عن لَطيفِ المعاني ودقيقِهَا، والإِبداعِ والإِغرابِ فيها، والاستنباطِ لها، ويقولونَ: إِنَّهُ وإِنْ اخْتَلَّ في بعضِ ما يوردُهُ منها فإِنَّ الذي يوجدُ فيها منَ النادرِ المستحسنِ أَكثرُ مما يوجدُ من السَّخيفِ المُستَرْذلِ، وإِنَّ اهتمامَهُ بمعانيهِ أَكثرُ من اهتمامهِ بتقويمِ أَلفاظِهِ، على شدةِ غرامِهِ بالطباقِ والتجنيسِ والمماثلةِ، وإِنهُ إِذا لاحَ لهُ أَخرجَهُ بأَيِّ لفظٍ استوى من ضعيفٍ أَو قويٍّ.

وهذا من أَعدلِ ما سمعتُهُ منَ القولِ فيهِ.

وإِذا كانَ هذا هكذَا فقدْ سلَّموا لهُ الشيءَ الذي هو ضَالَّةُ الشعراءِ وطَلِبَتهُم(١)، وهو لطيفُ المعاني.

وبهذه الخَلَّةِ دونَ ما سواها فُضِّلَ امرؤ القيسِ؛ لأَنَّ الذي في شعرهِ ـ من دقيقِ المعاني وبديعِ الوصفِ ولطيفِ التشبيهِ وبديعِ الحكمةِ ـ فوقَ ما في أَشعارِ سائرِ الشعراءِ من الجاهليةِ والإِسلام، حتى إِنهُ لا تكادُ تخلو له قصيدةٌ واحدةٌ من أَنْ تشتملَ من ذلكَ على نوعٍ أَو أَنواعٍ، ولولا لطيفُ المعاني، واجتهادُ امرئ القيسِ فيها، وإِقبالهِ قِبَلَها لما تقدَّمَ على غيرهِ؛ ولَكانَ كسائرِ الشعراءِ من أَهلِ زمانهِ، إِذ ليستْ لهُ فصاحةٌ توصفُ بالزيادةِ على فصاحتِهِمْ،

(١) (طَلِبَتهُم) بكسر اللام: الحاجة (اللسان: طلب).

ولا لألفاظِهِ منَ الْجَزالةِ والقوةِ ما ليسَ لألفاظِهِمْ.

أَلا ترىٰ أَنَّ العلماءَ بالشعرِ إِنما احتجُّوا في تقديمهِ بأَنْ قالوا: هو أَولُ من شَبَّهَ الخيلَ بالعِصِيِّ، وبالوحشِ والطيرِ، [١/١٣٨/ب] وأَولُ من قالَ كذَا وقالَ كذَا، من قيدِ الأوابدِ وغيرهِ[١]، فهلْ هذا التقديمُ لهُ إِلا من أَجلِ معانيهِ؟

وقالُوا: وماذا يكونُ إذا[٢] اضطربَ لفظُ أَبي تمامٍ واختلَّ في بعضِ المواضعِ، وهلْ خلا من ذلكَ شاعرٌ قديمٌ أَو محدَثٌ؟

هذا الأَعشىٰ يَختلُّ لفظهُ كثيرًا، ويُسَفْسِفُ دائمًا، ويرقُّ ويضعفُ، ولم يجهلوا حقَّهُ وفَضْلَهُ حتىٰ جعلوهُ نظيرًا للنابغةِ، وأَلفاظُ النابغةِ في الغايةِ منَ البراعةِ والحسنِ، وعديلاً لزهيرِ الذي صَرَفَ اهتمامَهُ كلَّهُ إِلىٰ تهذيبِ أَلفاظهِ وتقويمها، وأَلحقوهُ بامرئ القيسِ الذي جمعَ الفضيلتينِ؛ فجعلوهمْ طبقةً، وصارَ فضلُ كلِّ واحدٍ من غيرِ الوجهِ الذي فُضِّلَ بهِ[٣] صاحبُهُ.

ولو أَنَّ أَبا تمامٍ حتىٰ يخلوَ من كلِّ لفظٍ جيدٍ البتةَ، أَو لو أَنَّهُ قالَ بالفارسيةِ أَو الهنديةِ[٤]:

وَإِذا أَرَادَ اللهُ نَشْــرَ فَضِــيلَةٍ ❊ طُوِيَــتْ أَتَــاحَ لَهــا لِسَــانَ حَسُــودِ
لَــوْلا اشْـتِعَالُ النَّــارِ فِيمــا جَـاوَرَتْ ❊ مَا كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ[٥]

أَو قالَ[٦]:

(١) «م»، «ق»، والمطبوع: (وأول من قيدّ الأوابد وقال كذا وقال كذا).
(٢) «م»، «ط»، «ق»: (وإذا يكون قد اضطرب).
(٣) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (فضل منه).
(٤) سبقا في ١/٣٣٢، ٢/٢٢.
(٥) (عَرْف) مستدركة في الهامش.
(٦) شرح الصولي: ١/٤٣٠، شرح التبريزي: ٢/٢٣. وفي الهامش: (طويل).

هِـيَ البَـدْرُ يُغْنِيهَـا تَـوَدُّدُ وَجْهِهَـا ❁ إِلى كـلِّ مَـنْ لاقَـتْ وَإِنْ لَـمْ تَـوَدَّدِ

أَو ما أَشبهَ هذا من بدائعهِ حتى يُفَسَّرَ لنا ذلك مفسرٌ بكلامٍ عربي منثورٍ ، أَما كانَ يكونُ هذا شاعرًا محسنًا يثابرُ شعراءُ زمانهِ من أَهلِ اللغةِ العربيةِ على طلبِ شعرهِ وتفسيرهِ واستعارةِ معانيه؟ فكيفَ وبدائعُهُ المشهورةُ ، ومحاسنهُ المتداولةُ ، لم تأتِ إِلا بأَبلغِ لفظٍ وأَحسنِ سَبْكٍ؟



[١٣٩/١/أ]

بابٌ
في فضلِ البحتريِّ



ووجدتُ أكثرَ أَصحابِ أَبي تمامٍ لا يَدْفَعُ البحتريَّ عن حُلْوِ اللفظِ، وجَوْدةِ الرّصفِ، وحُسنِ الديباجةِ، وكثرةِ الماءِ؛ وأَنَّهُ أَقربُ مأْخذًا، وأَسلمُ طريقةً من أَبي تمامٍ، ثم يحكمونَ ـ معَ هذا ـ أَنَّ أَبا تمامٍ أَشْعَرُ منهُ.

وقد شاهدتُ وخاطبتُ منهمْ على ذلكَ عددًا كثيرًا.

وهذا مذهبُ مَنْ جُلُّ ما يراعيهِ من أَمرِ الشعرِ دقيقُ المعاني، ودقيقُ المعاني موجودٌ في كلِّ أمةٍ، وفي كلِّ لغةٍ.

وليسَ الشعرُ عندَ أَهلِ العلم بهِ إِلا حُسْنَ التأَتّي، وقربَ المأخذِ، واختيارَ الكَلِمِ[١]، ووَضْعَ الأَلفاظِ في مواضعها، وأَن يوردَ المعنى باللفظِ المعتادِ فيهِ المستعملِ في مثلهِ، وأَن تكونَ الاستعاراتُ والتمثيلاتُ لائقةً بما اسْتعيرتْ لهُ وغيرَ منافرةٍ[٢] لمعناهُ؛ فإِنَّ الكلامَ لا يكتسي البهاءَ والرَّوْنَقَ إِلا إِذا كانَ بهذا الوصفِ، وتلكَ طريقةُ البحتريِّ.

قالوا: وهذا أَصلٌ يحتاجُ إِليهِ الشاعرُ والخطيبُ صاحبُ النثرِ؛ لأَنَّ الشعرَ أَجودُهُ أَبلغُهُ، والبلاغةُ إِنما هي إصابةُ المعنى وإِدراكُ الغرضِ بأَلفاظٍ سَهْلةٍ عذْبةٍ مستعملةٍ سليمةٍ من التكلّفِ كافيةٍ، لا تبلغُ الهَذَرَ الزائدَ على قدرِ

(١) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (الكلام).

(٢) في الأصل، «ص»: (نافرة).

الحاجةِ، ولا تنقصُ نقصانًا يقفُ دونَ الغايةِ، وذلكَ كما قالَ البحتريُّ[1]:

والشعرُ لَمْحٌ تكْفي إِشَارَتُهُ ❊ وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهُ

وكما قال أَيضًا[2]:

وَمَعانٍ لَوْ فَصَّلَتْها القَوافي ❊ هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلامِ اخْتِيارًا ❊ وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعقِيدِ

[١٣٩/١/ب] وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكْـ ❊ ـنَ بِهِ غَايَةَ المُرَادِ البَعيدِ

فإِن اتفقَ ـ مع هذا ـ معنىً لطيفٌ، أَو حكمةٌ غريبةٌ، أَو أَدبٌ حسنٌ؛ فذاكَ زائدٌ في بهاءِ الكلامِ، وإِنْ لمْ يتفقْ فقد قامَ الكلامُ بنفسهِ، واستغنىٰ عما سواهُ.

قالوا: وإِذا كانتْ طريقةُ الشاعرِ غيرَ هذه الطريقةِ، وكانتْ عبارتُهُ مقصرةً عنها، ولسانُهُ غيرَ مدركٍ لها حتىٰ يعتمدَ دقيقَ المعاني من فلسفةِ يونانٍ أَو حكمةِ الهندِ أَو آدابِ الفرسِ[3]، ويكونُ أَكثرُ ما يوردُهُ منها بأَلفاظٍ متعسفةٍ ونَسْجٍ مضطربٍ، وإِن اتفقَ في تضاعيفِ ذلكَ شيءٌ من صحيحِ الرصفِ[4]، وسليمِ النظمِ، قلنا لهُ: قد جئتَ بحكمةٍ وفلسفةٍ ومعانٍ لطيفةٍ حسنةٍ، فإِنْ شئتَ دعوناكَ حكيمًا، أَو سميناكَ فيلسوفًا، ولكن لا نسميكَ شاعرًا، ولا ندعوكَ بليغًا؛ لأَنَّ طريقتَكَ ليستْ علىٰ طريقةِ العربِ، ولا مذاهِبِهِمْ، فإِنْ سَمَّيناكَ بذلكَ لم نُلْحقكَ بدرجةِ البلغاءِ ولا المحسنينَ الفصحاءِ.

---

(١) ديوانه: ٢٠٩/١، وفي الهامش: (منسرح).

(٢) ديوانه: ٦٣٨/١، وفي الهامش: (خفيف).

(٣) «م»، والمطبوع: (حكمة الهند أو أدب...).

(٤) «ص»: (صحيح الوصف...)، «م»، «ط»، «ق»: (صحيح الوصف وسليمه)، و(النظم) مستدركة في هامش الأصل.

وينبغي أَنْ تعلمَ أَنَّ سوءَ التأليفِ، ورداءَةَ اللفظِ، يَذهَبُ بطلاوةِ المعنىٰ الدقيقِ ويفسدُهُ ويعمِّيهُ حتىٰ يحوجَ مستَمِعَهُ إِلىٰ طولِ تأَملٍ، وهذا مذهبُ أَبي تمامٍ في عُظْمِ شعرهِ.

وحسنُ التأليفِ، وبراعةُ اللفظِ، يزيدُ المعنىٰ المكشوفَ بهاءً وحسنًا ورَوْنَقًا، حتىٰ كأَنَّهُ قد أَحدثَ فيهِ غرابةً لم تكنْ، وزيادةً لم تُعهدْ، وذلكَ مذهبُ البحتريِّ، ولهذا قالَ الناسُ: لشعرهِ ديباجةٌ، ولم يقولوا ذلكَ في شعرِ أَبي تمامٍ.

وإِذا جاءَ لطيفُ المعاني في غيرِ بلاغةٍ، ولا سَبكٍ جيدٍ، ولا لفظٍ حسنٍ، كانَ ذلكَ [١٤٠/١/١] مثلُ الطرازِ الجديدِ(١) علىٰ الثوبِ الْخَلقِ، أَو نقشِ العبيرِ علىٰ خدِّ الجاريةِ القبيحةِ الوجهِ.

وأَنا أَجمعُ لكَ معانيَ هذا البابِ في كلماتٍ سمعتُها من شيوخِ أَهلِ العلمِ بالشعرِ: زعموا أَنَّ صناعةَ الشعرِ وغيرَها من سائرِ الصناعاتِ لا تجودُ وتستحكمُ إِلا بأَربعةِ أَشياءٍ وهيَ: جودةُ الآلةِ، وإِصابةُ الغرضِ المقصودِ، وصحةُ التأليفِ، والانتهاءُ إِلىٰ تمامِ الصنعةِ من غيرِ نقصٍ فيها ولا زيادةٍ عليها.

[وهذهِ الخِلالُ الأَربعُ ليستْ في الصناعاتِ وحدَها](٢)، بل هي موجودةٌ في جميعِ الحيوانِ والنباتِ.

ذَكَرَتِ الأَوائلُ أَنَّ كلَّ مُحدَثٍ مصنوعٍ يحتاجُ إِلىٰ أَربعةِ أَشياءَ: علَّةٌ هيولانيةٌ، وهي الأَصلُ، وعلةٌ صوريةٌ، وعلةٌ فاعلةٌ، وعلةٌ تماميةٌ.

---

(١) «م»، والمطبوع: (الطراز الجيد) تحريف.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو في باقي النسخ.

فأَما الهيولانيةُ فإِنَّهم يعنونَ: الطينةَ التي يبتدعُها الباري ﷻ، ويخترُعها ليصوِّرَ ما شاءَ تصويرَه منها، والعلةُ الصوريةُ: هي المعنىٰ الذي يقصدُ الباري - ﷻ - تصويرَهُ[1] من رجلٍ أَو فرسٍ أَو جملٍ أو غيرِها من الحيوانِ، أَو بُرَّةٍ[2] أَو كَرْمَةٍ أَو نخلةٍ أَو سِدْرَةٍ أَو غيرِها من سائرِ أَنواعِ النباتِ.

والعلةُ الفاعلةُ: هي تأليفُ الباري ﷻ لتلكَ الصورةِ[3].

والعلةُ التماميةُ هي: أَنْ يُتمَّهَا تباركَ اسمهُ، ويفرغَ من تصويرِها من غيرِ انتقاصٍ منها.

وكذلكَ الصانعُ المخلوقُ في مصنوعاتهِ التي علَّمهُ اللهُ ﷻ إِياها، لا تستقيمُ لهُ وتَجُودُ إِلا بهذهِ الأَربعةِ الأَشياءِ؛ وهي:

آلةٌ يستجيدُها ويتخيرُها مثلُ: خشبِ النجارِ، وفضةِ الصائغِ، وآجُرِّ البنَّاءِ، وأَلفاظِ الشاعرِ والخطيبِ، وهذه هي العلةُ الهيولانيةُ التي قدموا ذكرَها وجعلوها الأَصلَ.

ثم إِصابةُ الغرضِ فيما يقصدُ الصانعُ صَنْعَتَهُ، وهي العلةُ الصُّوريةُ التي ذكرُوها.

ثم صحةُ التأليفِ حتىٰ لا يقعَ فيه خللٌ [١/١٤٠/ب] ولا اضطرابٌ، وهي العلةُ الفاعلةُ.

ثم أَنْ ينتهيَ الصانعُ إِلىٰ تمامِ صنعتِهِ من غير نقصٍ منها ولا زيادةٍ عليها،

(١) من قوله: (منها والعلة الصورية) إلىٰ قوله: (من رجل) مستدركة في الهامش، وهي ساقطة من «ص»، «م».
(٢) البرة: واحدة البرّ، وهو القمح: (اللسان: برر).
(٣) من قوله: (والعلة الفاعلة) إلىٰ (الصورة) ساقطة من المطبوع.

وهي العلةُ التماميةُ.

فهذا قولٌ جامعٌ لكلِّ الصناعاتِ والمخلوقاتِ.

فإن اتّفقَ الآنَ لكلِّ صانعٍ بعدَ هذهِ الدعائمِ الأَربعِ أَن يُحْدِثَ في صنعتهِ معنىٰ لطيفًا مستغربًا كما قلنا في الشعرِ من حيثُ لا يخرجُ عن الغرضِ، فذلكَ زائدٌ في حُسْنِ صنعتهِ وجوْدتها، وإلا فالصنعةُ قائمةٌ بنفسِها مستغنيةٌ عمَّا سواها.

وقد ذكَرَ بُزُرْجمَهر[1] فضائلَ الكلامِ ورذائَلهُ، وبعضَ ذلكَ داخلٌ في الشعرِ، فقالَ: إنَّ فضائلَ الكلامِ خَمْسٌ إن نقصتْ منها فضيلةٌ واحدةٌ سَقَطَ فضلُ سائرِها، وهيَ: أَن يكونَ الكلامُ صدقًا، وأَن يوقَعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ، وأَنْ يُتكلمَ بهِ في حينهِ، وأَن يحسنَ تأليفُهُ، وأَن يُستعملَ منهُ مقدارُ الحاجةِ.

قالَ: ورذائلُهُ بالضدِّ من ذلكَ[2]؛ فإنهُ إن كانَ صدقًا ولم يُوقَعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ بطلُ فضلُ الصدقِ منهُ.

وإن كانَ صدقًا، وأُوقعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ، ولم يُتكلمْ بهِ في حينهِ، لم يغنهِ الصدقُ ولم يُنتفعْ بهِ.

وإن كانَ صدقًا، وأُوقعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ، وتُكلِّم بهِ في حينهِ، ولمْ يحسنْ تأليفهُ، لم يستقرَّ في قلبِ مستمعِهِ، وبطلُ فضلُ الخلالِ الثلاثِ منهُ.

وإن كانَ صدقًا، وأوقعَ موقعَ الانتفاعِ بهِ، وتكلمَ بهِ في حينهِ، وأَحسنَ تأليفهُ، ثم استعملُ منه فوقَ الحاجةِ، خرجَ إلىٰ الْهَذَرِ، أَو نقصَ عن التمامِ،

---

(١) بزرْجمهر بن البختكان، كان وزيرًا لأنوشروان، وكان رجلاً حكيمًا عالمًا، ذكر اسمه في بعض الأعمال الهامة في الأدب الفارسي، وعلىٰ الأخص في الشهنامة، تنسب إليه الكثير من الحكم والأمثال.

(٢) (من ذلك) مستدركة في الهامش.

صارَ مبتورًا وسقطَ منه فضلُ الخلالِ كلِّها.

[١٤١/١/أ] وهذا إِنما أَرادَ به بُزُرْجَمَهر الكلامَ المنثورَ الذي يخاطبُ به الملوكُ، ويقدّمهُ المتكلمُ أَمامُ حاجتهِ، والشاعرُ لا يطالَبُ بأَن يكونَ قولهُ صدقًا، ولا أَن يوقعهُ موقعَ الانتفاعِ بهِ؛ لأَنهُ قد يقصدُ إِلىٰ أَنْ يوقعَهُ موقعَ الضررِ، ولا أَن يجعلَ لهُ وقتًا دونَ وقتٍ، وَبقِيَتِ الخُلتان الأَخْرَيان وهما واجبتان في شعرِ كلِّ شاعرٍ. وذلكَ: أَن يحسنَ تأليفُهُ، ولا يزيدَ فيه شيئًا علىٰ قَدْرِ حاجتهِ.

فصحةُ التأْليفِ في الشعرِ وفي كلِّ صناعةٍ هي أَقوىٰ دعائمِهِ بعدَ صحةِ المعنىٰ، فكلُّ مَنْ كانَ أَصحَّ تأليفًا كان أَقومَ بتلكَ الصناعةِ ممن اضطربَ تأليفُهُ.

وقد انتهيتُ الآنَ إِلىٰ الْمُوَازَنةِ بينهما، [٣/ص/أ] وكانَ(١) الأَحسنُ أَنْ أوازنَ بين البيتينِ أَو القطعتينِ إِذا اتفقتا في الوزنِ والقافيةِ وإِعْرابِ القافيةِ، ولكنَّ هذا لا يكادُ يتفقُ معَ اتفاقِ المعاني التي إِليها المقصدُ، وهي المرمىٰ والغرضُ، وباللهِ أَستعينُ علىٰ مجاهدةِ النفسِ، ومخالفةِ الهوىٰ، وتَرْكِ التحاملِ؛ فإِنَّه جلَّ اسمهُ حسبي ونعمَ الوكيلُ(٢).

---

(١) في أول الصفحة من الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية «ص» جاءت البسملة.

(٢) هذا آخر نسخة الأصل من الجزء الأول، وكذلك الجزء الأول من «ص»، وتستمر باقي النسخ في ذكر أبواب الموازنة وينتهي بعضها في مواضع سوف أذكرها بإذن الله.
والآن سوف يكون الاعتماد علىٰ الجزء الثاني من نسخة دار الكتب المصرية «ص» لأنها أفضل من باقي النسخ ضبطًا وصحة، ولأنها كما ورد في لوحة ١٨٩/أ منها مقابلة بنسخة العديني، وهي النسخة الأم لنسخة «ص» الأصل التي بدأ بها الجزء الأول.
وجاء في هامش الصفحة الأولىٰ من الجزء الثاني من نسخة «ص». (وهذا آخر الموازنة التي بأيدي الناس، ومن هنا الزيادة الحسنة).

وأَنا أَبتدئُ بإِذنِ اللهِ من ذلكَ بما افتتحا بهِ القولَ: من ذكرِ الوقوفِ علىٰ الديارِ والآثارِ، ووصفِ الدِّمَنِ والأَطلالِ، والسلامِ عليها، وتَعفيةِ الدهورِ والأَزمانِ والرياحِ والأَمطارِ إِياها، والدعاءِ بالسُّقيا لها والبكاءِ فيها، وذكرِ استعجامِها عن جوابِ سائِلها، وما يَخْلُفُ قَطِينَها الذين كانوا حُلُولاً بها منَ الوحشِ، وفي تعنيفِ الأَصحابِ[1] ولومهمْ علىٰ الوقوفِ عليها، ونحوُ هذا مما يتصلُ بهِ من أَوصافِهَا ونعوتِهَا، وأُقَدِّمُ من ذلكَ ذكرَ ابتداءَاتِ قصائدِهما[2] في هذهِ المعاني، إِن شاءَ اللهُ[3].



(١) «م»: (الصحابة).

(٢) «م»: (قصائدهم).

(٣) (إن شاء الله) ساقطة من باقي النسخ وهي في «م».

الابتداءاتُ بذكرِ الوقوفِ على الديارِ

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[1]:

[٣/ص/ب] مَا فِي وقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ ❊ نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

وهذا ابتداءٌ جيدٌ بالغٌ.

وقولهُ: «الأَدْرَاسَ» جمعُ دارسٍ، وقلَّما[2] يُجمعُ فاعلٌ على أَفعالٍ، ومنهُ[3]: شاهدٌ وأَشهادٌ، وماجدٌ وأَمجادٌ، وصاحبٌ وأَصحابٌ.

٢ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالْمَعَاهِدِ ❊ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ ناشِدِ

[أَرادَ لنشدانِ الناشدِ][5] الذي يقولُ: أَينَ أَهلُكِ يا دارُ؟ كما ينشدُ الناشدُ الضَّالةَ إِذا طلبَها.

٣ ـ وقالَ أَيضًا[6]:

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارسَاتِ عُلاثَا ❊ أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا

علاثةُ: اسمُ صاحبهِ، أَرادَ: قفْ يا عُلاثةُ.

---

(١) شرح الصولي: ١/٥٦٩، وشرح التبريزي: ٢/٢٤٢، والبيت من الكامل.

(٢) في «م»، «ط»، «ق»: (وقليل)، وهي ساقطة من: «ر».

(٣) «م»، «ط»، «ق»: (ومثله).

(٤) شرح الصولي: ١/٤٥٩، شرح التبريزي: ٣/٦٨، والبيت من الطويل.

(٥) «ص»، «ر»: (أراد أن ينشد أن الناشد) تحريف. والتصحيح من باقي النسخ.

(٦) شرح الصولي: ١/٣٤٩، شرح التبريزي: ١/٣١١، والبيت من الكامل.

وهذانِ ابتداءَانِ صالحانِ.

٤ ـ وقالَ أيضًا(١):

قِــفْ نُــؤَبِّنْ كِنَــاسَ ذاكَ الْغَــزَالِ ❁ إِنَّ فِيهــــا لَمَسْـــرَحًا لِلْمَقَـــالِ

التأبينُ: مَدحُ الهالكِ، الكِناسُ هنا: الرَّبْعُ، وإنما يريدُ الْخَيْمَةَ أَو البيتَ من بيوتهمْ، سماهُ كناسًا لأَنهُ جَعَلَ المرأَةُ غَزَالًا، أَي قِف بنا نَنْدبُهُ فإِن المقالَ يتَّسعُ فيهِ.

وهذا أَيضًا بيتٌ جيدٌ ومعنىٰ حسنٌ مستقيمٌ.

٥ ـ وقالَ(٢): [٤/ص/أ]

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ ❁ وَابْلُـلْ غَلِيلَـكَ بِالْمَـدَامِعِ يُبْلَـلِ

وهذا معنىٰ ظريفٌ، وقد جاءَ مثلهُ في الشعرِ، قالَ الأَصمُّ الباهليُّ ـ واسمهُ عبدُ اللهِ بنُ الحجاجِ(٣) ـ ولا أَعرفُ غيرَهُ، وأَظنُّ أَبا تمامٍ عثَرَ بهِ، واحتذىٰ عليهِ؛ لأَنهُ كانَ مُولعًا بغرائبِ الأَلفاظِ والمعاني:

أَتَنْــزِلُ الْيَــوْمَ بِــالأَطْلالِ أَمْ تَقِــفُ ❁ لا بَلْ قِفِ الْعِيسَ حَتَّىٰ يَمْضِيَ السَّلَفُ

---

(١) هذا مطلع قصيدة لم ترد في شرح الصولي أو شرح التبريزي، ووجدتها في نسخ أخرىٰ لديوانه مخطوطة، انظر تخريجها في ١٨٥/٣. والبيت من الخفيف.

(٢) شرح الصولي: ٢٤٢/٣، شرح التبريزي: ٣٢/٣ والبيت من الكامل.

وقال أبو العلاء: (يقول: شوقك يعظم أن يكون وقوفك كفوًا له، فانزل بمطيتك في هذا الربع، لأنه يستحق أن ينزل فيه، و«تُبْلل» من أبل المريض، إذا برأ، يقال بَلَّ وأَبَلَّ، فإن قيْل: «تَبلَلِ» بفتح التاء، فحسن لأنه يحمل علىٰ بَلَّ).

(٣) المؤتلف والمختلف: ص٥٣، والأصم الباهلي: هو عبد الله بن الحجاج بن كلثوم، شاعر إسلامي له قصائد يهجو بها الفرزدق. ولم أجد البيت في المصادر التي بين يدي.

السلفُ: المتقدمونَ، وإنما قالَ ذلك لأَنَّ الوقوفَ على الديارِ إنما هو وقوفُ المطيِّ، لا يكادونَ يذكرونَ نزولاً.

وأَنشدَ منشدٌ قولَ كُثَيِّرٍ وهوَ(١) يسمعُ(٢):

وَقَضَّيْنَ مَا قَضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِي ❊ بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِدًا أَتَلَدَّدُ

فقالَ كُثيِّرٌ: ما قلتُ كذا، أَتراني قاعدًا أَصنعُ ماذَا؟ قيلَ: فجالسًا؟ قالَ: ولا هذا! أجالسًا كنتُ أَبْولُ، قيلَ: فما قلتَ؟ قالَ: واقفًا، يريدُ واقفًا على مطيتهِ، فهذا هو المعروفُ من عاداتهمْ.

وقد قالَ كُثيِّرٌ(٣):

خَلِيلَيَّ هـذَا رسمُ عَـزَّةَ فَـاعْقِلَا ❊ قَلُوصَيْكُمَا ثُـمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

[٤/ص/ب] والقَلُوصُ لا يَعْقِلُها راكبُها إلا إذا نزلَ عنها، والعَقْلُ فوقَ الركبةِ.

١ ـ وقالَ البحتريُّ(٤):

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وُقُوفِ الرِّكَابِ ❊ فِي مَغَانِي الصِّبا وَرَسْمِ التَّصَابِي

التصابي: التفاعلُ من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاقَ، وإذا فعَلَ فِعْلَ الصبيِّ(٥).

٢ ـ وقالَ أَيضًا(٦):

---

(١) «م»، «ط»، «ق»: (وكثير يسمع).

(٢) ديوانه، ص٤٣٥، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧١. وفيه: (وأجمعن بينا عاجلاً وتركني ❊ قائمًا...)، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ص٩٥، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ١/٨٣، والبيت من الخفيف.

(٥) من قوله: (التصابي...) إلى قوله: (الصبيِّ) مستدرك في هامش النسخة.

(٦) ديوانه: ٣/١٧٦٦، والبيت من الخفيف.

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَـاحْبِسْ قَلِـيلا ❊ مُقْصِـرًا مِـنْ مَلامَتِـي أَوْ مُطِـيلَا

[وهذان ابتداءَان في غايةِ البراعةِ والجودةِ][1].

٣ ـ وقالَ[2]:

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطاهَا كَلَالُهَا ❊ وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا

وهذا لفظٌ حسنٌ، ومعنىً ليسَ بالجيدِ؛ لأنهُ قالَ: «قد أدنى خُطاها كلالُها» أي: قارَبَ من خطوِها الكلالُ، وهذا كأنهُ لم يقفْ لسؤالِ الديارِ التي تَعَرَّضَ لأَنْ تَشْفِيَهُ، وإنما وقفَ لإعياءِ المطيِّ.

والجيِّدُ قولُ عَنْتَرَةَ[3]:

فَوَقَفْـتُ فِيهَـا نـاقَتِي وَكَأَنَّهَـا ❊ فَـدَنٌ لِأَقْضِـيَ حاجَـةَ الْمُتَلَـوِّمِ

فإِنَّهُ لمَّا أَرادَ ذكرَ الوقوفِ احتاطَ بأَنْ شبَّهَ ناقتَهُ بالفَدَنِ، وهو القَصْرُ، ليُعلمَ أنهُ لمْ يقفْها ليريحَها.

وقد كشفَ ذُو الرمةِ هذا المعنى وأَحسنَ فيهِ وأَجادَ، فقالَ[4]: [٥/ص/أ]

أَنَخْـتُ بهـا الْوَجْنَـاءَ لا مِـنْ سَـآمَةٍ ❊ لِثِنْتَـيْنِ بَـيْنَ اثنـينِ جـاءٍ وَذَاهِـبِ

يقولُ: أَنختُها لأُصلي[5]، لا من سآمةٍ، كذا فسروهُ، وقولهُ «لثنتين» يعني

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل، وهو في «ط»، «ق». وفي «م»، والمطبوع: (في غاية الجودة).

(٢) سبق في ١/١٢٠.

(٣) ديوانه: ص١٨٤، و«المتلوّم»: المنتظر، المتمكث.

وقوله: «فوقفت فيها ناقتي»، أي حبستُ على هذه الدار ناقتي لأقضي حاجتي من البكاء فيها، والسؤال عن أهلها. وقد سبق في ٢/٨٠.

(٤) سبق في ٢/٨٠.

(٥) «م»: (لأن أصلي).

ركعتيْ العصرِ اللتينِ يقصرُهُما المسافرُ، و«بين اثنينِ جاءٍ» يريدُ الليلَ، «وذاهبٍ» يعني النهارَ.

فإن قيلَ: إنما قالَ: «قد أدنىٰ خُطاها كلالُها» ليُعْلَمَ أَنَّهُ قصدَ الدارَ من شقةٍ بعيدةٍ فيكونُ أَبلغَ في المعنىٰ.

قيلَ: العربُ لا تقصدُ الديارَ للوقوفِ عليها، وإنما تجتازُ بها، فإن كانتْ واقعةً علىٰ سَنَنِ طريقهِمْ[1] قالَ الذي لهُ أَرَبٌ في الوقوفِ لصاحبِهِ أو أَصحابِهِ: قِفْ، وقِفا، وقِفُوا، وإن لم تكنْ علىٰ سَنَنِ الطريقِ قالَ: عُوجَا وعَرِّجَا، أَو عُوجُوا وعَرِّجوا، كما قالَ امرُؤ القيسِ[2]:

عُوجـا عَلـىٰ الطَّلَـلِ المُحِيـلِ لَعَلَّنَـا ❊ نَبْكِـي الـدِّيارَ كَمَـا بَكَـىٰ ابـنُ حِـذَامِ

وإذا عَرَّجوا كانَ التعريجُ أَشقَّ علىٰ الركبِ والركابِ من الوقوفِ؛ لأَنَّ لها في الوقوفِ حيث انتهتْ راحةٌ، والتعريجُ فيه زيادةٌ في تَعبِها وكَلَالِها، وإن قَلَّتِ المسافةُ، كما قالَ أَبو تمامٍ[3]:

وَمَـا بِـكَ إِرْكـابي مِـنَ الرُّشْـدِ مَرْكَبًـا ❊ أَلا إِنَّمَــا حَاوَلْــتَ رُشْــدَ الرَّكائِــبِ

[٥/ص/ب] لأَنَّ هذا القولَ منهُ دلَّ علىٰ التعريجِ والترددِ في الرسومِ، أَو أَنَّ صاحِبَهُ أَرادَ أَنْ يستمرَّ في السيرِ، ولا يتعوّقَ بالوقوفِ، فيعودَ ذلك عليها

---

(١) «م»، «ط»: (الطريق).

(٢) ديوانه: ص٤٨٤. وهو من الكامل.
والمحيل: الذي أتت عليه أحوال وسنون فغيرته.

(٣) شرح الصولي: ١/٢٧٧، شرح التبريزي: ١/٢٠٠، والبيت من الطويل. ونقل التبريزي شرح المرزوقي للبيت فقال: (يخاطب لائمه في الوقوف علىٰ الدار، يقول: ليس بك فيما تتكلفه من لومي هدايتي وصرفي من غيي إلىٰ رشادي، وإنما شق عليك وقوف الإبل بأحمالها، فحملك الإشفاق عليها علىٰ الإسراف في العتب وتغليظ القول).

بضررٍ في العاقبةِ، وإِنْ أَكسبَها راحةَ ما في الوقوفِ، فقالَ [لهُ][1] أَبو تمامٍ: «إِنما حاولتَ رشدَ الركائبِ» لا رُشدي.

فأَما الأَصمعيُّ فإِنهُ يرىٰ أَنَّ التعريجَ أَيضًا وقوفٌ لا عدولٌ، قالَ أَبو حاتمٍ: قلتُ لهُ: ما معنىٰ عَرَّجَ؟ قالَ: وقفَ، فقلتُ: يقالُ: عَرَّجَ إِذا عَدَلَ، فقالَ: لا[2]، وأَنشدَ بيتَ ذي الرمةِ[3]:

يـا حَـادِيَيْ بنـتِ فضـاضٍ أَمَـا لَكُمَـا ❊ - حَتَّـىٰ نكَلِّمَهَـا - هَـمٌّ بِتَعْـرِيجِ

أَي: هَمٌّ بوقوفٍ، وهذا لا يمنعُ أَن يكونَ هَمٌّ بعدولٍ، ونفسُ الاشتقاقِ يدلُّ علىٰ العدولِ، واللهُ أَعلمُ.

وقالَ كُثَيّرٌ يصفُ السَّيْلَ[4]:

فَطَـوْرًا يَسِـيلُ عَلَـىٰ قَصْـدِهِ ❊ وَطَـوْرًا يُعَـرِّجُ أَلَّا يَسِـيلا

فلو كانَ هناكَ قصدٌ إِلىٰ الدارِ من جماعَتِهم، أَو منهُ وحدَهُ لما لاموهُ، ولا عنفوهُ علىٰ احتباسِهِ وإِطالتِهِ، ولا استعجلوهُ وهو دائبًا يسأَلُهُمْ التلوُّمَ عليهِ، والتوقفَ معهُ.

هذهِ طريقةُ القومِ في الوقوفِ علىٰ الديارِ، ولهمْ فيها من الأَشعارِ ما هوَ أَشهرُ وأَكثرُ من أَن أَحتاجَ إِلىٰ ذكرهِ [٦/ص/أ]، وتلك سبيلُ سائرِ المحدَثِينَ، وطريقةُ الطائيَّيْنِ: ما عَدَلَا عنها، ولا خرجا إِلىٰ غيرها. أَلَا ترىٰ إِلىٰ قولِ أَبي تمامٍ[5]:

---

(١) ساقط من «ص»، وهي في باقي النسخ.

(٢) (لا) ساقطة من «ص».

(٣) ديوانه: ٩٨١/٢، والبيت من البسيط، وبنت فضاض: امرأة من بكر بن وائل.

(٤) ديوانه: ص٣٩٢، والبيت من المتقارب، وفي الديوان: (وطورًا يراجع).

(٥) سبق ١٢٩/٢.

مَـا فِـي وُقوفِـكَ سَـاعَةً مِـنْ بـاسٍ ❊ نَقْضِـي ذِمَـامَ الْأَرْبُـعِ الأَدْرَاسِ

كيفَ سأَلَ صاحِبَهُ أَن يقفَ عليه ساعةً ، ثم قالَ بعدُ بيتاً آخرَ[١]:

لا يُسْـعِدُ الْمُشْـتَاقَ وَسْـنَانُ الْهَـوَىٰ ❊ يَـبِسُ الْمَـدَامِعِ بـارِدُ الأَنْفَـاسِ

وقولُهُ أَيضًا[٢]:

لا تَمْنَعَنِّـي وَقْفَـةً أَشْـفِي بهَـا ❊ دَاءَ الفِـرَاقِ فإِنَّهـا مَـاعُونُ

وقالَ البحتريُّ[٣]:

يَا وَهْبُ! هَبْ لِأخيكَ وَقفَةَ مُسْعِدٍ ❊ يُعْطِي الأَسَىٰ مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ

وقولُهُ أَيضًا[٤]:

قِـفْ بهـا وقفـةً تـردُّ عليهـا ❊ أَدْمُعًـا رَدَّهـا الجـوىٰ أَنْضَـاءَ

وقولُهُ أَيضًا[٥]:

مـاذا عليـكَ مِـنَ انتظـارِ مُتَـيَّمٍ ؟ ❊ بَـلْ مـا تَضُـرُّكَ وقْفـةٌ فـي منـزلِ[٦] ؟

وَقولُهُ أَيضًا[٧]:

---

(١) ونقل التبريزي شرح أبي العلاء البيت (٢/٢٤٣) فقال:
(«الوسنان»: الناعس ، فاستعاره هنا للهوىٰ ، ولم يستعمل ذلك من قبل الطائي ، و«يبس المدامع» بالتحريك ، يقال: أرض يبس ، إذا لم يكن فيها ماء ولم يصبها مطر ، فهي يابسة ، يقول: لا يسعد المشتاق إلا مشتاق مثله . . . .).

(٢) شرح الصولي: ٣/٣٨ ، شرح التبريزي: ٣/٣٢٣ . والبيت من الكامل .

(٣) ديوانه: ٣/١٦٦٢ ، والبيت من الكامل .

(٤) ديوانه: ص١٤ ، وفي «ص»: (ردها الكوىٰ) تحريف ، والتصحيح من ديوانه ، وفي «ر» والمطبوع: (ردها الهوىٰ) ، والبيت من الخفيف .

(٥) ديوانه: ٣/١٧٤٣ ، والبيت من الكامل .

(٦) من قوله: (وقوله أيضًا: قف بها . . .) إلىٰ قوله: (في منزل) سقط من «م» ، «ط» ، «ق» .

(٧) ديوانه: ٤/٢١٢٢ ، والبيت من الخفيف ، وفي ديوانه: (ووقفة) ، وهي رواية «م» ، «ط» ، «ق» .

خَلَيَــاهُ ودَمْعَـــهُ فِـــي الرُّسُـــومِ ❊ يَخْــلُ مِـــنْ بَعْــضِ بَثِّــهِ الْمَكْتُــومِ

[٦/ص/ب] ثم إنَّا ما علمنا أَحدًا قصَدَ دارًا عَفَتْ من شُقَّةٍ بعيدةٍ، واحدًا كانَ أَو في جماعةٍ، للسلامِ عليها، والمسأَلةِ بحالِها، ثمَّ انكفوا[١] راجعينَ من حيثُ جاءوا، فإِنَّ هذا ما سُمِعَ بهِ، ولا هوَ من أَغراضِهِمْ، إِذْ ليسَ فيهِ جدوىٰ، ولا يؤدِّي إِلىٰ فائدةٍ، لأَنَّ المحبوبَ إِنْ كانَ حيًّا موجودًا فقَصْدُ رِباعهِ ومَوَاطنهِ التي هوَ قاطنُها والإِلمامُ بهِ فيها أَولىٰ وأَجْدىٰ[٢]، وإِن كانَ ميتًا فالإِلمامُ بناحيةِ الأرضِ التي فيها حُفرتُهُ أَولىٰ وأَحْرىٰ، وعلىٰ أَنهمْ لا يكادونَ يَزُورونَ القبورَ، وإِنما وقَفوا علىٰ الديارِ، وعَرَّجوا عليها عندَ الاجتيازِ بها والاقترابِ منها؛ لأَنهمْ تذكروا عندَ مُشَارفتها أَوطارَهم فيها، فنَازَعَتهُم نفوسهُم إِلىٰ الوقوفِ عليها، والتلوُّمِ بها، ورأَوا أَنَّ ذلكَ من كَرَمَ العهدِ وحُسْنِ الوفاءِ، أَلا ترىٰ إِلىٰ قولِ أَبي تمامٍ[٣]:

أَمَوَاقِـفَ الفِتْيَـانِ تَطْـوِي لَـمْ تَـزُرْ ❊ شَـوْقًا وَلَـمْ تَنْـدُبْ لَهُـنَّ صَـعِيدَا

ويروىٰ: «لم نزرْ شَعَفًا» أَي: كيفَ نطوي هذه الرسومَ والدمنَ التي هي مواقفُ أَهلِ الفتوةِ، يريدُ الكرامَ، ولم نزرْ[٤] حَزْنًا لها ولا سَهْلا؛ لأَنَّهُ أَرادَ بالشعفِ ما ارتفعَ من الأَرضِ وعلا، وأَرادَ بالصعيدِ ما اطمأَنَّ من الأَرضِ وسفلَ، والصعيدُ إِنما هوَ وجهُ الأَرضِ الذي فيه الترابُ، [٧/ص/أ] وأَكثرُ ما يكونُ فيما اطمأَنَّ من الأَرضِ، لا فيما علا، فكانوا يرونَ الوقوفَ علىٰ الديارِ

---

(١) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (للتسليم عليها، والمسألة لها) وفي «م»، والمطبوع: (ثم انصرفوا).

(٢) (أولىٰ) سقطت من «ص».

(٣) شرح الصولي: ١/٤٠٢ وشرح التبريزي: ١/٤٠٧.

(٤) في «ص»: (وعلا الصعيد: ما اطمأن وسفل، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب) والعبارة هنا فيها اضطراب في هذه النسخة، والتصحيح من باقي النسخ.

من الفتوَّةِ والمروءَةِ، وأَنَّ طَيَّهَا عند الاجتياز بها من النذالةِ وقبيحِ الرعايةِ وسوءِ العهدِ، وما أَحسنَ ما قالَ أَبو نُوَاسٍ[1]:

وَإِذَا مَــررْتَ عَلَــىٰ الـدِّيارِ مُسَـلِّمًا ❊ فَلِغَيْــــرِ دَارِ أُمَيْمَــــةَ الهِجْـــرَانُ

علىٰ[2] طريقةِ القومِ المعتادةِ.

وقالَ البحتريُّ يخاطبُ نفسَهُ أَو صاحبًا معهُ[3]:

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَىٰ خُطاهَا كَلالُهَا ❊ وَسَلْ دَارَ سُعْدَىٰ إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا

فمن زعمَ أَن البحتريَّ بهذا القولِ كانَ قاصدًا للدارِ وغَيْرَ مجتازٍ، احتاجَ إِلىٰ دليلٍ من لفظِ البيتِ يدلُّ عليهِ، ولا سبيلَ لهُ إِلىٰ ذلكَ.

فإِن قيلَ: ولم لا يكونُ للمطيةِ حقٌّ علىٰ من بَلَّغتهُ منازلَ أَحبابِهِ يوجبُ أَن يكرمَها ويريحَها، كما قالَ أَبو نُواسٍ[4]:

وَإِذَا الْمَطِــيُّ بِنَــا بَلغْــنَ مُحَمَّــدًا ❊ فَظُهُــورُهُنَّ عَلَــىٰ الرِّجَــالِ حَــرَامُ

قَرَّبْنَنَا مِـن خيْـرِ مَـنْ وَطِـئَ الحَصـىٰ ❊ فَلَهَــا عَلَيْنَــا حُرْمَــةٌ وَذِمَــامُ

قيل: هذا أَصلٌ آخرُ طريقُهُ غيرُ طريقِ الوقوفِ علىٰ الديارِ، ولا يقاسُ أَصلٌ علىٰ أَصلٍ، وإِنما يقاسُ علىٰ الأَصلِ فروعُهُ التي تتفرَّعُ منهُ، [٧/ص/ب] وهذا الشرطُ في كلِّ علمٍ[5].

---

(١) ديوانه: ١/١٠٧، والبيت من الكامل.

(٢) «ص»: (فعلىٰ).

(٣) سبق ١/١٢٠، ٢/٧٩.

(٤) ديوانه: ١/١٢٧، والبيت من الكامل.

(٥) «ص»: (في كل عل)!

وقالَ أَبو نُوَاسٍ في موضعٍ آخرَ يخاطبُ ناقتهُ أَيضًا[١]:

فلَــمْ أَجْعَلْــكِ للغِرْبــانِ نُحْــلاً ❊ وَلَــمْ أَقُــلِ: اشْــرَقِي بِــدَم الْــوَتينِ

يريدُ قولَ الشَّمَّاخِ، والشَّمَّاخُ إِنما قالَ[٢]:

إِذَا بَلَّغْتِنِــي وَحَمَلْــتِ رَحْلِــي ❊ عَرَابَــةَ فَاشْــرَقِي بِــدَمِ الْــوَتينِ

لأَنهُ رأَىٰ ناقتَهُ قد شفَّها السيرُ وهَزَلَها وأَنضاها حتىٰ دَبِرَتْ، وذلكَ قولُهُ بعدَ هذا[٣]:

إِلَيْــكَ بَعَثْــتُ رَاحِلَتِــي تَشَــكَّىٰ ❊ كُلومًــا بَعْــدَ مقْحــدِها السَّــمِينِ

فيقولُ: إِذا بلّغتنيهِ[٤] فلا أَبالي أَن تهلكي، وهذا ليسَ بدُعاءٍ عليها، وإِنما أَرادَ أَنكِ إِذا بَلَّغتِنيهِ فقد بلغتُ الغنىٰ وأَدركتُ العوضَ منكِ؛ فهذا معنىٰ، وقولُ أَبي نواس لهُ معنىٰ آخرَ، وليسَ بضدٍ لقولِ الشماخِ، وإِنما يضادُّهُ قولُ المرأَةِ التي قالت: يا رسول اللهِ، نَذَرْتُ إِن بَلَّغَتْني ناقتي هذهِ إِليكَ أَن أَنْحَرَها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَبِئسَ مَا جَزَيتِها»[٥] لأَنَّ هذهِ قصدَتْ أَن جعلتْ جزاءَ التبليغِ النحرَ؛ فهذانِ المعنيانِ يتضادّانِ، وقولُ الشمَّاخِ خارجٌ عنهما، لأَنهُ أَصلٌ ثالثٌ.

---

(١) ديوانه: ١/١٢٩، والبيت من الوافر.

(٢) ديوانه: ص٣٢٣، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر.

(٣) المصدر نفسه، و«المقحد»: السنام، وفي «م»، والمطبوع: (محفدها)، وهو السنام أيضًا.

(٤) «م»، والمطبوع: (إذا بلغتني عرابة).

(٥) الخبر والحديث في صحيح مسلم، كتاب النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، وجاء فيه: (أُسِرَت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء ناقة رسول الله ﷺ، وكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت المرأة ذات ليلة وانتهت إلىٰ العضباء فذهبت بها إلىٰ المدينة، ونذرت في أنها إن نجاها الله لتنحرنها، وعندما علم رسول الله ﷺ قال: سبحان الله بئسما جزيتها، لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد).

والوجهُ الذي جاءَ بهِ البحتريُّ في الوقوفِ علىٰ الديارِ وتَحَرَّزَ منْ [٨/ص/أ] مثلهِ [عنترةُ][١] وذو الرمةِ وجهٌ غيرَ هذهِ الوجوهِ، وطريقةٌ غيرَ هذهِ الطرقِ، ولم أَقلْ إنهُ خطأٌ، وإنما قلتُ: إنَّ المعنىٰ غيرُ جيدٍ، فإنْ التمسنا العذرَ للبحتريِّ قلنا: إنَّهُ وصفَ حقيقةَ أَمرِ العِيسِ عند الوصولِ إلىٰ الدارِ، وهذا مذهبٌ من مذاهبِ العربِ عامٌ في أَن يَصِفُوا الشيءَ علىٰ ما هوَ، وكما شوهدَ، من غير اعتمادٍ لإغرابٍ ولا إبداعٍ، فربما وردَ هذا الوجهُ علىٰ أَلسنتهم أَحسنُ من كلِّ معنىٰ بديعٍ مستغربٍ، وربما وقعَ فيهِ مثلُ هذا الخللِ لقلةِ التحرّزِ.

وسترىٰ للبحتريِّ وغيرِهِ ـ في هذا الكتابِ ـ مِنْ هذا النوعِ في مواضعهِ ما هو أَجودُ من كل جيدٍ، إن شاء اللهُ تعالىٰ.

٤ ـ **وقالَ البحتريُّ[٢]:**

عَـرِّجْ بِـذِي سَـلَمٍ ففيـه الْمَنْـزِلُ ❊ فيَقُـولَ صَـبٌّ مَـا أَرَادَ وَيَفْعَـلُ

وهذا ابتداءٌ جيدٌ، وقد رواهُ قومٌ: «ليقولَ صب ما أَراد ويَفْعَلُ» والنصبُ أَجودُ في الروايتينِ، والرفعُ له وجهٌ، والمتأخرونَ لا يكادون يَسْلَمُونَ من اللحنِ، وهو في أَشعارِهم كثيرٌ جدًّا.

٥ ـ **وقالَ أَيضًا[٣]:**

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلىٰ الأَطْلالِ وَالدِّمَنِ ❊ لَم يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ

وهذا أَيضًا ابتداءٌ جيدٌ.

---

(١) «م»، «ط»، «ق»: (تحرز منه)، وما بين المعقوفين زيادة من باقي النسخ.

(٢) سبق ١٩١/١.

(٣) ديوانه: ٢١٥٨/٤، والبيت من البسيط.

٦ ـ **وقالَ أَيضًا**(١): [٨/ص/ب]

اسْـتَوْقِفِ الرَّكْـبَ فـي أَطْلالِهِـمْ وَقِفَـا ❊ وإِنْ أَجَـدَّ بِلَـىً مَأْثُورِهَـا وَعَفَـا

يقالُ: أَجدَّ في أَمرِهِ من الانكماشِ، وجَدَّ، وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

٧ ـ **وقالَ**(٢):

قِفَـا فِـي مَغَـانِي الـدَّارِ نَسْـأَلْ طُلُولَهـا ❊ عَـنِ النَّفَـرِ اللَّائِـينَ كـانُوا حُلُولَهـا

وليسَ هذا الابتداءُ بالجيدِ؛ من أَجلِ قولِهِ «اللائينَ»؛ لأَنها لفظةٌ ليستْ بحلوةٍ ولا مشتهاةٍ(٣).

فهذا ما ابتدأَ بهِ من ذكرِ الوقوفِ، وأَجعلُهما فيهِ متكافئينِ؛ من أَجلِ براعةِ بيتيْ البحتريِّ الأَولينِ، وأَنهما أَجودُ من سائرِ أَبياتِ أَبي تمامٍ، ولأَنَّ للبحتريِّ في هذا البابِ التقصيرَ الذي ذكرتهُ وليسَ لأَبي تمامٍ مثلُهُ.



---

(١) ديوانه: ٣/١٤٣٦، وفيه: (وإن أَمَحَّ)، وأَمَحَّ: درس وامَّحى.

(٢) ديوانه: ٣/١٧٩٦، وفيه: (عن الأنس المفقود كانوا) والبيت من البسيط.

(٣) «م»، «ط»، «ق»: (بالحلوة وليست مشهورة).

التسليمُ على الديارِ

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ(١):

دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سلامُ ❁ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الإِلْمَامُ

هذا المصراعُ الأَولُ في غايةِ الجودةِ والبراعةِ والحسنِ والصحةِ والحلاوةِ، وعجزُ البيتِ أَيضًا جيدٌ بالغٌ.

٢ ـ وقالَ(٢):

سَلِّمْ عَلَىٰ الرَّبْعِ منْ سَلْمىٰ بِذِي سلَمِ ❁ عَلَيْهِ وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ وَالقِدَمِ

وهذا ابتداءٌ ليسَ بالجيدِ؛ لأَنهُ جاءَ بالتجنيسِ في ثلاثةِ أَلفاظ، وإِنما [٩/ص/أ] يحسنُ إِذا كانَ بلفظتينِ، وقد جاءَ مثلهُ في أَشعارِ الناسِ، والرديءُ لا يُؤتم بهِ، قالَ الأَبيْردُ بنُ المُعَذَّر الرّياحِيُّ(٣):

جَزِعْتَ وَلم تَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا ❁ وَكُنْتَ بِذكرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُولَعَا

وقد جعلَ بعضُ الرواةِ هذا البيتَ أَولَ قصيدةٍ لامرئ القيسِ علىٰ هذا الوزنِ، وذلكَ باطلٌ(٤).

---

(١) شرح الصولي: ٢/٣٧٢، شرح التبريزي: ٣/١٥٠، والبيت من الكامل.

(٢) شرح الصولي: ٢/٣٤٦، شرح التبريزي: ٣/١٨٤، والبيت من البسيط.

(٣) الأبيرد بن المعذر الرياحي شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية، وليس بمكثر، ولا ممن وفد إلىٰ الخلفاء فمدحهم. (الأغاني، ساسي: ١٠/٩)، وفي النسخ كلها: (بن المعذل) تحريف، ولم أجد البيت فيما بين يدي من مصادر.

(٤) في ملحقات ديوان امرئ القيس ص٧٤٩، وقال محققه: الأول من القصيدة في شرح الطوسي=

وما ينبغي للمتأخرِ أَن يَحْتَذِيَ الأَخذَ[1] إلا للجيدِ المختارِ ؛ لِسَعةِ مَجالهِ ، وكثرةِ أَمثلتهِ .

١ ـ وقالَ البحتريُّ[2] :

هَـذِي المَعَاهـدُ مِـنْ سُـعَادَ فَسَـلِّمِ ✽ وَاسْـأَلْ وَإِنْ وَجَمَـتْ فلـمْ تَـتَكَلَّمِ

٢ ـ وقالَ أَيضًا[3] :

أَمَحَلَّتَـيْ سَـلْمىٰ بِكاظِمَـةَ اسْـلمَا ✽ وَتَعَلَّمَـا أَنَّ الهَـوَىٰ مَـا هِجْتُمَـا

وهذانِ ابتداءَانِ جيدانِ .

٣ ـ وقالَ أَيضًا[4] :

حُيِّيتُمـا مِـنْ مَرْبَـعٍ وَمَصِـيفِ ✽ كانَـا مَحَلَّـيْ زَيْنَـبٍ وَصَـدُوفِ

هذا ابتداءٌ صالحٌ .

٤ ـ وقالَ أَيضًا[5] :

مِيلُـوا إِلـىٰ الـدَّارِ مِـنْ لَيْلَـىٰ نُحَيِّيهَـا ✽ نَعَـمْ وَنَسْـأَلُهَا عَـنْ بَعْـضِ أَهْلِيهَـا

وهذا بيتٌ رديءٌ ؛ لقولهِ «نعم» ، وليسَ بالمعنىٰ إِليها حاجةٌ ، فجاءَ بها حَشْوًا ، ومن الحشوِ ما لا يقبحُ ، و«نعم» ههنا قبيحةٌ ، وقد أولعَ بها كُثَيِّرُ

= برواية أبي عمرو الشيباني وفيه: (ولم أجزع . . . . . وعزيت قلبا بالكواعب مولعا) .

(١) في «ص» : (الأخذ والجيد) تحريف .

(٢) ديوانه: ٤/٢٠٨٠ ، والبيت من الكامل .

(٣) ديوانه: ٣/١٩٥٨ ، والبيت من الكامل ، وفيه: (أن الجوىٰ) ، ورواه في ٢/١٨٢ برواية الديوان .

(٤) ديوانه: ٣/١٤٠٣ ، والبيت من الكامل .

(٥) ديوانه: ٤/٢٤١٤ ، والبيت من البسيط .

[٩/ص/ب] ابنُ عبدِ الرحمنِ في ابتداءَاتهِ، فقالَ(١):

أَمِـــنْ أم عَمْــرٍو بِـــالْخَريقِ دِيَـــارُ ✤ نَعَــمْ دَرِاسَــاتٌ قَــدْ عَفَــوْنَ قِفَــارُ

وقالَ(٢):

أَمِنْ آلِ سَلْمَىٰ الرَّكْبُ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ ✤ نَعَــمْ والْمَغَــاني قَــدْ دَرَسْــنَ مَوَاثِــلُ

وقالَ(٣):

أَهاجَــكَ ليْلَــىٰ إِذْ أَجَــدَّ رحِيلُهــا ✤ نَعَـمْ وَثَنَـتْ لَمّـا احْزَأَلَّـتْ حَمُولُهـا

احْزأَلتْ: انتصبتْ وارتفعتْ(٤).

وقالَ(٥):

أَبَائِنَـــةٌ سُـــعْدَىٰ؟ نَعَـــمْ سَـــتَبِينُ ✤ كمـا انبَـتَّ مِـنْ حَبْـلِ القَـرِينِ قَـرِينُ

وهي في كلِّ هذهِ الأَبياتِ رديئةٌ، وموضعُها من هذا البيتِ الأَخيرِ أَصلحُ؛ لأَنَّ إِسقاطَها من الجميعِ يَحْسنُ، ولا يحتاجُ الاستفهامُ فيها إِلىٰ جوابٍ، إِلا هذا البيتِ فإِنَّ الاستفهامَ فيه يقتضي أَن يكونَ «نعم» جوابًا لهُ، ومع هذا فليسَ لها حلاوةٌ ولا حُسنٌ. ولكُثَيِّرٍ استفهاماتٌ لا جوابَ لها علىٰ عاداتِ الشعراءِ المحسنينَ، منها قولُهُ(٦):

أَمِـــنْ آلِ قَيْلَـــةَ بالـــدَّخُولِ رُسُـــومُ ✤ وَبِحَوْمَـــلٍ طَلَـــلٌ يَلُـــوحُ قَـــدِيمُ

---

(١) ديوانه: ص٤٢٦، و«الخريق»: واد عند الجار متصل بينبع، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ص٤٥٥، وفيه: (أمن آل سلمىٰ الرسم أنت مسائل) والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ص٢٥٩، والبيت من الطويل، وفي «ص»: «اجزألّتْ» تصحيف.

(٤) هذا الشرح في هامش «ص».

(٥) ديوانه: ص١٧٠، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ص٢٠٥، والبيت من الكامل.

وكلُّ أَبياتِ كُثيِّرٍ أَجودُ من بيتِ البحتريِّ؛ لأَنَّ «نعمْ» فيها جوابٌ، [١٠/ص/أ] وهيَ في بيتِ البحتري حَشْوٌ، وقالَ البحتريُّ في بيتهِ: «نُحَيِّيها» والأَجود «نُحْيِّها» بالجزمِ(١) لأَنهُ جوابُ الأَمرِ، وقد يكونُ «نحييها» رفعًا علىٰ الحالِ، والجوابُ ههنا أَجودُ من الحالِ.

فهذا ما وجدتُهُ من تسليمهما علىٰ الديارِ، وأَبو تمامٍ عندي ـ في قولهِ: «دِمَنٌ أَلَمَّ بِهَا فَقَالَ سَلامُ» ـ أَشعرُ من البحتريِّ في سائرِ أَبياتهِ.

وما سمعتُ من التسليمِ علىٰ الديارِ أَحسنَ من قولِ أَبي نُوَاسٍ:

وَإِذا مَـرَرْتُ عَلـىٰ الـدِّيَار مُسَـلِّمًا ✤ فَلِغَيْـــرِ دَارِ أُمَيْمَـــةَ الْهِجْــرَانُ



(١) في «ص»: (جزم) وصححتها وفقا للسياق، وهي ساقطة من باقي النسخ.

ما ابتدأ به من ذكر تعفية[1] الدهور والأزمان للديار



١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[2]:

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ ❊ أَنُحْلُ المَغَاني لِلْبِلَىٰ هِيَ أَمْ نَهْبُ

أَرادَ أَنُحْلُ المغاني هي لِلْبلىٰ فحذفَ التنوينَ[3]، والْحُقْبُ: الدهرُ، وجمعهُ أَحقابٌ، والحِقَبُ: السِّنُونُ، واحدتها حِقْبةٌ، وقالَ: «لقد أَخذت» فأَنَّثَ الفعلَ والْحُقْبُ مذكرٌ، وأَظنهُ أَرادَ أَيامَ الدهرِ ولياليَهُ، ويقالُ: الحقبُ ثمانونَ سنةً، فعلىٰ هذا قالَ: «أَخَذَتْ»، فأَنَّثَ.

[١٠/ص/ب] ٢ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

قَدْ نَابَتِ الْجَزْعَ مِنْ أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ ❊ وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِن رَبْعِهَا الْحِقَبُ

«واستحقبت» أَي: جعلتِ الحِقَبُ ـ وهي السنونُ ـ جِدَّةَ الربعِ في حقيبتها.

والحقيبةُ: ما يحتقبهُ الراكبُ، وهو وعاءٌ يجعلهُ خلفَهُ إِذا ركبَ ويُحْرِز فيهِ مَتَاعَهُ وزادَهُ، وهذهِ استعارةٌ حسنةٌ، وإِنما يريدُ أَنَّ الحقبَ سلبتِ الربعَ

(١) في «ص»: (ابتداء ما ابتدآ به من ذكر تعقبه) تحريف وتصحيف.

(٢) شرح الصولي: ١/٢٦٣، شرح التبريزي: ١/١٧٧، والبيت من الطويل.

(٣) «ص»: (البنون) تصحيف.

(٤) شرح الصولي: ١/٣٠٠، شرح التبريزي: ١/٢٣٩، والبيت من البسيط.
وقال التبريزي: (أرويّة اسم امرأة سميت بالواحدة من الأراوي، وهي أنثىٰ الوعول، وقوله: (من أُروية، فيه حذف، كأنه قال: من منازل أروية، أو من أجزاعها أو نحو ذلك، يصح دخول «من» إذا كان للتبعيض).

جِدّتهُ وذهبتْ بها.

١ ـ وقالَ البحتريُّ[1]:

أَرسُـــومُ دَارٍ أَمْ سُـــطُورُ كِتَـــابِ ❖ دَرَسَـتْ بَشَاشَـتُهَا عَلـىٰ الأَحْقَـابِ

أَي: علىٰ مرِّ السنينَ، وهذا البيتُ أَبرعُ من بيتي[2] أَبي تمامٍ لفظًا، وأَجودُ سَبْكًا، وأَكثرُ ماءً ورونقًا، وهو من الابتداءَاتِ النادرةِ العجيبةِ المُشْبِهَةِ لكلامِ الأَوائلِ؛ فهو فيهِ أَشعرُ من أَبي تمامٍ.



(١) ديوانه: ١/٢٩٤، والبيت من الكامل.

(٢) «ص»: (من بيت).

وفي إقواءِ الديارِ أيضًا وتعفّيها(١)

١ ـ قالَ أبو تمامٍ(٢):

طَلَلَ الْجَميعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا ❊ وَكَفَىٰ عَلَىٰ رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا

أَرادَ «وكفىٰ بأَنهُ مضىٰ حميدًا شاهدًا علىٰ أني رزئتُ»، وكان وجهُ الكلامِ أَن يقولَ(٣): وكفىٰ برزئِي شاهدًا علىٰ أَنهُ مضىٰ حميدًا، وقد استقصيتُ الكلامَ في هذا فيما تقدمَ من أَغاليطِ أَبي تمامٍ.

٢ ـ وقالَ أَيضًا(٤): [١١/ص/أ]

أَجَلْ أَيُّهَا الرَّبْعُ الذِي بَانَ آهِلُهْ ❊ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَىٰ مَا تُحَاوِلُهْ

وهذا أَيضًا ابتداءٌ جيدٌ.

٣ ـ وقالَ أَيضًا(٥):

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي ❊ وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ

---

(١) «ص»: (إتواء الديار أيضًا وتصفيها) تصحيف وتحريف.

(٢) سبق ١/٩١.

(٣) «ص»: (أن يقول: أغاليط) لفظة مقحمة.

(٤) شرح الصولي: ٢/١٩٢، شرح التبريزي: ٣/٢١، والبيت من الطويل.
ونقل التبريزي شرح أبي العلاء لهذا البيت فقال:
(هذا لا يمكن إلا علىٰ سلام متقدم؛ لأن «أجل» في معنىٰ: نعم، ولا معنىٰ لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك، فكأنه ادعىٰ أن الربع كلمة وشكا إليه، فقال له: أجل أيها الربع، و«خف آهله» أي ارتحل من كان فيه).

(٥) سبق ١/٣٩٤.

وهذا بيتٌ رديءٌ مَعِيبٌ ؛ لأَنَّ الوشيعةَ والوشائعُ هو الغَزْلُ الملفوفُ من اللُحمةِ التي يُدَاخِلُها الناسجُ بين السَّدي ، والبردُ الذي قد تمتْ نساجتهُ ليسَ فيه شيءٌ يُسَمَّىٰ وَشِيعةً ولا وشائعَ ، وقد ذكرتُ هذا في أَغاليطِهِ.

١ ـ **وقالَ البحتريُّ**(١):

تِلْـكَ الـدِّيارُ وَدَارِسَـاتُ طُلُولِهَـا ❊ طَـوْعُ الْخُطـوبِ دَقِيقِهـا وَجَلِيلِهَـا

٢ ـ **وقالَ أَيضًا**(٢):

يـا مَغَـانِي الْأَحْبَـابِ صِـرْتِ رُسُـومَا ❊ وَغَـدَا الـدَّهْرُ فِيـكِ عِنْـدِي مَلُومَـا

٣ ـ **وقالَ أَيضًا**(٣):

لَـمْ يَبْـقَ فِـي تِلْـكَ الرُّسُـومِ بِمَـنْعِجِ ❊ إِمَّـــا سَـــأَلتَ مُعَـــرَّجٌ لِمُعَـــرَّجِ

٤ ـ **وقالَ أَيضًا**(٤):

هَـــلَّا سَـــأَلتَ بِجـــوٍّ ثَهْمَـــدْ ❊ طَلَـــلاً لِمَيَّـــةَ قَـــدْ تَأَبَّـــدْ

هذه كلُّها ابتداءَاتٌ جيدةٌ بارعةُ اللفظِ صحيحةُ المعنىٰ.

وأَبيات [١١/ص/ب] أَبي تمامٍ أَيضًا رائعةٌ ، ولكن فيها ما ذكرتُهُ.



---

(١) ديوانه: ١٧٧١/٣ ، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٢٠٥٧/٤ ، والبيت من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٣٩٩/١ ، والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ٦٠٤/١ ، والبيت من الكامل.

تعفية الرياح للديار

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[١]:

عَفَتْ أَرْبَعُ الْحِلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ المُلْدِ ❊ لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ

الحِلَّاتُ: جمعُ حِلَّة، وهو الموضعُ الذي يَحُلُّونَهُ، يقالُ: حِلَّةٌ ومَحَلَّةٌ، والأَربعُ الملدُ: يريدُ أَرْبَعَ نسوةٍ، ومُلْدٌ، من قولهم: غصْنٌ أُمْلُودٌ، وهو الغصنُ الناعمُ، و«أَملودُ» لا يجمعُ علىٰ «مُلْدٍ» و[ملدٌ] وإنما هو جمعُ أَمْلدٍ.

و«هضيمُ الكشحِ» يريدُ ضامرةَ البطنِ.

وقولهُ: «مغربةُ القدِّ» يريدُ أَغربَ قدُّها: أَي[٢] لها قَدٌّ غريبٌ في الحسنِ، وإنما أَرادَ عَفَتْ أَربَعُ حِلالٍ: أَي مواطنٌ، لأَربعِ نسوةٍ، وهذهِ تَكْلِفةٌ شديدةٌ، جاءَتْ بلفظِ غيرِ حسنٍ ولا جميلٍ.

وكذلكَ «مغربةُ القدِّ» من قولِ الشعراءِ المتأَخرينَ[٣]: غريبُ الحسنِ، وغريبُ القدِّ. والكلمةُ إِذا لم يؤتَ بها علىٰ لفظها المعتادِ هجنتْ وقبحتْ.

وقومٌ يروونَهُ: «أَرْبُعُ الحلَّات[٤]» جمعُ رَبْعٍ، وذلكَ غلطٌ، وإِنما أَرادَ الرجلُ العددَ: أَي عفتْ أَرْبَعٌ لأَربَعٍ.

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٩٠، وشرح التبريزي: ٢/١١٨، وفيهما: (مجدولة القد).

(٢) «ص»: (أي أنها قد غربت) تحريف.

(٣) «ص»: (المتادين) تحريف.

(٤) وهي رواية الصولي والتبريزي بضم الباء في (أربع)، وفي النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام جاءت بنصبها.

ولا أَعرفُ لأَبي تمامٍ ابتداءً ذكرَ فيه الرياحَ غيرَ هذا البيتِ، وهو رديءُ اللفظِ [١٢/ص/أ] قبيحُ النسجِ.

١ ـ وقالَ البحتريُّ(١):

بَـيْنَ الشَّـقِيقَةِ فـاللِّوَىٰ فـالأجْرعِ ❊ دِمَـنٌ حُبِسْـنَ علـىٰ الرِّيَـاحِ الأَرْبَـعِ

وهذا من ابتداءَاتِهِ العجيبةِ النادرةِ، وإِحسانهِ فيه الإِحسانَ المشهورَ.

وقولهُ: «بين الشقيقةِ فاللِّوىٰ» كقولِ امرئ القيسِ: «بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ»، والأَصمعي يرويهِ بالواوِ، وأَهلُ العربيةِ يقولونَ: الدَّخولُ مواضعُ متفرقةٌ(٢).

وأَكثرُ الشعراءِ يستعملونَ الفاءَ في هذا الموضعِ.

٢ ـ وقالَ البحتريُّ أَيضًا(٣):

أَصَـبَا الأَصَـائِلِ إِنَّ «بُرقَـةَ مُنْشِـدِ» ❊ تَشْـكُو اخْتِلافَـكِ بِـالْهُبوبِ السَّـرْمَدِ

ما زلتُ أَسمعُ الشيوخَ من أَهلِ العلمِ بالشعرِ يقولونَ: إِنهمْ ما سمعوا لمتقدمٍ ولا متأَخرٍ في هذا المعنىٰ أَحْسَنَ من هذا البيتِ، ولا أَبرعَ لفظًا وأَكثرَ ماءً ورونقًا، ولا أَلطفَ معنًىٰ.

٣ ـ وقالَ البحتريُّ(٤):

---

(١) ديوانه: ٢/١٢٨٦، وهو من الكامل.

(٢) في معجم ما استعجم للبكري: ٢/٥٤٨: (الدخول: بفتح أوله، موضع اختلف في تحديده، فقال محمد بن حبيب: الدخول وحومل بلاد أبي بكر بن كلاب، وقال أبو الحسن: الدخول دخول وحومل بلدان بالشام)

(٣) ديوانه: ١/٥٤٤، والبيت من الكامل. و«برقة منشد»: موضع لبني دارم.

(٤) ديوانه: ١/١١٢، والبيت من الخفيف.

لا أَرَىٰ بِـــالْبِرَاقِ وَسْـــمًا يُجِيـــبُ ❁ أَسْـــكَتَتْ آيـــةُ الصَّـــبا والجَنُـــوبُ

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.



وفي البكاءِ على الديارِ



١ ـ قالَ أَبو تمام(١): [١٢/ص/ب]

عَلىٰ مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاعِبِ ❊ أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

قد أَنكرَ بعضُهمْ قولَهُ: «مصوناتُ الدموعِ السواكبِ»، وقالَ: كيفَ يكونُ منَ السواكبِ ما هو مَصُونٌ؟

وإنما أَرادَ أَبو تمامٍ أذيلتْ مصوناتُ الدموعِ التي هي الآنَ سواكبُ، ولفظهُ يحتملُ ما أَرادَهُ، والبيتُ جيدٌ لفظًا ومعنىً ونظمًا(٢).

٢ ـ وقالَ أَيضًا(٣):

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا ❊ فَلا تَكُفَّنَّ مِنْ شَانِيكَ أَوْ يَكِفَا

هذا ابتداءٌ حسنٌ.

---

(١) شرح الصولي: ١/٢٧٦، شرح التبريزي: ١/١٩٨، والبيت من الطويل.

(٢) وقال ابن المستوفي في النظام ج١ لوحة ٩٧: (وجدت في حاشية من نسخ شعره عند قوله: «أذيلت مصونات الدموع السواكب»، السواكب ليست صحيحة في العربية، وإنما هو المسكوبات والمنسكبات، فأما السواكب فالصوابُ، وهذا من تخليطاته، فإن احتج محتج فقال: ساكبة ذات انسكاب، فإن هذا إنما يقال فيما قيل، ولا يقاس عليه ما لم يسمع.
وقال المبارك بن أحمد: فجائز أن يحمل قول أبي تمام: السواكب على أنه أراد الصوابَّ، ولا يفسد المعنىٰ، فإن اسم الفاعل أيضًا من سكبت العين دمعها ساكبة، وجمعه سواكب، وإن كان بمعنىٰ صوابٍّ، وأظن هذا القول من كلام الآمدي فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد).

(٣) شرح الصولي: ٢/٤٧، شرح التبريزي: ٢/٣٥٩، وفيهما: (شأنيك) وقال ابن المستوفي: «شأنَيْك»: تثنية شأن، وهي مجاري الدموع، أو «يكفا» أي حتىٰ يكفا، ويروي «شانيك».

٣ ـ وقالَ أَيضًا[١]:

أَزَعَمْـــتَ أَنَّ الرَّبْـــعَ لَـــيْسَ يُـــتَيَّمُ ❊ والـدَّمْعُ فِـي دِمَـنٍ عَفَـتْ لا يُسْـجَمُ

٤ ـ وقالَ أَيضًا[٢]:

قِرَىٰ دارِهِـمْ مِنِّـي الـدُّمُوعُ السَّـوافِكُ ❊ وَإِنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهْوَ حَالِكُ

وهذانِ ابتداءَانِ جيدانِ.

٥ ـ وقالَ أَيضًا[٣]:

تَجَـرَّعْ أَسًـىٰ قَـدْ أَقْفَـرَ الْجَـرَعُ الْفَـرْدُ ❊ وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَهُ الْوَجْدُ

الجرعُ والأَجرعُ والجرعاءُ: أَرضٌ ذاتُ رملٍ وحجارةٍ مختلطةٍ، وهي

---

(١) شرح الصولي: ٣٨١/٢، شرح التبريزي: ٢١٢/٣.

(٢) شرح الصولي: ١٥٧/٢، شرح التبريزي: ٤٥٢/٢. ونقل ابن المستوفي تعليقا للآمدي لم أجده في الموازنة، ولم ينص علىٰ الكتاب الذي نقله منه، قال في النظام ج٢ لوحة ٢٢٧: (وقال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، و«أنشد البيتين الأول والثاني»: ظاهر هذا القول كأنه عكس لما جرىٰ في العادة استعماله، لأنك لا تقول: أنا إليك مشتاق وإن غبت عني، وأنا قلق وإن هجرتني، وباكٍ وإن ضربتني، لأن الشوق إنما هو من أجل غيبته، والقلق من أجل هجرته، والبكاء من أجل وقوع الضرب به، وإنما كان وجه الكلام أن يقول: قرىٰ دارهم مني الدموع لأن عاد صبحي بعدهم وهو حالك، ولأن بكرت في ظعنهم وحدوجهم زيانب، أي: أقرىٰ دارهم الدمع من أجل إظلام الدنيا في عيني، ولأن بكرت في ظعنهم حبائبي، ولكن هذا يحمل علىٰ أنه أراد القوم الذين حالوا بينه وبين أحبته، أي: أقري دارهم الدموع وإن جعلوا صبحي حالكا، وإن بكرت حبائبي في ظعنهم، أي أبكي ديارهم وإن أعظموا الإساءة إليّ، ومثله قوله:

مهـاة النقـا لـولا الشـوىٰ والمـآبضُ ❊ وإن محض الإعراض لي منك ماحضُ

أي: أنا أصفكِ وصفَ المهاة وأجعلك مثلها، وإن محض لي الإعراض).

والآمدي في تعليقه هذا أعاد تفسير معنىٰ البيت بما يخرجه من العيب، وهو في الموازنة قال: إنه ابتداء جيد.

(٣) شرح الصولي: ٤٦٦/١، شرح التبريزي: ٨٠/٢. وفيه: (ماءها)، والبيت من الطويل.

أَرضٌ خشنةٌ، وقد قيلَ: رملةٌ سهلةٌ.

والحِسْيُ: ماءُ المطرِ يغيضُ في الرملِ شيئًا[1] قليلاً، ثم يصلِ إِلىٰ الصلابةِ، فيقفُ فيحفرُ عنهُ ويشربُ، وجمعهُ أَحساءٌ.

[١٣/ص/أ] ١ ـ **وقالَ البحتريُّ[2]:**

مَتَىٰ لاحَ بَـرْقٌ أَو بَـدَا طَلَـلٌ قَفْـرُ ❊ جَـرَىٰ مُسْـتَهِلٌّ لا بَكِـيءٌ وَلا نَـزْرُ

وهذا بيتٌ حَسْبُكَ بهِ جودةً وحسنًا وبراعةً وفصاحةً.

٢ ـ **ونحوهُ قولُهُ[3]:**

لَهَـا مَنـزِلٌ بَـيْنَ الـدَّخُولِ فَتُوضِـحِ ❊ مَتَـىٰ تَـرَهُ عَـيْنُ الْمُتَـيَّمِ تَسْـفَحِ

هذا مثلُ قولِ امرئ القيسِ: «بينَ الدخولِ فحوملِ».

وهذا أَيضًا بيتٌ جيدٌ، وليسَ كالأَولِ.

٣ ـ **وقالَ أَيضًا[4]:**

أَفِـي كُـلِّ دَارٍ مِنْـكَ عَـيْنٌ تَرَقْـرَقُ ❊ وَقَلْـبٌ عَلَـىٰ طُـولِ التَّـذَكُّرِ يَخْفُـقُ

وهذا أَيضًا غايةٌ في جودتهِ وبراعتِهِ وكثرةِ مائهِ.

٤ ـ **وقالَ أَيضًا[5]:**

---

(١) «م»، «ط»، «ق»: (في الرمل قليلا).

(٢) ديوانه: ٢/٨٤٣، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ١/٤٥٠، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٣/١٤٩٢، والبيت من الطويل.

(٥) ديوانه: ٢/٦٨٠، والبيت من الوافر. =

أَلَمَّـــا يَكْـــفِ فِـــي طَلَلَـــيْ زَرُودِ ❁ بُكَـــاؤُكَ دَارِسَ الـــدِّمَنِ الْهُمُـــودِ

٥ ـ وقالَ أيضًا(١):

أَعَـنْ سَـفَهٍ يَـوْمَ الْأُبَيْـرِقِ أَمْ حِلْـمِ ❁ وُقُـوفٌ بِرَبْـعٍ أَوْ بُكَـاءٌ علـىٰ رَسْـمِ

هذه الأَبياتُ الثلاثةُ كأَنه منكرٌ فيها علىٰ نفسهِ البكاء، وقد أَحسنَ فيما اعتمدَ من ذلكَ وأَجادَ، وهو ضدٌّ ما ذهبَ إِليه أَبو تمامٍ في أَبياتهِ.

٦ ـ وقالَ البحتريُّ وهو حسنٌ جدًّا(٢):

وُقُوفُـكَ فِـي أَطْلالِهِـمْ وَسُـؤَالُهَا ❁ يُرِيـكَ غُـروبَ الـدَّمْعِ كَيْـفَ انْهِمَالُهَـا

[١٣/ص/ب] ٧ ـ وقالَ أَيضًا(٣):

عِنْـدَ الْعَقِيـقِ فَمَـاثِلاتِ دِيَـارِهِ ❁ شَـجَنٌ يَزِيـدُ الصَّـبَّ فـي اسْـتِعْبارِهِ

٨ ـ [وقالَ(٤):

يَـأْبىٰ الْخَلِـيُّ بُكـاءَ الْمَنْـزِلِ الْخَـالِي ❁ وَالنَّـوْحَ فِـي دِمَـنٍ أَقْـوَتْ وَأَطْـلالِ]

٩ ـ وقالَ(٥):

أَبُكَـاءً فِـي الـدَّارِ بَعْـدَ الـدَّارِ ❁ وسُـلُوًّا بزَيْنَـبٍ عـن نَـوَارِ

= و«زرود»: موضع بطريق مكة، و«الهمود»: الباليات.

(١) ديوانه: ٣/٢٠١٣، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٣/١٦٩٠، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٢/٨٦٦، والبيت من الكامل.

(٤) هذا البيت ساقط من «ص»، «ر» وهو في باقي النسخ. وفي «ط»، «ق»: (بل بالخلىٰ) تحريف. والبيت في ديوانه: ٣/١٧٢٠، والبيت من البسيط.

(٥) ديوانه: ٢/٩٨٦، والبيت من الخفيف.

وهذا من البحتريِّ تصرّفٌ[1] في البكاءِ علىٰ الديارِ حسنٌ، ومعانٍ فيهِ مختلفةٌ عجيبةٌ، كلها جيدٌ نادرٌ، وأَبو تمامٍ لزمَ طريقةً [واحدةً][2] لم يتجاوزْها.

والبحتريُّ في هذا البابِ أَشعرُ.



(١) «م»: (وصف).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص»، وهو في «م»، «ط»، «ق».

سؤالُ الديارِ واستعجامُها عن الجوابِ

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[١]:

الـــدَّارُ نَاطِقَـــةٌ وَلَيْسَـــتْ تَنْطِـــقُ ❁ لِـــدُثُورِهَا ؛ إِنَّ الْجدِيـــدَ سَـــيُخْلِقُ

٢ ـ وقالَ في مثلِ معناهُ[٢]:

وَأَبِـــي الْمَنَـــازِلِ إِنَّهَـــا لَشُـــجُونُ ❁ وَعَلَـــىٰ الْعُجُومَـــةِ إِنَّهَـــا لتُبِـــينُ

وهذا قَسَمٌ[٣] شائعٌ علىٰ أَلْسُنِ العربِ أَنْ يقولُوا لمنْ يعقلُ[٤]: وأَبيكَ لقدْ أَحسنتَ، وأَبيكَ لقدْ أَجملتَ، وكثرتْ علىٰ الأَلسنِ حتىٰ تعدوا[٥] بها إِلىٰ ما لا يعقلُ، قَسَمًا وغير قَسَمٍ، وكذلكَ قالُوا: لأمكَ الْهَبَلُ، ولأَبيكَ[٦] الْوَيْلُ، [١٤/ص/أ] ثم قالوا مثلَ ذلكَ لما لا أُمَّ لهُ وقامَ مُحْرِزُ بنُ الْمُكَعْبَرِ الضبيُّ[٧] يرثي

---

(١) شرح الصولي: ١٦٤/٣، شرح التبريزي: ٣٩٣/٤، والبيت من الكامل.

(٢) شرح الصولي: ٣٨/٣، شرح التبريزي: ٣٢٣/٣، والبيت من الكامل.

(٣) «م»، «ط»، «ق»: (معنىٰ).

(٤) «ص»: (لما).

(٥) «م»، «ط»، «ق»: (صمدوا بها).

(٦) «ص»: (ولأمك).

(٧) محرز بن المكعبر الضبي من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة وفي اللسان «كعبر»: «يقال: كعبره بالسيف أي قطعه، ومنه سمىٰ المكعبر الضبي لأنه ضرب قوما بالسيف» «انظر معجم الشعراء ٣٣١، والحماسة شرح المرزوقي الحماسية ١٨٥، ٦١٠، والحماسة شرح التبريزي ١٥/٤» والبيت في الحماسة منسوبا إلىٰ عبد الله بن عَنَمَةَ الضَّبِّي يرثىٰ بسطام بن قيس، وقد ردّ عليه محرز بأبيات ذكر بعضها المرزباني في ترجمة محرز في معجم الشعراء.

بِسْطَامَ بنَ قيسٍ[1]:

لِأمِّ الأَرْضِ وَيْـــلٌ مَـــا أَجَنَّـــتْ ❊ بحيـــثُ أَضَـــرَّ بالْحَسَـــنِ السَّـــبِيلُ

فجعلَ للأَرضِ أمًّا.

وقدْ قالَ البحتريُّ[2]:

لَعَمْـرُ أَبـي الأَيَّـامِ مـا جَـارَ حُكْمُهَـا ❊ عَلـيّ، وَلا أَعْطيتُهَـا ثِنْـيَ مِقْـوَدِي

فجعلَ للأَيامِ أَبًا.

وقولُهُ: «شجونُ» جمعُ شَجَنٍ، وما أَقلَّ ما يجمعُ فَعَل على فُعُولٍ. قالوا: أَسدٌ وأسودٌ، وليسَ هو بابهُ، والشجنُ: الحاجةُ، والشجنُ: الهمُّ والحزنُ.

٣ ـ وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

مِــنْ سَـجَايَا الطُّلُـولِ أَنْ لا تُجِيبَـا ❊ فَصَــوَابٌ مِــنْ مُقَلتِــي أَنْ تَصُــوبَا

صدرُ هذا البيتِ جيدٌ، وقولهُ: «فصوابٌ» لفظةٌ ليستْ بجيدةٍ في هذا الموضعِ، وإنما أَرادَ التجنيسَ.

١ ـ وقالَ البحتريُّ[4]:

لا دِمْنَـــةٌ بِلِـــوَى خَبْـــتٍ وَلا طَلَـــلُ ❊ تَـــرُدُّ قَـــوْلاً علـــى ذِي لَوْعَـــةٍ يَسَـــلُ

وهذا ابتداءٌ جيدٌ لفظهُ ومعناهُ.

---

(١) انظر تخريج البيت في الجزء الثالث ص ١٤٣. والبيت من الوافر.

(٢) ديوانه: ٢/٧٧٢، والبيت من الطويل.

(٣) سبق ١/٥١.

(٤) ديوانه: ٣/١٧٥٨، والبيت من البسيط.

٢ ـ وقالَ البحتريُّ[١]:

صَـبٌّ يُخَاطِـبُ مُفحَمـاتِ طُلُـولِ ❊ مِــنْ سَــائلٍ بــالٍ وَمِــنْ مَسْــئولِ

أَرادَ أَنهُ بالٍ والطلولُ باليةٌ، وهو[٢] ابتداءٌ صالحٌ.

٣ ـ وقالَ البحتريُّ[٣]: [١٤/ص/ب]

عَزَمْــتُ علــىٰ المَنَــازِلِ أَن تُبِينَــا ❊ وَإِنْ دِمَــنٌ بَلِــينَ كَمــا بَلِينَــا

أَي: عزمتَ عليها أَن تُوضحَ لنا، ويكون «تبينُ»[٤] بمعنىٰ تُفصحُ هي في نفسها، يقالُ: بانَ الشيءُ وأبَانَ.

وقولُهُ: «وإن دِمَن بلينَ كما بلينا» أَي: عزمتُ عليها أَن تُبينَ لنا القولَ وإِنْ كانتْ قد بَليَتْ كما بَلينا نحنُ، وهذا البيتُ رديءُ العجزِ[٥].

٤ ـ وقالَ البحتريُّ[٦]:

أَقِـمْ عَلَّهـا أَنْ تَرْجـعَ القَـوْلَ أَوْ عَلِّـي ❊ أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بي مِن الخَبْلِ

وهذا أَيضًا بيتٌ رديءُ الصدر لفظهُ ومعناهُ؛ لأَنهُ أَرادَ أَن يقولَ: قفْ لعلها أَن تَرْجعَ القولَ أَو لعلِّي، فقالَ: «أَقم» مكان قِفْ، وليستْ هذه اللفظةُ نائبةً عن تلكَ؛ لأَنَّ الإِقامةَ ليستْ من الوقوفِ في شيءٍ، والدليلُ علىٰ أَنهُ أَرادَ أَن يقولَ: «قفْ» قولُهُ بعدَ هذا:

---

(١) ديوانه: ٣/١٦٦١، والبيت من الكامل.

(٢) «م»، «ط»، «ق»: (باك.... باكية، وهذا....).

(٣) ديوانه: ٤/٢٢٠٧، والبيت من الوافر.

(٤) «ص»: (بمعنىٰ يتضح)، «م»، «ط»، «ق»: (بما تفصح).

(٥) «ص»: (رديء التفخر) تحريف.

(٦) ديوانه: ٣/١٨٠٥، والبيت من الطويل.

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعةً ❁ فَقِفْهَا عَلى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِي

وقالَ: «علَّها أَو عَلِّي» وهما وإِن كانتا لفظتين عربيتين فَلَعَلَّ أَحسنُ من عَلَّ وأَبرعُ، وزادَ في تهجينها أَنهُ كرَّرها في مِصْراعٍ.

وقولُهُ: «أخلِّفْ فيها بعضَ ما بي من الْخَبْلِ» عَجُزٌ حسنٌ، [أَي][1] أَطْرَحهُ عني، [١٥/ص/أ] أَي: لعلِّي أَبكي فأخففَ بعضَ ما بي من البكاءِ، وإِلى هذا المعنى ذهبَ، وإِن لم يذكرِ[2] البكاءَ في البيتِ فقد ذكرهُ من بعدُ.

٥ ـ وقالَ[3]:

بِــاللهِ يَــا ربْــعُ لَمَّــا زدْتَ تِبْيانَــا ❁ فَقُلْتَ لي الْحَيُّ لَمَّا بَـانَ لِمْ بَانَـا؟

٦ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنْتَ قَائِلُهْ ❁ وَأَبْـدَى الْجَـوَابَ الرَّبْـعُ عَمَّـا تُسَـائِلُهْ

وهذا بيتٌ غيرُ جيدٍ؛ لأَنَّ عَجُزَ البيتِ مثلُ صدرِهِ سواءً في المعنى، وكأَنَّهُ بنى الأَمرَ على أَنَّ الدارَ غيرُ الربعِ، وأَنَّ السؤالَ إِن وقعَ وقعَ في محلينِ اثنينِ.

والبيتُ أَيضًا لا يقومُ بنفسهِ؛ لأَنَّهُ[5] جعلهُ مَعَلَّقًا بالبيتِ الثاني وهو قولُهُ:

أَفِي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوًى أَلْهَبَ الْحَشَا ❁ تَوَقُّـدُهُ وَاسْـتَغْزَرَ العـينَ جَائِلُـهْ[6]

---

(١) ساقطة من «ص».

(٢) «م»، «ط»، «ق»: (وإن لم يكن).

(٣) ديوانه: ٢١٤٩/٤. وفيه: (لما ازددت تبيانا........ فقلت في الحيِّ)، والبيت من البسيط.

(٤) ديوانه: ١٦١٠/٣، والبيت من الطويل.

(٥) في كل النسخ (وجعله)، والسياق يقتضي وجود (لأن).

(٦) «م»، «ق»، والديوان: (الدمع) وأشار في الهامش إلى رواية: (العين).

٧ ـ وقالَ أَيضًا[١]:

هَـلِ الرَّبْـعُ قَـدْ أَمْسَـتْ خَـلاءً مَنَازِلُـهْ ✿ يُجِيـبُ صَـدَاهُ أَوْ يخَبِّـرُ سَـائلُهْ

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

٨ ـ وقالَ[٢]:

عَسَـتْ دِمَـنٌ بـالأَبْرَقَيْنِ خَـوَالي ✿ تَـرُدُّ سَـلامِي أَو تُجِيـبُ سُـؤَالي

وهذا ابتداءٌ حسنٌ.

فهذا ما وجدتهُ لهما من الابتداءَاتِ في هذا [١٥/ص/ب] البابِ، وليسَ [لهما][٣] فيهِ بيتٌ بارعٌ.

والجيدُ [فيهِ] للبحتريِّ قولُهُ:

لا دِمْنَـةٌ بِلِـوَىٰ خَبْـتٍ وَلَا طَلَـلُ

وقولُهُ:

عَسَـتْ دِمَـنٌ بِـالأَبْرَقَيْنِ خَـوَالي

والجيد لأَبي تمامٍ بيتاهُ الأَولانِ، ومعناهما غيرُ معنىٰ هذينِ البيتين وأَلطفُ.

وبيتا البحتري أَجودُ لفظًا، وأَصحُّ سَبْكًا، فاجعلْهما[٤] في هذا البابِ متكافئينِ.

(١) ديوانه: ١٨٧٨/٣، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ١٧٠١/٣، والبيت من الطويل.

(٣) زيادة من: «م»، «ط»، «ق».

(٤) «م»، «ط»، «ق»: (وهما في هذا الباب متكافئان).

فيما[1] يختلف الظاعنين في الديارِ من الوحشِ وما يقاربُ معناهُ



١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[2]:

أَطْلَالُهُـــمْ سُـــلِبَتْ دُمَاهَـــا الْهِيفَـــا ❊ واسْـــتُبْدِلَتْ وَحْشًـــا بِهِـــنَّ عُكوفَـــا

وهذا أَيضًا بيتٌ جيدٌ لفظهُ ومعناهُ.

٢ ـ وقالَ أَيضًا[3]:

أَأَطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ ❊ أَقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بِالعِينِ والرُّبْدِ

العِينُ: بقرُ الوحشِ والظباءُ، والرُّبدُ: النعامُ، وقايضتِ: أَبدلتِ.

وهذا بيتٌ ليسَ بالجيدِ، ولا هو بالرديءِ.

٣ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

أَرَامَـــةُ كُنْـــتِ مَـــأْلَفَ كُـــلِّ رِيـــمِ ❊ لَـــوِ اسْـــتَمْتَعْتِ بـــالأُنْسِ المقـــيمِ

وهذا ابتداءٌ جيدٌ.

١ ـ وقالَ البحتريُّ[5]:

---

(١) «م»، «ط»، «ق»: (ما يخلف....).

(٢) شرح الصولي: ٦٩/٢، شرح التبريزي: ٣٧٦/٢، والبيت من الكامل.

(٣) شرح الصولي: ٤٥٥/١، شرح التبريزي: ٥٩/٢، والبيت من الطويل.
حور العين: أي حور العين من الناس، بالعين من بقر الوحش.

(٤) شرح الصولي: ٣٩١/٢، شرح التبريزي: ١٦٠/٣، وفيهما وفي «م»، «ط»، «ق»: (بالأنس القديم). ورواية الموازنة هي نفسها رواية النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام ص٢٥٣.

(٥) ديوانه: ٢٤٣٠/٤، والبيت من الكامل.

رَبْــعٌ خَــلَا مِــنْ بَــدْرِهِ مَغْنَــاهُ ❀ وَرَعَــتْ بِــهِ عِــينُ المَهَــا الأَشْـبَاهُ

[١٦/ص/أ] وهذا بيتٌ حسنٌ حلوٌ.

٢ ـ وقالَ [البحتريُّ أيضًا][١] :

عَهْــدِي بِرَبْعِــكَ مَأْنُوسًــا مَلَاعِبُــهُ ❀ أَشْــبَاهُ آرامِــهِ حُسْــنًا كَوَاعِبُــهُ

وهذا بيتٌ في غايةِ الجودةِ والبراعةِ لفظهُ ومعناهُ.

٣ ـ وقالَ [أَيضًا][٢] :

عَهْــدِي بِرَبْعِــكَ مُــثَّلاً آرَامُــهُ ❀ يُجْلَــىٰ بِضَــوْءِ خُــدُودِهِنَّ ظَلَامُــهُ

وهذا بيتٌ جيدُ اللفظِ والمعنىٰ، ولفظُ الأَولِ أَعلىٰ وأبرعُ.

وقولهُ: «يجلىٰ بضوء خدودهن ظلامه» حسنٌ جدًّا.

٤ ـ وقالَ أَيضًا[٣]:

أَرَىٰ بَــيْنَ مُلْتَــفِّ الْأَرَاكِ مَنَــازِلَا ❀ مَوَاثِــلَ لَــوْ كانَــتْ مَهَاهَــا مَــوَاثِلا

وهذا أَيضًا بيتٌ من بَارِعِ ابتداءَاتهِ.

فهذا ما وجدتهُ لهما في هذا النحوِ، والبحتريُّ في أَبياتهِ أَشعرُ من أَبي تمامٍ في أَبياتهِ.



(١) «ص»: (وقال:) والبيت في ديوانه: ١/٢٢٥، والبيت من البسيط.

(٢) «ص»: (وقال:) والبيت في ديوانه: ٣/٢٠٣٧، وهو من الكامل.

(٣) ديوانه: ٣/١٦٠٣ والبيت من الطويل.

وفيما تُهيِّجُهُ الديارُ وتبعثُهُ من جوى الواقفين بها



١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[1]:

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسَا ❊ تقري ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا

وهذا بيتٌ من جيدِ الابتداءَاتِ وبارِعها.

٢ ـ وقالَ البحتريُّ[2]:

مَغَانِي سُلَيْمىٰ بِالعَقِيقِ ودُورُهَا ❊ أَجَدَّ الشَّجَىٰ إِخْلاقُهَا وَدُثُورُهَا

[١٦/ص/ب] وهذا بيتٌ في جودةِ بيتِ أَبي تمامٍ وبراعتِهِ.

٣ ـ وقالَ أَيضًا[3]:

لَعَمْرُ المَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْثَدِ ❊ لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْدًا علىٰ ذِي تَوَجُّدِ

٤ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

مَا جَوُّ خَبْتٍ وَإِنْ نَأَتْ ظُعُنُهْ ❊ تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ

---

(١) شرح الصولي: ١/٥٨٠، شرح التبريزي: ٢/٢٦٢، وفي «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (وقرىٰ)، وهي رواية أخرىٰ، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٢/٩٩٨، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٢/٧٧١، وفي ديوانه وباقي النسخ (صحراء أربد) وذكر رواية الموازنة.

وأربد: قرية بالأردن قرب طبريّة. وأرثد: واد بين مكة والمدينة، في وادي الأبواء، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٤/٢٣٣١، وهو من المنسرح.

الجو: ما اتسع من الأودية. الدمن: آثار الديار، مفردها دمنة.

وقالَ أَيضًا[1]:

كُلَّمَـا شَـاءَتِ الرُّسُـومُ المُحِيلَـهْ ❊ هَيَّجَـتْ مِـنْ مَشُـوقِ صَـدْرٍ غَلِيلَـهْ

وهذهِ كلُّها ابتداءَاتٌ جِيادٌ، وهيَ معَ بيتِ أَبي تمامٍ متكافئةٌ.



(١) ديوانه: ١٦٣٩/٣ والبيت من الوافر.

الدعاءُ للدارِ بالسقيا

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[١]:

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ❊ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ

٢ ـ وقالَ أَيضًا[٢]:

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلُ الْعِهَادِ ❊ وَرَوَّضَ حَاضِرٌ منه وَبَادِ

وهذانِ ابتداءَانِ جيدانِ.

٣ ـ وقالَ أَيضًا[٣]:

يَا بَرْقُ طالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ ❊ وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَنْيُقِ

قولُهُ: «طالع» لفظةٌ رديئةٌ في هذا الموضعِ قبيحةٌ، وقولُهُ: «واحْدُ السحابَ[٤] لهُ حداء الأَنْيُقِ» لفظهُ ومعناهُ جيدانِ فصيحانِ، وإِنما خصَّ البرقَ [١٧/ص/أ] لأَنهُ دليلُ الغيثِ.

٤ ـ وقالَ أَيضًا[٥]:

---

(١) شرح الصولي: ٤١٩/٢، شرح التبريزي: ٢٨٩/٣، والأجش: الرعد، الهزيم: يحتمل أن يكون من الصوت، من ذلك قولهم: تهزّم الأديم، إذا تشقق، وهو من الكامل.

(٢) شرح الصولي: ٣٨٠/١، وفيه: (وغاد)، شرح التبريزي: ٢٦٩/١. وسبل العهادِ: مطر من أمطار يجيء بعضها في إثر بعض، والبيت من الوافر.

(٣) شرح الصولي: ٩٦/٢، شرح التبريزي: ٤٠٦/٢. يقول الخارزنجي: يقول للبرق: سُقْ سحابك برعده وصوبه إليه كما تُساقُ النوق بالحُداء، والبيت من الكامل.

(٤) «ص»: (المجاز) تحريف.

(٥) شرح الصولي: ١٤٨/٢، شرح التبريزي: ٤٤٧/٢. =

أَيُّهـا الْبَـرْقُ بِـتْ بِـأَعْلَىٰ الْبِـرَاقِ ❊ وَاغْـدُ فِيهـا بِوَابِـلٍ غَيْـدَاقِ

الْبِرَاقُ: جمعُ بُرْقةٍ، مثل بُرْمةٍ وبِرامٍ، وهي الأَرضُ ذاتُ الطينِ والْحَصَىٰ تكونُ ذاتَ أَلوانٍ مختلفةٍ.

وهذا بيتٌ جيدٌ، ووَصَلهُ ببيتٍ هو غايةٌ في الحسنِ والحلاوةِ نأتي بهِ إِن شاءَ اللهُ تعالىٰ في بابهِ.

٥ ـ وقالَ[١]:

يـا دارُ دَارَ عَلَيْـكِ إِرهَـامُ النَّـدَىٰ ❊ وَاهْتَـزَّ رَوْضُـكِ فِـي الثَّـرَىٰ فَتَـرَأَّدَا

يقالُ: أَرهمتِ السماءُ، إِذا أَتتْ بالرَّهَمةِ، وهو المطرُ اللينُ، يقالَ: رَهَمةٌ ورِهامٌ مثلُ أَكَمةٍ وإِكَامٍ[٢]، ورَهَمةٌ وأَرهامٌ مثلُ أَكَمَةٍ وآكامٍ، فإِن قلتَ: «أَرهامُ الندىٰ» كانَ ذلكَ سائغًا.

وترأَّدَ: تثنَّىٰ لكثرةِ مائهِ وغَضَاضتهِ، ومنهُ «امرأَةٌ رُودُ الشبابِ» أَي: غَضَّتهُ.

وهذا بيتٌ ليسَ بجيدِ اللفظ ولا النَّسْجِ.

١ ـ وقالَ البحتريُّ[٣]:

نَشَـدْتُكَ اللهَ مِـنْ بَـرْقٍ عَلَـىٰ إِضَـمِ ❊ لَمَّـا سَـقَيْتَ جَنُـوبَ الْحَزْنِ فَـالْعَلَمِ

= غيداق: كثير المطر مخصب، والبيت من الخفيف.

(١) شرح الصولي: ٤٨٩/١، شرح التبريزي: ١٠١/٢، والبيت من الكامل.

(٢) من قوله: (رهمة ورهام) إلىٰ قوله: (وآكام) ساقط من باقي النسخ والمطبوع، وهي في «ص».

(٣) ديوانه: ١٩٧٣/٣، والبيت من البسيط.

وهذا بيتٌ بارعُ اللفظِ، جيدُ المعنى، وزادَ في جَوْدتهِ [قولهُ][1]: «نشدتكَ اللهَ».

٢ ـ وقالَ أَيضًا[2]: [١٧/ص/ب]

سُقِيتِ الْغَـوَادِي مِـنْ طُلُـولٍ وَأَرْبُـعِ ❁ وَحُيِّيـتِ مِـنْ دَارٍ لِأَسْـمَاءَ بَلْقَـعِ

وهذا أَيضًا بيتٌ جيدُ اللفظِ والمعنى، ويدخلُ في بابِ التسْليمِ على الديارِ لقولهِ: «وحييتِ من دارٍ».

٣ ـ وقالَ أَيضًا[3]:

أُناشِـدُ الْغَيْـثَ كَـيْ تَهْمِـي غَوَادِيـهِ ❁ عَلَـى الْعَقِيـقِ وَإِنْ أَقْـوَتْ مَغَانِيـهِ

وهذا أَيضًا بيتٌ جيدٌ.

٤ ـ وقالَ أَيضًا[4]:

أَقَـامَ كُـلُّ مُلِـثِّ الْـوَدْقِ رَجَّـاسِ ❁ عَلَـى دِيَـارٍ بِعُلْـوِ الشَّـامِ أَدْرَاسِ

ملثٌّ: دائمٌ كثيرٌ، ورجَّاسٌ: مُصَوِّتٌ[5]، يريدُ الرعدَ.

وهذا بيتٌ كثيرُ الماءِ والرَّوْنَقِ.

٥ ـ وقالَ أَيضًا[6]:

---

(١) ليست في «ص».
(٢) ديوانه: ٢/١٢٣٧، والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: ٤/٢٤٢٢، والبيت من البسيط.
(٤) ديوانه: ٢/١١٤٧، والبيت من البسيط.
(٥) «ص»: «مصوب» تصحيف.
(٦) ديوانه: ٢/٧٥٢، والبيت من الخفيف، وفي «م»، «ط»، والمطبوع: (أو تقوده).

لا يَــرِمْ رَبْعَــكِ السَّــحَابُ يَجُــودُهْ ❁ تَبْتَــدِي سَــوْقَةُ الصَّــبا وَتَقُــودُهْ

٦ ـ **وقالَ أَيضًا**(١):

سقَىٰ دَارَ لَيْلىٰ حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا ❁ عِهَـادٌ مِـنَ الْوَسْـمِيِّ وُطْـفٌ غُيُومُهـا

وهذانِ ابتداءَانِ جيدانِ، وليسا مثلَ ما تقدمَ.

٧ ـ **وقالَ أَيضًا**(٢):

سَـقَىٰ رَبْعَهـا سَحُّ السَّـحَابِ وَهَاطِلُـهْ ❁ وَإِنْ لَــمْ يُخَبِّــرْ آنِفًــا مَــنْ يُسَــائِلُهْ

وهذا بيتٌ رديءُ العجزِ؛ من أَجلِ قولهِ: «آنفًا»؛ لأَنها حَشْوٌ لا حاجة بالمعنىٰ إليها.

فهذا ما ابتدآ بهِ من الدعاءِ للديارِ بالسُّقيا، وهما عندي [١٨/ص/أ] فيهِ متكافئانِ.



(١) ديوانه: ٢٠٢٣/٣، والبيت من الطويل. الوسمي: أول مطر الربيع؛ لأنه يسقي الأرض بالغياث. وُطْفٌ: جمع وطفاء، السحابة المسترخية كثيرة الماء.

(٢) ديوانه: ١٦٩٦/٣، والبيت من الطويل.

فِي لومِ الأَصحابِ فِي الوقوفِ على الديارِ

١ ـ قالَ أَبو تمامٍ[١]:

أَرَاكَ أَكْبَـرْتَ إِدْمَـانِي عَلـىٰ الـدِّمَنِ ✤ وَحَمْلِـيَ الشَّـوْقَ مِـنْ بَـادٍ وَمكْـتَمِنِ

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

٢ ـ وقالَ أَيضًا[٢]:

مَـا عَهِـدْنا كَـذَا نَحِيـبَ المَشُـوقِ ✤ كَيْـفَ وَالـدَّمْعُ آيَـةُ المَعْشُـوقِ

وهذا بيتٌ رديءٌ جدًّا، وقد ذكرتُ ما فيهِ في بابِ ما ذكرناه[٣] في وسطِ الكلامِ في تعنيفِ الأَصحابِ علىٰ الوقوفِ في الديارِ، وهذا البيتُ ابتداءٌ، وإِنما ذكرتُهُ هناكَ لأَنَّ معناهُ يتضحُ بالأَبياتِ بعدَهُ؛ فجعلتُهُ في ذلكَ البابِ. وليسَ لأَبي تمامٍ في لومِ الأَصحابِ ابتداءٌ غيرُ هذينِ البيتينِ.

فأَما البحتريُّ فإِنهُ تصرفَ فيهِ في ابتداءَاتٍ جيادٍ حسانٍ بارعةٍ حلوةٍ.

١ ـ فمنْ ذلكَ قولُهُ[٤]:

فِـيمَ ابْتِـدَارُكُمُ المَـلامَ وَلُوعَـا ✤ أَبَكَيْـتُ إِلَّا دِمْنَـةً وَرُبُوعَـا؟

وهذا بيتٌ حسنٌ، وفيهِ سؤالٌ، وهو أَن يقالَ: إِنما لاموهُ علىٰ بكائهِ علىٰ

(١) شرح الصولي: ٣/٤٦، شرح التبريزي: ٣/٣٣٧، والبيت من البسيط.

(٢) شرح الصولي: ٢/١٢٧، شرح التبريزي: ٢/٤٣٠، والبيت من الخفيف.

(٣) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (ما ذكر له....)، وانظر ٢/٢٥٤.

(٤) ديوانه: ٢/١٢٥٣، والبيت من الكامل. وقد سبق ١/١٦٨.

الدِّمْنَةِ والربوعِ ، فما وجهُ اعتذارِهِ بأَنَّهُ لم يبكِ إلا دمنةً [١٨/ص/ب] وربوعا ؟

فالجوابُ: أَنَّهُ وإنَّما[1] أَرادَ أَبكيتُ إلا ما مِثْلُهُ يُبْكي ، وقد تقدَّمني الناسُ فيهِ ولم يُنْكَر ذلكَ علىٰ أَحدٍ ؟

٢ ـ وقولُهُ[2]:

خُذَا مِنْ بُكائِي في المَنَازِلِ أَوْ دَعَا ❊ وَرُوحَا علىٰ لَوْمي بِهِنَّ أَوِ ارْبَعَا

وهذا بيتٌ جيدٌ حسنٌ .

٣ ـ وقولُهُ أَيضًا[3]:

ذاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاً ❊ مُقْصِرًا مِن مَلامَتِي أَوْ مُطِيلَا

وهذا بيتٌ جيدٌ حسنٌ ، بارعُ اللفظِ والمعنىٰ ، وقد ذكرتُهُ أَيضًا في بابِ الوقوفِ علىٰ الديارِ[4] .

٤ ـ وقولُهُ[5]:

أَحْرَىٰ الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيمَا ❊ قَوْلُ الْجَهُولِ: أَلا تَكُونُ حَلِيمَا

٥ ـ وقولُهُ[6]:

مَا أَنْتَ لِلكَلِفِ المَشُوق بِصَاحِبِ ❊ فَاذْهَبْ عَلىٰ مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ

---

(١) «ص»: (ما أراد ما بكيت) تحريف .

(٢) ديوانه: ١٢٦٣/٢ ، وفيه: (بكاءٍ) . أربعا: توقفا وارفقا ، والبيت من الطويل .

(٣) ديوانه: ١٧٦٦/٣ ، وفيه: (من صبابة) ، والبيت من الخفيف .

(٤) انظر ١٢٩/٢ .

(٥) ديوانه: ١٩٦٤/٣ ، والبيت من الكامل .

(٦) ديوانه: ١٥٨/١ ، والبيت من الكامل .

٦ ـ وقولُهُ(١):

فـي غيْـرِ شَـأْنِكَ بُكْرَتِـي وَأَصِـيلِي ✤ وَسِـوَىٰ سَـبِيلِكَ فِـي السُّـلوِّ سَـبِيلِي

٧ ـ وقولُهُ(٢):

بَعْــضَ هــذَا العِتَــابِ وَالتَّفنِيــدِ ✤ لَــيْسَ ذَمُّ الْوَفَــاءِ بِــالْمَحْمُودِ

ولهما أَيضًا في تأنيبِ العُذَّالِ في غيرِ الوقوفِ علىٰ الديارِ، ابتداءَاتٌ [١٩/ص/أ] ليسَ بضائرٍ ذكرُها ههنا.

١ ـ فمن ذلكَ قولُ أَبي تمامٍ(٣):

تَقِـي جَمحـاتِي لَسْـتُ طَـوْعَ مُـؤَنِّبِي ✤ وَلَـيْسَ جَنِيبِـي إِنْ عَـذَلْتِ بِمُصْـحِبي

٢ ـ وقولُهُ أَيضًا(٤):

دَأْبُ عَيْنِــي الْبُكَــاءُ وَالْحُــزْنُ دَابِــي ✤ فَاتْرُكِينِي ـ وُقِيـتِ مَـا بِـي ـ لِمَـا بِـي

٣ ـ وقولُهُ أَيضًا(٥):

كُفِّــي وغــاكِ فَــإِنَّنِي لَــكِ قَــالِي ✤ لَيْسَــتْ هَــوَادِي عَزْمَتِــي بِتَــوَالِي

٤ ـ وقولُهُ أَيضًا(٦):

---

(١) ديوانه: ٣/١٨٣٨، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ١/٦٣٢، والبيت من الخفيف.

(٣) شرح الصولي: ١/٢٤٣، وشرح التبريزي: ١/١٤٦، والبيت من الطويل. وشَرَحَ التبريزي البيتَ بكلام هو من شرح المرزوقي، ولم يشر إليه، وشرح المرزوقي في كتابه المفقود الانتصار من ظلمة أبي تمام، انظر: «ما وصل إلينا من كتاب الانتصار من ظلمة أبي تمام» لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، ص٣٦، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، سبتمبر ٢٠٠٩.

(٤) شرح الصولي: ١/٢٦٣، شرح التبريزي: ٤/٥١، يرثي أحمد بن هارون القرشي، والبيت من الطويل.

(٥) شرح الصولي: ٢/٣٠١، شرح التبريزي: ٣/٧٦، ووغاك: أي صوتك، والبيت من الكامل.

(٦) شرح الصولي: ٢/٤٤٨، شرح التبريزي: ٣/٢٧٢، وفيه: (قد أبنَّ)، وأبنَّ بالدار: إذا لزمها،=

لامَتْـــهُ لامَ عَشِـــيرُهَا وَحَمِيمُهَـــا ❀ مِنْهَـا خَلائِـقَ قَـدْ أَبَـرَّ ذَمِيمُهَـا

٥ ـ وقولُهُ أيضًا[1]:

مَتَـىٰ كـانَ سَـمْعِي خِلْسَـةً لِلَّـوَائِمِ ❀ وَكَيْـفَ صَـغَتْ للعَـاذِلِينَ عَزَائِمِـي

وقولُهُ أيضًا[2]:

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أَرْبَيْـتَ فـي الْغُلَـوَاءِ ❀ كَـمْ تَعْـذِلُونَ وَأَنْـتُمْ سُـجَرائي

وهذهِ كلها ابتداءَاتٌ صالحةٌ، إلا هذا البيتَ الأَخيرَ؛ فإنَّ الناسَ عابوهُ، ذكرَ [أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ داودَ بنِ الجرَّاحِ][3] في كتابهِ: أَنَّ مما عيبَ من ابتداءَاتِ الطائي قولُهُ:

قَـدْكَ اتَّئِـبْ أَرْبَيْـتَ فـي الغُلَـوَاءِ

وقولُهُ[4]:

كذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ [١٩/ص/ب] وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ

وقولُهُ[5]:

خَشُـنْتِ عَلَيْـهِ أُخْـتَ بَنِـي خُشَـيْنِ

= والبيت من الكامل.

(١) شرح الصولي: ٢/٣٩٦، شرح التبريزي: ٣/٢١٩، وفيه وفي المطبوع: (للعاذلات)، والبيت من الطويل.

(٢) سبق ١/١٨٨، ٥١٢.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

(٤) شرح الصولي: ٣/٢٩١، شرح التبريزي: ٤/٧٩، وعجزه:
فليس لعين لم يفض ماؤها عُذْرُ

(٥) سبق ١/٤٩٧.

فأَما قولُهُ: «خَشُنْتِ عليهِ» فهو لعمري من تجنيساته القبيحةِ، وعهدتُ مُجَّانَ البغداديينَ يقولونَ فيهِ: قليلُ نوره يذهبُ بالخشونة.

وأَما قولُهُ: «كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحَ الأَمرُ» فليسَ بمعيبٍ عندي، وقدْ ذكرتُهُ في ابتداءَاتِ المراثي، وأَخبرتُ بمعناهُ[1].

وأَما قولُهُ: «قدكَ اتئبْ أَربيتَ [في الغلواءِ][2]» فإِنها أَلفاظٌ صحيحةٌ فصيحةٌ من أَلفاظِ العربِ، مستعملةٌ في نظمهمْ ونثرهمْ، وليست من متعسفِ أَلفاظِهم، ولا وحشيّ كلامِهم؛ ولكنَّ العلماءَ بالشعرِ أَنكروا عليهِ أَنْ جَمعَها في مصراعٍ واحدٍ، وجعلهَا ابتداءَ قصيدةٍ، ولم يُفرقْ بينها بفواصلَ، فقالَ: «قدكَ اتئبْ أَربيتَ في الغلواءِ» فصار قولُهُ: «قدك اتئب» كأَنهما كلمةٌ واحدةٌ على وزنِ «مُسْتَفعلن»، وضمَّ إليها «أَربيتَ في الغُلَواءِ» فاسْتُهْجِنَتْ.

ولو جاءَ هذا في شعرِ أَعرابيٍّ لما أَنكروهُ؛ لأَنَّ الأَعرابيَّ إِنما ينظمُ كلامَهُ المنثورَ الذي يستعملُهُ في خطابِهِ ومحاوراتِهِ، ولو خاطبَ أَبو تمامٍ بهذا المعنى في كلامهِ المنثورِ لما قالَ لمنْ يخاطبهُ إِلا: حَسْبُكَ اسْتَحي زِدْتَ وَغَلَوْتَ، وهذا كلامٌ حسنٌ بارعٌ.

قالَ: فمن شأنِ [٢٠/ص/أ] الشاعرِ الْحضَريِّ أَن يأتيَ في شعرهِ بالأَلفاظِ العربيةِ المستعملةِ في كلامِ الحاضرةِ، فإِنْ اختارَ أَن يأتيَ بما لا يستعملُهُ أَهلُ الحضرِ، فمن سبيلِهِ أَن يَجْعلَهُ من المستعملِ في كلامِ أَهلِ البدْوِ دونَ الوحشيِّ الذي يقلُّ استعمالُهم إِياهُ، وأَن يجعلَهُ متفرقًا في تضاعيفِ أَلفاظهِ، ويضعَهُ في مواضعِهِ، فيكونَ قد اتسعَ مجالُهُ بالاستعانةِ بهِ، ودلَّ على فصاحتِهِ وعلمِهِ،

(١) انظر الجزء الثالث ص ٨٠.

(٢) سقط من «ص».

وتخلَّصَ من الهُجنَةِ، كما أَن الشاعرَ الأَعرابيَّ إِذا أَتىٰ في شعرهِ بالوحشيِّ الذي يقلُّ استعمالُهُ إِياهُ في منثورِ كلامهِ وما يجري دائمًا في عادتِه، هَجَّنهُ وقَبَّحهُ، إِلا أَن يضطرَ إِلىٰ اللفظةِ واللفظتينِ، ويقللَ، ولا يستكثرَ؛ فإِنَّ الكلامَ أَجناسٌ إِذا أَتىٰ منهُ شيء معَ غيرِ جنسهِ بايَنَهُ ونافرَهُ وأَظهرَ قبحَهُ.

وقد تَصَرّفَ البحتريُّ في هذا البابِ أَحْسَنَ تصرفٍ وأَبلغَهُ وأَعجبَهُ.

١ ـ فمن ذلك قولُهُ(١):

أَتَــارِكِي أَنْــتَ أَمْ مُغْــرًىٰ بِتَعْــذِيبِي ❊ ولائمي فِي الهوىٰ إِن كانَ يُزْرِي بِي

٢ ـ وقولُهُ [أَيضًا](٢) :

يُفَنِّــدُونَ وَهُــمْ أَدْنَــىٰ إِلــىٰ الفَنَــدِ ❊ ويُرْشِــدُونَ وَمَــا العُــذَّالُ مِــنْ رَشَــدِي

٣ ـ وقولُهُ أَيضًا(٣): [٢٠/ص/ب]

إِنَّمــا الغَــيُّ أَنْ يَكُــونَ رشــيدًا ❊ فَانْقُصَــا مِــنْ ملامِــهِ أَوْ فَزِيــدَا

٤ ـ وقولُهُ أَيضًا(٤):

أَلَــمْ يـكُ فِـي وَجْـدِي وَبَـرْحِ تَلَـدُّدِي ❊ نِهَايَــةُ نَهْــيٍ لِلعَــدُوِّ المُفَنِّــدِ

---

(١) ديوانه: ٩٢/١، وفيه: (هوًىٰ) وهي رواية «م»، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ٦٥٨/٣، وفيه: (وما التعذال)، والبيت من البسيط. و(أيضًا) ساقطة من «ص» وهي في باقي النسخ.

(٣) ديوانه: ٥٩٠/١، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ٨١٥/٢، وفيه: (نهيٌ للعذول)، والمفَنّد: المخطئ في القول والرأي، والبيت من الطويل.

٥ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(١):

مَرَنَـــتْ مَسَـــامِعُهُ عَلَـــىٰ التَّفْنِيـــدِ ❁ فعصـــىٰ الْمَـــلَامَ لأَعْـــيُنٍ وَخُـــدُودِ

٦ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٢):

شُـــغْلَانِ مِـــنْ عَـــذْلٍ وَمِـــنْ تَفنِيـــدِ ❁ وَرَسِـــيسُ حُـــبٍّ! طـــارِفٍ وَتَلِيـــدِ

٧ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٣):

أَقْصِـــرَا، لَـــيْسَ شَـــأْنِيَ الإِقْصَـــارُ! ❁ وَأَقِـــلَّا، لَـــنْ يُغْنِـــيَ الإِكْثَـــارُ

٨ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٤):

قُلْـــتُ لِلَّائِـــمِ فِـــي الْحُـــبِّ: أَفِـــقْ! ❁ لا تَهَـــوِّنْ طَعْـــمَ شَـــيءٍ لَـــمْ تَـــذُقْ!

٩ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٥):

أَمَـا كـانَ فِـي تِلـكَ الـدموعِ السَّـوَائلِ ❁ بَيَـــانٌ لِنَـــاءٍ أَوْ جَـــوَابٌ لِسَـــائِلِ

١٠ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٦):

أَكْثَـرتَ مِـنْ لَـوْمِ الْمُحِـبِّ فأَقْلِـلِ! ❁ وَأَمَـرْتَ بِالصَّـبْرِ الْجَمِيـلِ فَأَجْمِـلِ!

[٢١/ص/أ] ١١ ـ **وقولُهُ أَيضًا**(٧):

---

(١) ديوانه: ٨١٨/٢، وفي «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (فقضىٰ)، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٦٩٧/٢، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ٨٥٢/٢، والبيت من الخفيف، وفي «ص»: (أن يغني) تحريف.

(٤) ديوانه: ١٤٧١/٣، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ١٩٠١/٤، وفي «م»، والمطبوع: (الربوع) تحريف، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ١٧٩٩/٣، وفيه: (في لوم)، والبيت من الكامل.

(٧) ديوانه: ٢٢٧٥/٤، والبيت من الوافر.

رُوَيْـــدَكَ إِنَّ شَــأْنَكَ غَيْــرُ شَــانِي ❊ وَقَصْـرَكَ! لَسْـتُ طَاعَـةَ مَـنْ نَهَـانِي

١٢ ـ وقولُهُ أَيضًا(١):

يَكَــادُ عاذِلُنَــا فِــي الْحُــبِّ يُغْرِينَــا ❊ فَمَــا لَجَاجُــكَ فــي لَــوْمِ الْمُحِبِّينَــا

١٣ ـ وقولُهُ أَيضًا(٢):

عَــذِيرِي فِيــكِ مِــنْ لاحٍ إِذَا مَــا ❊ شَــكَوْتُ الْحُــبَّ حَرَّقَنِــي مَلامَــا

١٤ ـ وقولُهُ أَيضًا(٣):

طَفِقَــتْ تَلــومُ وَلَاتَ حِــينَ مَلامِــهِ ❊ لَا عِنْـــدَ كَرَّتِــــهِ وَلا إِحْجَامِــــهِ

ولا خفاءَ بفضلِ البحتريِّ على أبي تمامٍ في هذا البابِ.

وقد مضتْ الموازنةُ بين الابتداءَاتِ بذكرِ الديارِ والآثارِ، وأَنا الآنَ أَذكرُ ما جاءَ عنهما من ذلكَ في وسطِ الكلامِ.



(١) ديوانه: ٤/٢٢٠٠، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ٣/٢٠٠٨، والبيت من الوافر.

(٣) ديوانه: ٣/١٩٨٧، وفيه: (لا عند كبرته) وقال المحقق:

(ورد في الأصول جميعها: «لا عند كبرته» في حين ورد في المطبوع: «كرته» وكذلك ورد في بعض المراجع، والذي أوحى بهذه اللفظة ورودها مع لفظة «إحجامه» وأن القصيدة تصف فرسا، والحقيقة أنه يذكر كبر السن بدليل ما ورد في البيت الثاني من ذكر الظمأ الذي لم يرو ماء الشباب، ولا انجلت عنه صبواته رغم انقضاء أيامها).

وقلت: ورد في كل النسخ من الموازنة التي بيدي: «كرته»، وأما قوله: «وإن القصيدة تصف فرسا»، فليس ذكره «لكرة» يدل على ذلك، وربما كان الكرُّ الإحجامُ من الإنسانِ.

ما قالاهُ في أوصافِ الديارِ والبكاءِ عليها

قالَ أَبو تمامٍ(١):

طَلَلَ الْجَمِيعِ لقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا ❊ وَكَفَىٰ عَلَىٰ رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا

دِمَنٌ كأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالبًا ❊ دِمَنًا لَدَىٰ آرَامِهَا وحُقُودَا(٢)

[٢١/ص/ب] قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقلوبِ مِنَ الْجَوَىٰ ❊ وَتَرَكْتَ شَأوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا

خَضِلاً إِذَا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا ❊ وَطَنًا سَرَىٰ قَلِقَ الْمَحلِّ طَرِيدَا(٣)

وقولُهُ: «وكفىٰ علىٰ رزئي بذاكَ شهيدا» ليسَ بالجيدِ، وقد ذكرتُ معناهُ فيما تقدمَ من ذكرِ معانيهِ في بابِ الابتداءَاتِ عندَ ذكرِ البيتِ(٤).

وقولُهُ: «قَرّبتَ نازحةَ القلوبِ من الجوىٰ» يريدُ القلوبَ التي بَعُدَ عهدُها بمرضِ الحبِ فأَدنيتَها من ذاكَ عندَ الوقوفِ عليكَ، يخاطبُ الطللَ أَو الدمنَ.

وقولُهُ: «وتركتَ شأْوَ الدمعِ فيكَ بعيدًا» أَي دائمًا طويلًا. وقولُهُ:

خضِلاً إِذا العبراتُ لم تبرحْ لها ❊ وطنًا سَرَىٰ قَلِق المحلِّ طريدَا

أَي: مَنْ كانَ إِنما يبكي في وطنهِ علىٰ الحوادثِ التي تحدُثُ [عليهِ](٥)

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٠٢، شرح التبريزي: ١/٤٠٥، والبيت من الكامل.

(٢) الدمن الأولىٰ: جمع دمنة، وهي آثار القوم في الديار، والدمن الثانية: جمع دمنة وهي الحقد وبقيته في القلب.

(٣) «ص»: (فضلا) تحريف.

(٤) انظر ١/٩١.

(٥) ساقط من «ص» وهي في باقي النسخ.

فيهِ ، سَرَىٰ هذا الدمعُ قلقَ المحلِّ طريدًا ، أَي اعتسفَ المسيرَ لطولِهِ حتىٰ حلَّ بهذهِ الدِّمنِ ، وهذا نحوٌ من قولِهِ(١):

فَمَا وَجدْتُ عَلىٰ الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ ❊ دَمْعٍ علىٰ وَطَنٍ لي في سِوَىٰ وَطَنِي

فقولُهُ: «علىٰ وطنٍ لي» يعني الرسومَ والطلولَ التي يقفُ عليها.

وهذا من جيدِ أَلفاظهِ وصحيحِ معانيهِ، وغرضُهُ فيما وصفَ من الدمعِ [٢٢/ص/أ] غرضٌ حسنٌ، وأَحسنُ منه وأَلطفُ وأَغربُ قولُهُ(٢):

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا ❊ فَلَا تَكُفَّنَّ عَنْ شأْنَيْكَ أَوْ يَكِفَا

لَا عُذْرَ للصَّبِّ أَنْ يَقْنِي السُّلوَّ وَلا ❊ للدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الحَيِّ أَنْ يَقِفَا(٣)

حَتَّىٰ يَظَلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ ❊ في الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْ رَعِفَا(٤)

وهذا المعنىٰ ليسَ لهُ، وإِنما أَخذَهُ من قولِ أَبي وَجْزَةَ السَّعْديِّ(٥):

---

(١) شرح الصولي: ٤٦/٣، شرح التبريزي: ٣٣٨/٣، وفيهما: (أوقد من)، والبيت من البسيط.

(٢) سبق ١٥٢/٢، والشأنان: عروق تصل بين أجزاء الرأس.

(٣) يقني السلوّ: يدخره ويمسكه، وعند الصولي والتبريزي: يقني الحياء، وجاء في النسخة الأندلسية من ديوانه ص١٨٦: (السلو)، وأمام القصيدة: (صحت من خطه) أي من خط أبي تمام.

(٤) شرحه التبريزي: فقال: (تقديره: حتىٰ يظل هذا الصب يُحْسَبُ قد رعف من عينيه بماء سافح ودم، لاختلاط الدمع بالدم).

(٥) هو يزيد بن أبي عبيد السلمي السعدي، نشأ في بني سعد فغلب عليه نسبهم، وهو شاعر مشهور من التابعين، وهو محدث مقرئ، سكن المدينة، وانقطع إلىٰ آل الزبير ومات بها سنة ١٣٠هـ. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٠٢/٢، والأغاني ساسي: ٧٥/١١).
والبيت في ديوانه: ص١٤٥، جمع ودراسة وليد محمد السراقبي، المجمع الثقافي، أبو ظبي.
والصردان: جمع صرد، طائر، والدفيف: أن يدف الطائر علىٰ وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير، ويقال: لمع الطائر بجناحيه، وألمع بهما: حركهما في طيرانه وخفق بهما (من سيد صقر).

عُيُــونٌ تَرَامَــىٰ بالرُّعَــافِ كأَنَّهــا ❊ مِـنَ الشَّـوْقِ صِـرْدانٌ تَـدِفُّ وتَلْمَـعُ

قيلَ في تفسيرِهِ: شبَّهَ الدمعَ وقدْ عَصْفَرهُ الدمُ بالرُّعَافِ، وشَبَّه العيونَ ـ وهي تفيضُ بالدمعِ تارةً وتحبسهُ أُخرىٰ ـ بالصِّردانِ تَنْتَفضُ تارةً وتظهرُ قريبًا من الأَرضِ تارةً.

وبيتُ أَبي تمامٍ أَجودُ لفظًا ونظمًا.

ولا أَعلمُ البحتريَّ ذهبَ إِلىٰ مثلِ هذا المعنىٰ، ولا للمعنىٰ الذي قبلَهُ في وصفِ الدمعِ، ولكنهُ يعتذرُ مرةً بقِلَّةِ دمعهِ، ومرةً يذكرُ كثرتَهُ ويفتخرُ بِغَزْرِهِ، وفي كلِّ ذلكَ يُحْسِنُ ويُجيدُ.

فمن اعتذارِهِ قولُهُ في قصيدتِهِ التي أَولها(١):

فِـيمَ ابْتِــدَارُكُمُ الْمَــلامَ وَلُوعَــا ❊ أَبَكَيْــتُ إِلَّا دِمْنَــةً وَرُبُوعَــا؟!

يَــا دَارُ غَيَّرهــا الزَّمَــانُ وَفَرَّقَــتْ ❊ عنهـا الْحَـوَادِثُ شَـملَهَا المجْمُوعَـا

[٢٢/ص/ب] لَوْ كانَ لِي دَمْعٌ يُحَسِّنُ لَوْعَتِي ❊ خَلَّيْتُــهُ فــي عَرْصَــتَيْكِ خَلِيعَــا(٢)

لا تخطُبِــي دَمْعِــي إِلــيَّ فَلَــمْ يَــدَعْ ❊ فــي مُقْلَتــيَّ جَـوَىٰ الْفِـرَاقِ دُمُوعَـا

فقولهُ في ابتداءِ القصيدةِ: «أَبَكَيْتُ إِلا دمنةً وربوعا» قد أَخبر أَنهُ بكىٰ، ثم قالَ: «لو كانَ لي دمعٌ يُحسِّنُ لوعتي» أَي: لو كانَ لي دمعٌ غزيرٌ يليقُ بلَوْعَتي ويبينُ عنها.

وكذلك قولُهُ: «فلم يدعْ في مقلتيَّ جوىٰ الفراقِ دموعًا» أَي: دموعًا كافيةً

(١) ديوانه: ٢/١٢٥٣، وقد سبق البيت الأول في ٢/١٧٠. والبيت من الكامل.

(٢) في ديوانه: (لتركته).

أَرضَاها، أَو دموعًا تسعفُني؛ لأَنهُ استقلَّ دَمعَهُ واسْتَنْزرَهُ، أَو أَنْ يكونَ انقطعَ دمعهُ وفنىٰ.

وللهِ درُّ كُثَيِّرٍ إِذ يقولُ(١):

وَقَضَّيْنَ مَا قضَّيْنَ ثُمَّ تَرَكْنَنِي ❊ بفَيْفَا خُرَيْمٍ وَاقِفًا أَتَلَدَّدُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنَّتْ بمَائِهَا ❊ عَلَيَّ ولا مِثْلي عَلىٰ الدَّمْعِ يُحْسَدُ

وقولُ أَبي تمامٍ(٢):

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَراكَ دَرِيسَا ❊ تَقْري ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا

وَلئن حُبِسْتُ عَلىٰ الْبلىٰ لَقَدِ اغْتَدَىٰ ❊ دَمْعِي عَلَيْك إِلىٰ المماتِ حَبيسَا

وأَرَىٰ رُسُومَكَ مُوحِشَاتٍ بَعْدَمَا ❊ قَدْ كُنْتَ مَألوفَ المحَلِّ أَنِيسَا

[٢٣/ص/أ] وَبَلاقِعًا حَتَّىٰ كأَنَّ قَطِينَهَا ❊ حَلَفُوا يَمِينًا أَخْلَفَتْكَ غَمُوسَا

[وقولُهُ: «حلفوا يمينًا أَخلفتْك» أي: كأنهمْ](٣) حلفوا يمينًا أَنْ لا يعودُوا إِليكَ فأَخلفتكَ هذهِ اليمينُ، وهذا كلامٌ رصينٌ حلوٌ(٤).

ومن حلوِ معانيهِ وجيدِ أَلفاظهِ في البكاءِ علىٰ الديارِ قولُهُ(٥):

---

(١) سبق في ٢/١٣١.

(٢) سبق في ٢/١٦٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

(٤) شرح أبو العلاء المعري هذا البيت فقال كما نقل التبريزي:
(هذا المعنىٰ مبني علىٰ الحديث المروي، وهو قولهم: «الأعيان الكاذبة، تترك الديار بلاقع» يقول: كأن أهل هذا الربع حلفوا يمينا كاذبة، فتركت ديارهم بلاقع، والغموس التي تغمس في الإثم).

(٥) شرح الصولي: ٢/٩٦، شرح التبريزي: ٢/٤٠٦ والبيت من الكامل. «لوت» أي ثنت، أي كان=

دِمَــنٌ لَــوَتْ عــزْمَ الفُــؤادِ وَمُزِّقَــتْ ❊ فِيهــا دُمُــوعُ الْعَــيْنِ كــلَّ مُمَــزَّقِ

وقالَ أَيضًا[1]:

سَــقَىٰ عَهْــدَ الْحِمَــىٰ سَــبَلُ الْعِهَــادِ ❊ وَرُوِّضَ حَاضِـــرٌ مِنْـــهُ وَبَـــادِ

نَزَحْـــتُ بِـــهِ رِكِـــيَّ الْعَـــيْنِ إِنِّـــي ❊ رَأَيْـــتُ الـــدَّمْعَ مِـــنْ خَيْـــرِ الْعَتَـــادِ[2]

هذا بيتٌ في غايةِ الجودةِ لفظهُ ومعناهُ، إلَّا أنه وصله بكل تخليط. فقالَ[3]:

فَيَــا حُسْــنَ الرّسُــومِ وَمــا تَمَشَّــىٰ ❊ إِلَيْهَــا الــدَّهْرُ فــي صُــوَرِ البِعَــادِ

وهذا بيتٌ في غايةِ الرداءَةِ والسخافةِ لفظهُ ومعناهُ، يريدُ: فَيَا حسنَ الرسومِ ولم يمشِ إليها الدهرُ: أَي لم يصبْها الدهرُ ببُعْدِ أَهلها عنها، فأَخرجَهُ بهذا اللفظِ[4] القبيحِ المستهجنِ.

ومن إحسانِ البحتريِّ المشهورِ في هذا قولُهُ[5]: [٢٣/ص/ب]

أَمَحِلَّتَــيْ سَــلْمىٰ بِكاظِمَــةَ اسْــلَمَا ❊ وَتَعَلَّمــا أَنَّ الجــوَىٰ مَــا هِجْتُمَــا

هَــلْ تُرْوِيَــان مِــنَ الأَحِبَّــةِ هائمًــا ❊ أَوْ تُسْــعِدَانِ عَلَــىٰ الصَّــبابَةِ مُغْرَمَــا

= في الفؤاد تعدِّيها والاستمرارُ علىٰ السير، فلما انتهينا إليها ثنت هذا العزم، وردته حتىٰ تركنا السير، ووقفنا عليها.

(١) سبق ٢/١٦٦.

(٢) (ركي العهد) تحريف.

(٣) في «ص»: (الدهر وصور) تحريف.

(٤) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (فأخرجه هذا المخرج).

(٥) ديوانه: ١٩٥٨/٣، وقد سبق ١٤٢/٢.

أَبْكِيكُمَـا دَمْعًـا وَلَـوْ أَنِّـي عَلَـىٰ ❊ قَـدْرِ الْجَـوىٰ أَبْكِـي بَكَيْتُكُمَـا دَمَـا

ومن جيدِ أَشعارِ أَبي تمامٍ في هذا البابِ أَيضًا، قولُهُ[1]:

أَرَامَـةُ كُنْـتِ مَـأْلَفَ كـلِّ رِيـم ❊ لَـوِ اسْـتَمْتَعْتِ بِـالأُنْسِ الْمُقِـيمِ

أَدَارَ الْبُـؤْسِ حَسَّـنَكِ التَّصَـابي ❊ إِلَـيَّ فَصِـرْتِ جَنَّـاتِ النَّعِـيمِ

لَـئِنْ أَصْـبَحْتِ مَيْـدَانَ السَّـوَافِي ❊ لَقَـدْ أَصْـبَحْتُ مَيْـدَانَ الْهُمُـومِ[2]

وَمِمَّـا ضَـرَّمَ الْبُرَحَـاءَ أَنِّـي ❊ شَـكَوْتُ فَمَـا شَـكَوْتُ إِلَـىٰ رَحِـيمِ

أَظُـنُّ الـدَّمْعَ فِـي خَـدِّي سَـيُبْقِي ❊ رُسُـومًا مِـنْ بُكَـائِي فـي الرُّسُـومِ

وهذا من أَسهلِ كلامهِ وأَسلسِ نظمهِ، ومن أَبعدِ قولٍ من[3] التكلفِ والتعسفِ، وأَشبهِهِ بكلامِ المطبوعينَ وأَهلِ البلاغةِ.

وقولُهُ: «فصرتِ جناتِ النعيمِ» معنًىٰ حسنٌ، ولكن فيه إِسرافٌ أَن يجعلَ دارًا قد خلتْ من أَهلها ـ دارَ بؤسٍ وهو باكٍ فيها ـ جناتِ النعيمِ.

وقد أَتىٰ البحتريُّ بهذا المعنىٰ متبعًا فيه أَبا تمامٍ، ولكنهُ جاءَ بهِ علىٰ سبيلِ الاقتصادِ والاعتدالِ، وتَجنُّبِ [٢٤/ص/أ] الإِفراطِ، فقالَ[4]:

يـا مَغـانِي الأَحْبَـابِ صِـرْتِ رُسُـومَا ❊ وَغـدَا الـدَّهْرُ فِيـكِ عِنْـدِي مَلُومَـا

أَلِـفَ الْبُـؤسُ عَرْصَـتيكِ وقَـدْ كُنْـ ❊ ـتِ بِعَيْنَـيَّ جَنَّـةً ونعِيمَـا

فقال: «أَلِف البؤسُ عرصتيك» ثم قال: «وقد كنت بعيني جنة ونعيما»

---

(١) سبق ٢/١٦٢.

(٢) «ص»، «ر»: (ميدان التصابي) تحريف.

(٣) «ص»، «ر»: (في التكلف) تحريف.

(٤) ديوانه: ٤/٢٠٥٧، والبيت من الخفيف.

فجعلها جنةً ونعيما فيما مضىٰ. ومع هذا فإني أَقول: إِن بيت أَبي تمام أَحسنُ، وهو في سائر أَبياته أَشعر.

وقالَ البحتري[1]:

لعَمْرُ الرسُومِ الدَّارِساتِ لقدْ غدَتْ ❊ برَيّـا سُـعَادٍ وَهْـي طَيِّبَـةُ الْعَـرْفِ
بَكَيْنَـا فَمِـنْ دَمْـعٍ يُمَازِجُـهُ دَمٌ ❊ هَنَـاكَ وَمِـنْ دَمْـعٍ نَجُـودُ بِـهِ صِـرْفِ

وهذا حسنٌ جدًّا، وإنما أَخذَ قولَه: «بريّا سعاد وهي طيبة العَرْفِ» من قول الآخر[2]، أَنشده الأَخفشُ عن المبردِ[3]:

وَاسْـتُودِعَتْ نَشْـرَها الـدِّيَارُ فمَـا ❊ تـزْدَادُ إِلَّا طِيبًـا عَلـىٰ الْقِـدَمِ

وهذا أَجودُ من بيتِ البحتري؛ لما فيه من الزيادةِ الحسنةِ، وهو قوله: «فما تزداد إِلا طيبًا علىٰ القدم».

وقالَ البحتريُّ[4]:

تـرَىٰ اللَّيْـلُ يَقْضِـي عُقْبَةً مِـنْ هَزِيعِـهِ ❊ أَو الصُّبْحُ يَجْلُـو غُـرَّةً مِـنْ صَـدِيعِهِ
[٢٤/ص/ب] أَو الْمَنْزِلُ العَافِي يَرُدُّ أَنِيسَهُ ❊ بكَـاءً عَلـىٰ أَطْلالِـهِ وَرُبُوعِـهِ
إِذا ارتفَـقَ الْمُشْـتَاقُ كَـانَ سُـهادُهُ ❊ أَحَـقَّ بجفْنَـيْ عَيْنِـهِ مِـنْ هُجُوعِـهِ[5]

وهذا لفظٌ فَحْلٌ، ومعانٍ في[6] غايةِ الصحةِ والاستقامةِ.

---

(١) ديوانه: ١٣٩٨/٣، والبيت من الطويل.
(٢) «ص»، «ر»: (من قول آخر وأنشده الأخفش) تحريف.
(٣) البيت غير منسوب في الأشباه والنظائر للخالديين، ص١١، تحقيق د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة. وفي الأغاني ساسي: ٤٥/٢٠، والبيت من المنسرح.
(٤) ديوانه: ١٢٧٥/٢، والبيت من الطويل.
(٥) «ص»، «ر»: (إذا اتفق..... كان شهوده) تحريف.
(٦) «ص»، «ر»: (ومعانٍ وغاية).

وللبحتريِّ في وصفِ الديارِ والبكاءِ عليها مذهبٌ آخرُ، وهو حسنٌ جدًّا. من ذلكَ قولُهُ[1]:

أَبُكَـاءً فِـي الـدَّارِ بَعْـدَ الـدَّارِ ❊ وَسُـلُوًّا بِزَيْنَـبٍ عَـنْ نَـوَارِ
لا هنَـاكَ الشُّغْلُ الْجَديـدُ بِحُـزْوَىٰ ❊ عَـنْ رُسُـومٍ بِـرامَتَيْنِ قِفَـارِ
مـا ظَنَنْـتُ الأَهْـوَاءَ قَبْلَـكَ تُمْحَـىٰ ❊ مِـنْ صُـدُورِ العُشَّـاقِ مَحْـوَ الـدِّيارِ[2]
دِمْنَـةٌ رَدَّتِ الهَـوَىٰ الشَّـرْقَ غَرْبًـا ❊ وَأَمالَـتْ نَهْـجَ الـدُّمُوعِ الْجَـوَارِي

وهذا غرضٌ حلوٌ، ومعنىً لطيفٌ.

ومثلُهُ قولُهُ ولكن ليسَ فيهِ ذكرُ البكاءِ[3]:

أَبيـتُ بـأَعْلىٰ الحَـزْنِ والرمْـلُ دُونَـهُ ❊ مَغَـانٍ لَهَـا مَجْفُـوَّةٌ وَطُلُـولُ
وَقَـدْ كُنْـتُ أَهْـوَىٰ الـرِّيحَ غَرْبًـا مهبُّهـا ❊ فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَىٰ الرِّيحَ وَهْيَ قَبُولُ[4]

قالَ ذلكَ: لأَنَّ القَبولَ هي الصَّبَا، ومهبُّها من مطلعِ الشمسِ.

ونحوهُ قولُهُ[5]:

[٢٥/ص/أ] كَلَّفَتْنـي أَرْيَحِيَّـاتُ الصِّـبا ❊ طَلَقًـا فِـي الشَّـوْقِ مُمْتَـدَّ السَّـنَنْ
نَقَلَتْنـي فـي هَـوًىٰ بَعْـدَ هَـوًىٰ ❊ وَابْتَغَـتْ لـي سَـكَنًا بَعْـدَ سَـكَنْ

وقولُهُ[6]:

---

(١) سبق في ٢/١٥٥، والبيت من الخفيف.
(٢) «ص»، «ر»: (من صدود) تحريف.
(٣) ديوانه: ٣/١٨٣٤، والبيتان من الطويل.
(٤) في الديوان: (غربًا مآبها)، «ص»: (غربا نميتها) تحريف.
(٥) ديوانه: ٤/٢١٥٣، والبيتان من الخفيف.
(٦) سبق في هذه الصفحة.

مَـا ظَنَنْـتُ الأَهْـوَاءَ قَبْلَـكَ تُمْحَـىٰ ❊ مِـنْ صُـدُورِ العُشَّـاقِ مَحْـوَ الـدِّيارِ

معنىٰ حسنٌ، وإنما أخذَهُ منْ قولِ أبي تمامٍ(١):

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفا الغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ ❊ مِنْهـا طُلُـولٌ بـاللِّوَىٰ وَرُسُـومُ

وبيتُ البحتريُّ أحلىٰ وأبرعُ(٢).

وقالَ البحتريُّ في وجهٍ آخرَ، وهو أيضًا حَسَنٌ لطيفٌ(٣):

فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ دِمْنَـةٌ مِـنْ حُـبِّهِمْ ❊ تُقْـوِي وَرَبْـعٌ بَعْـدَهُمْ يَتَأَبَّـدُ

أَوَمَـا كَفانَـا أَنْ بَكَيْنـا «غُرَّبَـا» ❊ حَتَّـىٰ شَـجَانا بالمَنَـازِلِ «ثَهْمَـدُ»(٤)

ومثلُهُ(٥):

هُـوَ الـدَّمْعُ مَوقُوفًـا عَلـىٰ كـلِّ دِمْنَـةٍ ❊ تُعَـرِّجُ فِيهـا أَوْ خَلِـيطٍ تُزَايِلُـهْ

تَـرَادَفَهُم خَفْـضُ الزَّمَـانِ وَلِينُـهُ ❊ وَجَـادَهُمُ طَـلُّ الرَّبِيـعِ وَوَابِلُـهْ(٦)

وإنما حَذا البحتريُّ هذا المعنىٰ علىٰ حَذْوِ قولِ كُثيِّرٍ(٧):

وكُنْـتُ امـرأً بـالغَوْرِ منِّـي ضَـمانةٌ ❊ وأخْرَىٰ بِنَجْـدٍ، مـا تُعِيـدُ ومـا تُبْـدِي

[٢٥/ص/ب] فَطَوْرًا أَكُرُّ الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ ❊ وطَـوْرًا أَكُـرُّ الطَّـرْفَ كَـرًّا إِلـىٰ نَجْـدِ

---

(١) شرح الصولي: ٤١٩/٢، شرح التبريزي: ٢٨٩/٣، والبيت من الكامل.

(٢) «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع: (أحلىٰ وأبدع).

(٣) ديوانه: ٦٢٧/١، والبيتان من الكامل. وتُقْوِي: تقفر، يتأبد: يتوحش.

(٤) غرّب وثهمد: جبلان.

(٥) ديوانه: ١٦١١/٣، والبيتان من الطويل.

(٦) ترادف: تبع بعضه بعضا.

(٧) ديوانه: ص٤٤٥، والأبيات من الطويل.

وَأَبْكِـي إِذَا فَارَقْـتُ هِنْـدًا صَـبابَةً ❁ وَأَبْكِي إِذا فارَقْتُ دَعْدًا عَلىٰ دَعدِ[1]

وهذا ما لا مزيدَ فيه علىٰ حسنهِ وحلاوتهِ، ومثلُهُ قولُ جريرٍ[2]:

أَخَالِـدُ قَـدْ عَلِقْتُـكِ بَعْـدَ هِنْـدٍ ❁ فَشَـيَّبَنِي الْخَوَالِـدُ والهُنُـودُ[3]

هَـوًىٰ بِتِهامَـةٍ وَهَـوًىٰ بِنَجْـدٍ ❁ فَبَلَّتْنِـي التَّهـائمُ والنُّجُـودُ[4]

وقالَ جريرٌ في نحوِ هذا[5]:

إِلـىٰ اللهِ أَشـكو أَنَّ بـالغَورِ حاجـةً ❁ وأُخـرىٰ إِذا أَبصـرتُ نجـدًا بَـدَا لِيَـا

ومثْلُهُ قولُهُ أَيضًا[6]:

أُحِـبُّ ثَـرَىٰ نجْـدٍ وبـالْغَوْرِ حَاجَـةٌ ❁ فَغَـارُ الْهَـوَىٰ يـا عَبْـدَ قَـيْسٍ وَأَنْجَـدَا



---

(١) «ص»، «ر»: (إلىٰ دعد) تحريف.

(٢) ديوانه: ١/٣١٨، والبيتان من الوافر.

(٣) ديوانه: (فبلَّتني الخوالد...)، بللت به: عَلِقتُهُ، والبلُّ: اللهج بالشيء، وذكر رواية الموازنة.

(٤) ديوانه: (فبلتني التهائم).

(٥) ديوانه: ١/٧٥، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ٢/٨٥٠، والبيت من الطويل.

وهذا بابٌ في وصفِ أطلالِ الديارِ وآثارِها

قالَ أَبو تمامٍ[١]:

قِفُوا نَعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ ❁ لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْسَاءٌ غِزَارُ
عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ ❁ يَكُونُ لَهُ عَلَىٰ الزَّمَنِ الخِيَارُ[٢]
أَثَافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حَزْنًا ❁ وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السِّوَارُ

قولُهُ: «أَحساء» جمع حِسْيٍ، وهو الماءُ يغيضُ في الرملِ، [٢٦/ص/أ] فإذا وصلَ إِلىٰ الصلابةِ وقفَ فيُحْفَرُ عنهُ ويشربُ.

وقد قالَ في موضعٍ آخرَ[٣]:

وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَجْتَلِبْ مَاءَهُ الوَجْدُ

وقولُهُ: «أَثافٍ كالخدودِ لُطمنَ حزنًا» من قولِ المَرَّارِ الفَقْعَسِيِّ[٤]:

أَثَرُ الوقودِ علىٰ جوانِبِها ❁ بخدودهنَّ كأَنَّهُ لَطْمُ

وقالَ البحتريُّ[٥]:

(١) شرح الصولي: ٥١١/١، شرح التبريزي: ١٥٣/٢، وفيهما (قفا)، والأبيات من الوافر.
(٢) قال التبريزي: لأنَّ الزمانَ لا يجيءُ علىٰ اختيارِه، بل يُبليه ويخلقه.
(٣) شرح الصولي: ٤٦٦/١، شرح التبريزي: ٨٠/٢. وصدره:
تجرع أسىٰ قد أقفر الجَزَعُ الفَرْدُ
والبيت من الطويل.
(٤) سبق ٢٣٧/١.
(٥) ديوانه: ١٣٨٥/٣، والأبيات من الخفيف.

عِـوَضٌ مِـنْهُمُ خَسِـيسٌ - وَقَـدْ حَلُّـ ❊ ـوا اللِّـوىٰ - مَنْـزِلٌ بِـوَجْرَةَ عَـافِي
لَـمْ تَـدَعْ مِنـهُ مُبْلِيـاتُ اللَّيَـالِي ❊ غَيْـرَ نُـؤْيٍ تَسْـفي عَليـهِ السَّـوَافِي[1]
وَأَثَــافٍ أَتَــتْ لَهَــا حِجَــجٌ دُو ❊ نَ لَظَــىٰ النَّــارِ مُثَّــلٌ كالأَثَــافِي

قولُهُ: «مُثَّلٌ» أَي قائمةٌ ثابتةٌ «كالأَثافي»، يريدُ الكواكبَ التي عندَ الفرقدينِ وهي ثلاثةٌ، قيلَ لها أَثافٍ لشبهها بالأَثافي، فشبَّهَ البحتريُّ الأَثافيَّ بها لثباتِها وأَنَّها مُثَّلٌ علىٰ [مرِّ][2] الدهرِ.

قالَ أَبو حنيفةَ الدينوري[3] في كتابهِ كتابِ الأَنواءِ: إِن في[4] تثليثها طُولاً، ولو شبَّهها البحتريُّ بالنَّسرِ الواقعِ ـ لأَنهُ أَشهرُ وأَظهرُ وأَقربُ شبهًا ـ لكانَ ذلكَ أَحسنَ وأَليقَ وأَكشفَ للمعنىٰ [٢٦/ص/ب] من أَن يشبهها بشيءٍ إِنما استعيرَ لهُ اسمُها، وليسَ يعرفُهُ كلُّ أَحدٍ، ولكنهُ جاءَ بهِ من أَجلِ القافيةِ.

وقالَ البحتريُّ[5]:

لَهَـا مَنْـزِلٌ بَـيْنَ الـدَّخُولِ فَتُوضِـحِ ❊ مَتَـىٰ تَـرَهُ عَـيْنُ الْمُتَـيَّمِ تَسْـفَحِ
عَفَـا غَيْـرَ نـؤْيٍ دَارِسٍ فِـي فِنَائِـهِ ❊ ثَـلاثُ أَثَـافٍ كالحَمَـائِمِ جُـنَّحِ

وهذا جيِّدٌ حسنٌ وعلىٰ نَهجِ الشعراءِ، وأَظنُّه أَخذَهُ من قولِ عَدِيِّ بنِ زيدٍ[6]:

---

(١) ديوانه: (لم تدع فيه).
(٢) ليس في «ص»، وهي في «ط»، «ق»، وفي «م»: (طول الدهر).
(٣) هو أحمد بن داود بن ونند، مهندس مؤرخ نحوي حاسب منجم راوية ثقة، من نوابغ الوصر، قال أبو حيان: جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، له تصانيف كثيرة كان معاصرًا لابن قتيبة، توفي سنة٢٨١هـ. (إرشاد الأريب ٣/٢٥٨).
(٤) ساقطة من «م»، «ط»، «ق»، والمطبوع.
(٥) ديوانه: ١/٤٥٠، والبيتان من الطويل.
(٦) ديوانه: ص٧٣، والأغاني ساسي: ٢/٣٨، والتشبيهات لابن أبي عون: ص١٦٦، والبيت من الرمل.=

وثـــلاثٌ كالْحَمامَـــاتِ بِهَـــا ❊ بَـيْنَ مَجْثَـاهُنَّ تَوْسِـيمُ الْحُمَـمْ

وابنُ الأَعرابي قالَ: لا يكونُ «مجثاهن»، إِنما هو «مجراهن»[1].

أو من قولِ أَبي نُوَاسٍ[2]:

كمـا اقترنـتْ عنـد المبيـتِ حمـائمٌ ❊ بعيـداتُ مُمْسًـى مَـا لَهُـنَّ وُكُـونُ

وهذا أَجودُ من بيتِ عديٍّ ومن بيتِ البحتريِّ.

وقد شبَّهَ الأَثافيَّ بالحمائمِ غيرُ واحدٍ من الشعراءِ، والبديعُ النادرُ في وصفِ الأَثافي قولُ كُثَيِّرٍ[3]:

أَمِـنْ آلِ قيْلَـةَ بالـدَّخُولِ رُسُـومُ ❊ وَبِحَوْمَـلٍ طَلَـلٌ يَلـوحُ قَـدِيمُ

لَعِـبَ الرِّيـاحُ بِرَسْـمِهِ فأَجَـدَّهُ ❊ جُـونٌ عَوَاكِـفُ فـي الرَّمَـادِ جُثُـومُ

سُفْعُ الْخُدُودِ كـأَنَّهُنَّ، وَقَـدْ مَضَـتْ ❊ حِجَـجٌ، عَوَائِـدُ بَيْـنَهُنَّ سَـقِيمُ

[٢٧/ص/أ] قولُهُ: «فأَجدَّه جُونٌ عَوَاكف» يعني الأَثافي؛ لأَنَّ الريحَ لمَّا كَشَفَتْ عنها فظهرتْ سوداءَ كانت كأَنَّها هي أَجدّتِ الرسمَ، شبَّهها

= والشاعر هو عدي ين زيد بن حماد بن أيوب، من بني تميم، وكان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف، فثقل لسانه، وكان ترجمان أبرويز ملك فارس، وكاتبه بالعربية، وذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري مجاريها، قال: والعرب لا تروي شعره، لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان أصوليًا من عبّاد الحيرة، قد قرأ الكتب. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٢٤/١، الأغاني ساسي: ٢١٧/٢).

(١) «ص»، «ر»: (مجذاهن) تحريف.

(٢) ديوانه: ٣٠٥/٣، ٤٠٦/٥، وفي «ص»: (كما اقتربت) تصحيف. والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ص٢٠٥، والأبيات من الكامل.

بالعوائدِ[1].

والجَوْنُ: الأَسودُ، والجَوْنُ: الأَبيضُ، وهو من الأَسماءِ المتضادةِ، قالَ الأَصمعيُّ: ويقالُ: غابَتِ الجونةُ، وطلعتِ الغزالةُ، يعني مَغيبَ الشمسِ وطلوعَها، وهما اسمانِ من أَسماءِ الشمسِ، وإِنما سُميت الشمسُ جونةً عندَ المغيبِ لما يعرضُ فيها من تغيّرِ اللونِ إِلىٰ السوادِ[2].

وقالَ حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ[3]:

علىٰ أَنَّ سُحْقًا مِنْ رمَادٍ كأَنَّهُ ✤ حَصَىٰ إِثْمِدٍ بَيْنَ الصَّلاءِ سَحِيقُ

(١) العوائد: جمع عائدة، وهي التي تأتي لزيارة السقيم. وعبارة: (شبهها بالعوائد) ساقطة من «ص»، «ر».

(٢) من قوله: (والجون: الأسود) إلىٰ قوله: (من تغير اللون إلىٰ السواد) مستدركة في الهامش.
وجاء بعده في «م»:
(كمل كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام الطائي وأبي عبادة البحتري مما ألفه أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيىٰ الآمدي، عفا الله عنه وغفر له ورحمه بفضله، آمين وسلام علىٰ المرسلين والحمد لله رب العالمين.
وكان الفراغ من هذه النسخةِ بمصر القاهرة المحروسة يوم الاثنين سلخ ذي القعدة الحرام سنة إحدىٰ عشر وألف.
وكتبت عن نسخة مؤرخة يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان سنة ثمانين وستمائة، والحمد لله وحده).
وجاء في «ق»: (انتهىٰ كتاب الموازنة والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد خاتم النبيين، وكان الفراغ من إتمام نسخه يوم الجمعة الثاني من ذي الحجة الحرام متم عام ثمانية وسبعين وتسعمائة، اللهم اغفر لكاتبه ومُحْبِسِهِ، آمين، آمين، آمين).
وجاء في «ط»: (انتهىٰ كتاب الموازنة وتم جميعه والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما).
وبقيت نسختا «ص»، «ر» وأصلهما واحد، وسوف تستمران إلىٰ بداية باب الهيبة.

(٣) ديوانه: ص١٣٤، وفيه: (فغادر مُسْوَدَّ الرماد). والبيت من الطويل.

وقالَ أَبو سعيدٍ المَخْزُومِيُّ(١):

يبكـــي ثلاثًــا كالحَمَـــامِ رُكَّـــدَا ✽ تَسْـفِي بهـا الـرِّيحُ رَمَـادًا أَرْمَـدَا

كأنمـا يَطْحَـنَّ فيهـا إِثمِـدَا

وقالَ بشَّارُ بنُ بُرْدٍ(٢):

ومسجدُ شيخٍ كنتَ في زمنِ الصِّبا ✽ تُحَيِّيـــهِ أَحيانًـــا وفيـــهِ نُكُـــوبُ

غَـدَا بـثلاثٍ مـا يَنَـامُ رَقِيبُهـا ✽ وأَبْقَـى ثلاثًـا مـا لَهُـنَّ رَقِيـبُ

غدًا: يريدُ الشيخَ غدا بثلاثٍ، أَي بثلاثِ نسوةٍ ما ينامُ رقيبُها، يعني الشيخَ أَنهُ ما ينامُ عن رقيبها. وأَبقى ثلاثًا، يعني الأَثافي.

وأَخذَ أَبو تمامٍ قولَهُ: «ونُؤْيٌ مثلَ ما انْفَصَمَ السِّوَارُ» من قولِ آخرَ(٣):

ونُـؤْيٌ كمـا نَقَـصَ الهـلالَ مَحاقُـه ✽ أَو مثـلُ مـا فَصَـمَ السِّـوارَ المِعْصَـمُ

وهذا العجزُ ما لحسنهِ نهايةٌ.

وقالَ كُثَيِّرٌ(٤):

[٢٧/ص/ب] عرفْتُ لسُعدىٰ بعدَ عشرينَ حِجَّةً ✽ بهـا دَرْسُ نُـؤْيٍ فـي المحلَّـةِ مُنْحَنِ

قَـدِيمٌ كَوَقْـفِ العَـاجِ ثُبَّـتَ حوْلَـهُ ✽ مَغَـارِزُ أَوتـادٍ برضـمٍ مُوَضَّـنِ

(١) لم أجد الأبيات فيما بين يدي من مصادر وهي من الرجز.

(٢) ديوانه: ٢٠٩/١، وفيه: (في سنن الصبىٰ) وفسّرَ شارحه الثلاث التي أبقاها بأنها: النؤىٰ والوتد ومبرك الجمل.

(٣) سبق ٢٧٢/١.

(٤) ديوانه: ص٢٤٨، والبيتان من الطويل.

قولُهُ: «منحن»: مستدير، والوَقْفُ: السِّوارُ من الذَّبْلِ[1] ومن العاجِ.

الرضمُ: صخورٌ عظامٌ، والرضمُ أَيضًا: هضابٌ صغارٌ. والمُوَضَّنُ: هو الذي بعضهُ فوقَ بعضٍ، يقول: ضربتُ الأَوتادَ بحجارةِ الرضمةِ.

وما أَحسنَ قولَ بشارٍ[2]:

ونُــؤْيٌ كخَلْخَــالِ الفتــاةِ وصَــائِمٌ ❊ أَشَــجُّ علــىٰ رَيْــبِ الزمــانِ رَقُــوبُ

قولُهُ: «الصّائمُ الأَشجُّ» يعني الوتدَ، والصائمُ: القائمُ الثابتُ؛ قالَ النابغةُ[3]:

خيـلٌ صِـيَامٌ و[خيـلٌ] غيـرُ صـائمةٍ ❊ يـوم العَجَـاجِ وخيـلٌ تَعْلُـك اللُّجُمَـا

فجعلهُ رَقُوبا لانفرادِهِ، علىٰ الاستعارةِ.

والمرأَة الرَّقُوبُ، والشيخ الرَّقُوبُ: الذي لا يعيشُ لهُ ولدٌ، والذي لا ولدَ لهُ فهو ينتظرهُ، والمستعملُ في الرّقبةِ أَن يقالَ: رقيبٌ ورَاقِبٌ. وأَظنُّه ذهبَ إِلىٰ توكيدِ الفعلِ، مثلُ قولهم: ضاربٌ، فإِذا وكَدوا قالوا: ضَروبٌ، كذلك شاربٌ وشَرُوبٌ، وآكلٌ وأَكُولٌ [٢٨/ص/أ]: أَي كثيرُ الأَكلِ والشّربِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

---

(١) الذبل: كالعاج، وهو ظهر السلحفاة البرية يتخذونه السوار (اللسان: ذبل).

(٢) ديوانه: ٢٠٨/١، والنؤي: الحفير حول الخباء يمنع السيل، ويكون مستديرًا، وأراد بالصائم: الوتد، وأشج: لأنه يضربُ من أعلاه، فيكون كالمجروح في رأسه، وصائم: لأنه ثابت في مكانه، والبيت من الطويل.

(٣) سبق ٤٥٢/١، و(خيل) الثانية ساقطة من «ص»، والتصحيحُ من: «ر».

(٤) شرح الصولي: ٣٩/٣، شرح التبريزي: ٣٢٤/٣، والبيت من البسيط، والحوادث: السحابُ والأمطار.

والنُّـــؤْيُ أُهْمِــــدَ شَــــطْرُهُ فكأنَّـــهُ ❊ تَحْـتَ الحـوادِثِ حاجـبٌ مَقْـرونُ

وهذا أَيضًا في وصفِ النؤىٰ حسنٌ.

ولست أَعرفُ للبحتريّ في مثلِ هذا شيئًا، إلا ما لا يشتبهُ[١] فيهِ، وهو قولُهُ[٢]:

آثـــارُ نُـــؤْيٍ بالفِنَـــاءِ مُـــثَلَّمٍ ❊ ورِمَـــامُ أَشـــعَثَ بـــالعراءِ مُشَـــجَّجِ

وهذا علىٰ مذاهبِ الناسِ، وقالَ النَّابغةُ[٣]:

رمــادٌ ككُحْــلِ العــينِ مــا إِنْ تُبِينُــهُ ❊ ونُـؤْيٌ كجِـذْمِ الْحَـوضِ أَثْلَـمُ خاشِـعُ

ووصلَ البحتريُّ بيتَهُ بأَنْ قالَ:

دِمَــنٌ كمثـلِ طَرَائـقِ الوَشْـيِ انْجَلَـتْ ❊ لمَعَــاتُهُنَّ عــن الــرِّداءِ المُــنْهَجِ[٤]

يَضْــعُفْنَ عَــن إِذْكارِنَــا عَهْــدَ الصِّبَا ❊ أَوْ أَنْ يَهِجْــنَ صــبَابَةً لــمْ تَهْــتَجِ

ولَــرُبَّ عــيشٍ قــد تبسَّــمَ ضــاحكًا ❊ عــن طُرَّتَــيْ زمــنٍ بِهِــنَّ مُــدَبَّجِ

وهذا كلهُ علىٰ مذاهبِ الناسِ.

ونحوُ قولِهِ: «كمثلِ طرائقِ الوشي» قولُ النابغةِ[٥]:

علـىٰ العُصُـرِ الخـالي كـأَنَّ رُسُـومَهَا ❊ بتهنيّـــةِ الـــركنينِ وَشْـــيٌ مرجَّـــعُ

مُرجعُ: بعضهُ علىٰ بعضٍ في النساجةِ.

---

(١) «ر» والمطبوع: (ما يشتبه)، والمعنىٰ: أي أن لفظه صريح لم يدخله شيء من التشبيه.

(٢) ديوانه: ١/٤٠٠، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ص٧١، نشر دار الهلال. الأغاني ساسي: ٩/١٧٠.

(٤) ديوانه: (من الرداء).

(٥) ديوانه: ص١٨٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، والبيت من الطويل.

وقالَ كُثَيِّرٌ(١):

[٢٨/ص/ب] مَغَانِي ديارٍ لا تزالُ كأَنَّها ❁ بأَصعدة الشَّطَّار رَيْطٌ مُضَلَّعُ

وقالَ كُثَيِّر أَيضًا(٢):

غَشِيَ الركبُ رَبْعَها فعجِبْنَا ❁ مِنْ بِلَاهُ وما المَدَىٰ بِقَديمِ

كحواشِي الرِّداءِ قد مَحَّ مِنْهُ ❁ بَعْدَ حُسْنٍ عصائبُ التَّشْهِيمِ

وهذا حسنٌ جدًّا.

وقولُ البحتريِّ: «يضعفنُ عن إِذْكارِنَا عهدَ الصِّبا» يعني لطولِ عهدِهنّ ودُرُوسِهِنَّ.

وقد تصرّفَ شعراءُ الجاهليةِ والإِسلامِ في وصفِ آثارِ الديارِ أَحسنَ تصرّفٍ، وأَتوا فيهِ بكلِ تشبيهٍ مستحسنٍ، ومعنىً مستغربٍ فمنهُ قولُ طرَفَةَ(٣):

تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ في ظاهرِ اليدِ

الوشمُ: أَثرُ الحِنَّاء، وخصَّ ظاهرَ اليدِ لأَنَّ دُرُوسَهُ أَسْرَعُ.

وقالَ لَبِيدُ(٤):

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلُولِ كأَنَّها ❁ زُبَرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أَقلامُها

وهذا ما زلتُ أَسمعُ العلماءَ تعجَّبُ من حسنهِ ولطافةِ معناهُ، وكانَ

---

(١) ديوانه: ص٤٠٢ وفيه: (بأفنية الشطّان) والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ص٤٧٥، وفيه: (بمقيم)، والبيتان من الخفيف.

(٣) ديوانه: ص٢٥، اعتنىٰ به حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت سنة ٢٠٠٣، وهذا عجز بيت هو مطلع معلقته، وصدره: لخولة أطلال ببرقة تشهد

(٤) ديوانه: ص١٠٨، اعتنىٰ به حمدو طماس، دار المعارف، بيروت سنة ٢٠٠٤.

الفرزدقُ إِذا أَنشدَهُ يسجدُ ويقولُ: إِنا نعرفُ مكانَ السجودِ في الشعرِ كما تعرفونهُ في القرآنِ[1].

وقالَ آخرُ، وأَنشدهُ [٢٩/ص/أ] إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ[2]:

تمتـعْ بكـرِّ الطـرفِ فـي رسـمِ منزلٍ ❁ تحمَّـــلَ عنـــهُ قـــاطِنُوهُ فـــأَقْفَرَا

تــرىٰ فيــه آثــارًا وإِنْ كــانَ دَاثِــرًا ❁ تــذكِّرُكَ الشــوقَ القــديمَ فتَــذْكُرَا

قولهُ: فتذكرا، ليسَ بالجيدِ، ووجهُهُ الرفعُ، ولكنهُ جاءَ بهِ علىٰ إِرادةِ النونِ[3]، وقد جاءَ مثلهُ في أَشعارِهم قالَ جَذِيمَةُ الأَبْرَشُ[4]:

رُبَّمـــا أَوْفيْـــتُ فـــي عَلَـــمٍ ❁ تَـــرْفَعَنْ ثَـــوْبِي شَـــمالاتُ

وقالَ الجَعْدِيُّ[5]:

وأَقْبِلْ علىٰ مجدي ومَجْدِكَ نَبْتَحِثْ ❁ مَسَـاعِينَا حتـىٰ تـرىٰ كيـفَ نفْعَـلا

---

(١) انظر: الأغاني ساسي: ٩٥/١٤.

(٢) لم أجد البيتين فيما بين يدي من مصادر، وفي «ص»: (فافتقرا) تحريف.

(٣) في «ص» (إرادة النوىٰ) تحريف.

(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام، قرأه محمود محمد شاكر: ٣٨/١، البيت من المتقارب؛ وجذيمة بن الأبرش، يقال له جذيمة الوضاح من قدماء ملوك العرب، خرج إلىٰ اليمامة يغزو طسما وجديسا، فوجد حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليهم، فانكفأ راجعًا بمن معه، وتخلفت سرية من سراياه فأتت عليها خيل تبع فاجتاحتها، فلما بلغ جذيمة الخبر قال أبياتاً منها هذا البيت، انظر: (الطبري ٢٩/٢).
وأوفىٰ علىٰ الشيء: أشرف، والعلم: الجبل المرتفع، والشمالات: جمع شمال، وهي ريح الشمال الباردة الشديدة الهبوب.
وقال الأستاذ محمود ﷺ:
(ويقول النحاة: زاد النون في «ترفعن» ضرورة، وأقول إنها لغةٌ قديمة لم يجلبها اضطراد).

(٥) ديوانه: ص١٣٧، جمعه وشرحه د. واضح العمد، دار صادر، بيروت ١٩٩٨، وفي «ص»: (يفعلا) تصحيف. والبيت من الطويل.

ومثلهُ قليلٌ.

وأَحسنُ من هذا ومن كلِّ حسنٍ قولُ محمدِ بنِ عبيدٍ الأَزْدِيِّ(١):

فلم تَدَعِ الأَرْوَاحُ والماءُ والبِلَى ✤ من الدارِ إلا مَا يَشُوقُ ويَشْعَفُ

وأَنشدَ إِسحاقُ، ووجدتهُ في التَّعْليقَاتِ لِيَعْلى الطَّائيِّ(٢):

لَبِسْنَ البلى حتى كأَنَّ رُسُومَها ✤ طَعِمْنَ الهوَى أَوْ ذُقْنَ هَجْرَ الحبائبِ

وقالَ ابنُ وهيبٍ في مثلهِ يذكرُ منزلينِ(٣):

لَبِسا البلى فكأَنَّما وجَدا ✤ بَعْدَ الأَحِبَّةِ مثلَ ما أَجِدُ

[٢٩/ص/ب] وقالَ البحتريُّ مثلَ هذا(٤):

صبٌّ يخاطب مُفْحَماتِ طُلُولِ ✤ مِن سائلٍ باكٍ ومِن مَسْئولِ

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعباءَ البِلى ✤ حتى كأَنَّ نحولَهُنَّ نُحُولِي

وأَنشدني غيرُ واحدٍ من الشيوخِ(٥):

ما غَيَّرَ الدَّارَ بَعْدَ بَيْنِهم ✤ ريحٌ عفَتْ آيُها ولا مطرُ

كأَنَّها جَزْعةٌ يَمانِيَةٌ ✤ قد نُشِّرَتْ في عِرَاصها الحِبَرُ

وقالَ آخرُ وأَنشدَهُ حمَّادٌ(٦):

---

(١) منتهى الطلب: ٨/٢٨١، من قصيدة منسوبة إلى عبيد بن عبد العزى السلامي، وهو أحد بني سلامان بن مفرج، ابن عم الشاعر الشنفرى. والبيت من الطويل.

(٢) التشبيهات لابن أبي عون: ص ١٧١، وفيه: (مُعليّ)، والبيت من الطويل.

(٣) المصدر نفسه، والبيت من الكامل.

(٤) سبق ٢/١٥٩.

(٥) لم أجد البيت فيما بين يدي من مصادر، والبيتان من المنسرح.

(٦) لم أجد الأبيات فيما بين يدي من مصادر، وهي من مجزوء الخفيف.

قـــد وقفْنـــا لِكُلْـــثُمِ ❊ بطلـــــولٍ وأَرْسُــــــمِ

لائحـــــــاتٍ كأَنَّهـــــا ❊ بُـــرْدُ وشْـــيٍ مُنَمْــــنَمِ

وســـــأَلنا فأُفْحِمَـــــتْ ❊ عـــن جـــوابِ المكلِّـــمِ

وهذا كلهُ أَحلىٰ وأَلطفُ معاني ، وأَلوطُ بالنفسِ من كلِّ ما قالَ الطَّائيَّانِ .



مَحْوُ الرياحِ للديارِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

قِـفْ بـالطلولِ الدَّارسـاتِ عُلاثَـا ❁ أَضْـحَتْ حِبـالُ قَطِيـنهِنَّ رِثَاثَـا

قَسَـمَ الزَّمـانُ رُبُوعَهـا بـيْن الصَّبَا ❁ وقَبُولهَـا ودَبُورِهـا أَثْلَاثـا

وهذا غلطٌ منهُ ؛ لأن الصَّبا هي القَبولُ: ولو قالَ: بين الصَّبا وشمالِها [٣٠/ص/أ] وجنوبِها أَثلاثًا ، كانَ قولًا مستقيمًا ؛ لأَنَّ هذهِ الرياحَ الثلاثَ أَكثرُ هبوبًا من الدَّبُورِ ، ولو اقتصرَ على ريحينِ كانَ ذلكَ أَيضًا صوابًا ، كما قالَ امرؤ القيسِ(٢):

لِمـا نَسَـجَتْهَا مِـنْ جَنُـوبٍ وشَـمْأَلِ

وكما قالَ الأَعْشَى(٣):

دِمْنَـةٌ قَفْـرَةٌ تَعَاوَرَهـا الصَّيْـ ❁ ـفُ بـريحينِ مِـن صَـبًا ، وشَـمالِ

ولكنهُ جعلها ثلاثًا من أَجلِ القافيةِ لا غيرَ .

وقد حُكيَ عن النَّضْرِ بن شُمَيْلٍ(٤) أَنهُ قالَ: القَبُولَ: ريحٌ بين الصَّبا والجنوبِ .

---

(١) شرح الصولي: ١/٣٤٩ ، شرح التبريزي: ١/٣١١ ، والبيتان من الكامل .

(٢) ديوانه شرح السكري: ١/١٦٧ ، وصدره:

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها

والبيتُ من الطويل .

(٣) ديوانه: البيت الثاني من القصيدة الأولى ص٣ ، والبيت من الخفيف .

(٤) النَّضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ، التميمي المازني النحوي البصري ، كان عالمًا بفنون=

وهذا إِن كانَ النَّضْرُ قالَهُ فليسَ بمعروفٍ ولا معوّلٍ عليهِ؛ لأَنَّ الناسَ جميعًا على خلافهِ في أَنَّ القبولَ هي: الصَّبا.

وقالَ ابنُ الأَعرابي: القبولُ: كلُّ ريحٍ لينةٍ طيبةِ المسِّ، تقبلها النفسُ، وهذا لا حجةَ فيهِ لبيتِ أَبي تمامٍ، وقد استقصيتُ القولَ في هذا فيما مضى عند ذكرِ أَغاليطهِ من هذا الكتابِ[1].

وقالَ البحتريُّ، فذكرَ الرياحَ الأَربعَ[2]:

مَتْركَــةٌ للــرِّيحِ بَــيْنَ شَــمالِهَا ✤ وجَنُوبِهـــا ودَبُورِهـــا وقَبُولِهـــا

وأَحسنُ من هذا ومن كلِّ ما قيلَ في هذا المعنى قولُهُ أَيضًا[3]:

[٣٠/ص/ب] بَيْنَ الشَّقِيقةِ فاللِّوَى فالأَجْرَعِ ✤ دِمَــنٌ حُبِسْــنَ عَلـى الرِّيــاحِ الأَرْبَــعِ

وقد تقدمَ ذكرُهُ.

وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

أَوَ مَــا رَأَيْــتَ مَنــازِلَ ابنــةِ وَائــلٍ ✤ رَسَــمَتْ لـه كيـفَ الزَّفيـرُ رُسُـومُها

آثارُهَـــا وطُلُولُهـــا ونجادُهـــا ✤ ووِهادُهـــا وحـــديثُها وقـــديمُها[5]

= من العلم، صدوقًا، ثقة، صاحب غريب وفقه وشعر، ومعرفة بأيام العرب، ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل ابن أحمد؛ له تصانيف كثيرة. توفي سنة ٢٠٤هـ بمدينة مرو. (وفيات الأعيان: ٥/٣٩٧).

(١) انظر ١/٣٥٦ وما بعدها.

(٢) سبق ١/٣٥٧.

(٣) سبق ٢/١٥٠.

(٤) شرح الصولي: ٢/٤٤٩، شرح التبريزي: ٣/٢٧٣ وفيهما: (ابنة مالك)، «ص»: (منازل أبيت) تحريف، والأبيات من الكامل.

(٥) التبريزي: (آناؤها وطلولها).

تغــدو الريــاحُ ســوافيًا وعوافيًــا ❊ فتضـيمُ مغنَاهــا ولـيسَ يَضِـيمُها[1]

قولهُ: «رسمتْ لهُ كيفَ الزفيرُ» لفظةٌ غيرُ لائقةٍ بالمعنىٰ؛ وإنما جاءَ بها ليجانسَ بينها وبين قولهِ: «رسومُها».

وقولهُ في البيتِ الثاني: «وحديثها وقديمها»، حشوٌ لم يفدْ بهِ فائدةً.

وقولهُ: «فتضيمُ مغناها»؛ يعني الرِّياحَ إِنها تَضِيمُ المَغْنىٰ وليسَ يَضِيمُها، وهذا أَيضًا معنىٰ ليستْ لهُ حلاوةٌ، ولا يقودُ إِلىٰ فائدةٍ؛ لأَنَّ المعلومَ أَنَّ الأَرضَ لا تَضِيمُ الرِّيحَ.

وقالَ أَيضًا في وصفِ رَبع[2]:

مَلَّكَتْــهُ الصَّــبَا الْوَلُــوعُ فأَلْفَتْــ ❊ ــهُ قَعُــودَ البِلــىٰ وسُــؤْرَ الخُطُــوبِ

قولهُ: «الصَّبَا الوَلوعُ»، وإِنما أَرادَ المُولَعَةَ بالهُبوبِ؛ لأَنها أَكثرُ الرياحِ هبوبًا. ولا أَعلمهُ يُقالُ: ولِعَ بالشيءِ يولعُ فهو ولوعُ، ولكن قد سمعتُ: وَلِعَ يَلِعُ، مثل وَزَعَ يَزِع، ووَلِعَ يَلَعُ، مثل وَسِع يَسَعُ، حكاهما أَبو زيد[3].

والوَلُوعُ: هو المصدرُ، وما أُراهُ يقالُ: هو وَلُوعٌ بكذا، والقياسُ هو وَلِعَ [٣١/ص/أ] بكذا، مثلُ وَزَع بهِ[4]، ووالعٌ مثلُ واسعٍ، واللغةُ المعروفةُ: أُولِعْتُ

---

(١) «ص»: (وليس نعيمها) تحريف.

(٢) شرح الصولي: ١/٢٢٥، شرح التبريزي: ١/١١٦، والبيت من الخفيف، يقول: ملَّكت الأيام هذا المحلَ ريح الصّبا، حتىٰ عفته، وتركته مركبًا للبلىٰ.

(٣) انظر: كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، ص٥٧١، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق سنة ١٩٨١ القاهرة.

(٤) «ص»: (وزعم) تحريف، والتصحيح من «ر»، ووزع به: كفَّ به، وفي اللسان (وزع) (وزعه، وبه يَزَعُ ويزعُ وزْعًا: كفّه).

بالشيءِ فأَنا مُوْلَعٌ به، والمصدر: الوَلُوعُ.

وقوله: «أَلْفَتْهُ» ليس هذا موضع أَلفتهُ؛ لأَنَّ معنىٰ أَلفتهُ: صادفتهُ، وإِذا كانتِ الريحُ هي التي فعلتْ بالربعِ، فَوَجْهُ الكلامِ: «جعلتهُ»، لو استوىٰ لهُ لا «أَلفتهُ»[1]، وإِذا لمْ يستقمْ لهُ «جعلته» ـ ولا ما هو في معناها ـ نقضَ البيتَ بأَسرهِ، وبناهُ بأَلفاظٍ أُخَرَ، وكأَنهُ أَرادَ أَن يقولَ: قعودَ البلىٰ وهدفًا للخطوبِ، أَو غَرَضًا للخطوبِ، أَي تقعُ بهِ أَبدًا وتصيبهُ؛ فلم ينتظمْ لهُ الوزن[2]، فقالَ: سورَ؛ لأَنَّ السورَ جعلَ يَقَعُ بهِ كلَّ قَارِعَةٍ دونَ ما وراءَهُ، فهو هدفٌ وغَرَضٌ لكلِّ رامٍ، فهذا الذي أَرادَهُ، واللهُ أَعلمُ.

وليسَ قولُ من يقولُ: سُوْرُ الخطوبِ، أَي أَنَّ هذا الربعَ محيطٌ بالخطوبِ فهو كالحارسِ لها، فهي لا تبرحُهُ ولا تريمهُ بشيءٍ؛ لأَن الأَشْبهَ والأَوْلىٰ في هذا أَن تجعلَ الخطوبَ هي التي أَحاطتْ بهِ من كل وجهٍ حتىٰ عفتهُ وأَبلتهُ وأَخلتهُ من أَهلهِ، لا [أَ][3]نَّهُ أَحاطَ بها.

وقد قيلَ: سُؤْرَ الخطوب[4] كُسؤْرِ السبعِ إِذا وَلَغَ في الشيءِ، ثم أَسْأَرَ منهُ. وليسَ هذا ببعيدٍ [٣١/ص/ب] من المعنىٰ، بل هو وجهٌ جيدٌ[5].

---

(١) «ص»: (لا لفته) تحريف.

(٢) تكررت العبارة في «ص» من قوله: (وكأنه أراد) إلىٰ قوله: (أبدا وتصيبه).

(٣) ساقطة من «ص».

(٤) في نسخة للموازنة سميت ـ زورًا ـ «القول الفائق الأريب» ونسبت لابن الأثير، وأنا متحرز في الاستفادة منها إلا في القليل النادر، وقد ورد فيها في ذات الموضع: (سؤر الخطوب بالهمز: بقية ما أبقته الخطوب) وقد أثبتها الأستاذ السيد صقر في نشرته، ولم أر ذلك لأنها لا تغير.

(٥) نقل التبريزي عن أبي العلاء المعري: (و«سؤر الخطوب» بقيتها، ومن عرف مذهب الطائي لم يعدل عن هذه الرواية) مذهب الطائي يعني به جنوحه الدائم نحو الاستعارات والمشخصة منها.

وقالَ البحتريُّ[1]:

مَغَـانِي سُـلَيْمَىٰ بـالعَقِيقِ ودُورُهـا ❊ أَجَـدَّ الشَّـجَا إِخْلاقُهـا ودُثُورُهَـا

ومـا خِلْتُهـا مـأخوذةً بصَـبَابَتِي ❊ صَـحائِفُ تُمْحَـىٰ بالرِّيـاحِ سُـطورُها

وهذا من أَحسنِ معنىٰ وأَبرعهِ.

وقولُهُ: «وما خلتها مأخوذةً بصبابتي»، مما يُسأَلُ عنهُ فيقالُ: كيف تُؤْخذُ الصحائفُ ـ وهي عرصاتُ الدار ـ بصبابتهِ؟ فمعنىٰ مأخوذةٌ بصبابتي: أَي ملزمةٌ صَبابتي، كما يقالُ: قد أُخِذَ فلانٌ بأَن يفعلَ كذا وكذا: أَي أُلزِمَهُ، كما يقالُ للرجلِ: افعلْ كذا وكذا، فيقولُ: من أَخَذَنِي بهذا، أَي من أَلْزَمَنِيهُ؟ ومن نَاطَهُ بي[2] وعلَّقَهُ عليّ، وكما يقالُ كذا وكذا وما أَخَذَ أَخْذَهُ، أَي وما اتّصلَ بهِ، وتعلَّقَ عليهِ، ولزمَ طريقتَهُ.

ولا أَعرفُ لأَبي تمامٍ معنىٰ جيدًا في ذكرِ الرياحِ إِلا قولهُ[3]:

يـا مَنْـزِلاً أَعْطَـىٰ الحـوادثَ حُكْمَهَـا ❊ لا مَطْــلَ فــي عِــدةٍ ولا تَسْــويفَا

أَرْسَـىٰ بنادِيــكَ النَّــدَىٰ وتنفَّســتْ ❊ نفَسًــا بعَقْوَتِــكَ الرِّيــاحُ ضــعِيفَا

وإِنما قالَ ضَعِيفًا: لأَن الرياحَ إِذا اشتدَّ هبوبُها عفتْ آثارَ الديار، وطَمَسَتْ مَعَالِمَها، ولذلكَ قالَ البحتريُّ[4]:

[٣٢/ص/أ] وإِذا هبَّـت الريـاحُ نَسِـيمًا ❊ فَعَلَـىٰ رَبْــعِ دَارِهَــا والجَنَــابِ

وما زلتُ أَسمعُ أَهلَ العلمِ بالشعرِ يستحسنونَ بيتَ أَبي تمامٍ هذا، وهو

---

(١) ديوانه: ٢/٩٩٨.

(٢) «ص»: (ومن ناظرني) تحريف، والتصحيح من «ر»، والبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ٢/٦٩، شرح التبريزي: ٢/٣٧٦، والبيتان من الكامل.

(٤) ديوانه: ١/٨٤، وفيه: (فعلىٰ رسم)، والبيت من الخفيف.

لَعمري حسنٌ ، ولكنهُ أَخذَ المعنىٰ من قولِ آخرَ ، وأَنشدهُ إِسحاقُ بنُ إِبراهيمَ الموصليُّ ولم يأتِ فيهِ ذكرُ الدارِ(١):

يـا حَبَّـذَا ريـحُ الجَنُـوبِ إِذا سَـرَتْ ❁ باللـيـلِ وهـي ضَـعيفَةُ الأَنْفَـاسِ
قـد ضُـمِّنَتْ بَـرْدَ النَّـدَىٰ وَتَحَمَّلَـتْ ❁ عَبَقًـا مـن الجَثْجَـاثِ والبَسْـباسِ

وأَجودُ من هذا وذاكَ في وصفِ طيبِ الريحِ ، قولُ أَبي الصفيِّ الأَسديِّ(٢):

إِذا أَصْـعَدَ الرُّكْبَـانُ واسْـتَقْبَلَتهمُ ❁ جَنـوبٌ كَمـسِّ الرَّازقـيِّ هُبُوبُهَـا

الرَّازقيُّ: الرقيقُ من الكَتَّانِ الأَبيضِ ، والريحُ وإِن كانتْ قدْ تسفي التربَ علىٰ رسمِ الدارِ فتغطيهِ وتعفوهِ ، فإِنها أَيضًا قد تنسِفُه عنهُ فتكشفهُ وتُجِدُّهُ ، أَلا ترىٰ إِلىٰ قولِ جريرٍ(٣):

تُحْيِـي الـرواسُ رَبْعَهَـا فَتُجِـدُّهُ ❁ بَعْـدَ البِلـىٰ وتُمِيتُـه الأَمْطَـارُ

فهي تفعلُ فعلينِ مختلفينِ ، وربما نَسفَتْ ترابَ أَرضٍ فطرحتهُ علىٰ أَرضٍ أخرىٰ ، وبينهما سَيْرُ أَيامٍ ، فتكشفُ عن معالمِ تلكَ الأَرضِ ، وتُغَطِّي علىٰ معالمِ هذهِ ، وربما غشيتْ وجهَ الأَرضِ كلَّهُ بترابِ الأَرضِ [٣٢/ص/ب] الأُخرىٰ ، وفي ذلكِ يقولُ ذُو الرُّمَّةِ(٤):

ضَـهُولٌ كَسَـاهَا تُـرْبَ أَرْضٍ غَرِيبَـةٍ ❁ سـوىٰ أَرضِـها منهـا الهَبـاءُ المُغَرْبَـلُ

ضَهُولٌ: وصفٌ للريحِ ، وذكرها في بيتٍ قبلَ هذا(٥) ، والهاءُ في كساها

---

(١) سبق ١/٢٩٣ ، وفي «ص» ، «ر» والمطبوع: (ولم يأت به في ذكر الدار) وما أثبته أليق بالسياق.
(٢) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.
(٣) ديوانه: ٣/٨٦٤ ، بشرح محمد بن حبيب ، والبيت من الكامل.
(٤) ديوانه: ٣/١٥٩٦ ، وفيه: (جفُولٌ كساها. . .).
(٥) يعني قوله:
أربَّتْ بهـا الهوجـاءُ واستوضـفتْ بهـا ❁ حصـىٰ الرمـلِ نجرانيـةٌ حـين تجهـلُ

راجعةٌ إِلىٰ رسومِ الدارِ التي وصفَها، وضهولٌ ماؤها: يَجيءُ قليلًا قليلًا. وضَهُولُ كلِّ شيءٍ: رجوعُهُ، وبئرٌ ضَهُولٌ: يجيء ماؤُها قليلًا قليلًا، ويروىٰ: «جَفُولٌ»، أَي: سريعةٌ ذاهبةٌ، فهذا في ريحٍ واحدةٍ.

فأَما الريحانِ المختلفانِ، فإِن إِحدَاهما تنسفُ عن الأرضِ الترابَ، والأُخرىٰ تَردُّهُ إِليها علىٰ ما قالَ امرؤُ القيسِ[(١)]:

.... لم يعفُ رسمُها ❊ لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

فلعلَّ الطائيينِ فيما شرطاهُ إِنما أَشْفَقَا من أَحدِ فِعْليْ الريحِ، وهو طُمُوسُها للرسمِ.

وقالَ البحتريُّ[(٢)]:

أَسْنِدْ صُدُورَ اليَعْمَلَاتِ بِوَقْفَةٍ ❊ في المَاثِلَاتِ كَأَنَّهنَّ المُسْنَدُ

دِمَنٌ تَقَاضَاهُنَّ إِعْلانَ البِلىٰ ❊ هُوجُ الرِّياحِ البادِياتِ العُوَّدُ

حتىٰ فَنِينَ وما البَقَاءُ لِوَاقِفٍ ❊ والدَّهْرُ في أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وهذا معنىٰ عجيبٌ، وغرضٌ حسنٌ، والمُسْنَدُ: الدهرُ، أَراد أَنَّ [٣٣/ص/أ] طلولَ الدارِ والماثلاتِ ثابتةٌ فيهِ كثباتِ الدهرِ ودَوامِهِ، وإِنما قالَ: أُسْنِدْ، من أَجلِ قولِهِ: المُسْنَدُ.

وأَجودُ منهُ وأَحلىٰ قولُهُ[(٣)]:

عَسَتْ دِمَنٌ بالأَبْرَقَيْنِ خَوَالِ ❊ تَرُدُّ سَلامِي أَو تُجِيبُ سُؤَالِي

---

(١) سبق في ٢/١٩٩.

(٢) ديوانه: ٦٢٧/١، والأبيات من الكامل.

(٣) ديوانه: ١٧٠١/٣، والأبيات من الطويل.

إِذا مــا تَأَيَّــا الرَّكْــبُ فيهــا تَبَيَّنُــوا ❊ ضَــمانَةَ مَتْبُــولٍ وصِــحَّةَ بَــالِ
خليلــيَّ! مــا لِلرَّامِسَــاتِ ومَــا لَهَــا ❊ ومــا لِشُــجُونِي المُبْرِحَــاتِ ومَــالِي[1]

ومما لا مزيدَ عليهِ، ولا غايةَ لحسنهِ وبراعتهِ، ولطفِ معناهُ ـ قولُهُ[2]:

أَصَــبَا الأَصَــائلِ إِنَّ بُرْقَــةَ مُنْشِــدِ ❊ تَشْــكُو اخْتَلافَــكِ بــالهُبُوبِ السَّــرْمَدِ
لا تُتْعِبِــي عَرَصَــاتِهَا إِنَّ الهَــوىٰ ❊ مُلْقَــىٰ علــىٰ تلــكَ الرسـومِ الهُمَّــدِ
دِمَــنٌ مَوَاثِــلُ كَــالنُّجومِ فــإِنْ عَفَــتْ ❊ فَبِــأَيِّ نَجْــمٍ فــي الصَّــبَابَةِ تَهْتَــدِي[3]

وقد قرأتُ شعرًا كثيرًا، في وصفِ الرياحِ وتعفيتها للدارِ، لشعراء الجاهليةِ والإِسلامِ، فما سمعتُ بأَحسنَ من هذا، ولا أَعرفَ ولا أَبدعَ.



(١) ديوانه: (وما للشجون).
(٢) ديوانه: ١/٥٤٤، والأبيات من الكامل.
(٣) ديوانه: (نهتدي).

ما قالاهُ في سؤالِ الديارِ واستعجامِها عن الجوابِ والبكاءِ عليها أيضًا

[٣٣/ص/ب]

قالَ أَبو تمام(١):

مِـــنْ سَـــجَايَا الطُّلُـــولِ أَلَّا تُجِيبَـــا ❊ فَصَـــوابٌ مِـــنْ مُقْلَـــةٍ أَنْ تَصُـــوبَا

فاسْـــأَلْنَها واجعـــل بُكَـــاكَ جَوابًـــا ❊ تَجِـــدِ الشَّـــوقَ سَـــائِلاً ومُجِيبَـــا(٢)

وقد ذكرتُ هذا الابتداءَ في الابتداءَاتِ.

وقولهُ: «فاسأَلنها واجعلْ بكاكَ جوابًا»، لأَنهُ قالَ(٣): من سَجاياها أَلا تجيبَ، فليكنْ بكاؤكَ الجوابَ؛ لأَنها لو أَجابتْ: أَجابتْ بما يبكيكَ، أَوْ لأَنها لَمَّا لَمْ تجبْ علمتَ أَنَّ منْ كانَ يجيبُ قد رحلَ عنها، فأَوجبَ ذلك بكاءَكَ.

وقولُهُ: «تجدِ الشوقَ سائلًا ومجيبًا»، أَي أَنكَ إِنما وقفتَ على الدارِ وسألتها لشدَّةِ شوقِكَ إِلى من كانَ بها، ثم بكيتَ شوقًا أَيضًا إِليهم، فكان الشوقُ سببًا للسؤالِ، وسببًا للبكاءِ.

وهذه فسلفةٌ حسنةٌ، ومذهبٌ من مذاهبِ أَبي تمامٍ، ليسَ على مذاهبِ الشعراءِ ولا طريقتِهمْ، ومثلُهُ قولُهُ(٤):

[٣٤/ص/أ] تَجَرَّعْ أَسًى قد أَقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ ❊ ودَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَجْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ

---

(١) سبق ١/١٦٩، ٢/١٥٨.

(٢) «ص»، «ر»: (بكاك عليها).

(٣) «ص»، «ر»: (لأنه من قال).

(٤) شرح الصولي: ١/٤٦٦، شرح التبريزي: ٢/٨٠. والبيتان من الطويل.

إِذا انْصَرَفَ المَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ ❊ سُـؤالُ المَغَـانِي فالبكـاءُ لَـهُ رَدُّ

فالجَرَعُ: الموضعُ من الأَرضِ له ارتفاعٌ، يقالُ: هو حَزْنٌ، ويقالُ: هو سَهْلٌ يُشْبِهُ الرملَ، والمجمعُ: أَجْرَاعٌ.

وقولهُ: «فالبكاءُ له رَدٌّ»، أَي للسؤالِ، على معنى قولهِ:

تَجِـدُ الشَّـوقَ سـائِلا ومُجيبـا

ولم يسلكْ البحتريُّ هذه الطريقَ، بل جرى في هذا البابِ على مذاهبِ الناسِ فقالَ[1]:

وقفْنَـا علـى ذاتِ النَّخِيلـةِ فـانْبَرَتْ ❊ سَوَاكِبُ قَدْ كانَـتْ بهـا العَيْنُ تَبْخَلُ
علـى دَارِسِ الآيـاتِ عـافٍ تَعَاقَبَتْ ❊ عليـه صَـبًا مَـا تَسْـتَفِيقُ وشَـمْأَلُ
فَلَـمْ يَـدْرِ رَسْـمُ الـدَّارِ كيـفَ يُجِيبُنَـا ❊ ولا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ البُكَا كَيْفَ نَسْأَلُ[2]

وقولُ أَبي تمامٍ وإِنْ كانَ فيه دقةٌ وصنعةٌ، فهذا عندي أَولى بالجودةِ، وأَحلى في النفسِ، وأَلْوَطُ بالقلبِ، وأَشبهُ بمذاهبِ الشعراءِ.

ومثلهُ في الحسنِ والجودةِ والحلاوةِ قولُهُ[3]:

خُلِّفْـتُ بَعْـدَهمُ أُلاحِـظُ نِيَّـةً ❊ قُـذُفًا وأَنْشُـدُ دَارِسًـا مُتَرَسِّـمَا
[٣٤/ص/ب] طَلَلاً أُكَفْكِفُ فيه دَمْعًا مُعْرِبًا ❊ بِجَـوًى وأَقْـرأُ فيـه خطًّـا أَعْجَمَـا[4]
تَـأْبَى رُبَـاهُ أَنْ تُجِيـبَ ولَـمْ يَكُـنْ ❊ مُسْـتَخْبِرٌ لِيُجِيـبَ حتَّـى يَفْهَمَـا

---

(١) ديوانه: ١٧٩٢/٣، وفيه: (على دار البخيلة). والأبيات من الطويل.

(٢) ديوانه: (من فرط الجوى).

(٣) ديوانه: ١٩٥٩/٣، والأبيات من الكامل.

(٤) ديوانه: (معربًا بدمٍ).

وقالَ أَبو تمامٍ[1]:

قــد مَرَرْنَــا بالــدارِ وهْــيَ خَــلاءٌ ❁ فَبَكَيْنَـــا طُلُولَهـــا والرُّسُـــومَا

وسَـــأَلْنَا رُبُوعَهـــا فانْصَـــرَفْنَا ❁ بِشِـــفَاءٍ ومـــا سَـــأَلْنَا حَكِيمَـــا

وهذا معنىً حسنٌ حلوٌ، ومذهبٌ صحيحٌ قد تقدمَ الناسَ فيهِ.

وقالَ البحتريُّ في مثلهِ أَو قريبٌ منهُ[2]:

يــا دَارُ لازَالَــتْ رُبَــاكِ مَجُــودَةً ❁ مِــنْ كُــلِّ غاديــةٍ تُعَــلُّ وَتَنْهَــلُ

فَهّمْتِنَـــا دُوَلَ الزَّمـــانِ وَصَـــرْفَه ❁ وأَرَيْتِنَــا كيــفَ الخُطُــوبُ النُّــزَّلُ[3]

أَرادَ تعلُّ الربىٰ وتنهلُ من كلِّ غَادِيةٍ.

وقولهُ: «فهمتنا دُوَلَ الزمانِ وصَرْفهِ» مع تمامِ البيتِ، قريبٌ من قولِ أَبي تمامٍ: «فانصرفنا بشفاءٍ»، وإِن كانَ أَبو تمامٍ إِنما انصرفَ بشفاءٍ من العلمِ بأَهلِ الدَارِ أَنها منهمْ مقفرةً.

والبحتريُّ قد دلَّ علىٰ هذا إِلا أَنَّهُ جاءَ في بيتٍ بأَسْرِهِ، ومعنىٰ أَبي تمامٍ جاءَ بهِ في كلمةٍ واحدةٍ، وأَتىٰ بزيادةٍ في غايةِ الحلاوةِ والصّحةِ، وهو قوله: [٣٥/ص/أ] «وَمَا سَأَلْنَا حَكِيما».

فأَبو تمامٍ في هذا عندي أَشعرُ من البحتريِّ.

ومما يشبهُ قولَ أَبي تمامٍ: «فانصرفنا بشفاءٍ» أَو يقاربهُ قولهُ[4]:

---

(١) شرح الصولي: ٣٩٨/٢، شرح التبريزي: ٢٢٢/٣. والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ١٧٥٤/٣، وفيه: (من كل سارية)، والبيتان من الكامل. ومجودة: الأرض أصابها الجود، وهو المطر الغزير.

(٣) ديوانه: (أذكرْتِنَا دول....).

(٤) سبق ١٥٧/٢.

وأَبِـــي المنـــازلِ إِنهـــا لَشُـــجُونُ ❊ وعلـــى العُجُومَـــةِ إِنَّهـــا لَتُبِيـــنُ

وهذا بيتٌ حسنٌ، وقد ذكرتُهُ في الابتداءَاتِ.

وقد قالَ مُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ(١):

وَقَفْـــتُ علـــى أَطْلالِهِـــمْ فكأَنَّهـــا ❊ تَفَهَّـــمُ إِلا أَنَّهـــا لـــم تُحـــاوِرِ

وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

هَـــلْ أَثَـــرٌ مِـــنْ دِيَـــارِهِمْ دَعْـــسُ ❊ حيـــثُ تَلاقَـــى الأَجْـــراعُ والـــوَعْسُ

مُخَبِّـــرُ الســـائلِ الرَّذِيَّـــةَ فـــي الْـ ❊ أَطْـــلَالِ أَيْـــنَ الجـــآذِرُ اللُّعْـــسُ(٣)

لا تَسْـأَلَنْهَا فَلَـيْسَ يَسْـمَعُ جَـرْسَ الـ ❊ ـقَـوْلِ إِلَّا شَـخْصٌ لَـهُ جَـرْسُ(٤)

وهذه أَبياتٌ مُتَعَسّفةٌ، ولفظٌ غيرُ جيدٍ، ومعنى غيرُ حسنٍ.

وقولهُ: الأَجْرَاعُ والوَعْسُ، فالأَجْرَاعُ: جمعُ جَرَعٍ، مثل جَبَلٍ وأَجْبَال، وهو: المكانُ من الأَرضِ الذي فيه حُزُونَةٌ، ويقالُ: بلْ هي سهلةٌ غير أَنها مرتفعةٌ قليلًا، تُشْبِه الرملَ في سهولتها، ويقالُ أَيضًا: أَجْرُعٌ وأَجَارِعٌ وجَرْعَاءُ وجَرْعَاوَاتٌ وجَرَعٌ وأَجْرَاعٌ.

والوَعْسُ: [٣٥/ص/ب] جمعُ وَعْسَاءَ، مثلُ حَمْرَاءَ وحُمْرٌ، وهي: الرملةُ التي

---

(١) لم أجده في ديوانه، والبيت من الطويل.

(٢) شرح الصولي: ١/٥٥٦، شرح التبريزي: ٢/٢٢٣. والأبيات من المنسرح.
الدعس: الموطوء، والوعساء: ما طال من الرمل ولان، والأجراع: مواضع تنشف الماء سريعًا.

(٣) معناه: هل أثر يخبّر الذي يسيِّر إبلاً قد أعيت وكلت أين الجاذر، واللّعْسُ: جمع ألعس ولعساء، واللَّعَسُ: سمرة شديدةً في الشفة.

(٤) يقول: الديار لا تسمع جرس قولك، وإنما ينبغي أن تخاطب إنسانًا مثلك.

تغوصُ فيها الرِّجْلُ، وإذا ذَكَّرُوا قالوا: أَوْعَسُ.

وقد تصرفَ البحتريُّ في هذا البابِ تصرفًا كثيرًا حسنًا فقالَ في قصيدتهِ التي أَولُها: «هَجَرَتْ وطيفُ خَيالِها لم يَهْجُرِ»[1]:

مُسْتَهْتَرٌ بالظَّاعِنِينَ وفِيهِمُ ❊ صدٌّ يُضَرِّمُ لَوْعَةَ المُسْتَهْتَرِ

يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلى اللِّوَى ❊ دِمَنٌ دَوَارِسُ إن تُسَلْ لا تُخْبِرِ

وَمِنَ السَّفاهَةِ أَن تَظَلَّ مُكَفْكِفًا ❊ دَمْعًا على طَلَلٍ تَأَبَّدَ مُقْفِرِ

وهذا كلامٌ فحلٌ، ومعانٍ جيدةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ.

ومثلُ هذا في الجودةِ والبراعةِ قولُهُ[2]:

هُوَيْنَاكَ مِنْ لَوْمٍ عَلى حُبِّ «تُكْتَمَا» ❊ وقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرْ رُبُوعًا وأَرسُمَا

تَحَمَّلَ مِنها مُنْجِدٌ من خَلِيطِهِمْ ❊ أَطَاعَ الهَوى حتَّى تَحَوَّلَ مُتْهِمَا[3]

وما في سُؤَالِ الدَّارِ إِدْرَاكُ حاجةٍ ❊ إذا اسْتَعْجمَتْ آياتُها أَنْ تَكَلَّمَا

قولُهُ: هُوَيْنَاكَ، تصغيرُ هَوْنَكَ، والهَوْنُ: المَهَلُ، يقالُ: سِرْ على مَهَلٍ، وتكلمْ على مَهَلٍ، ويقالُ للمتكلمِ: هونًا على مهلٍ، أَي مَهْلًا، وهَوْنَكَ: أَي مَهْلَكَ، أَي الزمْ مَهْلَكَ ولا تَعْجَلْ.

وأَرادَ البحتريُّ [٣٦/ص/أ] ارفقْ واكفُفْ من لَوْمِكَ، أَلَا تراهُ وكَّدَ ذلك بقولهِ: «وقصْرَكَ نستخبرْ»، أَي أَقصِرْ.

---

(١) ديوانه: ٢/٨٦٠، والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: ٣/٢٠٤١، و«تكتما» اسم امرأة، والأبيات من الطويل.

(٣) ديوانه: (تحول عنها).

ووجدتُ بعضَهم يستهجنُ هذه اللفظةَ ، كأَنهُ كرِهَ أَنْ يكونَ مُبْتَدأً بها ، وليستْ عندي بمكروهةٍ ولا مستهجنةٍ، وهو ابتداءٌ إِنْ لَمْ يكنْ من جيدِ ابتداءَاتهِ ونادرِها ، فليسَ هذا من رديئها .

ووصلَ هذا بأَنْ قالَ[1]:

نَصَرْتُ لهـا الشـوقَ اللَّجُـوجَ بـأَدْمُعٍ ❊ تَلَاحَقْـنَ فـي أَعقـابِ وَصْـلٍ تَصَـرَّمَا
وتيَّمَنِـي أَنَّ الجَـوَىٰ غيـرُ مُقْصِـرٍ ❊ وأَنَّ الحِمَىٰ وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بالحِمَىٰ

فقولهُ: «نصرت لها الشوق اللَّجُوجَ بأَدمع» يعني الدارَ ، بعد قولهِ: «وما في سُؤَالِ الدَّار إِدْرَاكُ حَاجَةٍ» لأَنهُ لما لمْ يجدْ في سؤالِها إِدراكَ حاجةٍ .

وهذا قريبٌ من قولِ أَبي تمامٍ:

فاسْـأَلْنَهَا واجْعَـلْ بُكَـاكَ جَوابًـا ❊ تَجِـدِ الشَّـوقَ سـائلًا ومُجيبَـا

وقولهُ: «وأَنَّ الحِمَىٰ وَصْفٌ لمن حلَّ بالحِمَىٰ» ، غيرُ جيدٍ ، وهو من تَوْلِيدَاتِ المتأَخرينَ ، وأَصْلٌ من أُصولِ أَبي تمامٍ التي يَعْمَلُ عليها .

وقولهُ: «نَصَرْتُ لها الشَّوقَ اللَّجُوجَ بأَدْمُعٍ» ، خطأ اتبعَ فيهِ أَبا تمامٍ في قولِهِ[2]:

دَعَـا شَـوْقُهُ يـا نَاصِـرَ الشَّـوقِ دَعْـوَةً ❊ فَلَبَّـاهُ طَـلُّ الـدَّمْعِ يَجْـرِي ووَابِلُـهْ

[٣٦/ص/ب] وقدْ شرحتُ المعنىٰ فيما تقدمَ .

وقالَ البحتريُّ[3]:

---

(١) سبق ١/٤٢٨ .
(٢) سبق ١/٤٢٧ .
(٣) ديوانه: ١/٢٤٥ ، والأبيات من الكامل .

وبِـذِي الأَرَاكَـةِ مِـن مَصِـيفٍ لَابِـسٍ ❁ نَسْـجَ الرِّيَـاحِ ومَربـعٍ مَهْضُـوبِ
دِمَـنٌ لزينـبَ قَبْـلَ تَشْـرِيدِ النَّـوَىٰ ❁ مِـنْ ذِي الأَرَاكِ بِزَيْنَـبٍ ولَعُـوبِ
تَأْبَىٰ المنازلُ أَن تُجِيبَ ومِنْ جَوًىٰ ❁ يـومَ الـدِّيارِ دَعَـوْتُ غَيْـرَ مُجيـبِ

وهذا من جيدِ شعرِهِ، وبارعِ أَلفاظِهِ، ومُتْقَنِ معانيهِ.

وقالَ أَيضًا(١):

إِذا شِئْتُ أَجْرَتْ أَدْمُعِي مِنْ شُؤُونِهَا ❁ رُبُـوعٌ لهـا بـالأَبْرَقَيْنِ وأَرْسُـمُ
وقَفْتُ بهـا والرَّكْبُ شَتَّىٰ سَبِيلُهمْ ❁ يفيضُـونَ مِـنْهمْ عـاذِرُونَ ولُـوَّمُ
هِـيَ الـدَّارُ إِلا أَنَّهـا لا تُكَلِّـمُ ❁ عَفَـا مَعْلَـمٌ منهـا وأَقْفَـرَ مَعْلَـمُ
تُقَيِّضُ لي مِنْ حيثُ لا أَعْلَمُ النَّوَىٰ ❁ ويَسْرِي إِليَّ الشوقُ من حيثُ أَعْلَمُ(٢)

وهذه أَبياتٌ جيادٌ.

وقولهُ: «عفا معلمٌ منها»، أَي انمحىٰ وذهبَ، «وأَقفر معلم»، أَي خلا من أَهلِهِ، وفي هذا سؤالٌ، وهو أَن يقالَ: المَعْلَمُ الذي عَفَا هو أَيضًا مُقْفِرٍ؛ لأَنَّ المقفرَ: الخالي، [٣٧/ص/أ] فما وجهُ هذا التقسيمِ؟

والجوابُ: أَن العَافِي: هو الذي قد ذهبَ وفنيَ وعدمَ، فلا ينسبُ إِلىٰ أَنَّهُ مُقْفِرٌ؛ لأَن المُقْفِرَ: الخالي(٣)، والخالي لا يكونُ معدومًا، فأَراد البحتريُّ: أَنَّ مَعْلَمًا منها عَفَا، أَي عدمَ، ومَعْلَمًا بقي مُقْفِرًا، أَي خاليًا من أَهلِهِ، كما

(١) ديوانه: ١٩٢٧/٣، والأبيات من الطويل.
(٢) «ص»: (يفيض لي).
(٣) من قوله: (فما وجه هذا التقسيم) إلىٰ قوله: (المقفر الخالي) يكرر في لوحة ٣٧ من «ص».

يقولُ القائلُ في الرجلينِ: ماتَ أَحدُهما وأَعدمَ الآخرُ، فالميتُ لا يقالُ لهُ معدمٌ.

وقالَ البحتريُّ[1]:

أَرُسُومُ دارٍ أَمْ سُطُورُ كِتابِ ❊ درسَتْ بَشَاشَتُها علىٰ الأَحقابِ
يَجْتازُ زَائِرُها بغيرِ لُبانَةٍ ❊ ويُردُّ سائلُها بغيرِ جَوَابِ

قولُهُ: «أَرُسومُ دارٍ» من ابتداءَاتهِ العجيبةِ لفظًا ومعنىٰ، وقد ذكرتهُ في بابِهِ من الابتداءَاتِ[2].

وقولُهُ: «يَجْتازُ زائرُها بغير لُبانةٍ» أَي إِذَا عَرَّجَ عليها زائرُها في اجتيازهِ بها فإِنهُ يجتازُ، أَي يَجُوزُها ويمضي بغير حاجةٍ قضِيتْ لهُ، وأَرادَ: ينصرفُ عنها زائرُها بغيرِ لبانةٍ، فجعلَ في موضعِ «ينصرفُ»، «يجتازُ».

وقالَ البحتريُّ أَيضًا[3]:

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنتَ قائِلُهُ ❊ وأَبدىٰ الجوابَ الرَّبعُ عمَّا تُسائلُهْ
أَفي ذاكَ بُرْءٌ من جوًىٰ أَلهبَ الحَشَا ❊ تَوَقُّدُهُ واسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائلُهْ[4]

[٣٧/ص/ب] وهذا معنىٰ حلوٌ، ومذهبٌ حسنٌ إلا أَنهُ كررَ معنىٰ صدرِ البيتِ في عجزهِ، وهذا قبيحٌ من مثلهِ، وجعلَ البيتَ الثاني معلقًا بالأَولِ، والعُذْرُ لهُ أَن يقالَ: إِنهُ جعلَ الدارَ غيرَ الربعِ.

---

(١) ديوانه: ٢٩٤/١، والبيتان من الكامل. وفي الديوان: (مع الأحقاب).

(٢) انظر: ١٤٥/٢.

(٣) سبق في ١٦٠/٢، وفي أصله «ص»: (ردت ربع) تحريف.

(٤) «ص»: (أفي ذاك يوم ألهب الحشىٰ ❊ توقده واستعمد العين حافله) تحريف.

وقالَ أَبو تمامٍ في قصيدتهِ التي أَولُها[١]:

أيُّ مَـرْعَىٰ عَيْـنٍ ووادي نَسِيبِ

فَعليـه السـلام لا أُشْـرِكُ الأَطْـ ❁ ـلَال فـي لَـوْعَتِي، ولا فـي نَحِيبِـي

فَسَــــوَاءٌ إِجَــابَتِي غَيْـــرَ دَاعٍ ❁ أَمْ دُعَـائي بـالقَفْرِ غَيْـرَ مُجِيـبِ[٢]

أَخذهُ البحتريُّ فقالَ:

أَصَــبابَةً بِرُسُــومٍ رَامَــةَ بَعْــدَما ❁ عَرَفَـتْ مَعالِمَهـا الصَّبَا والشَّمْأَلُ[٣]

وسَأَلْتُ من لا يَسْتَجِيبُ فكُنْتُ في اسْـ ❁ ـتِخْبـارِهِ كَمُجِيـبِ مَــنْ لَا يَسْــأَلُ

وبيتُ أَبي تمامٍ أَجودُ.

قال أَبو تمامٍ[٤]:

لَهُمْ مَنْزِلٌ قـد كـان بـالبِيضِ كالـدُّمىٰ ❁ فَصِيحَ المغانِي ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمَا[٥]

وردَّ عُيُــونَ النَّــاظِرين مُهَانَــةً ❁ وقَـدْ كـانَ مِمَّـا يَرْجعُ الطَّـرْفَ مُكْرَمَـا

وهذا في غايةِ الحسنِ والحلاوةِ.

وقالَ البحتريُّ[٦]:

مَنازِلُ مـا تُجِيبُ الصَّبَّ مـن خَرَسٍ ❁ ولا تُرِيـغُ إِلـىٰ شَـكْوَاهُ مِـنْ صـمَمِ

---

(١) شرح الصولي: ١/٢٢٥، شرح التبريزي: ١/١١٦، والأبيات من الخفيف.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (ودعائي).
(٣) ديوانه: ٣/١٧٥٤، والبيتان من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ٢/٤٠٥، شرح التبريزي: ٣/٢٣٢، والبيتان من الطويل.
(٥) عند الصولي والتبريزي: (كالمها).
(٦) ديوانه: ٣/١٩٧٣ وفيه: (لا تجيب..... ولا تريع...)، والبيتان من البسيط.

أَقَـامَ يَنْشُـدُ شَـمْلاً غَيْـرَ مُتَّفِـقٍ ❊ مـن آلِ ليلَـىٰ وشـعبًا غَيْـرَ مُلْتَـئِمِ

[٣٨/ص/أ] قولُهُ: «ما تُجِيبُ الصبَّ من خَرَسٍ»، أَي ما تجيب الصبَّ لِخَرَسِها، «ولا تُرِيغُ إِلىٰ شكواهُ من صممِ»، أَي لِصَمَمِها.

وهذهِ ـ أَيضًا ـ أَبياتٌ حلوةٌ، حسنةُ الغرضِ.

فهذا ما وجدتُهُ لهما في هذا البابِ، وهما عندي فيه متكافئَانِ، وأَجودُ من كلِّ ما قالاهُ من ذلكَ قولُ جَمِيلٍ(١):

أَصـبحَ الرَّبـعُ مـن بُثينـةَ فَيًّـا ❊ زَادَهُ طُـولُ مـا تَأَبَّـدَ عِيًّـا

ولَـئِنْ مـا يُبِـينُ رَجْـعَ سُـؤالٍ ❊ ولقـد يَسـمعُ السـؤالَ الخَفِيًّـا(٢)

وقالَ المُخَبَّل(٣):

وكأَنمـا أَثَـرُ النَّعـاجِ بجَوِّهـا ❊ بِمَـدَافِعِ الـرُّكْنَين وَدْعُ جَـوَارِ

وسـأَلتُها عـن أَهلِهـا فوجـدتُها ❊ عميـاءَ جافيـةً عـن الإِخبـارِ

وهذا كلامٌ حلوٌ جدًّا.

وقالَ عَوْفُ بنُ عَطِيّةَ بن الخَرِعِ(٤):

---

(١) لم يردا في ديوان جميل، ولم أعثر عليهما فيما بين يديَّ من مصادر.

(٢) في «ص»، والمطبوع: (وإن ما يبين) ولا يستقيم وزن البيت بها، والتصحيح من «ر»، والبيتان من الخفيف.

(٣) المخبل السعدي، حياته وما تبقىٰ من شعره، ص١٢٦، صنعة د. حاتم الضامن، مجلة المورد العراق، المجلد الثاني، العدد الأول سنة ١٩٧٣، والبيت من الكامل.
والمخبل السعدي: أبو يزيد ربيع بن مالك، شاعر مخضرم عُمِّرَ في الجاهلية والإسلام عمرًا طويلًا، فهجا الزبرقان بن بدر لأنه خطب أخته فروة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، أو عثمان ابن عفان (الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، ١٣/١٣٢).

(٤) المفضليات، ص٤١٣، تحقيق أحمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر.

وقفـــتُ بهـــا مـــا تَبـــينُ الكـــلامَ ❊ لســـــائلِها القـــولَ إلَّا سِـــــرارَا

أَي إِنَّا قدْ فَهِمْنا عنها وإِنْ لمْ تُجبْ؛ فجعلَ ذاكَ سِرارًا.

وقالَ ذو الرُّمَّةِ(١):

وَقَفْنَـــا فسَـــلَّمَتْ علينَـــا تحيَّـــةً ❊ علينا ولم تَرْجعْ جَوَابَ المُخَاطِبِ

[٣٨/ص/ب] الأصمعيُّ: يقولُ: من سرورِنا بها رأَينَا أَنها قد ردتْ علينا التحيةَ وأَجابتنا.

وقالَ غيرُهُ: ردتْ تحيةً، أَي لمْ تقبلها مِنَّا.



(١) ديوانه: ١٩٠/١، والبيت من الطويل.

بابٌ آخرُ من وصفِ الديارِ وساكنيها



وليسَ تكادُ في القطعةِ التي تشتملُ على عدةِ أَبياتٍ، أَن تكونَ سائرُ أَبياتها موافقةً في معانيها لسائرِ أَبياتِ القطعةِ الأُخرى، وإِنما يُوازَنُ بين بيتٍ وبيتٍ إِذا اتَّفَقَا، أَو بين غرضٍ وغرضٍ إِذا تَقَارَبا، وأَغراض هذا البابِ هي من جنسٍ واحدٍ وإِن اختلفتِ المعاني.

قالَ أَبو تمامٍ(١):

قَد عَهِدْنا الرُّسُومَ وهيَ عُكَاظٌ ❁ للصِّبَا تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وطِيبَا

أَكثَرَ الأَرضِ زائرًا ومَزُورًا ❁ وصَعُودًا من الهوى وصَبُوبَا(٢)

وكَعَابًا كأَنَّما أَلبَسَتْها ❁ غَفَلاتُ الشبابِ بُرْدًا قَشِيبَا

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها، قَلَّمَا تَعْـ ❁ ـرِفُ فَقْدًا للشَّمسِ حتَّى تَغِيبَا

قولُهُ: «قد عَهِدْنا الرُّسومَ وهي عُكَاظٌ» معنى ليسَ بالجيدِ؛ لأَنهُ إِنما أَرادَ: قد عهدنا الرسومَ وهي معدنٌ للصِّبا أَو مألفٌ [٣٩/ص/أ] أَو موطنٌ، فقالَ: عكاظٌ، أَي سوقٌ للصِّبا يجلبُ إِليها، ولو قالَ: «سوقٌ» لكانَ أَجودَ من قولهِ «عكاظٌ»، وإِنما ذهبَ إِلى أَنَّ عكاظَ من أَعظمِ الأَسواقِ التي تجتمعُ إِليها العربُ، وقد كانَ يكفيهِ أَن يقولَ: «سوقٌ»، فيأتيَ باللفظةِ المستعملةِ المعتادةِ، وإِن السوقَ قد تكونُ عظيمةً آهلةً، وعكاظٌ أَيضًا سوقٌ، فما وجهُ التخصيصِ

---

(١) شرح الصولي: ٤٩/١، وفيه: (قد عهدت) وشرح التبريزي: ١٥٧/١، والأبيات من الخفيف.

(٢) نقل ابن المستوفي شرح الخارزنجي فقال: أراد بالصَّعود: الكؤود من الهوى، وبالصبوب: اللين المطاوع. (النظام شرحي المتنبي وأبي تمام ج١ لوحة ٨٢).

في موضعِ العمومِ، والعمومُ أَجودُ وأَليقُ ؟

وقد يجوزُ أَن يكونَ احتذاهُ علىٰ مثالٍ، والرَّدِيءُ لا يُعْتَبَرُ بهِ، وعلىٰ أَنَّ الوزنَ لم يمكِّنهُ من «سُوق».

وقالَ البحتريُّ[1]:

رَحَـلَ الظَّـاعِنُونَ عَنْـكَ وأَبْقَـوا ❁ فـي حَوَاشـي الأَحشـاءِ حُزْنًـا مُقيمَـا

أَيْـنَ تِلْكَ الظباءُ أَشبهنَ في الْحُسْـ ❁ ـنِ بُـدُورًا وفـي البِعَـادِ نُجُومَـا[2]

قـد وَجَـدْنَ السُّـلوَّ بَـرْدًا سَـلامًا ❁ إِذْ وجـدنَا الهَـوَىٰ عـذابًا أَلِيمَـا

وهذا كلامٌ حلوٌ، وغرضٌ حسنٌ.

وقولُهُ: «أَشْبَهْنَ في الحُسْن بُدُورًا وفي البِعَادِ نُجُوما» أَجودُ وأَلطفُ من قولِ أَبي تمامٍ: «قلَّما تَعْرِفُ فَقْدًا للشمس حتىٰ تَغِيبَا» لأَنهُ جمعَ البدرَ والنجومَ في بيتٍ، وجعلَ التشبيهَ بمعنينِ مختلفينِ، [٣٩/ص/ب] وأَيضًا فإِنَّ أَبا تمامٍ لم يصفِ المرأَةَ في بيتهِ بالحسنِ، والبيتُ من أَوصافِ النساءِ، ولا يقول مثلَهُ عاشقٌ، وإِنما يوصفُ بمثلهِ صديقٌ أَو حميمٌ، فيقالُ: قد بَانَ عليَّ فَقْدُهُ لمَّا غابَ؛ أَو يكونُ وصفًا لملكٍ أَو سيدٍ فيقالُ: غابَ فغابَ عنَّا فَضْلُهُ ونائلُهُ، وبَعُدَ فبعدُ عنَّا خيرُهُ ومعروفُهُ، كما يبعدُ ضوءُ الشمسِ والانتفاعُ بها إِذا غابتْ، أَلا تراهُ لو كانَ مدْحًا لرجلٍ حتىٰ يقولَ:

بَـيَّنَ البَـيْنُ فَقْـدَه قَلَّمـا تَعْـ ❁ ـرِفُ فَقْـدًا للشَّـمسِ حتـىٰ تغيبَـا

ولو كانَ من أَقبحِ الناسِ صورةً، بَعْدَ أَن يكونَ كريمًا جوادًا، أَو شجاعًا

---

(١) ديوانه: ٤/ ٢٠٥٧، والأبيات من الخفيف.

(٢) ديوانه: (أصبحن).

مُحَامِيًا، أَنَّ ذلكَ كانَ يكونُ حسنًا جميلًا، ومدحًا صحيحًا مستقيمًا؟!

وقدْ قالَ يرثي إِسحاقَ بن أَبي ربْعِي[1]:

رَاحَـتْ وفُـودُ الأَرضِ عَـنْ قَبْـرِهِ ✤ فارِغَـةَ الأَيْـدي ومَـلْأَىٰ القُلُـوبِ

قـد عَلِمَـتْ مَـا رُزِئَـتْ إِنَّمـا ✤ يُعْـرَفُ فَقْـدُ الشـمسِ بعـد الغـروبِ

فههنا موضعُ هذا المعنىٰ لا هناك.

ويقالُ في قولِ البحتريِّ: «أَشْبَهْنَ في الحُسْنِ بُدُورًا وفي البِعَادِ نُجُومَا»: إِن البدرَ[2] أيضًا لا يوصلُ إِليهِ، فهو بعيدُ المنالِ كَبُعْدِ النَّجمِ، فَلِمَ خصَّ النجومَ [٤٠/ص/أ] بالبعَادِ؟

فالجوابُ: أَنَّ العادةَ لم تجرِ لأَنْ يقالَ: أَبعَدُ من البدرِ، وإِنما يقالُ: أَبعدُ من النَّجمِ، فجعلهنَّ في الحسنِ كالبدورِ، وفي بُعدِ منالِهِنَّ كالنجومِ، وهذا معنىٰ لا مَزِيدَ علىٰ حُسْنِهِ وصحتهِ.

وإِن حملتَ المعنىٰ علىٰ أَنَّ البدرَ ليسَ ببعيدٍ منا كبُعْدِ سائرِ النجومِ، لأَنَّ بينهُ وبينها في البعدِ مسافةً بعيدةً كانَ ذلكَ مذهبًا صحيحًا، وقد استهجنَ ابنُ المعتزِ قولهُ: «في حَوَاشِي الأَحْشَاءِ» وهو تَجْنِيسٌ إِن لم يكنْ حُلْوًا لائقًا فليسَ بالهَجِينِ ولا الرَّديءِ القبيحِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

لا أَنْـتَ أَنْـتَ ولا الـدِّيارُ دِيَـارُ ✤ [خَـفَّ الهَـوَىٰ وَتَوَلَّـتِ الأَوْطـارُ]

(١) شرح الصولي: ٢٥٨/٣، شرح التبريزي: ٤٧/٤، والبيتان من الخفيف.

(٢) «ص»، «ر»: (البدور).

(٣) شرح الصولي: ٥٢٠/١، شرح التبريزي: ١٦٦/٢، والزيادة منهما، والأبيات من الكامل.

كانــت مُجَــاوَرَةُ الطُّلُــولِ وأَهْلِهــا ❊ زَمَنًــا عِــذَابَ الــوِرْدِ فهــي بِحَــارُ[1]
أَيَّــامَ تُــدْمِي عَيْنَــهُ تِلْــكَ الــدُّمىٰ ❊ فيهــا وتَقْمُــرُ لُبَّــهُ الأَقْمَــارُ[2]
إِذْ لا صَــدُوفَ ولا كَنُــودَ اسْــماهُمَا ❊ كــالمَعْنَيَيْنِ ولا نَــوَارُ نَــوَارُ[3]
بِــيضٌ فهُــنَّ إذا رُمِقْــنَ سَــوَافِرًا ❊ صُــوَرٌ وَهُــنَّ إذا رَمَقْــنَ صِــوَارُ[4]
في حَيْثُ يُمْتَهَنُ الحديثُ لِذِي الصِّبَا ❊ وتُحَصَّــنُ الأَسْــرَارُ والأَسْــرَارُ[5]

قولُهُ: «لا أَنْتَ أَنْتَ» لفظ من أَلفاظ أَهل الحضر، مُسْتَهْجَنٌ وليس بجيد. ولكنَّ [٤٠/ص/ب] قولهُ: «ولا الدِّيارُ دِيارُ» كلامٌ معروفٌ من كلامِ العربِ، مستعملٌ حسنٌ أَي ليستْ الديارُ ديارًا كما عهدتُ، مثلُ ما يقالُ في الإِيجابِ:

إِذ النَّــاسُ نــاسٌ والزمــانُ زَمــانُ[6]

أَي كما عهدت. قالَ جَرِيرٌ[7]:

وكُنَّــا عَهِــدْنَا الــدَّارَ والــدّارُ مَــرَّةً ❊ هــي الــدَّارُ إِذْ حَلَّــتْ بهــا أُمُّ يَعْمُــرا

---

(١) قال الصولي: أي: كانت عذابًا لنا بحضورهم، فلما رحلوا صارت مجاورة الطلول بعدهم بحار الوِرْد.
(٢) أي: تُدمي تلك الدمىٰ عين أبي تمام لكثرة بكائه لمفارقتهن، وقلة مساعدتهن، ويقمرن لبه: يذهبن به.
(٣) يقول: صدوف وكنود ونوار كن من أهل ودي ووصالي، وكانت أفعالهن مخالفة لأسمائهن، لأن «صدوف» من صدف أي: أعرض، و«كنود» من كند إذا عق، وقيل: كفر، و«نوار» من نار ينور: إذا نفر.
(٤) التبريزي: يقول: إذا رآهن الناظر، فكأنهن صور من حسنهن، وقوله: «وهن إذا رمقن صوار»، أي: عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت.
(٥) قال أبو العلاء: جعل الحديث يمتهن، لأن الامتهان ضد التحصين، و«الأسرار» الأولىٰ: جمع سر من الحديث المكتوم، والثانية جمع سر، وهو النكاح.
(٦) صدره: * بلاد بها كنا وكنا نحبها * التذكرة الحمدونية، ٦/٤٣٣.
(٧) ديوانه بشرح محمد بن حبيب: ١/٤٦٨.

وكما قالَ ابنُ حِطَّان في النَّفْي:

أَنْكَـرْتُ بَعْـدَكَ مـن قـد كُنْـتُ أَعْرِفُـهُ ❁ ما الناسُ بعدَكَ يا مِرْدَاسُ بالنَّاسِ[١]

فبنىٰ أَبو تمام علىٰ هذا قوله: «لا أَنْتَ أَنْتَ» أَي لست أَنت الذي كنت تُعْهَدُ مُحِبًّا وَامِقًا، ذا مقة، أَي[٢] قد تغيرْتَ وتغيرتْ الديارُ.

وقولُهُ: «فهي بحارُ»؛ والبحرُ: الماءُ المِلْحُ، ويقالُ: قد أَبْحَرَ الماءُ، إِذا صارَ مِلْحًا.

وقولُهُ: «وتُحصَّنُ الأَسْرَارُ والأَسْرَارُ» الأَول جمع سِرّ[٣]، يعني النكاح، والثاني يريدُ الحديثَ، أَي هو محفوظٌ.

وقولُهُ: «إِذْ لا صَدوفَ ولا كَنُود اسماهُمَا كالمَعْنَيَيْنِ» أَي لا تَصْدفُ هذهِ، ولا تكْنُدُ تِلْكَ، أَي لا تَقْطعُ. «ولا نَوَارُ نَوَارُ» أَي ولا نوارُ نَافِرٌ، أَي هي آنسةٌ غيرُ نَفُورٍ من الحديثِ والأنسِ، وإِنما قالَ في موضعٍ آخرَ[٤]:

نَـوَافِرُ مِـنْ سُـوءٍ كمَـا نَفَـرَ السِّـرْبُ

[٤١/ص/أ] لأَنهُ أَرادَ نفورَهنَّ من السوءِ، وهو: الريبةُ.

وقالَ البحتريُّ[٥]:

---

(١) ديوان الخوارج: ص١٥٩، تحقيق د. إحساب عباس، دار الشروق سنة ١٩٨٢، وفيه: (ممن كنت أعرفه).

(٢) «ص»، «ر»: (ذا مني إني) تحريف.

(٣) «ص»: (جمع أسر) تحريف.

(٤) شرح الصولي: ١/٢٦٥، شرح التبريزي: ١/١٧٩، وصدره:

سـواكـن فـي برٍّ كمـا سكـن الـدّمىٰ

(٥) ديوانه: ٣/١٤٥٠ والأبيات من الكامل.

هــذا العَقِيــقُ وفيــه مَــرْأَىٰ مُوْنِــقٌ ❊ للعَـيْنِ لَـوْ كــان العقيــقُ عَقِيقَــا
أَشَــقِيقَةَ العَلَمــيْنِ هَــلْ مِــنْ نَظْــرَةٍ ❊ فتَبُـــلَّ قلْبًـــا للغَلِيـــلِ شَــقِيقَا
وسَــمَتْكِ أَوديــةُ الســماءِ بديمــةٍ ❊ تُحْيِــي رجــاءً أَو تــردُّ عَشِــيقَا[1]
ولـئن تَنَـاوَلَ مِـنْ بَشَاشَـتِكِ الـرَّدَىٰ ❊ طَرَفًـا وأَوْحَـشَ أُنْسَـكِ المَوْمُوقَـا[2]
فَلَــرُبَّ يَــوْمٍ قــد غَنِينَــا نَجْتَلــي ❊ مَغْنَــاكِ بالرَّشَـــإِ الأَنيـــقِ أَنِيقَـــا
عَـلَّ البخيلـةَ أَن تَجُـودَ بهـا النَّـوَىٰ ❊ والــدارَ تَجْمَـعُ شَــائقًا ومَشُــوقَا[3]

قولُهُ: «لو كانَ العقيقُ عَقِيقًا» كما عَهِدْتُ، وهذا مِثْلُ قولِ أَبي تمام: «ولا الدِّيارُ دِيَارُ».

وبيتُ البحتريِّ أَجودُ، لأَنَّ صدرَهُ أَحسنُ معنىً من قولِ أَبي تمامٍ: «لَا أَنْتَ أَنْتَ».

وأَوْدِيةُ السماءِ: يريد المُدُودَ التي تَجْرِي، والسماءُ: السحابُ. والدِّيمَةُ: المطرُ يدومُ أَيامًا لا يُقْلِعُ.

وقولهُ: «تحيي رَجاءً» أَي تُخْصِب الموضعَ، فيعودَ إِليهِ الظاعِنُون عنهُ، وإِنما ذهبَ إِلىٰ قولِ جَرِيرٍ:

أَلا أَيُّهَـا الـوَادِي الـذي ضَـمَّ سـيلُهُ ❊ إِلينـا نَـوَىٰ ظَمْيَـاءَ حُيِّـتَ وَادِيَـا[4]

وهذا منْ حُر الشعرِ، ورَصِينِ المعاني.

---

(١) ديوانه: (أردية السماء).

(٢) ديوانه: (بشتاك البلىٰ)، «ص»، «ر»: (طرقا) تصحيف..

(٣) «ص»: (علىٰ النخيلةِ) تحريف.

(٤) ديوانه: ١/٧٥، بشرح محمد بن حبيب، والبيت من الطويل.

وقالَ أَبو تمامٍ[1]: [٤١/ص/ب]

وَعَهْدِي بها إِذ نَاقِضُ العَهدِ بَدْرُها ❊ مَرَاحُ الهَوَىٰ فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ
مُـؤَزَّرَةً مِـنْ صَـنْعَةِ الوَبْـلِ والنَّـدَىٰ ❊ بِوَشْيٍ ولا وَشْيٌ وعَصْبٍ ولا عَصْبُ[2]
تَحَيَّـرَ فـي آرَامِهـا الحُسْـنُ فاغْتَـدَتْ ❊ قَرَارَةَ مَنْ يُصْبي ونُجعَةَ مَنْ يَصْبُو[3]
سَـوَاكِنُ فـي بِـرٍّ كمَـا سَـكَن الـدُّمىٰ ❊ نَـوَافِرُ مِـنْ سُـوءٍ كمَـا نَفَـر السِّـرْبُ
كَوَاعِـبُ أَتـرابٌ لِغَيْـدَاءَ أَصْـبَحَتْ ❊ وليسَ لها في الحُسْنِ شِكْلٌ ولا تِرْبُ
لهـا مَنْظَـرٌ قَيْـدُ النَّـواظِرِ لَـمْ يَـزَلْ ❊ يَرُوحُ ويَغـدُو فـي خَفَارَتِـه الحُـبُّ[4]
يَظَـلُّ سَـرَاةُ القـومِ مَثْنَـىٰ ومَوْحَـدًا ❊ نَشَـاوَىٰ بِعَيْنَيْهــا كــأَنَّهُمْ شَــرْبُ

قولهُ: «مَرَاحُ الهوىٰ فيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ» أَي الهوىٰ مُخْصِبٌ فيها لكثرةِ الحسنِ بها في مَرَاحهِ ومَسْرحهِ.

وقد يكونُ أَرادَ خِصْبَ النباتِ؛ لأَنهُ قالَ بعدهُ: «مُؤَزَّرةٌ من صَنْعَةِ الوَبْلِ والنَّدَىٰ».

---

(١) شرح الصولي: ٢٦٣/١، شرح التبريزي: ١٧٧/١، وفي «ص»، «ر»: (مزاج الهوىٰ) تصحيف.
وقد شرحه المرزوقي كما ينقل التبريزي فقال: (عهدي بهذه الدار حين كان حبيبي الناقض لعهدي فيها يضيئها وينورها فكأنه بدر لها، وهي مظنة الهوىٰ لأنها مأوىٰ الحسان ومرتعه).

(٢) يقول أبو العلاء كما نقل التبريزي: (أي لها إزار من الروض وضروب النبات، وهو من صنعة الوبل أي المطر الشديد الوقع).
ورد عليه ابن المستوفي فقال: إذا أخذ مؤزرة من قولهم تأزر النبت والتف واشتد كان أولىٰ. (النظام: ج١، لوحة ٨٩).

(٣) شرحه الخارزنجي فقال: (آرامها يعني نساءها المشبهة بالظباء، والقرارة يقول: تحير الحسن في آرام هذه الدار فلا يتعداها فأصبحت مجمع المصبيات من النساء، والصابين من الفتيان، وقال المعري: تحير: أقام. (النظام: ج١، لوحة٩٠).

(٤) «ص»: (قيد النوازل) تحريف.

والمعنىٰ الأَولُ أَجودُ وأَلطفُ، ولا يكونُ هذا البيتُ متعلقًا بما قبلهُ.

وقولَهُ:

تَحيَّـر فـي آرَامِهـا الحسـنُ فاغْتَـدَتْ ❊ قـرارةَ مـن يُصْـبِي ونُجْعَـةَ مـن يَصْـبو

فإنهُ من حُلْوِ الكلامِ.

وقولهُ: «سَوَاكنُ في بِرٍّ كما سَكَنَ الدُّمىٰ» فالدُّمىٰ: الصُّوَرُ، جمع دُميَة، أَي هنَّ سواكنُ في بِرٍّ، أَي في صلاحٍ، كما سكنَ الصُّوَرُ؛ لأَن الصُّوَرَ سَوَاكِنُ بلا حركةٍ، كأَنهُ ينسبهنَّ إِلىٰ الوقارِ وقِلَّة الأَشَرِ[1]، [٤٢/ص/أ] وهذه صفةُ العَفَائِفِ من النساءِ.

وقولهُ: «نَوَافِرُ من سُوءٍ كما نفَرَ السِّرْبُ»: الجماعةُ من الظباءِ والقطا، ومن بقرِ الوحشِ أَيضًا إِلا أَنَّ المستعملَ في بقرِ الوحشِ، والمستعملُ[2] فيه الرَّبْرَبُ.

وقولهُ: «أَترابٌ لغيداءَ» أَي أَترابٌ لها في سنيِّها، وليسَ لها في الحسنِ تِرْبُ.

وقولهُ: «يَرُوحُ ويَغْدُو في خَفارِتِه الحُبُّ» أَي لا يلحقُ الحبَّ معهُ آفةٌ من ثَلْمٍ ولا نقصٍ ولا تغيّرٍ ولا ضعفٍ، وهذه كلها معانٍ حسنةٌ متقنةٌ، وأَلفاظٌ بارعةٌ فصيحةٌ، إِلا البيتينِ الأَوّلينِ، فإِن فيهما اضطرابًا، والبدْرُ أَيضًا ليسَ هذا موضعهُ، وإِنما يحسنُ ذكرُ البدرِ في مثلِ هذا إِذا كانَ في الكلامِ ذكرٌ لِسَمَاءٍ أَو نجومٍ أَو ليلٍ.

---

(١) «ص»، والمطبوع: (الأشر)، والتصحيح من ما نقله ابن المستوفي في كتابه النظام شرحي المتنبي وأبي تمام ج١، لوحة ٩٠. والأَشَرُ: المرحُ.

(٢) أي: في الظباء.

ولو قالَ: «إِذ ناقضُ العهدِ ريمُها» كان أَشبهَ وأَليقَ.

وقد قالَ البحتريُّ في مثلِ هذا، ولكنهُ فيه أَعذرُ من أَبي تمامٍ، وذلك قولُهُ[1]:

رَبْـــعٌ خَـــلا مـــن بَـــدْرِه مَغنَـــاهُ ❊ رَبِحَـــتْ بـــه عِـــيْنُ المَهَـــا الأَشْـــبَاهُ

أَرادَ أَن ربعَ المرأَةِ خلا منها، وخَلَفَتْها العِينُ التي هي أَشباهٌ يشبهُ بعضُها بعضًا، وباعدَ المرأَةَ من شَبهها فجعلها بدرًا، أَي أَخْلىٰ الربعَ من هو كالبدرِ، وخَلفَتهُ العِينُ، كأَنهُ يُحسِّنُ[2] أَمرَها، كما يُقالُ: انظروا منْ بقيَ ومنْ مضىٰ، [٤٢/ص/ب] فاحتاجَ البحتريُّ إِلىٰ ذكرِ البدرِ [أَكثرَ][3] من حاجةِ أَبي تمامٍ إِليهِ في قولهِ: «وعَهْدِي بها إِذْ نَاقَضُ العَهْدِ بَدْرُها».

وأَحسنُ من هذا وأَجودُ لفظًا ومعنىٰ قولُ البحتريِّ[4]:

وعَهْدِي بها مِنْ قَبْلِ أَن يَحْكُمَ النَّوىٰ ❊ علـىٰ عِينهَـا أَلَّا تُـذَمَّ عُهودُهـا[5]

بَعِيـدَةُ مَـا بَـيْنَ المحبِّـين والجَـوَىٰ ❊ ومجموعَـةٌ غِيـدُ اللَّيـالي وغِيـدُها

قولُهُ: «ومَجْموعَةٌ غِيدُ اللَّيالي وغِيدُهَا» لفظٌ ومعنىٰ ما لحسُنِهِما نهايةٌ.

وإِنما أَخذَ المعنىٰ من قولِ أَبي تمامٍ[6]:

---

(١) ديوانه: ٤/ ٢٤٣٠، والبيت من الكامل. وفي ديوانه: (ورعت به).

(٢) في «ص»، والمطبوع: (يخسِّسُ)، والتصحيح من نقول ابن المستوفي من الموازنة في كتابه النظام، وهو ما يقتضيه السياق فالضمير في (أمرها) يعود علىٰ المرأة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ص»، والتصحيح من النظام.

(٤) ديوانه: ٢/ ٦٥٠، والبيتان من الطويل.

(٥) ديوانه: (ألا تدوم عهودها).

(٦) شرح الصولي: ١/ ٢٣٨٩، شرح التبريزي: ١/ ١٣٩، والبيت من الطويل.

كَوَاعِـبُ زَارَتْ فـي لَيَـالٍ قَصِـيرَةٍ ✤ يُخَـيَّلْنَ لِـي مِـنْ حُسْـنِهِنَّ كَوَاعِبَـا

وبيتُ البحتريِّ أَجودُ لفظًا، وأَحلىٰ سَبْكًا.

وقالَ أَبو تَمَّامٍ(١):

أَزَعَمْـتَ أَنَّ الرَّبْـعَ لَـيْسَ يُتَـيَّمُ ✤ والـدَّمْعَ فـي دِمَـنٍ عَفَـتْ لا يَسْـجُمُ

يـا مَوْسِـمَ اللَّـذَّاتِ غَالَتْـكَ النَّـوَىٰ ✤ بَعْـدِي فَرَبْعُـكَ للصَّـبَابَةِ مَوْسِـمُ

ولَقَـدْ أَرَاكَ مِـن الكَوَاعِـب كاسِـبًا ✤ فـاليومَ أَنْـتَ مـن الكَوَاعِـبِ مُحْـرِمُ

لَحَظَـتْ بَشَاشَـتَكَ الحـوادِثُ لَحْظَـةً ✤ مازلـتُ أَعْلَـمُ أَنَّهـا لا تَسْـلَمُ(٢)

وهذا كلّه جيدٌ، ويأتي بعدَ هذهِ الأبياتِ ما هو جيدٌ نادرٌ، ورديءٌ ساقطٌ، وقد ذكرتُ ذلكَ في باب العَزَاءِ في أَوصافِ [٤٣/ص/أ] النساءِ(٣).

وقولهُ: «أَزَعَمْتَ أَنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ يُتَيّم» معنىٰ حسن، وقد أَوردَهُ البحتريُّ أَحسنَ من هذا الإِيرادِ(٤) وألطفَ، فقالَ ـ وهو من إِحسانهِ المشهورِ ـ(٥):

لَقِينـا المغـانِي بـاللّوىٰ فكأَنَّمـا ✤ لَقِينَـا الغَـواني الآنسـاتِ عَـواطلَا

وقَتْـلُ المُحِبِّـينَ العيـونُ ولـم أَكُـنْ ✤ أَظُـنُّ الرّسـومَ الدارسـاتِ قَـوَاتِلَا

---

(١) شرح الصولي: ٢/٣٨١، شرح التبريزي: ١/٢١٢، والأبيات من الكامل.

(٢) عند الصولي والتبريزي: (مازلت أحلم).

(٣) العبارة هنا مضطربة، ولم أجد ما ذكره الآمدي في ما بين أيدينا من كتابه، وليس هناك باب بهذا الاسم، وهو اسم لا يكاد يفهم، وأظنه يعني (باب الغزل من أوصاف النساء) وهو باب من أبواب الموازنة (انظر فهرس المحتويات).

(٤) «ص»، «ر»: (من هذه الأبواب) تحريف.

(٥) ديوانه: ٢/١٦٠٣، والأبيات من الطويل.

هـواجِرُ شَـوْقٍ لـم تشـاءُ يَـدُ النَّـوَىٰ ❁ لجادَتْ بِمَنْ تَهْوَىٰ فعادتْ أَصَائِلَا[1]

ومَـذهَبُ حُـبٍّ لـم أَجِـدْ عنـه مـذْهبًا ❁ وشَـاغِلُ بَـثٍّ لـم أَجِـدْ عنـه شـاغلَا

وهذا الذي طَلَبَتْهُ الشعراءُ، فأَعْجزَها إِدراكُهُ.

وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

طَلَـلٌ وَقَفْـتُ عليـهِ أَسْـأَلُهُ إِلَـىٰ ❁ أَنْ كـادَ يُصْبِحُ رَبْعُـهُ لِـيَ مَسْـجِدَا

وَظَلِلْـتُ أُنْشِـدُهُ وأَنْشُـدُ أَهْلَـهُ ❁ والحُـزْنُ خِـدْنِي ناشِـدًا أَوْ مُنْشِـدَا[3]

سَـقْيًا لِمَعْهَـدِكَ الـذي لـوْ لـمْ يَكُـنْ ❁ مـا كـانَ قَلْبِـي للصَّـبابة مَعْهَـدَا

قولُهُ: «إِلىٰ أَنْ كادَ يُصْبِحُ رَبْعُه لِيَ مَسْجدًا» كأَنهُ أَرادَ أَن يؤكدَ طولَ وقوفِهِ في الرّبعِ، كما يقفُ المُصَلِّي في المسجدِ، وربما أَطالَ الوقوفَ.

وقولُهُ: «وظَلِلْتُ أُنْشِدُهُ» أَي أُعرِّفُهُ أَصحابي، وأَقولُ: هذا هو الربعُ أَو الطللُ، يُقالُ: أَنْشَدْتُ [٤٣/ص/ب] الضَّالَّةَ بالأَلفِ: إِذا عرَّفتُها، ونشدْتُها: إِذا طَلَبتُها. فقولُهُ: «أَنشدُ أَهلَهُ» أَي أَطلبهُمْ كما يطلبُ النَّاشِدُ ضالَّتهُ.

والحزنُ خِدْني، أَي صاحبي في الحالينِ.

وهذه أَبياتٌ لا حلاوةَ لها، ولا طلاوةَ عليها، ولكنَّ الحلوَ العذبَ ـ علىٰ هذا الوزنِ ـ قولُ البحتريِّ[4]:

---

(١) ديوانه: (بمن نهوىٰ).

(٢) شرح الصولي: ٤٧٩/١، شرح التبريزي: ١٠١/٢، وفيهما: (عكفت عليه)، والأبيات من الكامل.

(٣) «ص»، «ر»: (والحزن حزني) تحريف.

(٤) لم أجدها في ديوانه، وقال السيد صقر: (ووردت في القول الفائق ٣٣ ظ)، وهذا الكتاب=

عَهْـدِي بِربْعِـكَ لِلْغَـوَانِي مَعْهَـدًا ❁ نَضَـبتْ بَشَاشَـةُ أُنْسِـهِ فَتَأَبَّـدَا
بخِلَـتْ جُفُـونٌ لـم تُعِـركَ دُمُوعَهـا ❁ وَقَسَـا فُـؤَادٌ لـمْ يَبِـتْ بِـكَ مُقْصَـدَا
مـا هَـاجَ لـي نَـوْحُ الحمَـامِ ومَـا دَعـا ❁ مِـنْ صَـبْوَتِي وصَـبَابتِي إِذْ غَـرَّدَا

وقالَ أَبو تمامٍ[1]:

ولَقَـدْ سَـلَوْتَ لَـوَ انَّ دارًا لـمْ تَلُـحْ ❁ وحَلُمْـتَ لـوْ أَنَّ الهَـوَىٰ لـمْ يَجْهَـلِ
ولَطَالَمَـا أَمْسَـىٰ فُـوادُكَ مَنْـزِلاً ❁ ومَحِلَّـةً لِظِبَـاءِ ذَاكَ المَنْـزِلِ[2]
إِذْ فيهِ مِثْلُ المُطْفِلِ الظَّمْأَىٰ الحَشَا ❁ رَعَتِ الخَرِيفَ وما القَتُولُ بِمُطْفِلِ[3]

وقالَ أَبو تمامٍ يصفُ المنزلَ أَيضًا[4]:

ولَـئِنْ نَـوَىٰ بـكَ مُلْقِيًـا أَجْرَامَـهُ ❁ ضَيْفُ الْخُطوبِ لَقَدْ أَصَابَ مُضِيفَا
وَهِـيَ الْفَجَـائعُ لـمْ تَـزَلْ نَكَباتُهـا ❁ يَـأْلَفْنَ رَبْـعَ المَنْـزِلِ المأْلُوفَـا[5]

= هو نسخة أخرىٰ من الموازنة غيرت ورقة الغلاف منها، وسمي القول الفائق، ونسب زورا لابن الأثير، انظر ٣/٣٤٩. والأبيات من الكامل.

(١) شرح الصولي: ٢/٢٤٤، شرح التبريزي: ٣/٣٢، والأبيات من الكامل.

(٢) نقل ابن المستوفي رواية الآمدي لهذا البيت، وهي (ولطالما آسىٰ فؤادك منزلاً)، وشرحه فقال: (أي لطالما كان أسوة له في أن كان مركبا ومحلا لظبائه...) غير أن ما ورد في النسختين هو ما أثبتُه وأثبتَه قبلي السيد صقر ﷺ، وقال ابن المستوفي: (وفي الطرة بخط يحيىٰ بن محمد الأزرقي: الرواية: أسىٰ، وآسىٰ في هذا الموضع يفسد من الحلاوة) النظام: ج٢، لوحة ٢٥٠.

(٣) قال أبو العلاء شارحا كما ينقل التبريزي: («المطفل»: الوحشية التي معها ولدها، وأراد بـ«الضمأىٰ الحشا» الخميصة البطن، إذ ليست بمنتفحة القربين، و«القتول» في هذا الموضع يجوز أن يكون اسم المرأة، ويجوز أن يكون صفة لها).

(٤) شرح الصولي: ٢/٧٠، شرح التبريزي: ٢/٣٧٨، والأبيات من الكامل.

(٥) عند الصولي والتبريزي: (وهي الحوادث).

خَلَفَتْ بِعَقْوتِكَ السِّنونَ وطَالَما ❊ كانَتْ بناتُ الدَّهْرِ عنكَ خُلُوفَا

[٤٤/ص/أ] أَيَّامَ لا تَسْطُو بِأَهْلِكَ نكْبَةٌ ❊ إِلَّا تَراجَعَ صَرْفُهَا مَصْرُوفَا

وإِذَا رَمَتْكَ الْحادِثَاتُ بلَحْظِها ❊ ردَّتْ ظِبَاؤُكَ طَرْفَها مَطْرُوفَا[١]

وقالَ أَبو تمامٍ أَيضًا[٢]:

سَلِّمْ عَلَىٰ الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَىٰ بِذِي سلَمٍ ❊ عليهِ وَسْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ والقِدَمِ

مَا دَامَ عَيْشٌ لَبِسْنَاهُ لِساكِنِهِ ❊ لَدْنًا ولَوْ أَنَّ عَيْشًا دامَ لَمْ يدُمِ[٣]

يا منزلاً أَعْنَقَتْ فِيهِ الجَنُوبُ عَلىٰ ❊ رَسْمٍ مُحِيلٍ وشِعْبٍ غيرِ مُلْتَئِمِ

هَرِمْتَ بَعْديَ والرَّبعُ الذي أَفَلَتْ ❊ منهُ بُدُورُكَ مَعْذُورٌ علىٰ الهَرَمِ

عَهْدِي بِمَغْنَاكَ حُسَّانَ المعالِمِ مِن ❊ حُسَّانَةِ الوَرْدِ والبَرْديِّ والعَنَمِ[٤]

بَيْضَاءُ كانَ لها مِنْ غَيْرِنَا حَرَمٌ ❊ فلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ الصَّيْدَ في الحَرَمِ

كانتْ لَنَا صَنَمًا نَحنُوا عليهِ ولَمْ ❊ نَسْجُدْ كما سَجَدَ الأَفْشِينُ للصَّنَمِ

قولُهُ: «لوْ أَنَّ عَيْشًا دامَ لمْ يَدُمِ» أَي لو دامَ مُدَّةً من المددِ أَو دهرًا من الدهورِ، لم يدمْ، أَي لا نقطعَ ونفِدَ، ولم يكن بدٌّ من أَن يتصَرَّمَ، وقولُهُ: «وهرِمْت بعْدِي» كَلام رَذْلٌ سخيفٌ، قد عابهُ الناسُ فيما عابوهُ من أَلفاظهِ.

وقولُهُ: «حُسَّانَةُ الوَردِ»، يريدُ: الخَدَّ.

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (بلحظة).

(٢) شرح الصولي: ٢/٣٤٦، شرح التبريزي: ٣/١٨٤، والأبيات من البسيط.

(٣) عند الصولي والتبريزي: (بساكنه).

(٤) قال التبريزي: «حسانة» مثل حسن، إلا أنه أشد مبالغة منه، والأنثىٰ حسانة، و«البردي» أي: عظامها كالبردي و«العنم»: بنانها الذي خضب فصار يشبه العنم.

والبَرديُّ: يريدُ الساقَ[1]، وإنما يعني أُصُولَ البَرْدِيِّ، وهو أَبيضُ غضٌّ أَمْلَسُ، يُشبَّهُ بهِ الساقُ، والعَنَمُ: نبتٌ لهُ أَغصانٌ دِقاقٌ، تشبهُ بها الأَصابعُ.

وقولُهُ: [٤٤/ص/ب] «بيضاء كانَ لها من غيرِنا حَرَمٌ» فالحرمُ: هو المكانُ الذي قدْ حرمَ أَن يُصَادَ فيه صَيدٌ، فهو حِرْزٌ لهُ ومَلْجَأ، يريد بهِ زَوْجَ المرأَةِ، أَي كانَ لها حَرَمٌ من غيرِنا، ولم نكنْ نحنُ حَرَمَها.

ويروى: «كانَ لنا من غيرها حرمٌ» يريدُ: كانت لنا زوجةٌ هي حَرَمُنا، فلم نكنْ نَسْتَحِلُّ معها غيرَها، أَوْ لم نكنْ نَسْتَجِيزُ خيانَتها، كما قالتْ لَيلَى الأَخْيَليةُ[2]:

لَنَـا صَـاحِبٌ مَـا نَبْتَغِـي أَن نَخُونَـهُ ✤ وأَنْـتَ لِأُخْـرى صـاحِبٌ وخَلِيـلُ

وقولُهُ: «كانَتْ لَنَا صَنَمًا» أَرادَ أَن يقولَ: نَعْكُفُ عليهِ، فلم يستقمْ لهُ، فقالَ: نحْنُوا عليهِ، وهي لفظةٌ غيرُ مستعملةٍ في هذا الموضعِ، وإِن كانَ لهَا اقترابٌ من «نعكف» ومُشَارَكَةٌ.

وقولُهُ: «ولم نَسْجُدْ» معنى رديءٌ لا يليقُ بالمكانِ، وإِنما كانَ يجبُ أَن يقولَ: ولو جازَ السجودُ لسجدنا، حتى يكونَ قد وَفَّى الحبَّ حقَّهُ، واستعملَ المعنى المعتادَ في مثلِ هذا، وإِلا فأَيُّ فائدةٍ في أَنْ يقولَ القائلُ في شعرهِ: قدْ

---

(١) من قوله: (وإنما يعني..) إلى قوله: (تشبه به الساق). مستدرك في الهامش.

(٢) ديوان ليلى الأخيلية وتوبة بن الحميّر، ص٤٧، أنطوان الفوال، دار الفكر العربي، بيروت، وفيه: (لا ينبغي أن نخونه). وأشعار النساء للمرزباني، ص٥٥، تحقيق د. سامي مكي العاني، هلال ناجي، عالم الكتب. وفيه: (لا نبتغي).
وليلى الأخيلية: هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحُمَير، ماتت في ساوة ودفنت هناك «الأغاني الدار ١١/٢٠٤، فوات الوفيات ٢/٢٨٩، حماسة البحتري ص ٤٢٣».

أَحببتُ ولكنْ لمْ أَجعلْ محبوبي ربًّا أَعبدُهُ، وهَوِيتُ ولكنْ لمْ أُجَنَّ جنونَ قَيسِ ابنِ مُعَاذٍ العَامِريِّ؟ لأَنَّ من شأْنِ العاشقِ أَن يشكوَ ما يمرُّ بهِ ويقاسيهِ، ويكذبُ في أَكثرِ أَحوالهِ تقربًا إِلىٰ محبوبهِ، فأَمَّا أَن يركبَ مثلَ هذا المعنىٰ فلا، وقد يجوزُ أَن يقولَ [٤٥/ص/أ] قائلٌ: إِذا أَرادَ عذلَ محبٍ آخرَ ليقصُرَ.

وإِنما قصدَ أَبو تمامٍ ذكرَ الأَفْشِينِ، فخرجَ في المعنىٰ عن العادةِ وجاءَ بما لا فائدة فيهِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

عَفَتْ أَرْبَعُ الحِلَّاتِ للأَرْبَعِ المُلْدِ ❊ لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ[٢]

لِسَلْمَىٰ سَلَامَانٍ وعَمْرَةِ عَامِرٍ ❊ وهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ وسُعْدىٰ بنِي سعْدِ[٣]

دِيارٌ أَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ ❊ وأَوْطَأَتِ الأَحْزَانَ كلَّ حَشًا صَلْدِ[٤]

فلا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوىً قَدْ طَعِمْتُما ❊ جَواهُ فَلَيْسَ الوجْدُ إِلا مِنَ الوَجْدِ[٥]

قولُهُ: «أَرْبَعُ الحِلَّاتِ» يريدُ جمعَ حِلَّةٍ، وهي المنزلُ الذي يَحُلونَهُ.

وقولُهُ: «للأَرْبَعِ المُلْدِ» أَي للأَرْبَعِ من النساءِ المُلْدِ، وهُنَّ الغَضَّاتُ

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٩٠، شرح التبريزي: ٢/١١٨، والأبيات من الطويل.

(٢) عند الصولي والتبريزي: (مجدولة القد).

(٣) نقل التبريزي شرح أبي العلاء فقال:
(لم يُسَمِّ قبيلة في هذا البيت إلا وفي العرب قبائل تعرف باسمها، ففي طيّ سلامان، وكذلك في قضاعة، وفي الأزد سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان، وعامر بن صعصعة، وعامر بن لؤي، وعامر الأجدار في كلب، وبنو هند في كندة، وكذلك بنو سعد).

(٤) الصولي والتبريزي: (هراقت).

(٥) نقل التبريزي شرح المرزوقي للبيت فقال:
(يقول: انظر كيف كنتما وقت هواكما، فإن أنواع الوجد تتشابه، فوجدي الآن كوجدكما حينئذ).

النَّوَاعِمُ، ومنهُ قولُهم: غُصْنٌ أُمْلُودٌ: إذ كانَ كذلكَ، وهذا لفظٌ لا حلاوةَ لَهُ. وقدْ مضَى التفسيرُ عند ذكرِ هذا البيتِ في الابتداءَاتِ(١).

وقولُهُ: «فَلَيْسَ الوَجْدُ إِلَّا مِنَ الوَجْدِ» أَي من الوجدِ الذي تعرفانِهِ.

ومن جيدِ هذا البابِ ونادرِهِ، قولُ البحتريِّ(٢):

نَعَمْ قَدْ تَشَاكَيْنَا على الشِّعْبِ سَاعَةً ❊ ومِن دُونِهِ شِعْبٌ لِلَيْلَى مُفَرَّقُ(٣)

عَلَى دِمْنَةٍ فيها لِأُدْمَانَةِ النَّقَا ❊ محَاسِنُ أَيَّامٍ تُحَبُّ وتُعْشَقُ(٤)

وَقَفْتُ وأَوْقَفْتُ الجَوى مَوْقِفَ الهَوَى ❊ لَيَالِيَ عُودُ الدَّهْرِ فَيْنَانُ مُورِقُ

[٤٥/ص/ب] فَحرَّكَ بَثِّي رَبْعُها وَهْوَ سَاكِنٌ ❊ وَجَدَّدَ وَجْدِي رَسْمُهَا وهْوَ مُخْلَقُ(٥)

قولُهُ: «فحرَّكَ بَثِّي رَبْعُها وهو ساكن وَجَدَّدَ...» معنى مَقُولٌ، أَخَذَهُ من قولِ المَوْبِذِ في كِسْرَى عندَ وفاتهِ: حرَّكَنَا بِسكونهِ، ويقالَ: قيلتْ للإِسكندرِ، وأَخذَهُ أَبو العَتَاهِيةِ، فقالَ(٦):

قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ المَوْ ❊ تِ وحَرَّكْتَنِي لها وسَكَنْتَا

وقالَ أَبو تمامٍ(٧):

لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ ❊ أَو كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طُولُ عِتَابِ

---

(١) انظر ٢/١٤٥.
(٢) ديوانه: ٣/١٤٩٢، والأبيات من الطويل.
(٣) ديوانه: (قد تباكينا....).
(٤) أُدمانة النقا: الأدم من الظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة يقال: ضبية أُدماء (اللسان: أدم).
(٥) سبق ٢/٤١.
(٦) ديوانه: ص١٠٥، دار بيروت، ١٩٨٦. يرثي صاحبه علي بن ثابت.
(٧) شرح الصولي: ١/٢٠٨، شرح التبريزي: ١/٧٥، والأبيات من الكامل.

لَعَذَلْتُـــهُ فـــي دِمْنَتَـــيْن بـــأَمْرهِ ❊ مَمْحُـــوَّتَيْنِ لِزَيْنَـــبِ ورَبَـــابِ[1]
ثِنْتَـــيْن كـــالْقَمَرينِ حُـــفَّ سَـــنَاهُمَا ❊ بِكَواعِـــبٍ مِثْـــلِ الـــدُّمَىٰ أَتْـــرابِ[2]
مِـــنْ كُـــلِّ رِيـــمٍ لَـــمْ تَـــرُمْ سُـــوءًا ولَـــمْ ❊ تَخْلِـــطْ صَـــبا أَيَّامِهَـــا بِتَصَـــابِ

قولُهُ: «لَعَذَلْتُهُ في دِمْنَتَيْن» معنىٰ سخيفٌ، وإبداعٌ غيرُ حسنٍ ولا جميلٍ.

وقد اعتذرَ أَبو نواسٍ إلىٰ الرَّبْعِ[3]: بأَنهُ لم يَقدِرْ علىٰ دفعِ ضررِ البِلَىٰ والدُّرُوسِ عنهُ، وأَنَّهُ لا يدري ما يقولُ في ذلكَ لِسُعَادٍ؛ فجاءَنا بآبِدَةٍ أُخرىٰ ظريفةٍ عجيبةٍ، وقد رأَيتُ غيرَ واحدٍ من الشيوخِ يستحسنهُ لغرابةِ معناهُ، وذلكَ قولُهُ[4]:

[٤٦/ص/أ] أَرَبْعَ البلى إِنَّ الخُشُوعَ لَبَادِي ❊ عَلَيْـــكَ وإِنّـــي لَـــمْ أَخُنْـــكَ وِدَادِي
فَمَعْـــذِرَةً مِنِّـــي إِليـــكَ بـــأَن تـــرىٰ ❊ رَهِينَـــةَ أَرْمَـــاسٍ وصَـــوْبَ غـــوادي[5]
ولَـــمْ أَدْرَإِ الضَّـــرَّاءَ عَنْـــكَ بحِيلَـــةٍ ❊ فَمـــا أَنـــا مِنْهـــا قَائِـــلٌ لِسُـــعَادِ؟[6]

وهذا ليسَ علىٰ طريقةِ العربِ ولا مذاهبهم، وإذا اعْتَمَدَ الشاعرُ الإبداعَ فَمِنْ سَبيلِهِ أَلَّا يخرجَ عن سَنَنِ القومِ، فإنهُ لمْ يحظرْ عليه مُستَغْرَبُ المعاني ومُستظرفُها.

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (بأمرةٍ)، وقال الصولي: (أمرة) موضع.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (ثنتان).
(٣) «ص»، «ر»: (الربيع) تحريف.
(٤) ديوانه: ١٦٣/١، والأبيات من الطويل.
(٥) ديوانه: (رهينة أرواح).
(٦) ديوانه: (ولا أدرء).

وما أَحسنَ المعنىٰ الصحيحَ إِذا أَتىٰ بهِ الطبعُ النقيُّ ، وكان قائلُهُ مُخْبرًا بالأَمرِ علىٰ ما هوَ ، وذلك نحوُ قولِ البحتريِّ[1]:

وما أَعْرِفُ الأَطْلالَ مِنْ بَطْنِ تَوضَحٍ ❊ لِطُـــولِ تَعَفِّيهـــا ولَكِـــنْ إِخَالُهَـــا
إِذا قُلْتُ: أَنْسَىٰ دارَ لَيلىٰ علىٰ البِلىٰ ❊ تَصَوَّرَ في أَقْصَىٰ ضَمِيري مِثَالُهَا[2]
وكُنـتُ أُرَجِّـي وَصْـلَها عِنـدَ هَجْرِهَـا ❊ فقـدْ بـانَ مِنـي هَجْرُهَـا وَوِصَـالُهَا[3]
فــلا عَهْــدَ إِلَّا أَن يُعَــاوِدَ ذِكْرُهَــا ❊ ولا وَصْــلَ إِلا أَن يُطِيـفَ خيَالُهَـا[4]

وهذا هو الشعرُ الذي لم تشِنْ وجهَهُ الاستعارةُ البعيدةُ ، ولا المعنىٰ المُتمَحَّلُ .

وقالَ الحارثُ بنُ خالدِ المخزوميُّ في ضدِّ قولِ البحتريِّ: «وما أَعرِفُ الأَطلالَ» ، وأَحسنَ كلَّ الإِحسانِ ، وأَبدعَ [٤٦/ص/ب] وأَغربَ ، وذلكَ قولُهُ[5]:

عَفَــتِ الـــدِّيارُ فَمَـــا بِهَـــا أَهْـــلُ ❊ أَجْرَاعُهـــا ودِمَاثُهـــا السَّـــهْلُ[6]
إِنِّـــي ومَـــا نَحـــرُوا غَـــدَاةَ مِنًـــىٰ ❊ عِنْـــدَ الجِمَـــارِ تَؤُودُهَـــا العُقْـــلُ
لَـــو بُـــدِّلَتْ أَعْلَـــىٰ مَنَازِلِهَـــا ❊ سُـــفْلاً وأَصْـــبَحَ سُـــفْلُهَا يَعْلُـــو[7]

---

(١) ديوانه: ١٦٢٩/٣ ، والأبيات من الطويل .
(٢) ديوانه: (علىٰ النوىٰ) ، «ص» ، «ر»: (كان ليلىٰ) تحريف .
(٣) ديوانه: (وقد كنت أرجو) .
(٤) ديوانه: (إلا أن يزور) .
(٥) الأغاني: ٢١٧/٣ ، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين ، دار صادر ، بيروت .
(٦) الأغاني: ٢٢٧/٣ ، (حزّانها ودماثها) .
(٧) الأغاني: ٢١٨/٣ ، (أعلىٰ مساكِنها) .
والحارث بن خالد المخزومي أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، يذهب مذهب عمر بن=

لعَرَفْتُ مَغْنَاها بمَا احْتَمَلَتْ ❁ منِّي الضلوعُ لأَهْلَها قَبْلُ
ويَكادُ يعْرِفُها الخَبيرُ بها ❁ فَيَرُدُّهُ الإِقْوَاءُ والْمَحْلُ

وأَقولُ الآنَ في الموازنةِ بينهما: إِنَّ أَهلَ الصَّنعةِ يفضِّلونَ كلَّ ما قالَهُ أَبو تمامٍ على أَكثرِ ما قالَهُ البحتريُّ في هذا البابِ، ويقولونَ: إِنَّ أَبا تمامٍ استقصى الوصفَ في نُعوتِ النساءِ، وأَحسنَ وأَجادَ.

وقد كانَ ذاكَ لعمري مع ما فيهِ من الإِساءَاتِ والأَلفاظِ الرديئةِ التي ذكرتُها.

والمطبُوعُونَ وأَهلُ البلاغةِ لا يكونُ الفضلُ عندهم من جهةِ استقصاءِ المعاني والإِغراقِ في الوصفِ؛ وإِنما يكونُ الفضلُ عندهم في الإِلمامِ بالمعاني، وأَخْذِ العَفْوِ منها، كما كانتِ الأَوائِلُ تفعلُ، مع جَوْدَة السَّبْكِ، وقربِ المَأْتَى.

والقولُ في هذا قولُهُم، وإِليهِ أَذهبُ، إِلا أَنِّي أَجعلُهُما [٤٧/ص/أ] في هذا البابِ متكافئَيْنِ، لكثرةِ إِحسانِ أَبي تمامٍ فيهِ.



= أبي ربيعة، وكان يهوى عائشة بنت طلحة، ولاه عبد الملك بن مروان مكة، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش (الأغاني: ٣/٢١٧).

الدعاءُ للديارِ بالسُّقيا والخصبِ والنباتِ

قالَ أَبو تمامٍ[1]:

سـقَىٰ رَبْعَهـم لا بَـلْ سَـقَىٰ مُنْتَـوَاهُمُ ❊ من الأَرض أَخْلافُ السَّحَاب الحَوَاشِكُ

وأَلْبَسَــهُمْ عَصْــبَ الرَّبيــعِ ووَشْــيَهُ ❊ ويُمْنَتُــهُ نَبْــتُ الثَّـرىٰ المُتَلاجِـكُ[2]

إذا غَــازَلَ الــرَّوْضُ الغَزَالَــةَ نُشِّـرَتْ ❊ زَرَابِــيُّ فــي أَكْنَــافِهِمْ ودرانِــكُ[3]

إِذَا الغَيْـثُ غَـادَىٰ نَسْـجَهُ خِلْـتَ أَنَّـهُ ❊ مَضَتْ حقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وهْوَ حَائِكُ[4]

قولُهُ: «حَوَاشكُ» جمعُ حَاشِكَةٍ، وهي: النَّاقةُ التي قد اجتمعَ لبنُها في خَلْفِها، شبَّهَ السحابَ بها، والحَشَكُ: اسم الدَّرةِ[5] المجتمعةِ.

والمُتَلاحِكُ: الذي قدْ تكَاثَفَ وتَدَاخَلَ بعضُهُ في بعضٍ، من المُلاحَكَةِ في البناءِ ونحوِهِ.

وقولُهُ: «حقْبَةٌ حَرْسٌ» في غايةِ الرداةِ؛ لأَن الحَقْبَةَ، السَّنةَ: وجمعها حِقَبٌ.

والحرسُ: الدَّهرُ: وذكْرُ السنةِ مع الدهرِ جهلٌ بموضوعاتِ الكلامِ، وخروجٌ

---

(١) شرح الصولي: ٣/١٥٨، شرح التبريزي: ٢/٤٥٦، والأبيات من الطويل وفيها: (سقت..... لا بل سقت)، وفي «ص»، «ر»: (أخلاق) تصحيف.

(٢) «ص»، «ر»: (غيب الربيع)، (وتلنته نبت النوىٰ) تحريف.

(٣) الزرابي والدرانك: الطنافس والبُسط.

(٤) قال التبريزي: (أي إذا أصاب الغيث ندىٰ هذه الأرض وجاره وزينه بالأنوار والزهر، حسبت أنه كان يحوكها ويصنعها زمانا من الدهر).

(٥) «ص»، «ر»: (الأرض) تحريف.

عن العادات، ومتى سمعَ أَحدًا يقولُ: ما رأيتهُ مذ سنةٍ دهرًا، وقد مضى لهُ سنةٌ دهرٌ ما يكلمنا؟

فأما جعلهُ الغيثَ [٤٧/ص/ب] كأنهُ كانَ حائكًا، فمن مَضَاحِيكِ معانيهِ وألفاظهِ.

وقالَ البحتريُّ(١):

أَسْقَى دِيارَك ـ والسُّقْيا يَقِلُّ لَهَا ـ ✤ إغْزَارُ كُلِّ مُلِثِّ الوَدْقِ ثَجّاجِ
يُلْقِي عَلَى الأَرْضِ مِنْ حَلْيٍ ومن حُلَلٍ ✤ ما يمتعُ العينَ من حُسْنٍ وإِبْهَاجِ
فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تِبْرٍ ومنْ وَرَقٍ ✤ وحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ ودِيبَاجِ

فصوغُ الغيثِ وحَوْكُهُ للنباتِ ليسَ باستعارةٍ، بل هو حقيقةٌ، ولكن لا يقالُ: هو صانعٌ، ولا كأَنهُ صائغٌ، وكذلك لا يقالُ: حائِكٌ، وعلى أَن لفظةَ حائكٍ خاصةً في غايةِ الركاكةِ إذا خرجتْ على ما جاءَ بهِ أبو تمامٍ.

وقالَ البحتريُّ(٢):

فَسَقَاهُمْ وإِنْ أَطَالَتْ نَوَاهُمْ ✤ خِلْفَةَ الدَّهرِ ليلُهُ ونَهارُهْ
كُلُّ جَوْنٍ إذا ارْتَقَى البَرْقُ فِيهِ ✤ أُوقِدَتْ لِلْعُيونِ بالماءِ نَارُهْ
إِنْ أَقَامَ ارْتَوَى الظِّماءُ وإِنْ سَا ✤ رَ أَقَامَتْ أَنِيقَةً آثَارُهْ
باتِّفَاقٍ مِنْ خُضْرةِ الرَّوْضِ نَضْرٍ ✤ واخْتِلافٍ يُجِدُّهُ نُوَّارُهْ
كَسُفُورِ الفتاةِ عَنْ حُسْنِ خَدٍّ ✤ يَتَكافَا ابْيِضَاضُهُ واحْمِرَارُهْ(٣)

وهذا كلُّهُ جيدٌ، حسنٌ لفظهُ ومعناهُ.

---

(١) ديوانه: ١/٤١١، وفيه: (تقل لها)، والأبيات من البسيط.
(٢) ديوانه: ٢/٩١٧، والأبيات من الخفيف.
(٣) «ص»: (انتضاضه) تصحيف.

وقولُهُ: «يتكافى ابيضاضُهُ واحمرارُهْ» ما لحسنهِ نهايةٌ.

وقالَ أيضًا [٤٨/ص/أ] يصفُ آثارَ الغيثِ، وليسَ بدعاءٍ للدارِ بالسقيا[(١)]:

دِمَنٌ تَنَاهَبَ رَسْمُها حتى عَفَا ❊ مِنْها تَعَاقُبُ رَائِحٍ بِقِطَارِهِ[(٢)]

بَاتَتْ وبَاتَ البَرْقُ يَمْرِي عَوذَهُ ❊ فيها ويُنْتِجُ مُثْقَلاتِ عِشَارِهِ

فالأَرضُ من نَسْجِ النباتِ مُجِدَّةٌ ❊ أثوابَها والرَّوضُ من نُوَّارِهِ[(٣)]

وهذا أَيضًا حلوٌ، حسنٌ لفظهُ ومعناهُ.

وقولُهُ: «وَبَات[(٤)] البَرْقُ يَمْري»: أَي يَسْتَخرجُ ماءَها، والعُوذُ: الحديثاتُ النِّتاجِ، شبَّهَ السحائبَ بها.

والعِشَارُ: التي قدْ أَتى لحملِهَا عشرةُ أَشهرٍ، وإِذا وضَعَتْ فهي أَيضًا عِشارٌ، لا يزولُ عنها هذا الاسمُ.

وقالَ أَبو تمامٍ يصفُ آثارَ الغَيْثِ[(٥)]:

دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرَّبيعُ رُبُوعَهَا ❊ ولا مَرَّ في أَغْفَالِهَا وهْوَ غَافِلُ

فَقَدْ سَحَبَتْ فيها السَّحَابُ ذُيُولَهَا ❊ وقَدْ أُخْمِلَتْ بالنَّوْرِ منها الخَمَائلُ[(٦)]

وقالَ البحتريُّ[(٧)]:

---

(١) «ص»، «ر»: (والسقيا)، والأبيات في ديوانه: ٨٦٦/٢، وهي من الكامل.

(٢) «ص»، «ر»: (تناهت) تصحيف.

(٣) ديوانه: (فالأرض في عمم النبات....)، وفي «ص»، «ر»: (والأرض من نواره) تحريف.

(٤) «ص»، «ر»: (في باب البرق).

(٥) شرح الصولي: ٣٢٣/٢، والتبريزي: ١١٣/٣، والبيتان من الطويل.

(٦) شرح الصولي وشرح التبريزي: (السحائب ذيلها)

(٧) ديوانه: ٢٤١٥/٤، وفيه: (تنشرها طورًا)، والأبيات من البسيط.

يـا دِمْنَـةً جَاذَبَتْها الـرِّيحُ بَهْجَتَهـا ❀ تَبِيـتُ تَنْشُـرُها عَنْهـا وتَطْوِيهَـا

لَا زِلْـتِ فـي حُلَـلٍ لِلْغَيْـثِ ضَـافيَةٍ ❀ يُنِيرُهـا البـرقُ أَحيانًـا ويُسْـدِيها

تَـرُوحُ بالوَابِـلِ الـدَّانِي رَوَائحُهـا ❀ علـىٰ رُبُوعِـكِ أَو تَغْـدُو غَوَادِيهـا

[٤٨/ص/ب] رَوائحُها: يعني السَّحَابَ، وهذا أَيضًا جيِّدٌ بالغ.

وقالَ أَبو تمامٍ[١]:

لَا مَـرَّ يَـوْمٌ وَاحِـدٌ إِلَّا وَفِـي ❀ أَحْشَـائِهِ لِمَحَلَّتَيْـكَ غَمَـامُ

حتَّـىٰ تَعَمَّـمَ صُـلْعُ هَامـاتِ الرُّبـا ❀ مِـنْ نُـورِه وتـأَزَّرَ الأَهْضَـامُ[٢]

فالأَهضَامُ: ما انخفض من الأَرضِ، جمعُ هضْمٍ.

وقولُهُ: «حتىٰ تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبا» أَخذهُ من قولِ الراجزِ ـ وأَنشدهُ يعقوبُ ابنُ السكِّيتِ وغيرُهُ ـ[٣]:

قـد أَصْبَحَتِ العُقْـدَةُ صَـلْعَاءَ اللِّمَـمْ ❀ وأَصْـبَحَ الأَسْـوَدُ مَخْضُـوبًا بـدَمْ

فالعقدةُ: موضعٌ ذو شجرٍ لا يَتَنَقَّىٰ فيذهبُ.

واللِّمَمُ، وهي الجِمَامُ[٤] جمعُ لمَّةٍ، فجعلهُ مثلًا لرُؤوسِ النَّبتِ إِذا أَكلتهُ الإِبلُ فصارتْ لِمَمُهُ صُلْعا.

والأَسودُ: الحيَّةُ تَطَؤهُ الإِبلُ فتقتلهُ.

---

(١) شرح الصولي: ٢/٣٧٣، شرح التبريزي: ٣/١٥١، والبيتان من الكامل.

(٢) «ص»: (صلع الربا ونوره).

(٣) سبق ١/٢٩٩.

(٤) «ص»: (الحمام) تصحيف.

وقالَ البحتريُّ[1]:

إِذَا الغَمَامُ حَدَاهُ البَارِقُ السَّارِي ❁ وانْهَلَّ فِي دِيمَةٍ وَطْفَاءَ مِدْرَارِ
وَخِيلَ إِشْرَاقُهُ طَوْرًا وظُلْمَتُهُ ❁ ما حَاكَ من نَمَطَيْ رَوْضٍ ونُوَّارِ[2]
فَجَادَ أَرْضَكِ فِي غَرْبِ السَّماوَةِ مِنْ ❁ أَرْضٍ ودَارَكِ بالعلياءِ مِنْ دارِ

وهذا معنى في غايةِ اللَّطافةِ والحسنِ، وكَثْرةِ الماءِ.

وقالَ البحتريُّ[3]: [٤٩/ص/أ]

قَسَمَ الصَّبَابَةَ فِرْقَتَيْنِ فَشَوْقُهُ ❁ للظَّاعِنِين ودمعُهُ لَلنُّزَّلِ
مُتَقَسِّمُ الأَحْشَاء يَنْدُبُ أَربُعًا ❁ مُتَقَسَّماتٍ للصَّبا والشَّمْأَلِ[4]
حَطَّتْ على تلكَ الأَجَارِعِ والرُّبَى ❁ مِنْهُنَّ أَعْبَاءُ السَّحَابِ المُثْقَلِ[5]
وَغَدَا الرَّبيعُ لها يُنَمْنِمُ رَوْضَهُ ❁ ضَرْبَيْنِ بَيْنَ مُعَمَّدٍ ومُهَلَّلِ[6]

مُعَمَّدٌ: مثلُ العمَدِ، ومُهَلَّلٌ: مثلُ الأَهِلَّةِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[7]:

أَسْقَى دِيَارَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ❁ وغَدَتْ عليهمْ نضْرةٌ ونَعيمُ
جَادتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ ❁ مَا عَهْدُها عِنْدَ الدِّيارِ ذَميمُ

---

(١) ديوانه: ٢/٨٥٧، والأبيات من البسيط، وفي ديوانه: (من ديمة).
(٢) ديوانه: (وأنوار).
(٣) ديوانه: ٣/١٧٩٩، والأبيات من الكامل، وفي ديوانه: (للمنزل).
(٤) ديوانه: (ينشد أربعا).... (بالصبا).
(٥) ديوانه: (أعباء الغمام).
(٦) ديوانه: (وسرى الربيع).
(٧) شرح الصولي: ٢/٤١٩، شرح التبريزي: ٣/٢٨٩، وفيهما: (أسقى طلولهم) والبيتان من الكامل.

ولأَبي تمامٍ في الدعاءِ للديارِ بالسقيا أَبياتٌ كثيرةٌ في قصيدتهِ التي أَولُها:

إِنَّ بُكَـاءً فـي الـدِّيارِ مِـنْ أَرَبِـهْ[1]

تفاصحَ فيها وتبادي، وهي كَزَّةٌ قليلةُ الحلاوةِ، لم أَكتبْ منها شيئًا.

و[قالَ البحتريُّ[2]:

وإِذا تَحَمَّـلَ مِـنْ تِهَامَـةَ بَـارِقٌ ✽ لَجِبٌ يَسيرُ مـع الجَنُـوبِ زُحُوفُـهُ

صَـخِبُ الـرَّوَاحِ إِذا تَصَـوَّبَ مُزْنُـهُ ✽ ذَعَرَ الأَجَادلَ في السماءِ حَفِيفُهُ[3]

فَسقَى اللِّوَىٰ، لا بلْ سقَىٰ عَهْدَ اللِّوَىٰ ✽ أَيَّـامَ نَرْتَبِـعُ اللِّـوىٰ وَنَصِـيفُهُ[4]

الأَجَادِل: الصُّقُور.

وهذا جيد، بالغٌ لفظُه وسبكُه ومعناه].

وقالَ البحتري أَيضًا[5]:

[٤٩/ص/ب] إِلْمَامَـةً بالـدارِ [إِنَّ] مُتَيَّمًـا ✽ يَكْفِيـهِ أَكثـرَ شَـوْقِهِ إِلمامُـهُ

أَمْسَىٰ يُضَـرِّمُ فـي جَوانحِـهِ الجَوَىٰ ✽ بَـرْقٌ يَشِـبُّ مـع العَشِـيِّ ضِـرَامُهُ

سُـقِيَ اللِّـوَىٰ حوذَانُـهُ وعَـرَارُهُ ✽ وسِـيَالُهُ وأَراكُـهُ وبَشَـامُهُ

(١) شرح الصولي: ٣١٦/١، شرح التبريزي: ٢٦٤/١، وعجزه:

فشـايعـا معـرمًا علـىٰ طربِـهْ

وهو من المنسرح.

(٢) ديوانه: ١٤٢٣/٣، والأبيات من الكامل، والأبيات ساقطة من «ص» والزيادة من «ر».

(٣) ديوانه: (صخب العشيِّ).

(٤) «ر»: (أيام تربيع اللوىٰ وتصيفه).

(٥) ديوانه: ٢٠٣٧/٣، و(إن) ساقطة من «ص»، «ر»، والأبيات من الكامل.

فَلَـرُبَّ عَـيْشٍ بـاللِّوَىٰ لـم تَسْـتَزِدْ ❊ حُسْــــنًا لَيالِيـــهِ ولا أَيَّامُـــــهُ

وهذا لا مزيدَ علىٰ براعةِ لفظهِ، وجودةِ سَبْكِهِ[1]، وكثرةِ مائِهِ.

وقالَ أَيضًا[2]:

أَدارَهُــمُ الأُولَــىٰ بِـدارةِ جُلْجُـلٍ ❊ سـقاكِ الحَيَـا: رَوْحاتُـهُ وبَـوَاكِرُهْ
وجـاءَكِ يحكِـي يوسُـفَ بـنَ محمـدٍ ❊ فَرَوَّتْـكِ رَيَّـاهُ وجـادَكِ مـاطِرُهْ

وهذا أَحسنُ ما يكونُ من المدحِ، ويُسَمَّىٰ الاسْتِطرَادُ، وقد ذكرَ أَبا سعيدٍ محمدَ بنَ يوسفَ في غيرِ موضعٍ، علىٰ هذا المعنىٰ ونحوِهِ، يتسببُ [إِلىٰ مدحهِ][3] في مدائحِ غيرهِ.

وقالَ أَيضًا[4]:

أَوَدُّ لهـا سُـقْيَا السَّـحابِ، ومَحْوُهَـا ❊ بسُقْيَا السَّحابِ حينَ يَصْدُقُ خَالُها
مَحَلَّتُنَـا والعَـيشُ غَـضٌّ نباتُـهُ ❊ وأَفْنِيَـةُ الأَيَّـامِ خُضْـرٌ ظِلالُهـا

وهذا معنىٰ حسنٌ صحيحٌ.

وقالَ أَيضًا[5]:

يَـا عَارِضًـا مُتَلَفِّعًـا ببُـرُودِهِ ❊ يَخْتَـالُ بَـيْنَ بُرُوقِـهِ ورُعُـودِهِ

---

(١) (سبكه) مستدركة بين السطرين.
(٢) ديوانه: ٢/٨٧٦، والبيتان من الطويل.
(٣) ما بين المعقوفين أخذه السيد صقر من نسخة الموازنة المسماة: «القول الفائق»، والعبارة صالحة لإقامة النص.
(٤) ديوانه: ٣/١٦٩٠، والبيتان من الطويل.
(٥) ديوانه: ٢/٦٩٣، والأبيات من الكامل.

لَـوْ شِئْتَ عُـدْتَ بِـلادَ نَجْـدٍ عَـوْدَةً ❊ فَنَزَلْــتَ بَــيْنَ عَقِيقِــهِ وزَرُودِهِ
[٥٠/ص/أ] لِتَجُودَ في رَبْعٍ بمُنْعَرِجِ اللِّوَىٰ ❊ قَفْـرٍ تَبَــدَّلَ وَحْشُــهُ مِــنْ غِيــدِهِ

وقالَ أَيضًا[1]:

سـأَلْتُ الغَـوَادِي مُلْحِفًـا في سُـؤَالِهَا ❊ ونَاشَـدْتُها فـي سَـقْيِ بُرْقَـةِ ثَهْمَـدِ
مَنَـازِلُ مـا أَبْقَـىٰ البِلـىٰ مِـنْ عِرَاصِـهَا ❊ سِـوَىٰ أَرْسُـمٍ مَعْفُـوَّةِ الآيِ هُمَّـدِ
مَعَاهِـدُ مِـنْ خَـوْدٍ تَنَاصَـرَ حُسْـنُهَا ❊ تَنَاصُـرَ ضَـوءِ الكَوْكَـبِ المُتَوَقِّـدِ[2]
تَثَنَّـىٰ علـىٰ لَحْـظِ العُيـونِ إِذا مَشَـتْ ❊ تَثَنِّــيَ غُصْــنِ البَانَــةِ المُتَــأَوِّدِ

وهذا كله جيد لفظًا ومعنىٰ.

وقالَ أَيضًا[3]:

أُنَاشِـدُ الغَيْـثَ كَـيْ تَهْمِـي غَـوَادِيـهِ ❊ علـىٰ العَقِيـقِ وإِن أَقْـوَتْ مَغَانِيـهِ[4]
علىٰ مَحَلٍّ أَرَىٰ الأَيَّامَ تَضْحَك عن ❊ أَيَّامِــه والليــالي عــن لَيالِيــهِ
عهْـدٌ مـن اللَّهْـوِ لـم تُـذْمَمْ عَوائِـدُهُ ❊ يومًـا فَيُنْسَـىٰ ولـم تَقْـدُمْ بَوَادِيـهِ[5]

وقالَ أَيضًا[6]:

خَلَفَـتْكُمُ الأَنْـوَاءُ فـي أَوْطَـانِكُمْ ❊ فَسَـقتْ صَـوَادِيَ أَرْبُـعٍ وطُلُـولِ

---

(١) ديوانه: ٨١٥/٢، والأبيات من الطويل.
(٢) «ص»: (الكواكب).
(٣) ديوانه: ٢٤٢٢/٤، والأبيات من البسيط.
(٤) ديوانه: (أقوت).
(٥) «ص»: (من اللوىٰ).
(٦) ديوانه: ١٨٣٩/٣، والأبيات من الكامل.

وإِذا السَّحابُ تَرَجَّحَتْ هَضَبَاتُهُ * فَعَلى مَحَلٍّ بالعَقِيقِ مَحِيلِ
حتى تَبُلَّ منازلاً لو أَنها * كَثَبٌ لَرُحْتُ على جَوًى مَبْلُولِ

وهَذَا حَسَنٌ حُلْو.

وقالَ أَبو تمامٍ[1]: [٥٠/ص/ب]

أَيُّها البَرقُ بِتْ بأَعْلى البَرَاقِ * واغْدُ فيها بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ
دِمَنٌ طَالَمَا التَقَتْ أَدْمُعُ الغَيْـ * ـثِ عليها وأَدمعُ العشاقِ[2]

وقالَ أَبو تمامٍ أَيضًا ـ وهذا من أَحسنِ معاني هذا البابِ، وهو [من] إِحسانهِ المشهورِ[3] ـ:

يا مَنْزِلاً أَعْطَى الحَوَادِثَ حُكْمَهَا * لا مَطلَ في عِدَةٍ ولا تَسْوِيفَا
أَرْسَى بنَادِيكَ النَّدَى وتَنَفَّسَتْ * نَفَسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّياحُ ضَعِيفَا
شُغِفَ الغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ فَرُبَّما * رَوَّتْ رُبَاكَ الهَائِمَ المَشْغُوفَا[4]

وقوله: «وتَنَفَّسَتْ نَفسًا بِعَقْوَتِكَ الرياحُ ضَعِيفَا» مما استحسنه الناسُ جميعًا، وقد ذكرْتُهُ في بابِ مَحْوِ الرِّياحِ للديارِ، ومن أَينَ أَخذَ المعنى[5].

وقولُهُ: «شُغِفَ الغمامُ بِسَاحتَيْكَ» يدعو لهُ بالسُّقْيا على سبيلِ الجزاءِ، بما روّتهُ رُباهُ من أَحبابِهِ فيهِ.

---

(١) شرح الصولي: ٢/١٤٨، شرح التبريزي: ٢/٤٤٧، والبيتان من الخفيف.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (أدمع المزن).
(٣) شرح الصولي: ٢/٦٩، شرح التبريزي: ٢/٣٧٦، والأبيات من الكامل.
(٤) عند الصولي والتبريزي: (بعرصتيك) وفي «ص»: (رباه) تحريف.
(٥) انظر ٢/٢٠٣.

ما يخلفُ الظاعنينَ في الديارِ من الوحشِ وغيرِها



قالَ أَبو تمامٍ يخاطبُ الربعَ[1]:

قـد كُنْـتَ مَعْهُـودًا بأَحسـنِ سـاكنٍ ❊ ثَـاوٍ بِأَحْسَـنِ دِمْنَـةٍ ورُسُـومِ[2]

أَيَّـامَ للأَيَّـامِ فيـكَ غَضَـارَةٌ ❊ والـدهرُ فِـيَّ وفيـكَ غَيْـرُ مُلِيمِ

وظِبَاءُ أُنْسِكَ لمْ تَبَدَّلْ مِنهمُ ❊ بظبـاءِ وَحْشِـكَ ظاعنًـا بِمُقِـيمِ [٥١/ص/أ]

مـن كُـلِّ رِيـمٍ لَـوْ تَبَـذَّلَ قَطَّعَـتْ ❊ أَلْحَـاظُ مُقْلَتِـهِ فُـؤَادَ الـرِّيمِ[3]

قولُهُ: «ثَاوٍ بأَحسنِ دمنةٍ ورسومِ» غلطٌ ؛ لأَنَّ رُسومَ الدارِ لا تُسمىٰ رسومًا إِذا كانَ أَهلُها ثَاوِينَ فيها ، بل إِنما تُسمَّىٰ رسومًا: إِذا فارقَها ساكنُوها وارتحلُوا عنها ؛ لأَنَّ الرَّسْمَ هو الأَثَرُ الباقي بعدَهم .

والصحيحُ المستقيمُ قولُ البحتريِّ[4]:

يـا مَغَـانِي الأَحْبَـابِ صِـرْتِ رُسُـومَا ❊ وَغَـدَا الـدهرُ فيـكِ عنْـدِي مَلُومَـا

وليسَ أَبو تمامٍ ممن يذهبُ هذا عليهِ ، ولكنهُ يسامحُ نفسَهُ في أَلفاظِهِ ،

---

(١) شرح الصولي: ٤٣٩/٢ ، شرح التبريزي: ٢٦١/٣ ، والأبيات من الكامل.

(٢) عند الصولي والتبريزي: (بأحسن ساكن منا وأحسن...). ورواية الموازنة موافقة لرواية النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام وأمام القصيدة: (صحت من خطه) ، أي خط أبي تمام ، فهذه الرواية هي الصحيحة ، والأخرىٰ تحريف ، انظر: (النسخة الأندلسية ديوان أبي تمام رواية أبي علي القالي ، احتوىٰ علىٰ ٩٨ قصيدة منقولة من خط أبي تمام) ص٤٨٢ .

(٣) عند الصولي والتبريزي: (لو تبدَّىٰ).

(٤) ديوانه: ٢٠٥٧/٤ ، والبيت من الخفيف.

فيقعُ الغلطُ عليهِ عِنْدَ كَلالِ خاطرِهِ، أَلا تراهُ قالَ[1]:

قالُوا: أَتَبْكِي على رَسمٍ؟ فقلتُ لهمْ: ❊ مـن فاتَـهُ العَـيْنُ هَـدَّى شَـوْقَهُ الأَثَـرُ

فجاءَ بالرسمِ في موضعِهِ، وقد ذكرتُ هذا فيما تقدمَ[2].

وقولُهُ: «من كلِّ رِيمٍ لو تَبَذَّلَ» لفظٌ غيرُ لائقٍ بالمعنى، ولا ملتئمٌ معهُ؛ لأَنهُ يريدُ بالرِّيمِ: المرأَةَ؛ وتَبَذُّلُها لا يقطعُ فؤادَ الرِّيمِ، فإِن كانَ أَرادَ بالتبذُّلِ ظهورَها للرِّيمِ، فإِن ظهورَها للرِّيمِ ليسَ بِتَبَذُّلٍ، ولا هيَ محجوبةٌ ولا مَصُونةٌ عن الرِّيمِ، وإِنما كانَ المعنى يصحُّ وينتظمُ لو قالَ: «من كل ريمٍ لو عرفَ الريمُ [٥١/ص/ب] كُنْهَ جمالِهِ، ثمَّ رآهُ أَو واجههُ»، فأَمَّا التبذُّلُ فقدْ يقعُ منها وربما لا يراها[3].

ويروى: «من كلِّ ريم لو تَبدَّى» أَي لو ظهرَ، وليسَ بشيءٍ؛ لأَنها ليستْ محجوبةً عن الرِّيمِ.

وقالَ[4]:

أَأَطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِن هِنْدِ ❊ أَقَايَضْتِ حُورَ العِينِ بالعُونِ والرُّبْدِ[5]

---

(١) شرح الصولي: ٥٣٣/١، شرح التبريزي: ١٨٦/٢، والبيت من البسيط

(٢) لم يرد فيما تقدم، لكنه سيرد مع البيت الذي قبله في ٢٦٣/٢.

(٣) «ص»: (ربما ولا يراها) تحريف.

(٤) شرح الصولي: ٤٥٥/١، وشرح التبريزي: ٥٩/٢، والأبيات من الطويل.

(٥) في هامش «ص»:

(في نسخة عبد السلام البصري: بالعين والربدِ، والمعروف بالعون، وهو جمع عانة). وهذا يجعل هذه النسخة تلي نسخة كمبردج في التوثيق وهي التي صرح فيها بأنها منقولة من نسخة عبد السلام البصري (انظر «ص»...) وأنها مقابلة بها.

وفي النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام، والقصيدة فيه نقلت من خط أبي تمام: (بالعُور والرُّبْد) ص٣٧٣، وقال التبريزي: (العين جمع عيناء، وهي حسنة العينين الواسعتها. والعون: يجوز أن=

إِذَا شِــئْنَ بــالأَلْوَانِ كُــنَّ عِصَــابَةً ❁ مِنَ الهِنْدِ والآذَانِ كُنَّ مِنَ السُّغْدِ[1]

أَعُجْنَـا عَلَيْـكِ العِيسَ بَعْـدَ مَعَاجِهَـا ❁ على البِيضِ أَتْرَابًا على النُّؤْيِ والوَدِّ[2]

فَـلَا دَمْـعَ أَوْ يَعْفُـو علـى إِثْـرِهِ دَمٌ ❁ ولا وجْدَ مَا لَمْ تَعْيَ عَنْ صِفَةِ الوجْدِ

قولُهُ: «حُورُ العِينِ» يريدُ النساءَ.

وقولُهُ: «بالعِينِ» يريدَ بقرَ الوحشِ، وقيلَ لها عِينٌ: لِعِظَمِ أَعينِهَا. والرُّبْدُ: النَّعَامُ، جعلها رُبْدًا في أَلوانِهَا.

وقولُهُ: «كُنَّ عِصابَةً مِنَ الهنْدِ» لأَنَّ الهندَ سُمْرٌ إِلى الصُّفرَةِ الكَدِرَةِ، وتلكَ هي الرُّبْدَةُ.

والسغْدُ: آذانُهُم صغارٌ جدًّا، وربما وُجِدَ فيهم من لا يكونُ له أُذنٌ ظاهرةٌ، لصغرِها ولُصُوقِها برأسهِ، قالَ ذلكَ: لأَنَّ النعامَ لا آذانَ لها، فقالَ: إِذا شئنَ، من أَجل أَلوانِهنَّ، كنَّ من الهند، أَو من أَجلِ أَنهنَّ لا آذانَ لهنَّ، منَ السُّغْدِ.

وقولُهُ: «أَو يَعْفُو على إِثرهِ دمٌ» أَي يكثرُ، يقالُ: عفا شعرُهُ: إِذا كثرُ، [٥٢/ص/أ] وهو من الأَضدادِ[3]، وهذه طريقةٌ لا حلاوةَ لها.

= يكون جمع عوان من الوحش، وهي الأتان التي حملت بطنين أو ثلاثة، وقيل أن يكون جمع عانة، وهي جماعة من حمير الوحش).

(١) عند الصولي، والتبريزي: (الصغد)، و(السغد) رواية ذكرها ابن المستوفي انظر: النظام ج١ لوحة ٣٢٢.

(٢) عند الصولي والتبريزي: (لعجنا)، و(أعجنا) رواية الخارزنجي وقال: (الألف ألف الاستفهام، يقولُ: أعطفنا عليك الإبل) النظام: ج١ لوحة ٣٢٢.

(٣) الأضداد لابن الأنباري، ص٨٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإعلام الكويت سنة ١٩٨٦.

والبيتُ الأَولُ والأَخيرُ جيِّدانِ.

وقولُهُ «أَعُجْنَا عَليكَ العِيسَ» بيتٌ مضطربُ النظمِ[1]، رديءُ اللفظ؛ لأَنهُ يخاطبُ الأَطلالَ، فكأَنه أَرادَ أَن يقولَ: أَعُجْنَا العيسَ منكَ على النُّؤْي والوَدِّ، بعد مَعاجِها على البِيضِ أَترابًا، فجعلَ «عليكَ» في موضعِ «منكَ».

وقالَ أَيضًا[2]:

تَبَــدَّلَ غَاشِـــيهِ بِــرِيمٍ مُسَــلِّمٍ ✤ تَـرَدَّىٰ رِدَاءَ الحُســنِ طَيفًــا مُسَـلِّمَا
ومِـن وَشْـيِ خَـدٍّ لـم يُنَمْـنَمْ فِرِنْـدُه ✤ مَعَــالِمُ يُـذْكِرْنَ الكِتَــابَ المُنَمْنَمَــا
وبــالحُلْيِ إِن قامــتْ تَـرَنَّمَ فَوْقَهَــا ✤ حمَامًــا إِذا لاَقَــىٰ حمَامًــا تَرَنَّمَــا
وبالخَدْلَـةِ السَّـاقِ المُخَدَّمَـةِ الشَّـوَىٰ ✤ قَلَائِـصَ يَتْلـونَ العَبَنَّـىٰ المُخَـدَّمَا[3]

قوله: «تَبَدَّلَ غاشِيهِ بِرِيمٍ مُسَلِّمٍ» يعني المرأَة.

«طَيفًا مُسلِّما» يعني خيالَها، ولم يردْ أَنَّ من يغشىٰ[4] هذا المنزلَ ينامُ فيهِ حتىٰ يرىٰ الطيفَ في منامهِ، وإِنما أَرادَ: أَن يتصورَ لهُ خيالُ مَنْ كانَ يهواهُ فيهِ فسمَّاهُ طيفًا، وهذا غيرُ مُنْكَرٍ.

وقولُهُ: «ومِن وَشْيِ خَدّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه» فَفِرِنْدُهُ: ماؤُهُ ورَوْنَقُهُ.

لم يُنَمْنَم: لم يُنْقَشْ كما تُنْقَش الخُدُودُ إِذا زُيِّنتْ، لاستغنائهِ عن ذلكَ

---

(١) «ص»: (النظر).

(٢) شرح الصولي: ٢/٤٠٥، شرح التبريزي: ٣/٢٣٢، والأبيات من الطويل.

(٣) عند الصولي: (قد تتلو)، والتبريزي: (يتبعْنَ)، وروايةُ الموازنة تتفق مع رواية النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام، والقصيدة (صحت من خط أبي تمام) ص٥٦.

(٤) (من يغشىٰ) مستدركة في الهامش.

بحسنهِ، وجعلهُ وَشْيًا، والوَشْيُ: ما كانَ أَلوانًا مختلفةً كَأَلوانِ الزهرِ في الرّياضِ، فجعلَ بياضَ [٥٢/ص/ب] الخدِ وتلوُّنَهِ بالأَحمرِ وَشْيًا، أَي يدلُّ غاشي الربعِ من ذلكَ معالمُ يذكرنَ الكتابَ المُنَمْنَمَ، أَو المَكْتُوبَ، وبالحَلْي إِن قامتْ ترنمَ فَوقَها حمامًا يترنمُ.

وقولُهُ: «وبالخَدلة السَّاقِ» أَي الممتلئةِ، يعني المرأَةَ.

والمُخَدَّمَةِ الشَّوَىٰ: التي في رجْلِهَا خَدَمَةٌ، وهي الخَلْخَالُ.

والشَّوَىٰ: الأَطْرَافُ.

والقَلائِصُ من الإِبلِ: جمعُ قَلُوصٍ، وهي الفَتيَّة السِّنِّ.

مَن يقفُ علىٰ الربعِ يتلونَ العَبَنَّىٰ، وهو الفَحْلُ الغليظُ.

والمُخَدَّم: الذي في رجلهِ خَدَمَةٌ، وهي سيرٌ غليظٌ مُحْكمٌ، يُشَدُّ مثلُ الحلقةِ في رُسْغِ البعيرِ، ثم يَشدُّ إِليهِ شرائحُ نَعْلهِ، وسَمَّوا الخَلْخَال خَدَمَةً.

ثم قالَ بعد هذَا:

سَـــوَارٍ إِذا قَـــابلْنَ مُمْتَنِـــعَ الفَـــلَا ❊ جَعَلْنَ الشِّعَارَيْنِ: الجَدِيلَ وشَدْقَما[1]

وهما فحلانِ، يقولُ: إِذا قابلتْ هذهِ الإِبلُ سيرَ الفلاةِ رجعتْ إِلىٰ أَنها منْ نتاجِ هذينِ الفحلينِ الكريمينِ، فتقوىٰ علىٰ قطعِ الفلا، فجعلَ ذلكَ شعارًا لها.

---

(١) شرح التبريزي: (إذا قاتلن)، وقال التبريزي: (قد جرت العادة ممن يقاتل أن يكون له شعار يتميز به من العدو، وهو شيء يدعو به في الحرب، مثل أن يقول: يا لكلاب، أو يا لنمير،... فكأن هذه الرواحل قد جعلت شعارها في قطع الفلاة، أنها تنسب إلىٰ جديل وشدقم، كما يذكر المحارب جده الأكبر وقبيلته).

وقالَ: سوارٍ - رَفَعَ - وهو وصفُ القلائصِ والعَبَنَّىٰ، وهي منصوبةٌ، وهذا مُحْتَملٌ إِذا اعتمدَ بالكلامِ الاستئنافَ.

والمعنىٰ أَيضًا ليسَ بالجيدِ؛ لأَنَّهُ جعلَ الإِبلَ التي ذكرَ أَنها مجتازةٌ بهذا المنزلِ وغيرُ مقيمةٍ لقولهِ: سوارٍ، أُسْوَةَ معالمهِ التي قد دَرَسَتْ، وحمائِمِهِ التي تألفُهُ وتَقْطُنهُ، ولو [٥٣/ص/أ] كان هذا المنزلُ عامرًا بأَهلِهِ، لَمَا خَلَّوْا من إِبلٍ مَقْطُورةٍ تَجْتَازُ بهم لِقَوْمٍ مُسَالِمِينَ من العشائرِ أَو محالفينَ أَو متاجرينَ، أَو إِبلٍ لهم أَنفسِهِمْ يَقْطُرُونَها لبعضِ مَسِيرهِمْ ومآرِبِهِمْ.

ولعلَّ منزلَهم كان يألفُ من هذا الجنسِ من الإِبلِ وهو عامرٌ، أَكثرَ مما يجتازُ بهِ وهو خَرابٌ.

وقالَ البحتري(١):

ويزيدُه شجوًا تَقارُضُ وحشِها ❁ وَصْلَيْنِ وصْلَ أَحبةٍ وحبائبِ(٢)
تَرْعَىٰ السُّهُولَةَ والحُزُونَ يَقِينَها ❁ حدَّيْنِ حَدَّ أَظَافرٍ ومَخَالِبِ(٣)
لم يَمْشِ واشٍ بَيْنَهُنَّ ولا دَعَا ❁ بيْنًا لَهُنَّ صَدَىٰ الغُرَابِ النَّاعِبِ
ما كان أَحْسنَ هذه من وَقْفَةٍ ❁ لو كان ذاك السِّرْبُ سِرْبَ كَوَاعِبِ

وقولُهُ: «وصْلَين» يريدُ وصلَ الذُّكورِ للإِناثِ، ووصلَ الإِناثِ للذكورِ.

والأَحبّةُ: الذُّكُورُ.

والحبائِبُ: الإِناثُ؛ جمعُ حبيبةٍ.

---

(١) ديوانه: ١/١٥٨، والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: (ويزيده وحشا).

(٣) ديوانه: (حدين: بين أظافر...).

وقولُهُ: «تَرْعَىٰ السُّهُولَة والحُزُون يَقِينَها» يريدُ بالحُزُونِ: المواضعَ التي يُعْتَصَمُ بها، ويُسْتَتَرُ فيها من جوارحِ الطيرِ والسباعِ.

وقولُهُ: «صَدَىٰ الغُرَاب» يعني صوتَهُ، والصَّدَىٰ: هو ما يسمعُ بعْد الصّوتِ من جبالٍ أَو نحوِهِ، وهو حكايةُ الصوتِ سواءً، فجعلَ صوتَ الغرابِ صدىٰ، ولعلَّ لهُ أَصلًا.

وقالَ البحتريُّ(١): [٥٣/ص/ب]

أَأَنْتِ دِيارُ الحَيِّ أَيَّتُهَا الرُّبَىٰ الـ ❊ ـأَنِيقَةُ أَمْ دَارُ المَهَا والنَّعَائِمِ(٢)
وسِرْبُ ظِبَاءِ الوَحْشِ هَذَا الذي أَرَىٰ ❊ أَمامَكِ؟ أَمْ سِرْبُ الظِّبَاءِ النَّوَاعِمِ
وأَدْمُعِيَ اللَّاتِي عَفَاكِ انْسِجَامُهَا ❊ وأبْلاكِ؟ أَمْ صَوْبُ الغُيُوثِ السَّوَاجِمِ(٣)
وأَيَّامُنَا فِيكِ اللواتِي تَصَرَّمَتْ ❊ مَعَ الوَصْلِ؟ أَم أَضْغَاثُ أَحْلَامِ حَالِمِ(٤)

وهذا كأَنهُ في مذهبِ أَبي تمامٍ في استقصاءِ المعاني؛ وليسَ هو بوصفٍ جيدٍ.

وقولُهُ أَيضًا: إِنَّ الدموعَ السِّجَامَ هي التي عفَتِ الديَارَ وأَبْلتها أم الغيوثُ؛ إِسرافٌ ومبالغةٌ غيرُ حسنةٍ ولا جميلةٍ.

وأَجودُ من هذا ومن جميعِ ما قالَهُ الطائيانِ في هذا البابِ، وأَبرعُ لفظًا وأَلطفُ معنىٰ، ما أَنشدهُ إِبراهيمُ الموصليُّ(٥):

---

(١) ديوانه: ١٩٦٩/٣، والأبيات من الطويل.

(٢) «ص»، «ر»: (أليت ديار...).

(٣) ديوانه: (وأدمعنا اللاتي)، «ص»، «ر»: (عفا لي).

(٤) «ص»: (أمن أضغاث...).

(٥) في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي: ١١٥/٣ منسوب لابن الدمينة، وشرح المرزوقي: ١٢٢٣/٣ عدا البيت الأخير، والأغاني ساسي: ١٤٤/١٨، والدمينة هي أمه وهي الدمينة بنت حذيفة=

وما يَسْتَفِيقُ القلبُ إلا انبَرَى لَه ❁ تَوَهُّمُ ضَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعِ[1]

أُخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِها العَيْنَ إِنَّهُ ❁ متى تَعْرفِ الأَطلالَ عَينِيَ تَدْمَعِ[2]

عَهِدْتُ بها وَحْشًا عليها بَرَاقِعُ ❁ وهَذِي وحُوشٌ أَصْبَحَتْ لم تَبَرْقَعِ

تَشَابَهُ في أَجْيادِها وعُيونِها ❁ ولم يتفق أَشْباهُ سُوقٍ وأَذْرُعِ

وأَخذَ بشارٌ ـ فيما أَظنُّ ـ قولَ هذا الشاعرِ:

مَتَى تَعْرِف الأَطلالَ عينيَ تَدْمَعِ

فقال[3]: [٥٤/ص/أ]

متَى تَعْرفِ الدارَ التي بَانَ أَهْلُها ❁ بسُعْدَى فإِنَّ الدَّمعَ مِنْكَ قرِيبُ

فأساءَ إِساءَةً بينةً، لأَنهُ جعلَ الدمعَ قريبًا ولم يجعلهُ جاريًا، وقد كانَ يمكنهُ أَن يقولَ: فدمعُ المقلتينِ سكوبُ، أَو جرى المقلتينِ غَروبُ، أَو نحوَ هذا. ولكنه وصلَهُ ببيتٍ في غايةِ الحسنِ، فقالَ:

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إِذْ أَنْتَ يَافِعٌ ❁ غُلَامٌ، فَمَغْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ

ومن ههنا أَخذَ ابنُ الرُّومي قولَهُ[4]:

وحبَّبَ أَوْطانَ الرجالِ إِليهمُ ❁ مآرِبُ قَضَّاها الشبابُ هُنَالِكَا

= السلولية، وهو عبد الله بن عبيد، أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر، وهو شاعر إسلامي رقيق النسيب، والأبيات من الطويل.

(١) في الحماسة: (أما يستفيق).

(٢) الحماسة: (عن أطلالها).

(٣) ديوانه: ٢١١/١، والأبيات من الطويل.

(٤) ديوانه: ١٨٢٦/٥، والبيت من الطويل.

ما قالاه في مخاطبةِ الأصحابِ في الوقوفِ وفي تعنيفِ الأصحابِ إياهما على ذلك[(١)]



قالَ أَبو تمامٍ[(٢)]:

فَاعْقِلْ بنِضْوِ الدَّارِ نِضْوَكَ يَقْتَسِمْ ❁ فَرْطَ الصَّبابَةِ مُسْعِدٌ وحَزِينُ
لا تَمْنَعنِّي وقْفَةً أَشْفِي بها ❁ داءَ الفراقِ فإِنَّها ماعُونُ
واسقِ الأَثَافِي من دُموعِكَ رِيَّها ❁ إنَّ الضَّنينَ بِدمْعِهِ لَضَنينُ[(٣)]

استعارَ للدارِ اسمَ «النِّضْوِ» لِدُروسِهَا، من أَجلِ قولِهِ: «نِضْوكَ»، يريد بعيرَهُ، وذلكَ رسمُهُ ومذهبُهُ في الاستعارةِ.

وقولُهُ: «يَقْتسمْ فَرْطَ الصبابةِ مُسْعدٌ وحزينُ» فإن المُسعدَ ليسَ عندَهُ من الصبابةِ ما عندَ [٥٤/ص/ب] الحزينِ؛ لأَنَّ الصبابةَ رقَّةُ الشوقِ، فما في المسعدِ من الاشتياقِ؟ وكيفَ [فيه][(٤)] فرط الاشتياقِ؟

والقريبُ منَ الصوابِ قولُ البحتريِّ[(٥)]:

هل مُغرمٌ يُعطي الجوىٰ حقَّ الجَوَىٰ ❁ مِنكم فَينْفدَ دمعهُ، أَو مُسْعَدُ[(٦)]

---

(١) في المطبوع فقط: (ما قالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك). وأثبت ما ورد في النسختين «ص»، «ر».

(٢) شرح الصولي: ٣/٣٨، شرح التبريزي: ٣/٣٢٣، والأبيات من الكامل.

(٣) عند الصولي: (من شؤونك)، وعند التبريزي: (من شئوني).

(٤) زيادة لازمة للسياق.

(٥) ديوانه: ٢/٦٢٨، والبيت من الكامل.

(٦) في ديوانه: (يعطي الجوى حق الهوى).

أَي هلْ مغرَمٌ منكمْ يبكي لغرامهِ كما أَبْكي ؟ أَو مُسعِدٌ ؟ لأَنَّ المسعدَ قد يبكي لبكاءِ صاحبهِ وإِن لم تكُ هناكَ صبابةٌ ، أَو أَن يكونَ أَرادَ بالمسعدِ من يقفُ معهُ يتأَلمُ لهُ ، ولا يعنفُهُ.

وقولُ أَبي تمامٍ يُتجاوزُ في مثلهِ: لأَنَّ الهائمَ الصبَّ إِذا وجدَ من يرقُّ لهُ ، ويرحمُهُ ويظهرُ الاغتمامَ بأَمرهِ ، يخيلُ إِليهِ أَنَّ من شأنهِ أَن يحزنَ كحزنِهَ ، ويبكي كبكائِهَ وقد قالَ البحتريُّ في مثلِ هذا[١]:

هَــلَّا بَكَيْــتِ وقَــدْ رأَيــتِ بُكَــاءَهُ ❊ ودَنِفْتِ حينَ سمِعْتِ شَكْوَىٰ المُدْنَفِ[٢]

فَلأَجْــرِيَنَّ الــدمعَ إِذْ لَــمْ تُجْــرِهِ ❊ ولَأَعْــرِفَنَّ الوَجْـدَ إِذ لَـمْ تَعْـرِفِ[٣]

وأَنـا المُعَنَّـفُ فـي الصَّـبَابَةِ والصِّبَا ❊ وعليهمـا إِنْ كُنْـتَ غَيْـرَ مُعَنَّـفِ

فأَرادَ من صاحبهِ أَن يَدْنَفَ كَدَنَفِهِ ، كما أَرادَ أَبو تمامٍ من صاحبهِ أَن يُقاسِمَهُ فَرْطَ الصّبابَةِ.

وقد قالَ كُثَيِّرٌ[٤]:

خَلِيلَــيَّ هــذا رسْــمُ عَــزَّةَ فَــاعْقِلَا ❊ قَلُوصَـيْكُما ثُـمّ ابْكِيَـا حَيْـثُ حَلَّـتِ

[٥٥/ص/أ] فأَرادَ هذا أَيضًا من خليليهِ[٥] أَن يبكيا علىٰ رَسْمِ عَزَّةَ.

وقالَ أَبو تمامٍ ـ فجرىٰ علىٰ المنهجِ المستقيمِ في مخاطبةِ الأَصحابِ[٦] ـ:

---

(١) ديوانه: ١٤١٦/٣ ، والأبيات من الكامل ، والأول جاء في الديوان بعد البيتين الثاني والثالث.

(٢) في الديوان: (شجو المدنف).

(٣) في الديوان: (إن لم تعرف).

(٤) ديوانه: ص٩٥٠ ، جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧١.

(٥) «ص»: (خليله) والتصحيح من «ر».

(٦) شرح الصولي: ٥٦٩/١ ، شرح التبريزي: ٢٤٢/٢ ، والأبيات من الكامل ، وقد سبقت الأبيات=

مَـا فِـي وُقُوفِـكَ سـاعةً مِـنْ بـاسٍ ✤ نَقْضِـي ذِمَـامَ الأَرْبُـعِ الأَدْرَاسِ
فَلَعـلَّ عَيْنَـكَ أَنْ تَجُـودَ بمَائِهـا ✤ والـدَّمعُ منـه خَـاذِلٌ ومُوَاسِـي[1]
لا يُسْـعِدُ المشْـتَاقَ وَسْـنَانُ الهَـوَىٰ ✤ يَـبَسُ المـدَامعِ بـاردُ الأَنْفـاسِ[2]

فقالَ: «وسنانُ الهوىٰ» أَي نائمُ الهوىٰ، أَي من لا هوىٰ لهُ، فهو يَبَسُ المدامعِ باردُ[3] الأَنفاس، فلا يكونُ منهُ إِسعادٌ.

ومن كانَ في قلبهِ هوىٰ فأَنفاسهُ حارّةٌ لحرارةِ قلبهِ، فأَتاكَ ههنا بعينِ الصوابِ، وحقيقةِ أَمرِ الصاحبِ، فأَحسنَ وأَجادَ.

ومثلهُ قولُ البحتريِّ[4]:

يَـأْبَىٰ الخَلـيُّ بُكـاءَ المَنْـزِلِ الخَـالِي ✤ والنَّـوْحَ فـي دِمَـنٍ أَقْـوَتْ وأَطْـلَالِ[5]
وذُو الصَّـبَابَةِ مـا يَنفَـكُّ ينْصِـبُهُ ✤ وجْـدًا تأَبُّـدُ آيِ الدِّمنَـةِ الخَـالِي[6]

قولُهُ: «تأَبُّدُ» أَي صارَ فيها أَوابِدُ الوحشِ، ويقالُ: تأَبَّدَ المنزلُ: إِذا طالَ عليه الأَبدُ.

= متفرقة في ١/٤١٥، ٢/١٢٩، ١٣٥.

(١) «ص»: (فلعل عندي)، وعند الصولي والتبريزي: (أن تعين)، وفي النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام: (أن تجود) وأمام القصيدة قال: (قوبلت فصححتْ بالأصل).

(٢) قال أبو العلاء كما نقل التبريزي: («الوسنان» الناعس، واستعاره هنا للهوىٰ، ولم يستعمل ذلك قبل الطائي)، وفي «ص»: (رسفان) تحريف.

(٣) «ص»: (بارك).

(٤) ديوانه: ٣/١٧٢٠، والبيتان من البسيط.

(٥) ديوانه: (أرسم أقوت).

(٦) هذا البيت مستدرك في هامش «ص».

ونحوُ هذا قولُ أَبي تمامٍ أَيضًا[1]:

أَقُـولُ لِقُرْحَـانٍ مِـنَ البَـيْنِ لـم يُضِـفْ ❁ رَسِيسَ الهَوَىٰ بيْنَ الحَشَا والتَّرَائِبِ
أَعِنِّـي أُفَـرِّقْ شَـمْلَ دَمْعِـي فـإِنَّني ❁ أَرَىٰ الشَّمْلَ منْهم ليسَ بالمُتَقَارِبِ
ومَـا صـارَ يَـوْمَ الـدَّارِ عَـذْلُكَ كُلُّـهُ ❁ عَدُوِّيَ حَتَّىٰ صارَ جَهْلُكَ صَاحِبي[2]
[٥٥/ص/ب] وما بِكَ إِرْكَابي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا ❁ أَلَا إِنَّمـا حَاوَلْـتَ رُشْـدَ الرَّكَائِـبِ
فكِلْني إِلىٰ شَوْقِي وسِرْ يَسِرِ الهَوىٰ ❁ إِلـىٰ حُرُقَـاتي بالـدُّمُوعِ السَّـوَارِبِ

فقولُهُ: «أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ البَيْنِ» أَي: التمستُ المعونةَ والمساعدةَ في الوقوفِ علىٰ الدارِ معي مِمَّنْ لَمْ يَذُقْ مُفارَقَةَ الأحبابِ، ولم يعرفِ الهوىٰ؛ كأَنهُ ينكرُ ذاك علىٰ نفسِهِ.

والقُرْحَانُ: هو الذي لم يخرجْ بهِ الجُدَرِيُّ، وليسَ بهِ آثارُهُ ولا آثارُ غيرِهِ منَ القروحِ، وقيلَ لهُ قُرْحَانٌ، علىٰ العكسِ، كما قيلَ للأَسودِ: أَبو البَيْضاءِ، والمَهْلكةِ: مفَازَةٌ، ونحوُ هذا، فجعل أَبو تمامٍ من لمْ يعشقْ ولمْ يفارقِ الأَحبابَ قُرْحَانًا، علىٰ التشبيهِ، كما قالَ جريرٌ[3]:

لَـوْ كُنْـتُ مِـنْ زَفَـرَاتِ الحـبِّ قُرْحَانَـا[4]

ثم قالَ:

---

(١) شرح الصولي: ١/٢٧٦، شرح التبريزي: ١/١٩٨، والأبيات من الطويل.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (وما صار في ذا اليوم).
(٣) ديوانه: ١/١٦٨، وصدره:

وكـاد يـوم لـوىٰ حـواء يقتلني

والبيت من البسيط.
(٤) ديوانه: (زفرات البين).

وما صَارَ يَوْمُ الدارِ عَذْلُكَ كلُّهُ ❊ عَدُوِّيَ حتَّىٰ صَارَ جَهْلُك صَاحِبي

فأرادَ أَنهُ قدْ عَذَلَهُ علىٰ الوقوفِ والبكاءِ وأَنهُ كَرِهَ عَذْلَهُ وشقَّ عليهِ، فصارَ عَذْلُهُ عَدُوًّا لَهُ، وإِنما أَرادَ عداوتَهُ في نفسِهِ، ثم قالَ: «حتىٰ صارَ جهلُكَ صَاحِبي»، أَي إِنما استفرغتَ عَذْلَكَ [٥٦/ص/أ] وأَنهيتَ فيهِ حتىٰ انطلقتُ معكَ فصارَ جهلُكَ صاحبي، وإِنما أَرادَ حتىٰ اصْطَحَبْنا علىٰ جهلكَ بحالي وأَنكَ غيرُ مُجَانِسي، ولا علىٰ سَجيَّتي وطِبَاعي في الهوىٰ وتجربتِهِ.

ثمَّ قالَ: «وَمَا بِكَ إِرْكابِي مِنَ الرُّشْدِ مرْكَبًا»، أَي: لمْ تقصدْ بعذلِكَ إِيايَ قَصْدَ من يريدُ رُشْدي وصَرْفِي عن الهوىٰ وتسليتي؛ وإِنما حاولتَ رشدَ الركائبِ، يعني الإِبلَ، وهي جمعُ رُكُوبَةٍ، لئلا يطولَ وقوفُها في الدارِ وتردُّدها واحتباسُها، فيتضاعفُ كَلَالُها، ويشقُّ ذلكَ عليها.

ثم قالَ: «فكلْنِي إِلىٰ شَوْقِي وسِرْ يَسِر الهَوَىٰ إِلىٰ حُرَقَاتِي».

فإِما أَن يكونَ قالَ لهُ هذا قبلَ أَن ينطلقَ معهُ أَي سِرْ أَنْتَ ودعني؛ أَو يكونَ قالَ هذا وهو سائرٌ معهُ لَمَّا علمَ أَنهُ لا يقفُ عليهِ، وأَنهُ ماضٍ وتاركُهُ، كما يقولُ المُكْرَهُ: واللهِ ما أريدُ التوجهَ، وهو متوجهٌ.

وهذا من معاني أَبي تمامٍ التي يسأَلُ الناسُ عنها، وليسَ له إِن شاءَ اللهُ وجهٌ غيرَ ما ذكرتُهُ.

وهذهِ العَوِيصاتُ في الشعرِ هي شَرُّ مذاهبِهِ وأَرداها، وأَقلُّها حلاوةً.

ومن رديءِ ما جاءَ بهِ في هذا البابِ، قولُهُ(١):

---

(١) شرح الصولي: ٢/١٢٧، شرح التبريزي: ٢/٤٣٠، والبيت من الخفيف.

مـا عهِـدْنَا كَـذَا نَحِيـبَ المَشُـوقِ ✤ كيـفَ والـدَّمعُ آيـةُ المَعْشُـوقِ[١]

كأَنهُ يقول لنسفهِ: ما عهدنا كذا نحِيبَ المَشُوقِ؛ أَو أَن يكونَ حكىٰ قولَ أَصحابِهِ، وأَرادَ أَن يقولَ: بكيتُ فانتحبتُ، فقالوا: ما عهدنا كذا نَحيبَ المَشُوقِ، وأَرادَ أَن يقولَ: فقلتُ لهمْ: كيفَ والدمعُ، فاقتصرَ علىٰ حكايةِ كلامهمْ وجوابِهِ، وأَسقطَ «قالوا» و«فقلت»، وكانَ الأَجودُ أَن يَقُولَ: آيةُ العاشقِ؛ لأَنَّ من علاماتِ المحبِّ البكاءَ، وقالَ: آيةُ المعشوقِ، أَي أَن دمعي علامةً لمن أحبهُ في أَني عاشقُهُ، وهذا لا يكونُ جوابًا صحيحًا عما أَنكروه عليهِ من شدةِ نحيبهِ، لأَنهُ لم يبكِ ليُعلِمَها أَنهُ عاشقٌ، وإِنما بكىٰ من شدةِ وجدهِ، وإِنما كانَ يصحُّ أَن يكونَ جوابًا عنهُ أَن لو كانَ صدرُ البيتِ:

حَسِـبْتَنِي فـي الحـبِّ غيـرَ صـدُوقِ

فيقولُ:

كيـفَ والـدمعُ آيـةُ المَعْشُـوقِ

---

(١) نقل ابن المستوفي في النظام شرح أبي العلاء والخارزنجي فقال:
(قال أبو العلاء: أنكر علىٰ نفسه النحيب، وكأنه مريد للقاءِ، أي: كيف لا أنتحب والمشوق قد بكىٰ، وهذا خطأ مناسب لقوله:

غدت تستجيـرُ الدمع خـوف نوىٰ غد

وكقوله:

آالفـةَ النحيـب كـم افتـراق ✤ أظـل فكـان داعيـة اجتمـاع

يقول: فكيف أصبر والذي أنا مغرم به باك.
وقال الخارزنجي: تزعم أنك عاشق مشوق، ولا أراك تبكي وتنتحب؟ وهو علامة العاشق، وكيف ذلك فإنه لا عهد لنا بعاشق لا يبكي ولا ينتحب، ويجوز أن يكون معناه ردا علىٰ عذّاله الذين قالوا له: اقصر من بكائك بالنحيب، واخفض صوتك، فردّ عليهم فقال: ما نحيبُ المشوق علىٰ ما يصفون، وكيف يكون كذلك، وإنما علامة المشوق نحيبه وكثرة بكائه، وغزارة دمعه، فتخلوا تعنتي وعذلي علىٰ ما ترون من ذلكوأسعداني عليه) النظام: ج١ لوحة ١٩٢.

أَي كيفَ لا أَكونُ صدوقًا في حبي ودمعي آيةٌ لكَ يشهدُ بأَني محبٌ.

فهذا كانَ وجهُ هذا.

وعلىٰ أَنَّ آيَةَ العاشق ههنا أَيضًا أَجودُ.

والدليلُ علىٰ أَن قولَهُ:

مَـا عَهِـدْنا كـذا نَجِيـبَ المَشُـوقِ[1]

إِنما هو حكايةُ [٥٦/ص/ب] كلامٍ من عنفهُ علىٰ النحيبِ، أَنهُ وصلهُ بأَن قالَ:

فَـأَقِلَّا التَّعْنيـفَ إِنَّ غَرَامًـا ❊ أَنْ يكـونَ الرفيـقُ غيـرَ رَفيـقِ

واسْـتَمِيحَا الجُفُـونَ دِرَّةَ دَمْـعٍ ❊ فـي دمـوعِ الفـراقِ غَيْـرَ لَصِـيقِ

إِنَّ مَـنْ عَـقَّ وَالِدَيْـهِ لَمَلْعـو ❊ نٌ ومَـنْ عَـقَّ مَنْـزِلاً بـالعَقِيقِ

وَقِفَـا العِـيسَ مُلْقِيـاتِ المَثَـانِي ❊ فـي مَحَـلِّ الأَنيـقِ مَغْنَـىٰ الأَنِيـقِ

قولُهُ: «أَنْ يَكُونَ الرفيقُ غير رَفِيق» أَي أَن يكونَ جافيًا عَسُوفًا غير رفيقٍ بمن يصاحبُهُ.

وقولُهُ: «في دموعِ الفراقِ غيرَ لَصِيقِ» أَي ابكيا بدمعٍ لا يشبهُ دمعَ مَنْ فارقَ أَحبابَهُ، أَي ابكيا وإِن لم يكن وراءَ البكاءِ حرقةٌ، ولا لاعِجُ هوىٰ، أَي علىٰ وجهِ الإِسعادِ، فأَوردَهُ بهذا اللفظِ الرديءِ.

وقولُهُ: «إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْه لَمَلْعُونٌ» البيت، من أَحمقِ المعاني وأَسخفِها وأَقبحِهَا، وقد زادَ في الحمقِ بهذا المعنىٰ علىٰ معنىٰ البيتِ[2] الذي قبلَهُ،

---

(١) «ص»: (المعشوق) تحريف.

(٢) (البيت) مستدركة في هامش «ص».

وطَمَّ عليهِ وعلى كلِّ جهالاتهِ في معانيهِ؛ لأَنهُ لم يقنعْ بأَنْ يبعثَ صاحبيهِ على الوقوفِ معهُ، والوقوفِ على المنزلِ والبكاءِ، حتى جعلَ كلَّ من يقفُ ويعرجُ كائنًا من كانَ منَ الناسِ: من خاصٍ وعامٍ، وبادٍ وحاضرٍ، ومجتازٍ وغيرَ مجتازٍ، ومفارقٍ [٥٧/ص/أ] لأَحبابهِ وغيرَ مفارقٍ، مَلْعُونًا إِذا لم يقفْ على المنزلِ بالعَقيقِ؛ لأَن ظاهرَ المعنى العمومُ، وما المستحقُّ واللهِ للعنِ[١] غيرُهُ، إِذْ رضيَ لنفسهِ بمثلِ هذا السخفِ[٢].

وقولُهُ: «في محلِّ الأَنيقِ مغنى الأَنِيقِ» قولٌ مَا لِبُردِ[٣] معناهُ ولفظِهِ نهايةٌ.

[٥٧/ص/ب] وقالَ أَيضًا[٤]:

نُحِرَتْ رِكابُ القَوْمِ حتى يَغْبُرُوا ❊ رَجْلِي، لقدْ عَنُفُوا عَلَيَّ ولامُوا

وَقَفُوا عَلَيَّ اللَّومَ حتى خَيَّلوا ❊ أَنَّ الوُقُوفَ عَلَى الدِّيارِ حَرَامُ

وهذا معنى جيدٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقالَ أَيضًا[٥]:

---

(١) «ص»، «ر»: (للعين).

(٢) قلت في كتابي: «أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا» ص٣٨٧:
(لا محل للعن الشاعر هنا، فخطؤهُ في المعنى جاءه من طلب الجناس، فقد علق القافية على كلمة «العقيق»، وصار يحاول أن يضيع جناسًا فلم تسعفهُ المادةُ اللغويةُ إلا بكلمةِ «عق»، فراحَ يقلبها في استخداماتها المألوفةِ، وأقربُها عقوقُ الوالِدينِ التي لُعِنَ قارفُها، فأداهُ هذا إلى الوقوعِ في المعنى السخيفِ الذي رفضه الآمدي).
(قلت هذا في معرض حديثي عن خروج الآمدي عن حيدته في الموازنة: انظر ص٣٧١ وما بعدها).

(٣) «ص»، «ر»: (ما أبرد معناه).

(٤) شرح الصولي: ٢/٣٧٣، شرح التبريزي: ٣/١٥٠، والبيتان من الكامل.

(٥) شرح الصولي: ٣/٤٦، شرح التبريزي: ٣/٣٣٧، والأبيات من البسيط.

أَرَاكَ أَكْبَـرْتَ إِدْمَـانِي علـىٰ الـدِّمَنِ ❁ وحمْلِـيَ الشَّـوْقَ مِـنْ بـادٍ ومُكْـتَمِنِ
لا تُكْثِـرَنَّ ملَامِـي إِنْ عَكَفْـتُ عَلَـىٰ ❁ رَبْـعِ الحَبِيـبِ فلم أَعْكُـفْ علىٰ وَثَـنِ
سَلَوتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي ما تَقُولُ إِذًا ❁ جَعَلْـتَ أَنْمُلَـةَ الأَحْـزَانِ فـي أُذُنِـي[1]

وهذا أَيضًا معنىٰ حسنٌ، ولفظٌ جيدٌ.

وقولُهُ: «أَنملةُ الأَحزانِ» أَي يشغلني حُزْني عن أَن أَفهمَ ما تقولُ.

وقالَ أَيضًا[2]:

أَجَـلْ أَيُّهـا الرَّبْـعُ الـذي خَـفَّ آهِلُـهْ ❁ لقد أَدْرَكَتْ فيك النَّوَىٰ ما تُحاوِلُهُ[3]
وقَفْـتُ وأَحْشـائِي مَنـازِلُ لِلْأَسَـىٰ ❁ بـهِ وهْـوَ قَفْـرٌ قـد تَعفَّـتْ مَنازِلُـهْ
أُسَـائِلُكُمْ مـا بالُـهُ حَكَـمَ البِلَـىٰ ❁ عليـهِ، وإِلَّا فـاترُكوني أُسـائِلُهْ

[٥٨/ص/أ] وهذا المعنىٰ فيه اضطرابٌ؛ لأَنَّه قالَ: أسائلُكم ما بالُه حكمَ البلىٰ عليه وإِلا فاتركوني أسائلُه. فما هذه المساءَلةُ منه أَو للربعِ في أَن حكَمَ البلىٰ عليه وهو قد قدَّمَ السببَ الذي من أَجله بكىٰ، وشرحه في البيت الأَول بقوله: خَفَّ آهِلُه، ويقول: «لقد أَدركت فيك النوىٰ ما تحاوله». وهذا هو الذي أَبلاه؛ لأَنه إِذا فارقَ أَهلَه، وتَعَفَّتْ منازلُه ـ فقدْ خربَ وبلىٰ.

وقالَ أَيضًا[4]:

حُيِّيـتَ مِنْ طَلَـلٍ لـم يُبْـقِ لـي طَلَـلًا ❁ إِلَّا وفيـه أَسًـىٰ تَرْشِـيحُهُ الـذِّكَرُ

(١) ص: (أنملة الأحراق) تصحيف.
(٢) شرح الصولي: ٢/١٩٢، وفيه: (لقد أنجزت)، شرح التبريزي: ٣/٢١، والأبيات من الطويل.
(٣) «ص»: (أسائله).
(٤) شرح الصولي: ١/٥٣٣، شرح التبريزي: ٢/١٨٥، والبيتان من البسيط.

قالوا: أَتَبْكِي عَلَىٰ رسْمٍ؟ فقلت لهم: ❁ من فاتَهُ العَيْنُ هدَّىٰ شَوْقَهُ الأَثَرُ[1]

قوله: «لم يُبْق لي طَلَلًا»، والطلَلُ: ما شخصَ من آثارِ الديارِ، والطللُ: شَخْصُ الإِنسانُ وقامتُه. يقالُ: ما أَحسنَ طَلَلَه. وإِنما يريدُ طللَ الدارِ. أَي لم يبقِ لي طللًا في دياري ومواطني التي فارقتُها، وأَخليتُها، وعكفتُ عليه ـ إِلا وفيه أَسًىٰ أَي حزنٌ من أَهلي الذين فارقتُهم علَيَّ. تَرْشِيحُه الذكر: أَي تنميته، وتربيته الذكر. أَي ذكرُهم لي[2] يرشحُ الحزنَ علىٰ أَنْ يمسكَه، ويحفظَه، ويقومَ عليه حتىٰ يبقىٰ ولا يذهب.

ولا يجوزُ أَن يريدَ بالطللِ جملةَ شخصِه وقامتِه؛ [٥٨/ص/ب] لأَنَّ ذلك يكونُ مثلَ قولِكَ: ما لزيدٍ جسدٌ إِلا وفيهِ أَثرٌ، وما لهُ رأسٌ إِلا وفيهِ شَجَّةٌ، وهذا خطأ؛ إِذ ليسَ لهُ إِلا رأسٌ واحدٌ، وجسدٌ واحد، والبيت الثاني جيدٌ بالغٌ.

وقالَ البحتريُّ[3]:

لَعَمْـرُ المَغَـانِي يَـوْمَ صَـحراءِ أَرْثَـدِ ❁ لقـد هَيَّجَـتْ وَجْـدًا علَـىٰ ذي تَوَجُّـدِ
مَنَـازِلُ أَضْـحَتْ للريـاحِ مَنَـازلًا ❁ تَـرَدَّدُ منهـا بَـيْنَ نُـؤْيٍ ورِفْـدَدِ[4]
شَـجَتْ صـاحِبي أَطلالُهـا فتَهَلَّلَـتْ ❁ مدامعُـه فيهـا، ومـا قُلْـتُ: أَسْـعِدِ

وهذا لعمري صاحبٌ حَسَنُ الصحبةِ، ولعلهُ كانَ له شَجَنٌ وهوىٰ، فلمَّا وقفَ علىٰ الديارِ تذكَّر أَحبابَهُ فبكىٰ.

---

(١) سبق ٢/٢٤٧.

(٢) «ص»، «ر»: (لي لم يرشح).

(٣) سبق ٢/١٦٤.

(٤) ديوانه: ٢/٧٧١، والبيت من الطويل. وفي الديوان: (رمدد)، وفي اللسان: رماد رمدد: كثير دقيق جدا. (رمد).

وقالَ أَيضًا(١):

خُـذَا مِـنْ بُكَـاءٍ فـي المنـازل أَودَعَـا ✤ ورُوحَـا عَلـىٰ لَـوْمِي بِهِـنَّ، أَو ارْبَعَـا
فمـا أَنـا بالمُشْـتَاقِ إن قُلْـتُ: أَسْـعِدَا ✤ لِتَنْـدُبَ مَغْنًـىٰ مِـنْ سُـعَادَ ومَرْبَعَـا
وَلِـي لَوْعَـةٌ تَسْـتَغْرِقُ الهجْرَ والنَّـوَىٰ ✤ جَمِيعًـا وَدَمْـعٌ يُنْفِـدُ الحُـبَّ أَجْمَعَـا

وهذا معنىٰ آخرُ ذهبَ إِليهِ في الإِسعادِ حسنٌ جدًّا.

ونحوُ هذا قولُهُ(٢):

فالـدارُ تَعْلَـمُ أَنَّ دَمْعِـيَ لـم يَغِـضْ ✤ فـأَرُوحَ حَامِـلَ مِنَّـةٍ مِـنْ مُسْـعِدِ
مـا كـانَ لـي جَلَـدٌ فَيُـودي إِنَّمـا ✤ أَوْدَىٰ غَـدَاةَ الظَّـاعِنِينَ تَجَلُّـدِي

وقالَ أَيضًا علىٰ السبيلِ التي سلكَها أَبو تمامٍ(٣): [٥٩/ص/أ]

يـا أَخـا الأَزْدِ مـا حَفِظْـتَ الإِخَـاءَ ✤ لِمُحِـبٍّ، ولا رَعَيْـتَ الوَفَـاءَ
عَـذَلاً يَتْـرُكُ الحنـينَ أَنينًـا ✤ فـي هَـوًىٰ يَتْـرُكُ الـدُّموعَ دِمَـاءَ
لا تَلُمْنـي علـىٰ البكـاءِ فـإِنِي ✤ نِضْـوُ شَـجْوٍ مـا لُمْـتُ فيـه البكـاءَ
كيـف أَغْـدُو مـنَ الصَّـبَابةِ خِلْـوًا ✤ بَعْـدَ مَـا رَاحَـتِ الـدِّيارُ خَـلَاءَ
قِـفْ بهـا وقفـةً تـرَدُّ عليهـا ✤ أَدْمُعًـا رَدَّهـا الجَـوَىٰ أَنْضَـاءَ(٤)

قولُهُ: «نِضْوُ شَجْوٍ ما لُمْت فيه البُكاءَ» من المقلوبِ، وكانَ يجبُ أَن يقولُ: ما لمتهُ في البكاءِ؛ فقالَ: ما لمتُ البكاءَ فيهِ.

---

(١) سبق ٢/١٧١.
(٢) ديوانه: ١/٥٤٥، والبيتان من الكامل.
(٣) ديوانه: ١/١٣، والأبيات من الخفيف.
(٤) في «ص»، «ر»: (تردد) ولا يستقيم الوزن بها.

ومثلُ هذا في الشعرِ كثيرٌ، وإنما كان يصدُرُ عن العربِ على سبيلِ السَّهوِ، ولا يسوّغَهُ متأخرٌ، ومنهُ ما هو حسنٌ، وقد جاءَ مثلهُ في القرآنِ.

فإن قيلَ: إنَّ لفظَ البيتِ مستقيمٌ، وهو[1] مستغنٍ بمعناه ولفظِهِ عنْ أن يُتَأَوَّلَ فيهِ القلبُ، وذلكَ أَنَّ البكاءَ ليسَ هو شيئًا غيرُ سكبِ الدموعِ، وجريها على الخدودِ، فكما تلومُ العينَ على بكائِها، وتلومُ الدمعَ على انحدارِهِ مجازًا، فكذلكَ تلومُ البكاءَ مجازًا.

قيلَ: هذا عُدولٌ عن القياسِ وصحيحِ التمثيلِ، وإنما كانَ ينبغي أَن يقولَ: فكما تلومُ انحدارَ الدمعِ الذي هو البكاءُ، فكذلكَ تلومُ البكاءَ، هذا وجهُ المعارضةِ، فإن كنتَ تلومُ انحدارَ الدمعِ فقدْ [٥٩/ص/ب] صحَّ اعتراضُكَ، وإن كنتَ لا تلومُهُ، وهو البكاءُ، فلمَ تلومُ البكاءَ.

ومع هذا فقد جرتِ العادةُ بلومِ العينِ على البكاءِ، ولومِ الدمعِ على الانحدارِ، ولَوْمِها أَيضًا على الامتناعِ، وقالتِ الشعراءُ في ذلك ما هو معروفٌ مشهورٌ، ومنهُ قولُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ يبكي أَخاهُ مَالِكًا[2]:

عَذَرْتُكِ يا عيني الصحيحةُ في البُكا ❊ فمَا أَنْتِ يا عَوْرَاءُ والهَمَلَانِ

فعذرَ [عَيْنًا][3] ولامَ أُخرىٰ.

---

(١) «ص»، «ر»: (وما هو).

(٢) البيت مع عدة أبيات في قصيدة منسوبة لعبد الله بن الدمينة، وهي في ديوانه ص٢٨، وقد ذكر الميمني في حواشي السمط (١/٤٦٢ ـ ٤٦٣) أنه للصمة القشيري، فقال: «وقد كان الصمة أعور، وذلك صحيح، وليس معروفًا عن ابن الدمينة أنه كان أعور)، وقلت: وكذلك متمم بن نويرة الذي نسب الأمدي البيت إليه لم يعرف أنه كان أعور».

وفي الحماسة البصرية: (بالبكا فمالك يا عوراء)، ٢/٦١٩، تحقيق د. عادل سليمان.

(٣) ساقطة من «ص»، «ر» والتصحيح من نسخة الموازنة التي نسبت إلى ابن الأثير وغير اسمها إلى (القول الفائق الأديب بعتبىٰ وليد وذكرىٰ حبيب) وقد سبقت الإشارة إليها.

وقالَ بعضُ المتأَخرينَ(١):

لا جَــزَىٰ اللهُ دَمْــعَ عيْنِــيَ خَيْــرًا ❊ وجــزَىٰ اللهُ كــلَّ خيــرٍ لِسَــانِي

كنــتُ مثـلَ الكتــابِ أَخْفَــاهُ طَـيٌّ ❊ فاســـتدلُّوا عليــــهِ بـــالعُنْوانِ

فلامَ هذا دمعَهُ ؛ لأَنهُ فضحَهُ ، كما لامَ ذلكَ عينَهُ ، وما علمنا أَحدًا لامَ البكاءَ ، ومعنىٰ ذلك مفهومٌ ؛ لأَن البكاءَ قد جُعلَ فعلًا للعينِ علىٰ المجازِ ، والسيلانُ فعلُ الدمعِ ، فيقالُ: بكتْ عيني ، وسالَ دمعي ، فإِذا لُمْنا العينَ علىٰ بكائِها ، ولُمْنَا الدمعَ على انحدارِهِ ، كانَ ذلك حسنًا جميلاً ؛ لأَنَّا إِنَّما لُمْنَا فاعلاً على فعلهِ ، كما نَلُومُ الفاعلَ الذي فعلهُ حقيقةً على فعلهِ ، ولكن لا نَلُومُ فِعْلَهُ ؛ لأَنَّا إذا لُمْنَا الباكي علىٰ أَنْ فَعَلَ البكاءَ ، فنلومُ البكاءَ علىٰ أَن فَعَلَ ماذا ؟

فإِن قيلَ: علىٰ أَن كَثُرَ واتصلَ [٦٠/ص/أ] منهُ.

قيلَ: فهل سمعتَ أَحدًا قطُّ قالَ: يا بكاءُ لم كثرتَ ، ولمَ اتصلتَ ؟ كما يقالُ يا عينُ لم بكيتِ ؟ فإِني ما أَظنُّ أَحدًا يقدرُ أَن يقولَ: إِنه سمِعَ بهذا ، وذلكَ أَن الإِكثارَ والاتصالَ إِنما هما حركاتُ الفاعلِ بالفعلِ ، فالباكي هو الذي أَكثرَ البكاءَ وواصلَهُ ، لا أَن البكاءَ فَعَلَ ذلكَ بنفسهِ ، فالمجازُ لا يتسعُ لأَن يلومَ البكاءَ كما يلومُ العينَ ، ولا لأَن يلومَ انحدارَ الدمعِ كما يلومُ الدمعَ ، ولا تنتهي الاستعارةُ إِلىٰ هذا الموضعِ.

ولو حملنا البكاءَ الذي هو فِعْلُ الفاعلِ علىٰ المجازِ فلمْنَاهُ كما نلومُ الباكي ، لَحُسنَ أَيضًا أَن نلومَ الجزَعَ كما نلومُ الجازعَ ، ونلومَ الغضبَ كما نلومُ الغضبانَ ، ونلومَ الضحكَ الذي هو ضدُّ البكاءِ كما نلومُ البكاءَ.

---

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ، ص٢٨٢ ، شرح وتعليق عاتكة الخزرجي ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٤.

وما أَكثرُ ما تُحْمَلُ الأَشياءُ علىٰ أَضدادِها، وما علمتُ مثلَ هذا جرىٰ في توسعٍ ولا مجازٍ؛ لأَنَّ «لمت» ليسَ هذا موضعُها، وإنما هو موضعُ أَحمدتُ، وذممتُ وأَنكرتُ، وأَشباهُها، وهذهِ حقائقُ[1]، وليسَ كلُّ شيءٍ يُحْمَلُ علىٰ المجازاتِ.

فإن استجزْنا أَن نلومَ البكاءَ فينبغي أَن نلومَ أَيضًا الضربَ، والقتلَ، والقيامَ، والقعودَ، والركوبَ، والنزولَ، والأَكلَ، والشربَ، وسائرَ أَفعالِ الفاعلينَ، ونعذلَها أَيضًا، ونوبخَها؛ لأَنَّ العَذْلَ والتوبيخَ في معنىٰ اللومِ، ونلومَ أَيضًا النَّحِيبَ [٦٠/ص/ب]، والشهيقَ، والزَّفيرَ، والنَّشيجَ كما نلومَ البكاءَ.

وإذا لمنا أَيضًا اليدَ علىٰ أَن لم يشتدَّ قبضُها علىٰ الشيءِ مجازًا لُمْنَا القبضَ أَيضًا مجازًا، وكذلكَ الرِّجْلَ إِنْ لُمناها علىٰ أَن عجزتْ عنِ المشي، لُمنَا المشيَ أَيضًا، وعنَّفناهُ، وركَّبْنَا مجازًا علىٰ مجازٍ، وتوسُّعًا علىٰ توسُّعٍ، وهذا ما لمْ يُسْمَعْ بمثلهِ في لغةٍ من اللغاتِ.

فعلىٰ كلِّ الأَحوالِ حَمْلُ بيتِ البحتريِّ علىٰ القَلْبِ الذي قدْ اسْتَعملتهُ العربُ في مجازاتِها، ونطقَ بهِ القرآنُ بوجهٍ منهُ حسنٍ، وسطَّرهُ أَهلُ العلمِ بكلامِ العربِ في كتبهِمْ أَوْلَىٰ من حملهِ علىٰ وجهٍ غيرِ مستعملٍ، ولا معروفٍ، ولا سائغٍ.

وقد قالَ المبردُ: إنَّ العربَ كانتْ تستعملُ القلبَ لاختصارِ الكلامِ، وإِقامةِ الأَوزانِ، وإِصلاحِ القوافي[2]، وأَنشدَ لِلْفَرَزْدَقِ يصفُ ذئبًا[3]:

---

(١) «ص»: (حقاق) تحريف، والتصحيح من «ر».

(٢) «ص»: (القول)، تحريف والتصحيح من «ر».

(٣) الكامل للمبرد، ٤٧٣/١ وما بعدها، تحقيق د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٤.

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبا ❊ رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي

وقالَ: أَرادَ رفعتُ لهُ ناري، فقَلَبَ، فهذا الآنَ يقولُ: إِنَّ الوجهَ من القلبِ الذي ذكرَ بعضُ أَهلِ اللغةِ أَنهُ جاءَ في كلامهمْ علىٰ سبيلِ السهوِ والغلطِ أَنهم كانوا يفعلونَهُ اعتمادًا، وإِذا اعتمدتْ العربُ الشيءَ ضرورةً لم يكن ذاكَ لمتأَخرٍ.

وههنا معَ هذا وجهانِ قويان جيدانِ يحتملُهُما بيتُ البحتريِّ، ويجري علىٰ تأليفِ لفظهِ، لا علىٰ القَلْبِ:

[٦١/ص/أ] أَحدُهُما: أَن يكونَ أَرادَ: لا تلمني علىٰ البكاءِ فإِني ذو حزنٍ ما لمتُ فيهِ علىٰ البكاءِ، فأَسقطَ «علىٰ» كعادةِ العرب الجاريةِ في حذفِ حروفِ الصفاتِ للإِيجازِ والاختصارِ فوصلَ الفعلَ إِلىٰ البكاءِ فنصبهُ، وهذا معنىٰ قريبٌ جدًّا، ومثلُ قولِهم: جزيتك إِحسانَك، أَي علىٰ إِحسانِكَ، وعن إِحسانِكَ، وقولِهم نزلْتُكَ، بمعنىٰ نزلتُ عليكَ، ونزلتُ[١] بكَ، وهذا من أَفصحِ اللغاتِ وأَبلغِهَا، وهو مسطورٌ في كتبِهِمْ، وكذلكَ شغبتُكَ بمعنىٰ: شغبتُ عليكَ[٢]، حكاها أَبو زيدٍ.

ومما هو جائزٌ في كلامهِمْ ـ كلامِ أَهلِ البدوِ والحضرِ ـ قولُهُمْ: بكَيْتُ فلانًا، بمعنىٰ بكيتُ عليهِ.

وأَنشدنا «أَبو الحسنِ الأَخفشِ» قِرَاءَةً عليهِ في الكتابِ الكاملِ عن المبردِ لأَعرابيٍّ:

---

(١) «ص»: (نزله).

(٢) «ص»: (شغب).

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَفْرَضْ فإنِّي وناقَتِي ❁ بِحَجْرٍ إلى أَهْلِ الحِمَى غَرِضَانِ
تَحِنُّ فَتُبْدِي ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ ❁ وأُخْفِي الذي لَوْلَا الأسَى لَقَضَانِي

أَرادَ لقضى عليَّ، قالَ المبرّدُ: فأَخرجَهُ لفصاحتهِ، وعلمهِ بجواهرِ الكلامِ أَحسنَ مُخْرَجٍ[1].

وقالَ عَنْتَرَةُ[2]:

ولَقَدْ أَبِيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّهُ ❁ حتى أَنالَ بهِ كَرِيمَ المأْكَلِ

أَي أَظلُّ عليهِ.

قالَ: ومثلُهُ قولُ اللهِ تعالى[3]: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [٦١/ص/ب] أَي منْ قومِهِ.

وقولُ الشاعرِ[4]:

أَمرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ❁ فَقَدْ تركتُكَ ذا مَالٍ وذَا نَشَبِ

أَي أَمرتكَ بالخيرِ.

وقولُ الفَرَزْدقِ[5]:

ومِنَّا الذي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ❁ وجُودًا إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

(١) الكامل: ٤٦/١.
(٢) ديوانه: ص٢٤٩.
(٣) [سورة الأعراف، الآية ١٥٥].
(٤) البيت في الكامل منسوب لأعشى طرود: ٤٧/١.
(٥) ديوانه: ٧١/٢، شرح وتعليق ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، سنة ١٩٨٣.

أَي: منَ الرجالِ، وأَشباهٌ لهذا كثيرةٌ.

وأَنشدَ أَبو مِسْحلٍ[1]:

سقَىٰ اللهُ مَنْ يَسْقِي حَمَامَةَ دارِهَا ❁ علىٰ فُرْضَةٍ من ماءِ شُرْبٍ يَقُومُها

أَرادَ يقومُ عليها، وقالَ: يقالُ: قامَ فلانٌ اليومَ الماءَ بينَ القومِ، إِذا قسَّمهُ بينهم، ومعناهُ: قامَ علىٰ الماءِ، فلما حذفَ «علىٰ» نصبَ.

فكذلكَ قولُ البحتريِّ: ما لمتُ فيه البكاءَ، أَي علىٰ البكاءِ.

والوجهُ الآخرُ: أَن يكونَ أَرادَ: لا تلمني علىٰ البكاءِ فإِني ذو حُزنٍ ما لمتُ فيه ذوي البكاءِ، وأَهلَ البكاءِ، فأَسقطَ المضافَ فوصلَ الفعلُ إِلىٰ البكاءِ فنصبَهُ، وذلكَ علىٰ عادةِ العربِ المستمرةِ في حذفِ المضافِ وإِقامةِ المضافِ إِليهِ مقامَهُ، ومنه قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[2] أَي أَهلَ ناديهِ، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] أَي أَهلَ القريةِ، وقولُ مُهلهلٍ[4]:

واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

أَي أَهلَ المجلسِ، وقولُ اللهِ تعالىٰ[5]: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أَي برُّ من آمنَ باللهِ [٦٢/ص/أ]، وقولُهُ تعالىٰ جَدُّهُ[6]: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أَي ضعفَ عذابِ الحياةِ، وضعفَ عذابِ المماتِ.

---

(١) لم أجده فيما بين يديّ من مراجع، والفرضة: المشرعة التي يستقىٰ منها.
(٢) [سورة العلق، الآية ١٧].
(٣) [سورة يوسف، الآية ٨٢].
(٤) سبق ٩٤/٢.
(٥) [سورة البقرة، الآية ١٧٧].
(٦) [سورة الإسراء، الآية ٧٥].

وأَوكدُ من ذلكَ كلِّهِ قولُ اللهِ تعالىٰ[1]: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾، أَي حُبَّ العجلِ.

وكذلكَ أَرادَ البحتريُّ: لا تلمني علىٰ البكاءِ؛ فإِني ما لُمْتُ في هذا الحزْنِ ذا بُكَاءٍ، وأَهلَ البكاءِ، وأَسْقَطَ «أَهل»، وأَقامَ البكاءَ مقامَهُ.

وهذا يستوي فيه القدماءُ والمتأَخرونَ جميعًا؛ لأَنهُ خارجٌ عن الضرورةِ.

فهذانِ وجهانِ في غايةِ القوةِ والصحةِ، والمعنىٰ: لا تلمني علىٰ البكاءِ؛ فإِني ما لمتُ في هذا الشجوِ بَاكِيًا، لأَنهُ يحقُّ في مثلهِ البكاءُ؛ لِعِظَمِ تأْثيرهِ في النفسِ، وتَخَوُّنِهِ[2] للجَلَدِ، وذهابهِ بالصبرِ، ونحوِ هذا.

وقولُهُ بعدَهُ:

كيفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا ❊ بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيارُ خَلَاءَ

أَي لا تلمني علىٰ البكاءِ؛ فإِني [إِنْ][3] لم أبكِ وقد خلتِ الديارُ منْ أَهلها فلستُ ذا صبابةٍ. يقولُ: إِنهُ يكونُ إِن لم يبكِ والخليُّ الذي ليسَ في قلبهِ هوىٰ، بمنزلةٍ واحدةٍ، وإِذا خَفَّفَ البكاءُ من صبابتهِ فقد قضىٰ حقَّ المحبةِ علىٰ كلِّ حالٍ.

وقالَ البحتريُّ أَيضًا[4]:

أَحْرَىٰ الخُطُوبِ بِأَنْ يكُونَ عَظِيمَا ❊ قَولُ الجهولِ: أَلَا تكُونُ حَلِيمَا؟

---

(١) [سورة البقرة، الآية ٩٣].

(٢) «ص»، «ر»: (تخوده) تحريف، والتخوّن: الإنقاص والإضعاف.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ص»، «ر»، وهي لازمة للسياق.

(٤) سبق البيت الأول ٢/١٧١، وفي «ص»، «ر»: (ألا أن تكون).

قَبَّحْتَ مِنْ جَزَعِ الشَّجِيِّ مُحَسِّنًا ❊ ومَدَحْتَ مِنْ صَبْرِ الخَلِيِّ ذَمِيمَا

[٦٢/ص/ب] وقالَ أَيضًا(١):

مَاذَا علَيْكَ مِنَ انْتِظَارِ مُتَيَّمٍ ❊ بَلْ ما تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ في مَنْزِلِ

إِنْ سِيْلَ عَيَّ عنِ الجَوَاب فلم يُطِقْ ❊ رَجْعًا فكيفَ يكونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ

لا تَكْلِفَنَّ لِيَ الدُّمُوعَ فإِنْ لي ❊ دَمْعًا يَتِمُّ عليَّ إِنْ لَمْ يَفْضُلِ(٢)

قولُهُ: «يتمُ عليَّ إِنْ لم يفضلِ» مثلُ قولِهِ(٣):

ودمعٌ ينَفِدُ الحبَّ أَجْمَعَا

ومثلُ قولهِ أَيضًا(٤):

سارتْ مُقَدِّمَةُ الدُّموعِ وخلَّفَتْ ❊ حُرَقًا تَوَقَّدُ في الحشَا ما تَرْحَلُ

إِنَّ الفراقَ كما عَلِمْتَ فَخَلِّنِي ❊ ومَدامِعًا تَسَعُ الفِراقَ وتَفْضُلُ

قالَ: «سارتْ مقدمةُ الدموعِ وخلَّفتْ حُرَقًا»، ثم قالَ: «فَخلِّني ومدامعًا تسعُ الفراقَ وتفضُلُ» ومقدّمةُ الشيء ليسَ هو الشيءُ بأَسرِهِ، إنما مقدمةُ الجيشِ: ما يتقدمهُ من جملتهِ، ويبقى سائرهُ متأَخرًا، فقالَ: «رحلت مقدمةُ الدموعِ»، يعني يومَ المفارقةِ، ثم قالَ: «فخلني ومدامعًا» يريد جملةَ الدمعِ المتأَخرِ الذي هوَ مَقْرُونٌ بالحُرَقِ المقيمةِ التي ذكرَها.

وقالَ في نحوهِ أَيضًا(٥): [٦٣/ص/أ]

---

(١) ديوانه: ١٧٤٣/٣، والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: (يتم عليه).

(٣) سبق ٢٦٤/٢.

(٤) ديوانه: ١٧٥٣/٣ وفيه: (سالت)، والبيتان من الكامل.

(٥) ديوانه: ٢١٢٢/٤، والأبيات من الخفيف.

خَلِيَّـــاهُ وَوَقْفَـــةٌ فـــي الرُّسُـــومِ ❊ يَخْـلُ مِـنْ بَعْـضِ بَثِّـهِ الْمَكْتُـومِ
وَدَعَـــاهُ لَا تُسْـــعِدَاهُ بِـــدَمْعٍ ❊ حَسْـبُهُ فَـيْضُ دَمْعِـهِ المَسْـجُومِ
ســفَهٌ منكُمَـــا وإِفـــراطُ لُـــؤْمٍ ❊ أَنْ تلُومَـا فـي الحـبِّ غيـرَ مُلِـيمِ

وقالَ في نحوهِ أَيضًا(١):

إِن تِلْـكَ الطُّلُـولَ مِـنْ وَهْبِينَـا ❊ أَحْزَنَـتْ خاليًـا، وزادتْ حَزِينَـا
فاتركـاني فمـا أُطِيـعُ عَـذُولاً ❊ واخْـذلَانِي فمـا أُرِيـدُ مُعِينَـا

وقالَ أَيضًا(٢):

ومـن الجهالـةِ أَنْ تُعَنِّـفَ بَاكِيًـا ❊ وقَـفَ الغليـلُ بـهِ علـىٰ مَجْهولِهَـا
إِنَّ الـدموعَ هـيَ الصَّـبابةُ فـاطَّرِحْ ❊ بعـضَ الصَّـبابَةِ تَسْـتَرِحْ بِهُمُولِهَـا

وهذا معنىٰ حسنٌ معروفٌ، والدموعُ ليستِ الصبابةُ؛ لأَنَّ الصبابةَ؛ رقَّةُ الشوقِ، وإِنما يبكي الباكي من شدّة صبابتهِ، ولمَّا كانتِ الصبابَةُ تخِفُّ بالبكاءِ، وتذهبُ بذهابِ الدمعِ، قالَ: إِن الدموعَ هي الصبابةُ، أَي: إِنها تذهبُ بذهابهِ، وتمضي بمضيِّهِ، أَي فدعني أَبكي؛ فإِني أَستريحُ بِهُمُولِ الدمْعِ.

وقالَ أَيضًا(٣):

ومـا انْفَـكَّ رَسْـمُ الـدارِ حتَّـىٰ تَهَلَّلَـتْ ❊ دُمُـوعِي وحتَّـىٰ أَكْثَـرَ اللـومَ صَـاحِبي

(١) ديوانه: ٢١٦٢/٤، والبيتان من الخفيف.
(٢) ديوانه: ١٧٧١/٣، وفيه: (وقف الغرام) وذكر في الهامش رواية الموازنة، وفي «ص»: (ومن الجهال)، والبيتان من الكامل.
(٣) ديوانه: ١٠٨/١، والأبيات من الطويل.

[٦٣/ص/ب] وقَفْنَا فلا الأَطلالُ ردَّتْ إِجابةً ❊ ولا العذْلُ أَجْدَىٰ في المَشُوقِ المُخَاطِبِ
تَمَادَتْ عَقابِيلُ الهَوَىٰ وتَطَاولَتْ ❊ لَجَاجَةُ مَعتُوبٍ عليهِ وعاتبِ

وهذا معنىٰ حسنٌ، ولفظٌ لهُ ماءٌ ورونقٌ، وهو أَجودُ[1] وأَسلمُ من قولِ أَبي تمامٍ[2]:

وما صَارَ يومَ الدَّارِ عذْلُكَ كلُّه ❊ عَدُوِّيَ حتىٰ صارَ جهلُكَ صَاحِبِي

وقالَ أَيضًا[3]:

في غيرِ شَأْنِكَ بُكْرَتي وأَصِيلِي ❊ وسِوىٰ سبيلكَ في السُّلوِّ سبيلي
بخلتْ جفونُكَ أَنْ تكونَ مُسَاعِدِي ❊ وعلمْتَ ما كَلَفِي فَصِرْتَ عَذُولِي[4]
جارَ الهوىٰ يوم اسْتَخَفَّ صَبابَتي ❊ لِخَلِيٍّ ما تَحْتَ الضلوعِ مَلُولِ[5]

أَي جارَ الهوىٰ عليَّ لِخَلِيّ ما تحت الضلوع، أَي لخليّ من الهوىٰ، أَي جارَ عليَّ لَهُ.

وقالَ أَيضًا[6]:

ما أَنتَ لِلْكَلِفِ المَشُوقِ بصَاحِبِ ❊ فاذْهَبْ علىٰ مَهْلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ
عرفَ الدِّيارَ وقَدْ سَئِمْنَ من البِلىٰ ❊ ومَلِلْنَ من صَوْبِ السَّحابِ الصَّائِبِ[7]

---

(١) (وهو أجود) مستدركة بين السطرين.
(٢) سبق ٢/٢٥٧.
(٣) ديوانه: ١٨٣٨/٣، والأبيات من الكامل.
(٤) ديوانه: (فكنت عذولي).
(٥) ديوانه: (لما استخف).
(٦) ديوانه: ١٥٨/١، والأبيات من الكامل.
(٧) ديوانه: (من سقيا السحاب).

فـأَرَاكَ جَهْـلَ الشَّـوْقِ بَـيْنَ مَعـالـمٍ ✤ منهـا وَجِـدَّ الـدَّمْعِ بـين مَلاعِـبِ[١]

قولُهُ: «على مَهْلٍ» لستُ أَراهُ مفيدًا شيئًا، وما أَظنها إلا حشْوًا، وهذا [من مواضعِ][٢] قولِهِمْ: فامضِ لشأْنِكِ، وامضِ لسبيلِكِ.

وقالَ أَيضًا[٣]: [٦٤/ص/أ]

بَعـضَ هـذا العِتَـابِ والتَّفْنيـدِ ✤ لَـيْسَ ذَمُّ الوفـاءِ بـالمَحْمُودِ

مـا بَكَينـا علـى زَرُودَ ولَكِنْـ ✤ ـنَـا بَكَينَـا أَيَّامَنـا فـي زَرُودِ

ودُمُـوعُ المُحِـبِّ إِنْ عَصَـتِ العُـذْ ✤ ذَالَ كانتْ طوْعَ النَّوَى والصُّدُودِ[٤]

وهذا من إِحسانهِ المشهورِ[٥].

وقالَ أَيضًا[٦]:

فـيم ابْتِـدَارُكُمُ المَـلَامَ وَلُوعَـا ✤ أَبْكَيـتُ إِلَّا دِمْنَـةً ورُبُوعَـا

عَذَلُوا فَمَا عَدَلُوا بِقلْبِكَ عَنْ هَوًى ✤ ونَهَوْا فَمَا وَجَدُوا الشَّجِيَّ سَمِيعَا[٧]

وقالَ أَيضًا[٨]:

يـا وَهْـبُ! هَـبْ لأَخِيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ ✤ يُعْطـي الأَسَـى مِـنْ دَمْعِـهِ المَبْـذُولِ

---

(١) «ص»، «ر»: (من معالم)، ولا يستقيم الوزن بها.

(٢) الزيادة من النسخة المنسوبة لابن الأثير زورًا.

(٣) سبق ٢/١٧٢.

(٤) «ص»: (طلوع النوى).

(٥) «ص»: (المشهورة).

(٦) سبق ١/١٦٨، ١٧٠، ١٨٠.

(٧) ديوانه: ٢/١٢٥٣، وفيه: (عدلوا بقلبي..... ودعوا فما وجدوا).

(٨) سبق البيت الأول ٢/١٣٥. والأبيات من الكامل.

أَوَ مَا تَرَىٰ الدِّمَنَ المُحِيلَةَ تَشْتَكي ❊ غَدَراتِ عَهْدٍ للزَّمانِ مُحِيلِ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُها فَقَدْ عَرَف البِلىٰ ❊ قِدْمًا مَعارِفَ رَسْمِها المَجْهُولِ[١]

وقالَ أَيضًا[٢]:

وقَفْنَا فَحَيَّيْنا لِأَهْلِكِ باللِّوَىٰ ❊ رُبُوعَ دِيارٍ دَارِسَاتِ المَعَالِمِ
ذَكَرْنَا الهَوَىٰ العُذْرِيَّ فيها فأُنسِيَتْ ❊ عَزَاها مَشُوقاتُ القُلوبِ الهَوائمِ
خَلعنَا بها عُذْرَ الدُّمُوعِ فأَقْبَلتْ ❊ تَلومُ وتَلْحَىٰ كلَّ لاحٍ ولائمِ

وهذا كلهُ علىٰ اختلافِ معانيهِ، جيدٌ بالغٌ، وحلوٌ نادرٌ.

وقالَ أَيضًا[٣]: [٦٤/ص/ب]

ذَاكَ وادِي الأَرَاكِ فاحْبِسْ قَليلَا ❊ مُقْصِرًا مِنْ صَبابَةٍ أَوْ مُطيلَا
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا، أَو حَزينًا ❊ أَوْ مُعينًا، أَوْ عاذرًا، أَوْ عَذُولَا

قد وسَّعَ البحتريُّ علىٰ هذا الصاحبِ كلَّ السَّعةِ، أَي قف علىٰ أَيةِ حالٍ كنتَ عليها من هذهِ الأَحوالِ، ولو أَن تَعْذِلَ بعد أَن تَتلَوَّمَ عليَّ، ولا تنصرفْ عني فإِني أَحتملُ عذلَكَ، وهذه غايةُ النَّصفةِ، ثم أَتبعَ هذا بأَنْ قالَ:

إِنَّ بَيْنَ الكَثيبِ فَالجِزْعِ فَالآ ❊ رَامِ رَسْمًا لآلِ هنْدَ مُحيلَا[٤]
أَبْلَتِ الريحُ والرَّوائحُ، والأَيْـ ❊ يَامُ منهُ مَعَالمًا، وطُلُولَا
وخِلافُ الجميلِ قولُك لِلذِّا ❊ كِرِ عَهْدَ الأَحبابِ: صبرًا جَميلَا

(١) في ديوانه: ٢/١٦٦٢، (معارف ربعها).
(٢) ديوانه: ٣/١٩٦٩، والأبيات من الطويل.
(٣) ديوانه: ٣/١٧٦٦، والبيتان من الخفيف.
(٤) ديوانه: (ربعًا لآل هند).

لا تَلُمْــــهُ علـــىٰ مُوَاصـــلَةِ الــــدَّمْ ❊ عِ، فَلَــؤْمٌ لَــوْمُ الخَلِيــلِ الخَلــيلَا
عَـــلَّ مَـــاءَ الــدُّمُوعِ يُخْمِـــدُ نَـــارًا ❊ مِـــنْ جَـوَىٰ الحُــبِّ، أَو يَبُـلُّ غَلِـيلَا
وبُكَــاءُ الـــدِّيارِ مِمَّـــا يَـــرُدُّ الشَّـــوْ ❊ قَ ذِكْـــرًا، والحُـــبَّ نِضْـــوًا ضَـــئِيلَا
لَـــمْ يَكُـــنْ يَوْمُنَـــا طَـــويلاً بِنُعْمـــا ❊ نَ ولكِـــنْ كَـــانَ البُكَـــاءُ طَـــويلَا

قولُهُ: «أَبْلَتِ الرِّيحُ والرَّوائحُ» فالروائح: السحائبُ التي تمطرُ النهارَ بأسرهِ، وتَرُوحُ عَشِيًّا.

وقولُهُ: «مما يردُّ الشوقَ ذكرًا» أَي يُخَفِّفهُ حتىٰ يصيرَ تذكرًا [٦٥/ص/أ] لا يُقلِقُ، ولا يُزعجُ كإِقلاقِ الشوقِ.

«والحُبَّ نِضْوًا» أَي يردُّ الحبّ نِضْوًا، أَي يخففُ الهوىٰ، ويصغِّرُهُ؛ لأَنهُ يرىٰ الدارَ، وخُلوَّها من أَهلِهَا، وييأَسُ فيبكي ويستريحُ، فذلكَ هو تَصْغيرُ الحبِّ.

وقولُهُ:

«لَـــمْ يَكُـــنْ يَوْمُنَـــا طَـــوِيلًا بنعمـــا ❊ نَ ولكـــن كـــانَ البكـــاءُ طَـــويلا»

ينبغي أنْ يكونَ هذا اليومُ كان يومَ توديعٍ لم يكنْ طويلاً؛ لأَن يومَ مشاهدتهِمْ ورؤيتهِمْ لا يستطيلُهُ بل يستقصِرُهُ، قالَ: «ولكنْ كانَ البُكاءُ طويلا».

وهذا خلافُ قولِ أَبي تمامٍ(١):

يَـــوْمَ الفِـــرَاقِ لَقَـــدْ خُلِقْـــتَ طَـــوِيلَا

---

(١) شرح الصولي: ٢٩٠/٢، شرح التبريزي: ٦٦/٣، وعجز البيت:
لـم تبـق لـي جَلدًا ولا معقـولا
والبيت من الكامل.

وأَنا أَستقصي الكلامَ في هذا عندَ ذكرِ بيتِ أَبي تمامٍ في «بابِ الفراقِ».

ومن جيدِ هذا البابِ قولُ البحتريِّ[1]:

عَرِّجُوا فالدُّموعُ إِنْ أَبْكِ في الرَّبـ ❊ ـعِ دُمُوعِي، والاكْتِئَابُ اكْتِئَابِي

وكَمِثْلِ الأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ العا ❊ ذِلُ عندي منَازِلُ الأَحْبَابِ[2]

وهذا نحوُ قولِ امرئ القيسِ:

قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ ومنزلِ

فجعلَ البكاءَ للحبيبِ والمنزلِ جميعًا.

ولا تَزِيدُ زيادةٌ في لَوْمِ الأَصحابِ علىٰ حُسْنِ قَوْلِ كُثَيِّرٍ[3]: [٦٥/ص/ب]

يقولُ خَلِيلِي: سِرْ بنا أَيَّ مَوْقِفٍ ❊ وقفتَ، وجهلٍ بالحليمِ المعَمَّمِ

تَلُومُ ولم تَعْلَمْ بأَسْرَارِ خُلَّةٍ ❊ فتعذرَ إِلَّا عن حديثٍ مُرَجَّمِ

فإِن كنتُ لم أَجْهَلْ فَقَدْ لُمْتَ ظَالمًا ❊ وإِنْ كنتُ قد أَزْرَىٰ بيَ الجَهْلُ فاحْلُمِ[4]

أَرادَ أَيَّ موقفٍ هذا الذي وقفتُهُ، يقولُ لي الأَحبابُ: سرْ أَيَّ موقفٍ، كأَنهْ يحكي إِنكارَ صاحبهِ عليهِ الوقوفَ.



(١) ديوانه: ١/٨٣، والبيتان من الخفيف.

(٢) «ص»: (عند منازِلِ) تحريف.

(٣) ديوانه: ص٣٣٤، والأبيات من الطويل.

(٤) «ص»: (لمت ظلما) تحريف.

ما جاءَ عنهما في تركِ البكاءِ على الديارِ والنهيِ عنهُ



قالَ أَبو تمامٍ[1]:

إِنْ كَـانَ مَسْـعُودٌ سَـقَىٰ أَطْلَالَهُـمْ ❊ سَبَلَ الشُّـؤُونِ فَلَسْـتُ مِـنْ مَسْـعُودِ
ظَعَنُـوا فكـانَ بُكَـايَ حَـوْلاً بَعْـدَهُم ❊ ثُـمّ ارْعَوَيْـتُ، وذاكَ حُكْـمُ لَبِيـدِ
أَجْـدِرْ بِجَمْـرَةِ لَوْعَـةٍ إِطْفَاؤُهَـا ❊ بالـدَّمْعِ أَنْ تَـزْدَادَ طُـولَ وُقُـودِ

قولُهُ: «إِن كانَ مسعودٌ» يعني مسعودًا أَخا ذي الرُّمَّةِ، ولا يعرفُ لهُ بيتٌ واحدٌ بكىٰ فيه علىٰ الديارِ، وهذا من معاني أَبي تمامٍ الغامضةِ التي يُسْأَلُ عنها، وما زلتُ أَرىٰ الناسَ قديمًا يَخْبِطُونَ فيهِ، وإِنما ذكرَ مسعودًا؛ لأَنهُ كانَ ينهىٰ ذا الرّمةِ عن البكاءِ علىٰ الديارِ، وذلك قولُ ذي الرُّمَةِ[2]: [٦٦/ص/أ]

عَشِـيَّةَ مَسْـعُودٌ يقـولُ وقـد جَـرىٰ ❊ علىٰ لِحْيَتِي مِنْ وَاكِفِ الدَّمعِ قَاطِرُ
أَفِـي الـدَّارِ تبكـي إِذْ بكَيْـتَ صَـبابَةً ❊ وأَنت امرؤٌ قد حَلَّمَتْكَ المَعاشِرُ[3]

فأَرادَ أَبو تمامٍ إِن كانَ مسعودٌ الذي أَنكرَ علىٰ ذي الرُّمةِ البكاءَ ونهاهُ عنهُ قد رأَىٰ أَن البكاءَ أَحسنُ بعدَ أَن كانَ عندهُ غيرُ حسنٍ فَلَسْتُ منهُ، وذلكَ كقولِ القائلِ: إِن كانَ حاتمٌ قد شَحَّ فلستُ منهُ، أَي: إِن كانَ بعدَ كرمهِ وجودهِ قد رأَىٰ أَن البخلَ حَسَنٌ فَلَسْتُ مقتديًا بهِ.

(١) شرح الصولي: ١/٣٨٩، شرح التبريزي: ١/٣٨٦، والأبيات من الكامل.
(٢) ديوانه: ٢/١٠١٢.
(٣) ديوانه: (العشائرُ).

وكأَنَّ هذا عندَ أَبي تمامٍ أَبلغُ من أَن يقولَ: إِن كانَ غَيْلَانُ سقَىٰ أَطلالَهِمْ ـ يعني ذا الرمةِ ـ فلستُ منهُ.

وهذا أَيضًا من استقصاءِ أَبي تمامٍ، ومبالغتهِ في المعاني التي يخرجُها إِلىٰ التَّعْمِيةِ والانغلاقِ.

وقولُهُ: «وذاك حُكْمُ لَبيدِ» يريدُ قولَ لَبيدٍ[1]:

إِلىٰ الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا ❊ وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد اعْتَذَرْ

وقولُهُ:

أَجْدِرْ بِجمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا ❊ بالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وُقُودِ

غلط بَيِّن؛ لأَنهُ أَتىٰ فيه بما يخالفُ مذهبَ أَهلِ الجاهليةِ والإِسلامِ، والأَممِ كلها؛ لأَنهمْ مُجْمِعُونَ علىٰ أَنَّ في البكاءِ راحةً من الكَرْبِ، وتبريدًا لحرارةِ الحزنِ، وتَخْفِيفًا من لاعِجِ المصيبةِ، [٦٦/ص/ب] و«طولُ خمود» أَوْلىٰ بالصوابِ من «طولِ وُقودِ» لو كانَ بنىٰ المعنىٰ عليهِ، وقد ذكرت هذا في أَغاليطهِ[2].

وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

---

(١) ديوانه شرح الطوسي، ص٧٤، قدم له د. حنا نصر الحتيّ، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ٢٠١٢.

وقد ذكر الآمدي حديثا طويلا حول هذا البيت، بعضهُ كان في القسمِ المفقودِ من الموازنةِ، وبعضهُ في كتاب الآمدي المفقود: (تفسير معاني أبيات أبي تمام) وقد نقل معظَمها ابن المستوفي في كتابه: (النظام) واسْتَلَلْتُها وأخرجتها في كتابي: (الآمدي بين الموازنة وآثار له نادرة) مكتبة آفاق، الكويت سنة ٢٠١١، انظر: ص١١٣ وما بعدها.

(٢) انظر: ٤١٣/١.

(٣) سبقا ٢١٥/٢.

فعليه السلام لا أُشْرِكُ الأَطْـ ❁ ـلَالَ في لَوْعَتِي، ولا في نَحِيبِي
فسَوَاءٌ إِجابَتِي غَيْرَ دَاعٍ ❁ ودُعَائِي بالقَفْرِ غَيْرِ مُجِيبِ

قولُهُ: «لا أُشْرِكُ الأَطلَالَ في لَوْعَتي» أَي أَجعلُ ذلكَ خالصًا لأَحبتي، أَي لا أَقولُ كما قالَ امرؤ القيسِ:

قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ ومنزلِ

فاستوقفَ ليبكي علىٰ الحبيبِ والمنزلِ معًا.

وقولُهُ: «فسواءٌ إِجابتي» معنىً لطيفٌ، وقد ذكرتُهُ في «بابِ استعجامِ الديارِ عن الجوابِ»، وبَيْتَ البحتريِّ الذي حذا علىٰ حذوِهِ[1].

قالَ البحتريُّ[2]:

يَسَلُ المنازلَ عنهمُ وعلىٰ اللِّوَىٰ ❁ دِمَنٌ دوَارِسُ إِنْ تُسَلْ لا تُخْبِرِ
ومن السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكَفْكِفًا ❁ دَمْعًا علىٰ طَلَلٍ تَأَبَّدَ مُقْفِرِ

وقالَ البحتريُّ[3]:

ما بكَيْنَا عَلَىٰ زَرُودَ ولكِنْـ ❁ ـنا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا في زَرُودِ

وهذا حسنٌ، وأَحسنُ منهُ وأَحلىٰ وأَعذبُ قولُ كُثَيِّرٍ[4]: [٦٧/ص/أ]

وَمَا بِرِبَاعِ الدَّارِ يا أُمَّ مَالِكٍ ❁ ولا بالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ أَهِيمُ

---

(١) انظر: ٢/١٥٧.

(٢) ديوانه: ٢/٨٦٠، والبيتان من الكامل.

(٣) ديوانه: ١/٦٣٢، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ص١٢٦، وجاء البيت الثاني قبل الأول في ديوانه، وفيه: (وما برباع الدار إن كنت عالمًا)، (ولا بمحلِّ الغانيات)، والبيتان من الطويل.

هي الـدّارُ وحْشًـا غيرَ أَنْ قَـدْ يَحُلُّهـا ✤ ويَغْنَـىٰ بِهـا شَـخْصٌ علـيَّ كَـرِيمُ

وقالَ البحتريُّ(١):

لا تَقِـفْ بِـي علَـىٰ الـدِّيارِ فـإِنِّي ✤ لَسْـتُ مِـنْ أَرْبُـعٍ ورَسْـمٍ محِيـلِ

فـي بكـاءِ علـىٰ الأَحبَّـةِ شُـغْلٌ ✤ لأَخِـي الحُـبِّ عـن بُكـاءِ الطُّلُـولِ

وهذا مذهبٌ قد تقدَّمَ الناسُ أَيضًا فيهِ، إِلا أَن البكاءَ علىٰ الديارِ هو المذهبُ الأَقدمُ، والأَعمُّ الأَشهرُ، قالَ امرؤ القيسِ:

قفـا نبـكِ من ذكـرىٰ حبيبٍ ومنـزلِ

فجعلَ البكاءَ للحبيبِ والمنزلِ جميعًا، والرواةُ تزعمُ أَن هذا البيتَ أَحسنُ ابتداءَاتِ العربِ وأَبرعُها وأَجمعُها لعدةِ معانٍ في لفظٍ قليلٍ، واتبعتهُ الشعراءُ علىٰ هذا، وأَكثروا فيهِ القولَ.

وعلىٰ هذا المعنىٰ حذا البحتريُّ قولَهُ(٢):

عرِّجُـوا فالـدُّموعُ إِنْ أَبْـكِ فـي الـرَّبْ ✤ ـعِ دُمُـوعِي والاكتئـابُ اكْتِئـابِي

وكَمِثْـلِ الأَحْبَـابِ ــ لـو يَعلـمُ العـا ✤ ذِلُ ــ عِنـدي مَنـازِلُ الأَحْبـابِ

وكانوا يرونَ الوقوفَ علىٰ الديارِ من الفتوةِ والمروءَةِ وكرمِ العهدِ، [٦٧/ص/ب] ولذلك قالَ أَبو تمامٍ(٣):

أَمَوَاقِـفَ الفِتْيـانِ تَطْـوِي لَـمْ تَـزُرْ ✤ شـرَفًا، ولـم تَنْـدُبْ لَهُـنَّ صَـعِيدَا

---

(١) ديوانه: ١٦٧٨/٣، وفي «ص»: (لا تقف علىٰ الديار...... من رسم)، والبيتان من الكامل.

(٢) سبق ٢٧٨/٢.

(٣) شرح الصولي: ٤٠٣/١، شرح التبريزي: ٤٠٧/١، والأبيات من الكامل.

أَذْكَرْتِنا المَلِكَ المُضَلَّلَ في الهَوَىٰ ❊ والأَعْشَـــيَيْنِ وطَرْفَـــةً ولَبِيـــدَا[1]

حَلُّـوا بِهَـا عُقَـدَ النَّسِـيبِ ونَمْنَمُـوا ❊ مِـنْ وَشْـيِهِمْ نُتَفًـا لهـا وقَصِـيدَا[2]

قولُهُ: «لم تَزُر شَرَفًا» يريدُ ارتفاعًا، «ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدَا» أَرادَ انخفاضًا وهبوطًا فلمْ يستقمْ لهُ ذاكَ فقالَ: «صعيدا»؛ لأَن الصعيدَ الترابُ، وهو يكونُ في أَغْوَاطِ الأَرضِ، وما اطمأَنَّ منها أَكثرُ منهُ فيما علا وارتفعَ.



---

(١) قال التبريزي:
(يعني «بالملك المضلل» امرأ القيس، و«الأعشيان»: أعشىٰ قيس بن ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل، وأعشىٰ باهلة، وهو من قيس عيلان.

(٢) ديوانه: (من وشيها حُلَلًا لها).

ذِكْرُ الفراقِ والوداعِ والترحُّل عن الديارِ والبكاءِ على الظاعنين

وأفتتحُ ذلك بما جاءَ عنهما من الابتداءاتِ في هذه المعاني، وأُبوّبها أبوابًا، لتصحَّ الموازنةُ بينهما.

ما قالاهُ في البكاءِ على الظاعنين

قالَ أبو تمام(١):

يـا بُعْـدَ غايَـةِ دَمْـعِ العـينِ إِذْ بَعُـدُوا ✿ هِـيَ الصـبابةُ طُـولَ الـدهرِ والكَمَـدُ

هذا أجودُ ابتداءاتِهِ في هذا المعنىٰ، وأبلغِهَا.

وأجودُ منه وأحلىٰ [٦٨/٢/أ] قولُ البحتريِّ(٢):

قَلْـبٌ مَشُـوقٌ عَنَـاهُ البَـثُّ والكَمَـدُ ✿ ومُقْلَـةٌ تَبْـذُلُ الـدَّمعَ الـذي تَجِـدُ

قوله: «تبذلُ الدمعَ الذي تَجِدُ» معنىٰ ما لحسنِهِ نهايةٌ، ولفظٌ في غايةِ البراعةِ والحلاوةِ.

وقال أبو تمام(٣):

هِـيَ فُرْقَـةٌ مِـنْ صَـاحِبٍ لَـكَ مَاجِـدِ ✿ فَغَـدًا إِذَابَـةُ كُـلِّ دَمْـعٍ جَامِـدِ

---

(١) شرح الصولي ٤٢٤/١، شرح التبريزي: ١٠/٢. وفيهما (إن بعدوا✱✱طول الدهر والسهد)، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ٤٩٥/١، والبيت من البسيط.

(٣) شرح الصولي ٣٩٩/١، شرح التبريزي: ٤٠١/١، والبيت من الكامل.

وهذا ابتداءٌ جيدٌ.

وقالَ البحتريُّ(١):

رَحَلُوا فأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ ❊ أَسَفًا، وأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ

هذا أَيضًا ابتداءٌ جيدٌ حسنٌ.

وقالَ أَيضًا(٢):

أَكُنْتَ مُعَنِّقِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ❊ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي في الهُمُولِ

وقالَ أَيضًا(٣):

إنَّ سَيْرَ الخَلِيطِ يَوْمَ اسْتَقَلَّا ❊ كانَ عَوْنًا للدَّمْعِ حينَ تَوَلَّى

وقالَ أَيضًا(٤):

لَمْ تَبْلُغِ الحقَّ، ولم تُنْصِفِ ❊ عَينٌ رأَتْ بَيْنًا فَلَمْ تَذْرِفِ

وهذه كلُّها ابتداءاتٌ جيدةٌ، عذبةٌ، شهيةٌ.

وقالَ أَيضًا(٥):

دَعْ دُموعي في ذلكَ الاشْتِياقِ ❊ تَتَنَاجَىٰ بذكرِ يَوم الفِرَاقِ

[٢/٦٨/ب] وهذا بيتٌ رديءٌ، قد عابَه «ابنُ المعتز» وقال: ما أقبحَ قولَه: «في ذلك الاشتياقِ»، وهي ـ لعمري ـ قبيحةٌ، ولا أعرفُ له مثلها.

---

(١) ديوانه: ١/٧٨، وفي «ص»: (فأي عبرة). والبيت من الكامل.
(٢) ديوانه: ٣/١٧٣٦، والبيت من الوافر.
(٣) ديوانه: ٣/١٦٥٥، والبيت من الخفيف.
(٤) ديوانه ٣/٣٦٠، والبيت من السريع.
(٥) ديوانه: ٣/١٤٦١، والبيت من الخفيف.

ما لأبي تمامٍ في البكاءِ على النساءِ المفارقاتِ

قالَ أبو تمام[1]:

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوىٰ غَدِ ❊ وعَادَ قَتَادًا عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ

قولُه: «سَرَتْ» يريدُ أنَّها سهرتْ فكأنَّها قطعتْ الليلَ بالسهرِ، مُسْتَجِيرَةً بالدمعِ، تبكي ليلَها أجمعَ، ولم يردْ أنَّها سارت ليلًا، فجعلَ سهرَها سُرًىٰ، وفسَّرَ ذلك بقوله: «وعَادَ قَتَادًا عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ».

وهذا ابتداءٌ ليسَ من جيِّد الابتداءاتِ، ولا من رديئِها.

وقالَ أَيضًا[2]:

بُدِّلَتْ عَبْرَةً مِنَ الإِيماضِ ❊ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بالأَغْرَاضِ

«الإِيمَاض» أراد تبسمها وبريقَ[3] ثغرِها، جعله مِثْلَ وَمِيضِ البرقِ.

يريدُ أنها بُدِّلَتْ من الضحكِ البكاءَ لمَّا استعدوا للرحيلِ.

وهذا ابتداءٌ جيدٌ.

وقد عابه «ابنُ عمّار» وغيره لقوله: «الأغراض»، ولَحَّنُوه، وقالوا: الأغراض جمع غَرْض، وفَعْلٌ لا يجمع علىٰ أفْعَال.

---

(١) شرح الصولي: ٤٣١/١، وفيه: (غدت تستجير)، وشرح التبريزي: ٢٢/١، وقال: (من روىٰ «غدت» فإنما أراد مجانسة لفظ «غيد»).

(٢) شرح الصولي: ٦٠٩/١، وشرح التبريزي: ٣٠٨/٢، والبيت من الخفيف.

(٣) «ص»، «ر»: (وبويق تغره).

أَفَمَا[1] سمعوا بقولهم: فَرْخٌ وأَفراخٌ، وفَرْدٌ وأفرادٌ، وشَكْلٌ وأَشكالٌ، وجَفْنٌ وأجفانٌ، وعَصْرٌ وأَعصارٌ، وزَنْدٌ [٦٩/٢/أ] وأَزنادٌ؟!

وقول الأَعشى[2]:

وزَنْــدُكَ أَثْقَــبُ أَزْنَادِهــا

وقولهم أَيضًا: شَرْطٌ وأَشْراطٌ، وقولُ الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[3] فقد نطقتْ العربُ بهذا الجمعِ بعينِهِ، قال الراجزُ في وصفِ الإِبلِ[4]:

حَتَّــى إِذَا مَــا قَلِقَــتْ أَغْرَاضُــهَا ❊ ونَضَــحَتْ بمائِهــا أَعْرَاضُــهَا

وقال غَيْلَانُ بنُ حُرَيثٍ الرَّبَعي[5]:

بِكــلِّ سَــامٍ فــي الزِّمَــامِ نَهَّــاضْ ❊ خَيَّسَــهُ بالــذُّلِّ رَوْض الــرُّوَّاضْ

في قُلُصٍ تَمْطُو سَفِيفَ الأَغْرَاض[6]

في قُلُصٍ تَمْطُو سَفِيفَ: نَسِيج، والأَغْرَاض: جمع غَرَض، وهو للبعيرِ مثلَ الحزامِ للفرسِ.

وأَنشدنا الأَخفشُ لرجلٍ من طيِّئ[7]:

إِذا العــيسُ أَضْــحَتْ بــالفلاةِ كأَنَّهــا ❊ وقــد قلِقَــتْ أَغْرَاضُــهُنَّ جُفُــونُ

(١) «ص»، «ر»: (إنما).

(٢) ديوانه: ٧٣، وصدره: وُجِدْتَ إذا اصطلحوا خيرهم. والبيت من المتقارب.

(٣) [سورة محمد ﷺ: آية ١٨].

(٤) لم أجده فيما بين يديّ من مراجع.

(٥) لم أعرفه ولم أجد الأبيات فيما بين يدي من مراجع. وخيَّسَهُ: أذلّه.

(٦) تمطو: تمد.

(٧) لم أجده فيما بين يديّ من مراجع.

ومثلُه في الشعرِ ـ إذا تتبَّعتَهُ ـ كثيرٌ(١).

وقالَ أَبو تمام(٢):

بَسَطَتْ إِليكَ بَنَانَةً أُسْرُوعَا ❊ تَصِفُ الفِراقَ، ومُقْلَةً يُنْبُوعَا

وهذا ابتداءٌ ليسَ بالجيدِ، ولا بالرديءِ.

والأَسْروع: دُوَيبَّةٌ ناعمةٌ تكونُ في الرملِ تشبَّه بها أَصابعُ النساءِ.

وقالَ أَيضًا(٣):

نَثَرتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ ❊ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ

[٢/٦٩/ب] وقال أَيضًا(٤):

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الفَرِيدِ ❊ وَهِيَ سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرٍ وَجِيدِ

---

(١) وللآمدي تعليق يختلف نصه عما يورد هنا وإن كان المعنىٰ واحدًا، وقد نقله ابن المستوفي في النظام: جـ ٢ لوحة ١٣١.
قال: (وقال الآمدي: وأنشد هذا البيت أيضًا وقال: «بدلت عهد من الإيمان»: قرأت أخباره أنه أنشد أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني هذه القصيدة، فأنكر عليه (الأغراض)، وقال العرب: لا تجتمع غرضة علىٰ أغراض، وإنما تقول: غُرَّضة وغُرُض، وهي للبعير مثل الحزام للفرس. وجعل الناس يعيبونه في ذلك ويخطئونه فيه، ولست أدري ما وجه تخطئته له، لأنه يقال، غُرْضة، وغَرْضٌ للواحد، فإذا جمعت غُرْضة قلت: غُرُض، وإذا جمعت غرضًا قلت: أغراض، مثل فرخ وأفراخ وعصر وأعصار وجفن وأجفان، وزند وأزناد «وزندك أثقب أزنادها، ومثل أمثالًا كثيرة، وقال: وقد نطقت به الشعراء، «وساق الأبيات السابقة»).
(٢) شرح الصولي: ١٦٠/٣، وفيه: (إليّ أناملًا)، وشرح التبريزي: ٣٩٠/٤، وفيه: (إليّ بنانةً).
(٣) شرح الصولي: ٤٢٤/٢، شرح التبريزي: ٢٤٨/٣، وفيهما «ينظم»، والبيت من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ٤٣٥/١، شرح التبريزي: ٣٢/٢، والبيت من الوافر. قال التبريزي (أي أظن دموع هذه المرأة مستنة استنان الفريد، والفريد: الدر، وأراد بسنن الفريد ما يسقط منه، وإنما أخذ من قولهم: سن الماء يسنه سنًا إذا صبه صبًا سهلًا).

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال[1]:

ذَرِينِــي مِنْــكِ سَــافِحَةَ المــآقِي ❁ ومِــنْ سَــرَعَانِ عَبْرَتِــك المُــرَاقِ

وهذا قولٌ فيه جفاءٌ.

ووجدتُ الناسَ يستحسنونَ قوله[2]:

خُـذِي عَبَـرَاتِ عَيْنـكِ عَـنْ زَمَـاعي ❁ وصُــونِي مَــا أَزَلْــتِ مِــنَ القِنَــاعِ

زَمَاعه: إِزْمَاعُه الرحيل، يقال: أَزْمَعَ يُزْمِعُ.

وقوله: «وصُونِي ما أَزَلْت من القناع» لأنَّها برزتْ عندَ الفراقِ جزعًا، وكشفتْ القناعَ.



(١) شرح الصولي: ٢/١٢٠، شرح التبريزي: ٢/٤٢٣، والبيت من الوافر

(٢) شرح الصولي: ٢/٢١، شرح التبريزي: ٢/٣٣٦، والبيت من الوافر

ومن ابتدائهما من باب الفراقِ في معانٍ شتَّى

١ ـ قالَ أبو تمام[1]:

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَىٰ بِسُعَادِ ❊ فَهِيَ طَوْعُ الإِتْهَامِ والإنجادِ

٢ ـ وقالَ أيضًا[2]:

أَلَا صَنَعَ البينُ الذي هو صانعُ ❊ فإن تَكُ مِجْزَاعًا فما البينُ جازِعُ

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

وقالَ أيضًا[3]:

أَصْغَىٰ إِلَىٰ البين مُغْتَرًّا فلا جَرَمَا ❊ أَنَّ النَّوَىٰ أَسْأَرَتْ في عقْلِه لَمَمَا

[١/٢/٧٠] قولُه: أَصْغَىٰ إِلَىٰ البينِ، أي سَمِعَ[4] ما أَخبروه به من ذكرِ الفرقةِ فغَيَّر ذلك من عقلِهِ، ويريد باللممِ: الجنونَ.

وقد أَوضحَ هذا المعنىٰ في البيتِ التالي، وهو قوله:

أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ ❊ هلْ كُنْتَ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَمَا

---

(١) شرح الصولي: ١/٣٧٣، شرح التبريزي ١/٣٥٦، ونقل التبريزي شرح الخارزنجي: (أي بعدت النوىٰ بمواتاة سعاد وإياها في وجوهها، نختصر بها حرة إلىٰ تهامة، وحرة إلىٰ نجد). والبيت من الخفيف.

(٢) شرح الصولي: ٣/٦٢٣، شرح التبريزي ٤/٥٨٠، والبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ٢/٤٣٢، شرح التبريزي ٣/١٦٥، وفيه (في قلبه)، وأسأرت: أبقت، واللمم: الجنون.

(٤) «ص»: (أسمع).

أَي صرتُ لا أَفهمُ شيئًا بعدَ ذلك السرِّ الذي دلَّهَنِي، وأَطارَ[1] عقلي، فكأَني أَصمٌّ عنْ كلِّ قِيل.

وهذا المعنىٰ ليسَ من اختراعاتِهِ، وقد ذكرته في سرقاتِهِ، وما جاءَ في معناه لغيرِ واحدٍ من الشعراءِ.

وقال[2]:

أَهْلُوكِ أَضْحَوْا رَاحِلًا ومُقَوِّضَا ❊ ومُزَمِّمًا يَصِفُ النَّوىٰ ومُغَرِّضَا

المقُوِّضُ: الذي يُقَوِّض البيوتَ، ويقتلعها للرحيلِ[3]، ومُزَمِّمًا يَصِفُ النَّوَىٰ: الذي يزمم الإِبل والأَزِمَّةِ، [ومغرضًا][4] يشدها بالغَرَض. وهو كالحزام للفرس.

وهذا ابتداءٌ صالحٌ.

وقال أَيضًا[5]:

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ❊ وعادتْ صَبَاه في الصِّبا وهي شَمْأَلُ

قال ذلك لأَنَّ الصَّبَا: ريح تُحِبُّها العربُ محبتَها للجنوب؛ لأَنَّها ريحٌ ليِّنةٌ عذبةٌ، وقد تَجْلِبُ المطرَ في بعضِ أقطارِ الأرضِ كما تَجْلِبُه الجنوبُ، قال امرؤ القيس[6]:

---

(١) «ص»: (وأطال).

(٢) شرح الصولي: ٦٠٥/١، شرح التبريزي: ٣٠١/٢، وفيه (شاخصًا ومقوضًا)، والبيت من الكامل.

(٣) «ص»، «ر»: (للرحل).

(٤) «ص»، «ر»: (يزمم الإبل الأزمة!!؟)، ومغرضًا: ساقطة منهما. والأزِمّةِ: جمع زما، وهو الحنط الذي يشد في طرفه المقود: وقد يسمىٰ المقود: زمام (اللسان: زمم).

(٥) شرح الصولي: ٢٩٧/١، شرح التبريزي ٧٢/٣، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه بشرح أبي سعيد السكري: ص ٦٢٨، والبيت من الرمل.

[٢/٧٠/ب] رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُم انْتَحَىٰ ✤ مَنْــه شُــؤْبُوبُ جَنُــوبٍ مُنْفَجِــرْ

فأَراد أَنَّ صَبَاه ـ أَي ريحُهُ في الصَّبَا التي كانت تُولفُ له ما يهواه ويحبُّهُ مع من يحبّه ـ عادَت شمالًا ؛ لأَنَّ الشمال في أَكثرِ نواحي الأَرضِ لا تُولِّف السحاب ؛ بل تَمْحَقُه وتُشتِتُه[١] كما قال[٢]:

لعمري لـئن ريحُ المـودَّة أَصْبَحَتْ ✤ شـمالًا لَقِـدْمًا كُنْـتُ وهـي جَنُـوبُ

وقال أَبو تمام[٣]:

تَصَدَّتْ وحَبْلُ البَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ ✤ وقـد سـهَّلَ التَّوْدِيـعَ مـا وَعَّـرَ الهَجْـرُ

تصدَّت: أَي بدتْ، وظهرتْ، ومُسْتَحْصِدٌ: شديدُ الفَتْلِ، والشَّزْرُ: الفتلُ إِلىٰ فوق، واليَسَرُ: الفتلُ إِلىٰ أَسفل.

وقوله: «وقد سهَّل التوديعُ ما وعَّرَ الهَجْرُ» يريد أَنَّها كانتْ هاجرةً فبرزت عند التوديعِ.

وقال أَيضًا[٤]:

مَــالِي بِعَادِيَــةِ الأَيَّــامِ مِــنْ قِبَــلِ ✤ لَمْ يَثْنِ كَيْدَ النَّوَىٰ كَيْدِي ولا حِيَلِي

وهذا من جيدِ ابتداآتِ هذا البابِ.

وقال البحتري[٥]:

---

(١) في «ص»، «ر» والمطبوع: (تشبينه) تحريف.

(٢) البيت ليزيد بن الطثرية، كما في شعر يزيد بن الطثرية، ص٦١ صنعة حاتم صالح الضامن، مطبعة أسعد بغداد. والبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ٣/٦٠٨، شرح التبريزي: ٤/٥٦٧، والبيت من الطويل.

(٤) شرح الصولي: ٢/٢٣٠، شرح التبريزي: ٣/٨٨، والبيت من البسيط.

(٥) ديوانه: ٣/١٨٣١، وهو من الخفيف.

رَاجَــعَ القَلْـــبَ بَثُّـــهُ وخَبَالُـــهُ ❊ لِخَلِــيطٍ زُمَّـــتْ لِبَــيْنٍ جِمَالُـــهْ

وقال أيضًا[1]: [٧١/٢/أ]

لَـهُ الوَيْـلُ مِـنْ لَيْـلٍ بِطَـاءٍ أَوَاخِـرُهْ ❊ ووَشْـكِ نَـوَى حَـيٍّ تُـزَمُّ أَبَـاعِرُهْ

وقالَ أيضًا[2]:

شَـطَّ مِـنْ سـاكِنِ الغُـوَيْرِ مَـزَارُهْ ❊ وَطَوَتْـهُ الــبِلادُ فــاللهُ جَــارُهْ

وقالَ أيضًا[3]:

إِذَا عَرَضَـتْ أَحْـداجُ سَـلْمَىٰ فَنَادِهَـا ❊ سَـقَتْكِ رَوَايَـا المُـزْنِ صَـوْبَ عِهَادِهَـا

وقالَ أيضًا[4]:

تَظُـــنُّ شُـــجُونِيَ لَـــمْ تَعْـــتَلِجْ ❊ وقَـدْ خَلَـجَ البَـيْنُ مَـنْ قَـدْ خَلَـجْ

وقال أيضًا[5]:

بِمِثْـــلِ لِقَائِهــا شُــفِيَ الغَلِيــلُ ❊ غَــدَاةَ تَزَايَلَــتْ تِلْــكَ الحُمُــولُ

وقال[6]:

فُــؤَادٌ بِــذِكْرِ الظَّــاعِنِينَ مُوَكَّــلُ ❊ وَمَنْـزِلُ حَـيٍّ فيـهِ للشَّـوقِ مَنْـزِلُ

وقال أيضًا[7]:

---

(١) ديوانه: ٢/٨٧١، وفيه: (تطاول أخوه) والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٢/٩١٧، والبيت من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٢/٦٧٤، والبيت من الطويل. والأحداج: من مراكب النساء، كالمحفَّة.

(٤) ديوانه: ١/٤١٩، والبيت من المتقارب.

(٥) ديوانه: ٣/١٨٢٢، والبيت من الوافر

(٦) ديوانه: ٣/١٧٩٢، وفي «ص»: فؤاد مذكر: تحريف، والبيت من الطويل.

(٧) ديوانه: ٢/٨٧٠، والبيت من الطويل.

لِمَا وَصَلَتْ أَسماءُ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ ❁ وإِنْ حُمَّ بالبَيْنِ الذي لم نُرِدْ قَدْرُ

وقالَ أَيضًا(١):

عَلَىٰ الحيِّ سِرْنَا عَنْهُمُ وأَقَامُوا ❁ سَلَامٌ، وهَلْ يُدْنِي البَعِيدَ سَلَامُ؟

وقال أَيضًا(٢):

لَأَوْشَكَ شَعْبُ الحَيِّ أَنْ يَتَفَرَّقَا ❁ فَيُدْنِي الجَوَىٰ، أَو يَرْجع الحبّ أَوْلَقَا

[٢/٧١/ب] أَي يصير الحبُّ جُنونًا، وهذا كقول أَبي تمام:

أَسَارَتْ فِي عَقْلِهِ لِمَمَا(٣)

وقال(٤):

عَادَ لِلصَّبِّ شَجْوُهُ واكْتِئَابُهْ ❁ بِبِعَادِ الذي يُرَادُ اقْتِرَابُهْ

وقال أَيضًا(٥):

أَصُدُودٌ غَلَا بِهَا أَمْ دَلَالُ ❁ يَوْمَ زُمَّتْ بِرَامَةَ الأَجْمَالُ

---

(١) ديوانه: ٢٠٦٦/٤، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ١٥٠١/٣، والبيت من الطويل، وفيه: (فيدمىٰ الجوىٰ)، (أو يصبح الحب)، والأولق: مس الجنون. ونقل ابن المستوفي تعليقا للآمدي، يختلف نصه عن ما ورد هنا لأنه لا يختلف عنه في المعنىٰ، وإن كان قد أوجز فيه قال:
(قال الآمدي: جاء بالشمال هاهنا لأنها تفرقه السحاب وتبدوه، كما أن الجنوب تؤلفه وتجمعه، فقال: «وعادت صباه، وكان الأجود أن لو قال: «وعادت جنوبه»، وإنما أراد التجنس بين بالقتبا والقتبىٰ، إلا أن الصبا أيضًا ريح تحمد في هذه الحال، فأراد أنها عادت شمالا أي مفرقة).

(٣) سبق ٢٩٠/٢.

(٤) ديوانه: ١١٥/١، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ١٨١٠/٣، والبيت من الخفيف.

وهذه كلُّها ابتداآتٌ جيادٌ، حسانٌ، مختارةُ المعاني.

وقالَ أبو تمام[1]:

يـومَ الفِـراقِ لقـد خُلِقْـتَ طَـوِيلَا ❊ لَـمْ تُبْـقِ لـي جَلَـدًا، ولا مَعْقُـولَا

فجعلَ يومَ الفراقِ طويلًا.

وقال البحتريُّ كأَنه يَرُدُّ هذا المعنىٰ[2] علىٰ أَبي تمام، ويَنْسُبُ يومَ الفراقِ إلىٰ القصرِ، وَذَكَر العلةَ في ذلك فقال[3]:

ولَقَـدْ تَأَمَّلْـتُ الفِـراقَ فَلَـمْ أَجِـدْ ❊ يـومَ الفِـراقِ عَلَـىٰ امْـرِئٍ بِطَوِيـلِ

قَصُـرَتْ مَسَـافَتُهُ علـىٰ مُتَـزَوِّدٍ ❊ مِنْـهُ لِـدَهْرِ صَـبَابَةٍ وعَوِيـلِ

وهذه إِنما هي حالُ منْ كانَ محبوبُهُ محجوبًا منه، ورؤيتُهُ متعذرةٌ عليه قبلَ يومِ الفراقِ.

وقد بيَّن هذا المعنىٰ بقوله[4]:

[١/٢/٧٢] إنَّ لِلْبَـيْنِ منَّـةً لَـنْ تُـؤَدَّىٰ ❊ وَيَـدًا فـي تُمَاضِـرٍ بَيْضَـاءَ

حَجَبُوهـا حتَّـىٰ بَـدَتْ لِفِـرَاقٍ ❊ كـانَ داءً لِعَاشِـقٍ ودَوَاءَ

أَضْـحَكَ البـينُ يـومَ ذاكَ وأَبْكَـىٰ ❊ كـلَّ ذي صـبْوَةٍ، وسَـرَّ وسَـاءَ

فَجَعَلْنَـا الـوَدَاعَ فيـه سَـلَامًا ❊ وجَعَلْنَـا الفِـرَاقَ فيـه لِقَـاءَ

وهذا مذهبٌ صحيحٌ، ومعنىٰ واضحٌ.

---

(١) شرح الصولي: ٢/٢٩٠، والبيت من الخفيف.

(٢) «ص»، «ر»: (كان يريد بهذا.....).

(٣) ديوانه: ٣/١٦٦٣، والبيتان من الكامل.

(٤) ديوانه ١/١٤، والأبياتُ من الخفيف. وفي ديوانه: (ما تؤدي).

وقالَ البحتريُّ أَيضًا[1]:

وِيــومَ تَــلَاقٍ فــي فِـرَاقٍ شَـهِدْتُهُ ❁ بِعَـيْنٍ إِذا نَهْنَهْتُهـا دَمَعَـتْ دَمَـا

فكيف يكونُ يومَ تلاقٍ طويلاً؟

وقالَ في نحوِهِ أَيضًا[2]:

إِنَّ الفِـراقَ جَـلَا لنَـا عَـنْ غَـادَةٍ ❁ بَيْضَـاءَ تَجْلُـو عَـنْ شَـتِيتٍ أَشْـنَبِ

أَلْـوَتْ بِمَوْعِـدِهَا القَـدِيمِ وأَيْأَسـتْ ❁ مِنْـه بِلَـيٍّ بَنَانَـةٍ لَـمْ تُخْضَـبِ[3]

وقال أَيضًا فيما يؤكِّدُ هذا المعنىٰ، ويزيدُهُ صحةً[4]:

مِـنْ وراءِ العُيُـونِ كُثْبَـانُ رَمْـلٍ ❁ تَتَثَنَّـىٰ أَفْنَـانُهُنَّ فُنُونَـا

وَبِـوُدِّ القُلُـوبِ يَـوْمَ اسْـتَقَلَّتْ ❁ ظُعُـنُ الحَـيِّ أَنْ تكُـونَ عُيُونَـا

وقد قالَ بعضُ الأَعرابِ، أَنشدناه الأَخفشُ عن المبردِ[5]:

جـزىٰ اللهُ يـومَ البـينِ خَيْـرًا؛ فإِنَّـهُ ❁ أَرَانَـا - علىٰ علَّاتِهـا - أُمَّ ثَابِـتِ

تُبَاهِي بها الأَرضُ السماءَ إِذا مَشَتْ ❁ عَلَيْهـا وتُحْيِـي غَشْـيَةَ المُتَمَـاوِتِ[6]

---

(١) ديوانه ٤/٢٠٨٧، والبيت من الطويل

(٢) ديوانه: ١/٢٨٦، الثغر والشتيت والمفلّج، والأشنب: ذو الأسنان البيض الحسنة. والبيتان من الكامل.

(٣) ديوانه: (وآيست).

(٤) ديوانه: ٤/٢١٦١، وفيه، (من وراء السجوف).

(٥) البيت الأول في وفيات الأعيان: ٣/١٢٢ ولم ينسب، وفي المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء، مجمع اللغة العربية بدمشق ١/٧٦. ينسبه إلىٰ ابن ميادة، ولم أجد البيتين في ديوانه.
وفيهما جميعا: (علا علاته) والبيتان من الطويل.

(٦) لم أجد البيت فيما بين يدي من مراجع، وفي «ص»: (عشية المماوت)، والتصحيح من «ر».

[٢/٧٢/ب] وقالَ بعضُ الظرفاءِ(١):

مَـنْ يَكُـنْ يَكْـرَهُ الفِـراقَ فـإِنِّي ❁ أَشْـتهيه لِمَوْضِـعِ التَّسْـلِيمِ
إِنَّ فيـه اعْتِنَاقَـةً لِـوَدَاعٍ ❁ وانتظـارَ اعْتِنَاقَـةٍ لِقُـدُومِ

وقالَ البحتريُّ(٢):

مـا كَفَـىٰ مَوْقِـفُ التَّفـرُّقِ حتَّـىٰ ❁ عَـادَ بِالبَـثِّ مَوْقِـفُ الإِجْتمـاعِ
أَعِنَـاقُ اللقـاءِ أَثْلَـمُ فـي الأَحْـ ❁ ـشاءِ والقَلْـبِ، أَمْ عِنَـاقُ الـوَدَاعِ؟

وقال أَيضًا(٣):

لَـمْ يَكُـنْ يَوْمُنَـا طَـوِيلًا بِنُعْمَـا ❁ نَ وَلِكـنْ كَـانَ البُكَـاءُ طَـوِيلَا

وإِنما ذهبَ أَبو تمامٍ في معنىٰ طول يومِ الفراقِ إلىٰ ما يعهدُهُ الناسُ، ويتعارَفُونَهُ من أَنَّ وقتَ البؤسِ، وزمانَ المحنةِ أَبدًا طويلٌ، ولعلَّه ما كانَ مَهْجُورًا قبلَ يوم الفراقِ، ولا كانت حالَه التي وَصَفَهَا البحتريُّ.

وعلىٰ أَنَّ البحتريَّ قد ذهبَ إلىٰ مثل ما ذهب إليه أَبو تمامٍ فقال(٤):

يـا ابْنَـةَ العَـامِرِيِّ عَمَّـا قَلِيـلٍ ❁ يـأْذَنُ الحَـيُّ -فـاعْلَمِي- بالرَّحِيـلِ
قـد سَـمِعْتُ الغُـرابَ يَـذْكُرُ بَيْنَـا ❁ وانْصِـرَامًا لِحَبْلِـكِ المَوْصُـولِ

---

(١) البيتان في نهاية الأرب ٢/٢٣٣، وفي المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ٢/٢٠٢، ونسب فيهما الى أبي حفص الطريحي مولىٰ المهدي، ولم ينسبا في بهجة المجالس ١/٢٤٩، والبيت الأول مع بيتين آخرين نسبهم أبو منصور الثعالبي إلىٰ ابن الحجاج ٣/٨٨، والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٤٧، والبيتان من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٣/١٧٦٧، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ٣/١٦٧٧، والأبيات من الخفيف، وفيه: (يوعد بينًا).

[٧٣/٢/أ] كيفَ لي بالسُّلوِّ لا كيفَ والبَيْـ ❁ ـنُ نَـازِلٌ بِخَطْـبٍ جَليـلِ
إنَّ يَـوْمَ النَّـوَىٰ لَيَـوْمٌ طَوِيـلٌ ❁ لَـيْسَ يَفْنَـىٰ، ويـومُ حُـزْنٍ طَوِيـلِ

وإنما قالَ البحتريُّ هذا لأنَّ منْ يهواهُ كانَ مُوَاصِلًا له، وذلك قولُهُ: «وانْصِرامًا لحبلك المَوْصُول».

ولم يقنع بأَن قال: «إنَّ يومَ النَّوىٰ لَيَوْمٌ طويلٌ» حتىٰ قال: «ليس يفنىٰ، ويوم حزن طويل».

فلعلَّ أَبا تمامٍ كانتْ هذه حالُهُ أَيضًا في مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ، واستطالَ يومَ الفراقِ لذلك.

ومن رديء ابتداآت أبي تمام في هذا الباب قولُهُ(١):

هُـنَّ عَـوَادِي يُوسَـفٍ وصَـوَاحِبُهْ ❁ فَعَزْمًـا فَقِـدْمًا أَدْرَكَ النَّـأْيَ طَالِبُـهْ

وإنَّما جَعَلَهُ رديئًا قولُهُ: «هُنَّ» فابتدأ بالكنايةِ عن النساءِ، ولم يجرِ لهنَّ ذكرٌ بعدُ.

ثم قالَ: «عوادي يوسفٍ»، ومعناها صَوَارِفُ، يقالُ: عداني عنكَ(٢) كذا:

---

(١) شرح الصولي: ٢٨٩/١، وفيه: (أهن)، (أدرك الثأر)، شرح التبريزي: ٢١٦/١، وفيه: (أدرك السؤل)، وقال أبو العلاء: وربما جعلت في أوله الألف وهو أحسن في السمع وأجود، وقال ابن المستوفي في النظام ج ١ لوحة ١٠٥: (قول أبي العلاء: «وربما جعلت في أوله الألف وهو أحسن في السمع وأجود» صحيح إلا أن الراوية «هن» مجزوما علىٰ طريق الإخبار، وعليه المعنىٰ، وأما مع الاستفهام ففاسد).
وقلت: روت النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام برواية أبي علي القالي ـ وأغلب القصائد منقولة فيها من القراطيس المكتوبة بخط أبي تمام ـ «هن» بدون ألف الاستفهام، وقال أمام القصيدة (وقال يمدح عبد الله بن طاهر: «وصحت عن خطه من القرطاس»).

(٢) في «ص» كلمة (عنك) مصححة بخط مختلف إلىٰ (عنه) والتصحيح من «ر».

أي صَرَفني ، أَراد: هُنَّ صَوَارِفُ يوسف ، وصواحبُه ، وصوارفُ ههنا لفظةٌ ليستْ قائمةً بنفسها ؛ لأَنَّه يحتاجُ أَن يُعْلَم صوارفُهُ عن ماذا ، واللفظةُ القائمةُ بنفسها أَنْ لو قال: «فواتن يوسف» ، أَو «شواغف [٢/٧٣/ب] يوسف» ، أو نحو ذلك ، وكأَنَّه أرادَ صوارفَ يوسفٍ عن تقاه ، أَو عن هداه ، أو عن صحيحِ عزمِهِ حتىٰ همَّ بالمعصيةِ ، وإِنَّما يتم معنىٰ الكلمةِ بمثلِ هذه الأَلفاظِ أَلَوْ وَصَلَها بها .

ثم أَلحقَ بيوسف التنوينَ ، فجاءَ بثلاثةِ أَلفاظٍ متواليةٍ كلها رديئة في موضعِها .

وتمَّمَ البيتَ بعجزٍ لا يليقُ بصدرِهِ ، وهو أَردأُ معنىٰ من الصدرِ ، وذلك قوله: «فَعَزْمًا فَقِدْمًا أَدْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُه» .

فتصير جملة معنىٰ البيت: هُنَّ صَوَارِفُ يوسفٍ فَاعْزِمْ ؛ فَقَدِيمًا أَدْرَكَ البُعْدَ طالبُه .

وهذا كلامٌ لا يلائمُ بعضُهُ بعضًا ، ولا يتشابَهُ ، وإِنما كانتْ أَلفاظُهُ ومعانيهِ تتشابَهُ لوْ قالَ:

هُـــنَّ عَـــوَادِي يوســـف وصَـــوَاحِبُهْ ❁ فـلا يَعْـدُوَنَّكَ مَطْلَـبٌ أَنـتَ طَالِبُـهْ

أَو «فلا يَعْدُوَنَّك العَزْمُ فيما تُطالِبُهْ» ، أَي لا يتجاوزْك .

أَو «فلا تَعْدِلَنْ عن مطلبٍ أنت طالبُهْ» ، أَي هُنَّ صوارفُ يوسفٍ عن عزمِهِ ، فلا تنصرفْ أَنت عن عزمِك ومطلبِك لِعَذْلِهنَّ ، ومن أَجلِهنَّ .

وقد عابَ أَبا تمامٍ بهذا البيت أَبو سعيدٍ الضَّرِيرُ وأَبو العَمَيْثَلِ الأَعْرَابيّ[1] ،

---

(١) جاء تعليق الآمدي على البيت في كتابه (شرح معاني أبيات أبي تمام) المفقود ، والذي نقله ابنُ المستوفي في كتاب النظام فقال: (قال الآمدي:
التدام النساء ، إنما هو ضرب الصدور في الناحية ، ويقال لمن يضربن صدورهن بجلود يتخذنها ،=

وكانا علىٰ خزانةِ الأَدبِ لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ بخراسانَ [١/٢/٧٤] وكان الشاعرُ إذا قصدَهُ، عرضَ عليهما شعرَهُ، فإنْ كانَ جيدًا عرضاهُ عليه، أَو دُعِيَ به فأَنشده، وإن كان رديئًا نبذاه، ودفعَ إِلىٰ صاحبِهِ البرَّ علىٰ غير الشِّعرِ، فلما قَدِمَ أَبو تمامٍ علىٰ عبدِ اللهِ قصدَهُما، ودفعَ القصيدةَ إليهما فَضَمَّاها إلىٰ أَشعارِ الناس، فلما تصفَّحَا الأَشعارَ مرّتْ هذه القصيدةِ علىٰ أَيديهما، فلما وقفا علىٰ الابتداء طرحاها مع الشعرِ المَنْبُوذِ.

= فجعلهن أبو تمام ههنا يضربن بالجلود خدودهن، والعادة لم تجر بذلك، إلا أن هذا ممَّا يتسامح له في مثله؛ لأن اللدم في غير هذا الموضع، دقُّكَ الشيء بالشيء، كما قال الشاعر:

لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

وكان يجب أن يستعمل التدام النساء بحيث استعملته العرب فيقول كما قالوا، ويقف بحيث وقفوا؛ فإن ضرب الوجه، وضرب الصدر وإن كانا جميعًا علىٰ قياس اللغة دقًّا فإن ضرب الوجه لا يسمىٰ لدمًا، وإنما يسمىٰ لطمًا، ويسمىٰ ضرب الصدر لدمًا واللغة لا يقاس عليها).

(ولست أنكر أن بعض النساء من شدة الحزن تعدل باللدم إلىٰ الخدود، فيكون ذلك لطما، إلا أن المعروف أنهن يضربن نحورهن، كما قال الأعشىٰ:

جـــدير بطعنـــة يـــوم اللقـــا ❊ ء تضـــرب منهـــا النســـاء النحـــورا)

قال المبارك بن أحمد:

لما نسخت كتاب الآمدي في معاني شعر أبي تمام، عرض لي إذ ذاك ما لقيته في طرة نسختي وهو: ذكر الجوهري في كتابه قال الأصمعي: اللدم ضرب بالحجر، أو الشيء يقع بالأرض وليس بالصوت الشديد، وفي الحديث: «لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتىٰ تخرج فتصاد، ثم يسمىٰ الضرب لدمًا، يقال: لدمتُ ألدم لدمًا (هكذا وقد يكون لدمت الأرض لدما) كما قال الشاعر: (وساق بيت تميم بن أبي بن مقبل). فأما لادم وقوم لدم، مثل خادم وخدم، ولدمت المرأة وجهها: ضربته.

ثم قال بعد ذلك الكلمات: والتدام النساء: ضربهن صدورهن في الناحية.

وقال ابن فارس في كتابه: (اللدم ضرب الحجر بالحجر، والتدام النساء: ضرَبهن وجوههن وصدورهن في الناحية، فعلىٰ كلا قوليهما لا اعتراض علىٰ أبي تمام، ولا تسامح في استعماله لأنهما ذكرا اللدم للوجه أيضًا: فصح بذلك بيته، وهذ كتبته في صفر من سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

فأَبطأَ خَبَرُها علىٰ أَبي تمامٍ فكتبَ إِلىٰ أَبي العَمَيْثَل أَبياتًا يعاتِبُهُ فيها ويقولُ[1]:

وأَرَىٰ الصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فَتْرَةٌ ❊ فَتَرَتْ لها الأَرْوَاحُ في الأَجسامِ

ثمَّ لَقِيَهُمَا فقالَا له: لم لا تقولُ ما يفهمُ؟ فقالَ: ولم لا تفهمانِ ما يقالُ؟

فاسْتُحْسِنَ هذا الجوابُ من أَبي تمامٍ.

والرجلان ما عابا إِلا معيبًا، وما أَنكرا إلا منكرًا، وكانا من أَعلمِ الناسِ بالشعرِ وبكلامِ العربِ.

مضتْ ابتداآتهما بذكرِ الفراقِ فلنذكرْ الآن ما جاءَ عنهما من ذلك وسطَ الكلامِ.



(1) شرح الصولي: ٢/٤٥٧، شرح التبريزي: ٣/٢٨١، والبيت من الكامل.

البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام[1]:

[٢/٧٤/ب] فَارَقَتْنَا ولِلْمَدَامِعِ أَنوا ❊ ءٌ سَوَارٍ على الخُدُودِ غَوَادِ
كلَّ يومٍ يَسْفَحْنَ دَمْعًا طَرِيفًا ❊ يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تِلادِ
واقِعًا بالخدودِ والبَرْدُ مِنْهُ ❊ واقعًا بالقُلوبِ والأَكْبادِ[2]

وهذا في البكاءِ مذهبٌ حسنٌ جدًّا، في أَجودِ لفظٍ واضحٍ سيَّالٍ.

وقالَ أَيضًا فأَحسَنَ كُلَّ الإِحسانِ[3]:

رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا ❊ من رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلَا

وقالَ البحتريُّ في ضدِّ هذا المعنى[4]:

وقَفْنَا والعُيُونُ مُشَغَّلاتٌ ❊ يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظَرٌ كَلِيلُ
نَهَتْهُ رِقْبَةُ الوَاشِينَ حتَّى ❊ تَعَلَّقَ لا يَغِيضُ ولا يَسِيلُ

والناسُ لبيتِ البحتري، ونَحْوِ مذهبِهِ فيه أَشَدُّ استحسانًا؛ لكثرةِ ما يشاهدُ مثلُه.

---

(١) شرح الصولي: ٣٧٣/١، شرح التبريزي: ٣٥٦/١.

(٢) شرح الصولي والتبريزي: (والحر منه واقعٌ)، وفي النسخة الأندلسية: (والبرد منه واقعًا) وقال أمام القصيدة: (صحت من خط حبيب في القرطاس) فروايته في الموازنة موافقة لما خطه أبو تمام. والأبيات من الخفيف.

(٣) شرح الصولي: ٢٩٠/٢، شرح التبريزي: ٦٦/٣. وفيهما: (أسهل مطلبًا)، والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ١٨٢٢/٣، والبيتان من الوافر.

وقالَ أَبو تمام[1]:

لعمري لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي ❊ وَمَحَّتْ كما مَحَّتْ وشَائِعُ مِنْ بُـرْدِ
وأَنْجَـدْتُمُ مِـنْ بَعْـدِ إِتْهَـامِ دَارِكُـمْ ❊ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَىٰ سَاكِنِي نَجْدِ

قولُه: «كما مَحَّتْ وشائِعِ مِنْ بُرْدِ» غلط ؛ لأَنَّ الوَشَائِعَ هي: الغَزْلُ الملفوفُ من اللُّحْمَةِ التي تداخل في السُّدَىٰ ، فإذا نُسِجَ الثوبُ فليسَ فيه شيءٌ يسمىٰ «وَشِيعَة» ولا «وشَائِع».

وقد ذكرتُ هذا في بابِ أَغاليطِهِ المجموعةِ[2].

وقد عابَ عليه أَيضًا قومٌ قولَهُ: «فيا دَمْعُ أَنْجِدْني عَلَىٰ ساكِنِي نَجْدِ» وقالوا: الإِنْجادُ إِنما يكونُ علىٰ المُحَارِبِ ، فأَيُّ مُحَارَبَةٍ أَو مُجَاهدةٍ تكونُ أَعظمُ مِنْ مجاهدةِ المغرمِ مَنْ يَهْوَاه ، ولا سيما أَنْ كانَ مَنُوعًا ولم يكنْ مُوَاتِيًا ؟

وقد أَفصحَ البحتريُّ بأَنَّ المحبوبَ مُحَاربٌ فقال[3]:

هَــلْ كُنْــتُ لَــوْلَا بَيْــنهُمْ مُتَوَهِّمَــا ❊ أَنَّ امْــرَأً يُشْــجِيه بَــيْنُ مُحَــارِبِ

فقولُ أَبي تمامٍ: «أَنْجِدْنِي علىٰ ساكِنِي نَجْدِ» من أَحسنِ كلامٍ ، وأَحلاه ، وأجودِهِ.

وقال أَبو تمامٍ[4]:

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٨٣ ، شرح التبريزي ٢/١٠٩ ، وفيهما: (شهدت لقد...) والبيت من الطويل.
(٢) انظر ص ١٨٣ ، ورد ابن المستوفي.
(٣) ديوانه: ١/١٥٩ ، والبيت من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ١/٤٦٧ ، شرح التبريزي: ٢/٨١ ، والبيت من الطويل.
ونقل ابن المستوفي في النظام جـ ١ لوحة ٢٨ شرحًا للآمدي ولهذا البيت يختلف نصه عما ورد هنا وقال: (قال الآمدي: وقد مضىٰ مثل هذا فقوله: «أَسًىٰ عنها» أي الزم الأسىٰ عنها ، وهو=

وقَالُوا: أُسًىٰ عَنْهَا، وقَدْ خَصَمَ الأَسَىٰ ❁ جَـوَانِحُ مُشْـتَاقٍ إِذا خُوصِـمَت لُـدُّ
وعَـيْنٌ إِذا نَهْنَهْتَهـا عَـادَتِ الكَـرَىٰ ❁ ودَمْعٌ إِذا اسْتَنْجَدْتَ أَسْرَابَهُ نَجْدُ(١)
ومـا خلـفَ أَجْفَـانِي شُـئُونٌ بخِيلَـةٌ ❁ ولا بَيْنَ أَضْلاعي لها حَجَرٌ صَلْدُ(٢)
وكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنَ فَتًىٰ ❁ مِـنَ القَـوْم حُـرٌّ دَمْعُـهُ لِلْهَـوَىٰ عَبْـدُ

قوله: أُسًىٰ عنها، أَي تَأَسَّىٰ عنها، وقد خصم الأَسىٰ جوانح مشتاق: أَي غلبت التأَسي وأَبَتْ عليه.

وعَيْنٌ إذا نَهْنَهْتَها، أَي كَفَفْتَها [٢/٧٥/ب] عنِ النومِ.

وقوله: «تحت أَرْوَاقِ الصّبَابَةِ» فأَرواق إِنما هو: جمع رَوْق [وروق](٣) كلّ شيء: أَوله، ولذلك قيل للقرن: رَوْق، ويقال: أَلقىٰ عليه أَرْوَاقَه: أَي ثقله، وواحدتها رَوْق، ويقال: أَلقت السحابة أَرْوَاقَها: إِذا دامت ولم تُقْلِع.

وقال أَبو تمامٍ أَيضًا(٤):

دَعَـا شَـوْقُهُ يَـا ناصـرَ الشَّـوْقِ دَعْـوَةً ❁ فَلَبَّـاه طَـلُّ الـدَّمعِ يَجْـرِي وَوَابِلُـهْ

= التأَسّي والتسلّي، من قولهم: لا تأسَ. و«الأُسَىٰ» جمع أسوة، من آسوه، أُسوًا وأسوةً. «خصم الأُسىٰ»، أي: التأسي والتعزي، جوانح مشتاق، أي: قد غلبت جوانحي الأُسىٰ، أي: غلب التطبب والتداوي، وجعل الجوانح (لداً)؛ لأنه قال: «خصمت»، فصلح أن يقول: «لد» علىٰ الاستعارة؛ لأن هذه اللفظة أشبه بالخصام).

(١) عند الصولي والتبريزي: (وعين إذا هيجتها..)، وقال الصولي: (ودمع إذا استنجدته أجابني؛ لأنه نجْدُ، أي قوي).

(٢) قال الصولي: (شؤوني، الواحد شأن، وهي مخارج الدموع، ليست ببخيلة علىٰ عيني بالدمع، ولا بين دموعي حجر صلد، أي: صلب يصبر، إنما هو قلب يألم ويجزع).

(٣) زيادة لازمة للسياق.

(٤) سبق ١/٤٢٧، ٢/٤٤، ٢١٢.

بِيَومٍ تُرِيكَ المَوْتَ في صُورَةِ النَّوَىٰ ❊ أَوَاخِـــرُهُ مِـــنْ حَسْـــرَةٍ وأَوَائِلُـــهْ

أَرادَ أَنَّ الشوقَ دعا ناصرًا ينصرُه فلبَّاه الدمعُ، بمعنىٰ أنه يُخَفِّفُ لَاعِجَ الشوقِ، ويطفئ حرارته، وهذا إنَّما هو نُصْرَةٌ للمشتاقِ علىٰ الشوقِ، والدمعُ إنما هو حربٌ للشوقِ؛ لأنه يثْلمُهُ ويَتَخَوَّنُهُ، ويكْسِرُ حدَّه، ولو كان ناصرًا له كان يُقوِّيه، ويزيدُ فيه، أَلا ترىٰ أنك تقولُ: قد ذَبَحَنِي الشوقُ إليك.

فالشوقُ عدوُّ المشتاق وحَرْبُه، والدّمعُ سِلْمُه؛ لتخفيفه عنه، وهو حربٌ للشوقِ، وليسَ بهذا الخطإِ خَفَاءٌ علىٰ أَحدٍ، وقد ذكرتُه في أَغاليطِه[1].

وإنما قالَ البحتريُّ:

إِنَّ الــدُّمُوعَ هِــيَ الصَّــبَابَةُ فــاطَّرِحْ ❊ بَعْـضَ الصَّـبَابَةِ تَسْـتَرِحْ بِهُمُولِهَـا[2]

لأَنَّ الصبابةَ ـ وهي رِقَّةُ الشوقِ ـ تَنْحَلُّ مع الدمع، وتمضي بِمُضِيِّه، فلذلك [٧٦/٢/أ] جعلَ الدموعَ هي الصبابةَ علىٰ السعة، وإنما هي عدوُّ الصبابةِ كالنارِ التي هي عَدُوٌّ لما تحرقُهُ، وهي مع ذلك تنفدُ بنفادِهِ، وتمضي بمضيه، وكالريحِ إذا بدَّدَتْ الغيمَ ومَحَقَتْه، فإنها تذهبُ بذهابِهِ، وقد قال الشاعر[3]:

أَشَــجَاكَ مِــنْ لَيْلَتِــكَ الطُّــولُ ❊ فالــدَّمْعُ مِــنْ عَيْنَيْــكَ مَهْمُــولُ؟

وهــــو إذا أَنْــــتَ تَأَمَّلْتَــــهُ ❊ حُـزْنٌ عَلَــىٰ الخَـدَّيْنِ محْلُــولُ

(١) انظر ص ٢١٠، ٣٢٤، ٣٢٧ من كتاب: (أبو تمام بين ناقديه قديمًا وحديثًا) للمحقق، ففيه رد علىٰ احتجاج الآمدي.

(٢) سبق في ٣٠٥/٢.

(٣) لم أجد البيت الأول. والثاني منسوب في ديوان المعاني ص ٥١٠ للحسن بن وهب مع بيتين آخرين، والبيتان من السريع.

لمَّا كانَ الحزنُ يَنْحَلُّ ويسيلُ بسيلانِ الدمعِ، جعلَهُ حُزْنًا، ولو جعلَهُ ناصرًا للحزنِ، أَو جعلَ البحتريُّ الدموعَ ناصرةً للصبابةِ لكانا جميعًا مُخْطِئَيْن؛ لأَنَّ النَّاصرَ للشيءَ لا يَمْحَقُ الشيءَ، ولا يفنيه ويَذْهب به.

ولكنَّ البحتريَّ اتبعَ أَبا تمامٍ في خطتِهِ بقولِهِ(١):

نَصَـرْتُ لهـا الشَّـوقَ اللَّجـوجَ بـأَدمعٍ ❊ تلاحَقْـنَ فـي أَعقـابِ وَصْـلٍ تَصَـرَّمَا

وقالَ أَبو تمامٍ(٢):

تَوَلَّـوْا فَوَلَّـتْ لَـوْعَتِي تَحْشُـدُ الأَسَـىٰ ❊ علـيَّ، وجـاءَت مقلتـي وَهْـيَ تَهْمِـلُ
بَـذَلْتُ لَهُـمْ مَكْنُـونَ دَمْعِـي فـإِنْ وَنَـىٰ ❊ فَشَوْقِي علىٰ أَن لا يَجِفَّ مُوَكَّلُ(٣)

وهذا جيدٌ بالغٌ.

وأَجودُ منهُ وأَحسنُ قولُهُ(٤): [٢/٧٦/ب]

فكـادَ شَـوْقِي يَتْلُـو الـدَمْعَ مُنْسَـجِمًا ❊ إِنْ كَانَ في الأَرضِ شَوْقٌ فَاضَ فانْسَجَمَا

ولم يذهبْ ههنا إِلىٰ نحوِ ما ذهب إليه البحتريُّ في قولِهِ(٥):

إِنَّ الـدُّموعَ هِـيَ الصَّـبَابَةُ فـاطَّرِحْ ❊ بَعْـضَ الصَّـبَابَةِ تَسْـتَرِحْ بِهُمُولِهَـا

وإِنمـا ذهـبَ إِلـىٰ أَنـه بكـىٰ لشـدةِ شـوقِهِ وغَلَبَتِـهِ حتـىٰ كـادَ شـوقُه يفـيضُ

(١) سبق ١/٤٢٨، ٢/٤٤.
(٢) شرح الصولي: ٢/٢٩٨، شرح التبريزي: ٣/٧٣.
(٣) عند الصولي: (نذرت لهم). والبيتان من الطويل.
(٤) شرح الصولي: ٢/٤٣٣، شرح التبريزي: ٣/١٦٨، وفيه: (لو كان) والبيت من البسيط.
(٥) ديوانه: ٣/١٧٧١، والبيت من الكامل. وقد سقط أوله من «ص»، «ر».

بفِيضِ الدمعِ.

وقالَ في عليٍّ بنِ الجَهْمِ[1]:

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لكَ مَاجِدِ ❊ فَغَدًا إذابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدِ

فَافْزَعْ إِلىٰ ذُخْرِ الشُّئُونِ وعُذْبِهِ ❊ فالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجاهِدِ[2]

وإِذا فَقَدْتَ أَخًا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ ❊ دَمْعًا ولا صَبرًا فلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله: «يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجَاهِدِ» أَي بعضَ جهدِ الحزنِ الجاهدِ، أَي جهدَ الحزنِ الذي قد جَهَدَك، وهو الجَاهِدُ لك.

ولو كانَ استقامَ له أنْ يقولَ: بعضَ جهدِ المجهودِ لكانَ أَحسنَ وأَليقَ.

وهذا أَغربُ وأَطرفُ، وقد جاءَ أَيضًا فاعِلٌ بمعنىٰ مَفْعُولٌ: قالوا عِيشَةٌ راضِيَةٌ بمعنىٰ مَرْضِيَة، ولَمْحٌ باصِرٌ، إِنما هو مُبْصَرٌ فيه، وأَشباه لهذا معروفةٌ، ولكنْ ليسَ في كلِّ شيء يقالُ، وإِنما ينبغي أن نَنْتَهي في اللغةِ إِلىٰ حيثُ انْتَهَوا، ولا نتعدَّاه إِلىٰ غيره، فإِنَّ اللغةَ لا يُقاس عليها.

وقوله: «فَلَمْ يَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا ولَا صَبْرًا» من أَفحش الخطإِ؛ لأَنَّ الصابرَ لا يكونُ باكيًا [٧٧/٢/أ]، والباكي لا يكونُ صابرًا، فقد نَسَقَ[3] لفظةً على لفظةٍ وهما نعْتَان متضادان، ولا يجوزُ أَنْ يكونا مجتمعين، وقد ذكرتُ هذا مشروحًا في أَغاليطِهِ[4].

---

(١) شرح الصولي: ٣٩٩/١، شرح التبريزي ٤٠١/١، والممدوح هو أبو الحسن علي بن الجهم، سبقت ترجمته.

(٢) شرح الصولي والتبريزي: (وغربه).

(٣) «ص»: (يشق) تصحيف.

(٤) انظر ٤٣٥/١.

وقالَ البحتريُّ(١):

قَــدَ أَرَتْــكَ الــدُّموعَ يَــوْمَ تولّــتْ ❊ ظُعُـــنُ الحَـــيِّ مـــا وراءَ الــدُّموعِ
عَبَـــراتٌ مِـــلْءُ الجُفُـــونِ مَرَتْهَـــا ❊ حُـــرَقٌ للفـــراقِ مِـــلْءُ الضُّـــلُوعِ(٢)

وهذا غايةٌ في جودتِهِ وبراعتِهِ.

وقالَ أَيضًا(٣):

أَضْــحَكَ البَــيْنُ يَــوْمَ ذاكَ وأَبْكَــىٰ ❊ كُــلَّ ذِي صَــبْوَةٍ، وسَــرَّ، وسَــاءَ
فَجَعَلْنَـــا الْـــوَدَاعَ فيـــه سَـــلَامًا ❊ وجَعَلْنَـــا الفِـــرَاقَ فِيـــه لِقَـــاءَ
ووَشَـتْ بـي إِلـىٰ الوُشَـاةِ دُمُـوعُ الْــ ❊ ـعَــيْنِ حتَّــىٰ حَسِــبْتُها أَعْــدَاءَ

وهذا من إِحسانِ أَبي عُبادَة المشهورِ.

وقالَ أَيضًا(٤):

هَـــيِّنٌ مَـــا يَقُـــولُ فيـــكَ اللّاحِـــي ❊ بَعْـــدَ إِطْفَـــاء غُلَّتِـــي والْتِيـــاحِي
كُنْـتُ أَشْـكُو شَـكْوَىٰ المُعَـرِّضِ فـالآ ❊ نَ أُلاقِـــي النَّـــوَىٰ بِـــدَمْعٍ صُـــرَاحِ(٥)

وهذا أَيضًا غَايَةٌ في حسنِهِ وجودتِهِ.

وقالَ أَبو تمامٍ(٦):

---

(١) ديوانه: ١٢٧٩/٢، والبيتان من الخفيف.
(٢) ديوانه (حرق في الفؤاد).
(٣) ديوانه: ١٤/١ والأبيات من الخفيف.
(٤) ديوانه: ٤٥٧/١، والبيتان من الخفيف، والالتياح: العطش.
(٥) ديوانه: (شكوىٰ المصرح).
(٦) شرح الصولي: ٤٦/٣، شرح التبريزي: ٣٣٧/٣. والأبيات في الديوان ليست على ترتيب الموازنة.

صَيَّرَتْ لي مِنْ تَبَارِي عَبْرَتِي سَكَنًا ❊ مُذْ صِرْتُ فَرْدًا بلا إِلْفٍ ولا سَكَنِ

حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوىٰ صَرْفَ الأَسَىٰ وَحَدا ❊ بِالبَثِّ في دَوْلَةِ الإِغْرَامِ والدَّدَنِ[١]

فَمَا وَجَدْتُ علىٰ الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ ❊ دَمْعٍ علىٰ وَطَنٍ لي في سِوَىٰ وَطَنِي[٢]

مَنْ ذَا يُعَظِّمُ مِقْدَارَ السُّرُورِ بِمَنْ ❊ يَهْوَىٰ إِذا لَمْ يُعَظِّمْ مَوْقِعَ الحَزَنِ[٣]

قوله: حَدَا بالبَثِّ: أي ساقَه، وأَظهرَه، وأَشاعَه في دولةِ الإِغْرَامِ والدَّدَنِ، والإِغرامُ: جمع غُرمٍ مثلَ: بُرْجٌ وأَبْرَاجٌ، وَخُرْجٌ وأَخْرَاجٌ، وَالغُرْمُ والغَرَامُ بمعنىٰ واحد، والدَّدَنُ: اللَّعِبُ.

يقولُ: ساقَ صَرْفُ النوىٰ البَثَّ ـ وهو أَشدُّ الحزنِ ـ وأَظهرَه في دولةِ غرامي ولعبي، يقول: إِنه قاسىٰ الأَسفارَ والهمومَ في أَيامِ شبابِهِ ولعبِهِ، ولله دَرُّ الذي يقولُ، وأَنشدناه الأَخفشُ، وأَنشدَهُ إِسحقُ الموصليُّ أَيضًا[٤]:

ولمَّا أَرادَ الحيُّ بَيْنًا ولَمْ يَكُنْ ❊ دَرَىٰ أَحَدٌ مِنْ بَيْنِ ظمياءَ فَاجعُ[٥]

أَبىٰ الدمعُ أَعيانَ الصِّحَاحِ وبَيَّنَتْ ❊ مَكَانَ ذوي الشَّجْو العُيُونُ الدَّوَامِعُ[٦]

وأَنشد إِسحق أَيضًا، وأَنشدَهُ الأَخْفَشُ عن المُبَرِّدِ[٧]:

---

(١) الددن: اللهو والباطل.

(٢) في شرح الصولي والتبريزي: (أوقد من).

(٣) التبريزي: (موضع الحزن).

(٤) لم أجد فيما بين يديّ من مصادر. والبيتان من الطويل.

(٥) في «ص» (بين ضبابا) تحريف.

(٦) في «ص»: (فكان ذوىٰ).

(٧) البيتان غير منسوبين في الزهرة لابن داود الأصفهاني، وهما من الطويل.

ولمَّـــا رَأَتْ أَنْ لا ســبيلَ وأَنَّـــهُ ❊ هُـوَ البَـيْنُ مَحْنُـوٌّ عليـه الأَضَـالِعُ[1]

تَهَتَّـك عـن أَسْـتَارِ قَلْـبٍ وأَسْـبَلَتْ ❊ مـدامِعُ عَـيْنٍ بَيْنَهـا السِّـرُّ ضَـائعُ[2]

وأَنشد أَيضًا[3]: [٧٨/٢/أ]

تكفكــفُ دَمْعَهــا كَــفٌّ خَضِــيبُ ❊ لِتُخْفِيَــهُ، وهَــلْ يَخْفَــى المُرِيــبُ؟

وهذا أَيضًا حسنٌ.



(١) الزهرة: (وما رأى أن لا سبيل)، (مقصورا عليه).

(٢) الزهرة: (عن أسرار قلب)، (وأسجمت مدامع).

(٣) لم أجد البيت فيما لدي من مصادر، والبيت من المتقارب.

بكاءُ النساءِ المفارقاتِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

بُـــدِّلَتْ عَبْـــرَةً مِـــنَ الإيمـــاضِ ❊ يَـــوْمَ شَـــدُّوا الرِّحَـــالَ بـــالأَغْراضِ
أَعْرَضَـــتْ بُرْهَـــةً فَلمَّـــا أَحَسَّـــتْ ❊ بـــالنَّوَىٰ أَعْرَضَـــتْ عَـــنِ الإِعْـــرَاضِ
غَصَـــبَتْهَا نَحِيبَهـــا عَزَمَـــاتٌ ❊ غَصَـــبَتْنِي تبيُّتـــي واغْتمَاضِـــي(٢)
نَظَـــرَتْ فالتَفَـــتُّ مِنْهَـــا إِلـــىٰ أَحْـــ ❊ ـلَـــىٰ سَـــوَادٍ رَأَيْتُـــهُ فـــي بيـــاضِ
يَـــوْمَ وَلَّـــتْ مَرِيضَـــةَ اللَّحْـــظِ والجَفْـــ ❊ ـــنِ وَلَيْسَـــتْ دُموعُهـــا بِمِـــرَاضِ

قولُه: «أَعْرَضَتْ عن الإِعراض» ليسَ باللفظِ الجيدِ، وهو من توليداتِ المتأخرين، ومثلُه قولُ البحتريِّ(٣):

شُـــغِلَ الرَّقِيـــبُ وأَسْـــعَدَتْنَا خَلْـــوَةٌ ❊ فـــي هَجْـــرِ هَجْـــرٍ واجْتنَـــابِ تَجَنُّـــبِ

قولُه: «غَصَبَتْهَا نَحيبَها» يريدُ أَنَّ عزماتي استخرجتْ نحيبَها وأَظهرَتْه، وقد كانت تَخْزُنُهُ، فكأَنَّها اغتصبتها إِيَّاه لمّا أَظهرته.

وقولُه: «غَصَبَتْنِي تبيُّتي» أَي تَلَبُّثِي، أَي منعتني عزماتي من التَلَوُّم [٢/٧٨/ب] والتَّلَبُّثِ، ومن النومِ، فكأَنها غصبتني ذلك، أي أخذَتْهُ مني، وأَزعجتني للرِّحْلَةِ.

وقالَ(٤):

(١) شرح الصولي: ١/٦٠٩، شرح التبريزي: ٢/٣٠٨، والأبيات من الخفيف.
(٢) شرح الصولي والتبريزي: (غصبتني تصبري).
(٣) ديوانه: ١/٧٨، والبيت من الكامل.
(٤) سبق في ٢/٢٨٨.

بَسَــطَتْ إِلَيْــكَ بَنَانَــةً أُسْــرُوعَا ❊ تَصِــفُ الفِـرَاقَ ، ومُقْلَــةً يَنْبُوعَــا
كــادَتْ لِعِرْفَــانِ النَّــوَىٰ أَلفَاظُهَــا ❊ مِــنْ رِقَّــةِ الشَّــكْوَىٰ تكُــونُ دُمُوعَــا

وهذا معنىٰ حسنٌ لطيفٌ حلوٌ[1].

والأُسْرُوعُ: واحدُ الأَساريعِ ، وهي دُوَيِّبَةٌ بيضاءُ تكونُ في الرّملِ ، تشبّه بها الأَصابعُ ، وذلك قولُ امرئِ القَيْس[2]:

وتَعْطُــو بِــرَخْصٍ غَيْــرَ شَــثْنٍ كَأَنَّــهُ ❊ أَسَــارِيعُ رَمْــلٍ ، أَوْ مسَــاوِيكُ إِسْـحِلِ

وقالَ أَبو تمام أَيضًا[3]:

بَكَتْــهُ بِمَــا أَبْكَتْــهُ أَيَّــامَ صَــدْرُهَا ❊ خَلِيٌّ ، وما يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوًىٰ صَدْرُ[4]
وقالـتْ أَتَنْسَـىٰ البـدرَ؟ قُلْـتُ تَجلُّـدًا ❊ إذا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فلا طلَعَ البَدْرُ
فَــأَذْرَتْ جُمَانًــا مِــنْ دُمُــوعٍ نِظَامُهَــا ❊ عَلَـىٰ النَّحْـرِ إلا أَنَّ صَــائِغَها الشَّــفْرُ
ومَــا الــدَّمْعُ ثَــانٍ عَزْمَتِــي ولَــوَ انَّهَــا ❊ سَقَىٰ خَدَّها من كـلِّ عيْنٍ لَها نَهْرُ

قولُه: «إذا الشمسُ لم تَغْرُب فلا طلع البدرُ» لم يردْ بذلك امرأَةً أخرىٰ سواها ، وإِنما جعلَ هذا القولَ احتجاجًا عليها ، [٧٩/٢/أ] وردًا لكلامها ، ولِيُرِيَها أَنَّ عزمَهُ في السَّفر صحيحٌ ، وأَنَّ بكاءَها لا يثنيهِ عن وجهِهِ الذي يريدُه. وقد بيَّنَ هذا المعنىٰ وأَفصَح بقولِهِ: «تَجَلُّدًا».

---

(١) قال في ٢/٢٨٨ عن البيت الأول:
(وهذا ابتداء ليس بالجيِّد ولا بالرديء)!

(٢) ديوانه: ١/٢٢٥ ، والبيت من الطويل ، تعطو: تناول ، برخص: أي ببنان طريّ ناعم ، شثن: غليظ ، الإسحل: شجر له أغصان.

(٣) شرح الصولي: ٣/٦٠٨ ، شرح التبريزي: ٤/٢٦٧ ، والأبيات من الطويل.

(٤) «ص»: (بما بكته).

وهذه الأبياتُ صالحةٌ، والمذهبُ فيها غيرُ مُسْتَحْلىٰ، ولا مُشْتَهىٰ، وفيها معنىٰ غامضٌ في الاحتجاجِ عليها يجوز أَنْ يكونَ أَرادهُ، وقد ذكرتُهُ في «جزءٍ» أَفردتُهُ لِغَامِضِ معاني أَبي تمامٍ[١].

وقوله: «فَأَذْرَتْ جُمَانًا» فالجُمَانُ هو: اللُّؤْلُؤُ الصغار.

وقوله: «إِلا أَن صائغها الشَّفْرُ» فالجُمَانُ لا يُصَاغُ، ولكن قد يعمل علىٰ هَيْئَته خرز من فضَّة، وقد سمَّاه هُدْبَةُ بن خَشْرَم جُمَانًا فقال[٢]:

---

(١) يشير هنا إلىٰ كتابه الأخير، (تفسير معاني أبيات أبي تمام)، والمواضع الذي ذكره نقله ابن المستوفي في كتابه النظام جـ ٢ لوحة ٦٢، وانظره في كتابي: (الآمدي الحسن بن بشر بين الموازنة وآثار له نادرة) نشر مكتبة آفاق، الكويت، سنة ٢٠١١، ص ١٦٧.

قال الآمدي: ظن بعضهم أنه أراد بقوله: (إذا الشمس لم تغرب) امرأة أخرىٰ، وليس الأمر كذلك، إنما أراد بقوله: (إذا الشمس لم تغرب) نفسه أي: أي إذا لم أغترب لإصلاح معيشتي وفي طلب الغنىٰ الذي به أقدر علىٰ المقام، وعلىٰ مواصلة البدر فلا طلع البدر؛ لأن مواصلته مع الفقر لا انتفاع لها، وإنما جعل نفسه شمسًا لما جعلت نفسها بدرًا علىٰ الطباق، وفيه معنىٰ آخر يجوز أن يكون أراده علىٰ سبيل النادرة، أي: إذا أقامت الشمس ولم تبرح، فلا فائدة في البدر، أي: إنما يكون البدر بدرًا، إذا غابت الشمس كأنه يقول علىٰ سبيل الاحتجاج عليها، أي من سبيل الشمس أن تغرب حتىٰ يحسن حال البدر، أي فدعيني حتىٰ أغيب فيحسن حالك، فإن قيل: فكذا إذا عاد بالفائدة واجتمع معها لا يكون لها معنىٰ، كما لا يكون للبدر ضوء مع طلوع الشمس قيل: هذا إنما هو مثل مثَّله في الحال احتجاجًا عليها، وإذا عاد من سفره بالجدوىٰ والفائدة سقط هذا التمثيل، وخرجا من شبه الشمس والبدر إذا اجتمعا.

(٢) ديوانه، والبيت من الطويل.

وهو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حيَّة بن الكاهن، شاعر فصيح من بادية الحجاز، وكان شاعرًا راوية، كان يروي للحطيئة، وكان له ثلاثة أخوة كلهم شاعر: حوط، وسيحان، والواسع، وأمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حيَّة، وكانت شاعرة أيضًا، وقد قتل هدبة زيادة بن زيد من بني قرة بن حنش بن عمرو بن ذبيان، وكان سعيد بن العاص والي المدينة، فأخذه فسجنه، ثم قتله ابن زيادة، ويُدعىٰ المسور، بعد أن رفض أهل زيادة أخذ الدية (انظر الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس، =

عَلَيْهِنَّ مِن صَوْغِ المَدِينَةِ حِلْيَةٌ ❊ جُمَانٌ كَأَجْوازِ الدَّبَا ورَفَارِفُ

وقال أَيضًا(١):

أَظُنُّ دُمُوعَها سَنَنَ الفريدِ ❊ وَهي سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرٍ وجِيدِ

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ الْتِدَامُ ❊ يُعِيدُ بَنَفْسَجًا وَرْدَ الخُدُودِ

والتدامُ النساءِ في النياحة إِنما هو: ضربُ الصُّدُورِ، واللَّطم هو: ضربُ الخدود. هذا المستعملُ المعروفُ في كلامِهم، فاللَّطمُ هو الذي يعيدُ بنفسجًا وَرْدَ الخُدُودِ لا الالتدام؛ لأَنَّ الالتدامَ: أَنْ تأْخذ المرأَةُ جِلْدًا أَو نعلًا [٢/٧٩/ب] فَتَدُقُّ صدرَها، وتأْخذ النائحة التي هي المساعدة خِرَقًا تشيرُ بها في النوح إِلىٰ صدرها، ويقال لها: المآلي، واحدتُها مِئْلَاةٌ(٢). فجعلَ أبو تمام لطم الوجه لَدْمًا، ولعلَّ ذلك يسوغُ؛ فإِنَّ اللَّدْمَ هو: دَقُّ الشيءِ علىٰ الشيءِ.

قالَ تميمُ بن أُبيِّ بنِ مُقْبِلٍ(٣):

وللفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ ❊ لَدْمَ الغُلامِ وراءَ الغَيْبِ بِالحَجرِ

وقالَ أَبو تمامٍ(٤):

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لم تُنْظَمِ ❊ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ

وصَلَتْ دُمُوعًا بالدماءِ فَخَدُّهَا ❊ في مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ المُعْلَمِ(٥)

= دار صادر ٢٣/١٧٩).

(١) شرح الصولي: ١/٤٣٥، شرح التبريزي: ٢/٣٢.

(٢) (الطم) مستدرك بين السطرين. [هكذا]الشرقاوي.

(٣) ديوانه تحقيق د. عزة حسن، ص ١٨٤.

(٤) شرح الصولي: ٢/٤٢٤، شرح التبريزي: ٣/٢٤٨، وفيهما (لم ينظم)، والأبيات من الكامل.

(٥) عند الصولي والتبريزي: (بالنجيع) وقال التبريزي: =

ولِهَتْ فأَظْلَمَ كُلُّ شيءٍ دونَها ❊ وأَضاءَ منها كلُّ شيءٍ مُظْلِمِ[1]
وكأَنَّ عَبْرَتَها عَشِيَّةَ ودَّعَتْ ❊ مُهَرَاقَةٌ مِنْ مَاءِ وَجْهِي أَوْ دَمِي

وَلِهَتْ من الوَلَه، فأَظلَم كلُّ شيءٍ دونها: أَي أَظلمتْ الأَشياءُ في عينيها من شدةِ الحزنِ والوَلَهِ، وأَضاءَ منها كلُّ شيءٍ مظلمٍ: لنورِ وجهِهَا وبهجتِهَا.

وقالَ أَيضًا[2]:

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَىٰ غَدٍ ❊ وَعادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ
وأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الموتِ أَنَّهُ ❊ صُدُودُ فِرَاقٍ لا صُدُودُ تَعَمُّدِ[3]
[۸۰/۲/أ] فأَذْرَىٰ لها الإِشفاقُ دَمْعًا مُوَرَّدًا ❊ من الدَّمِ يَجْرِي فوقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ[4]
هِيَ البَدْرُ يُغْنِيها تَوَدُّدُ وَجْهِها ❊ إِلىٰ كلِّ مَنْ لَاقَتْ وإِن لَمْ تَوَدَّدِ[5]

وهذا من إحسانِهِ المشهورِ.

وقوله: «دَمْعًا مُوَرَّدًا من الدَّمِ» لفظٌ حسنٌ، ومعنىٰ ليستْ له براعةٌ.

والجيِّدُ في مثلِ هذا قولُ البحتريِّ[6]:

= (أي أسرفت في البكاء حتىٰ سال الدم من عينها موصلا بالدمع، فكأن الدم الأحمر في صحن خدها الأبيض علم أحمر في حاشية رداء أبيض).

(١) عند الصولي والتبريزي: (وأنار سناها)، وقال المرزوقي:
(لما جَزِعتْ لفراقي: اشتد جزعي عليّ، وأظلم كل شيء في عيني سواها، وبان لي ووضح من مكنون ودها لي ما كان مغيبًا عني ومظلمًا عليّ).

(٢) شرح الصولي: ٤٣٠/١، وفيه: (غدت)، شرح التبريزي: ٢٢/٢، والأبيات من الطويل.

(٣) الصولي: يقول: (خفَّفَ عنها أن الصدود ليس بقصد، وإنما هو فراق بُعْدٍ).

(٤) عند الصولي والتبريزي: (فأجرىٰ لها).

(٥) قال التبريزي: (تودد وجهها: حُسْنه، وأن كل أحد يحبه).

(٦) ديوانه: ٧٢٨/٢، والبيت من الخفيف.

لــو ترانــا عنــدَ الــوَدَاعِ وقَــدْ ❁ وَرَّدَ سَــكْبُ الــدموعِ وَرْدَ الخــدودِ

يريد أَنَّ الدموع إِذا مرَّتْ علىٰ الخدودِ [ورّدتها](١)، وهذا معنىٰ صحيح مشاهدٌ.

وأَبو تمامٍ لا يقنعُ إِلا بأَنْ يجعلَ المرأَةَ باكيةً عليه دَمًا! علىٰ عادته في الاستقصاءِ الذي لا حلاوةَ له، فهلَّا اقتصر علىٰ مثلِ قولِ عَلْقَمَةَ بنِ عَبَدَةَ وأَنشده إِسحاقُ الموصليُّ، وأَنشدَه ثَعْلَبٌ(٢):

تَــراءَتْ وأَســتارٌ مِــنَ البيــتِ دُونَهــا ❁ إِلينــا وحَانَــتْ غَفْلَــةُ المُتَفَقِّــدِ
بِعَيْنَـي مَهَـاةٍ يَحْـدُرُ الشَّـوْقُ مِنْهُمَـا ❁ شَرِيجَيْنِ شتَّىٰ: مِنْ دُمُوعٍ وإِثْمِدِ(٣)

قالَ ثعلبُ: فسرقَهُ «ابن ميّادةَ» فقالَ(٤):

ومَـا أَنْسَ مِ الأَشْـيَاءِ لا أَنْـسَ قَوْلَهَـا ❁ وأَدْمُعُهَـا يَحْـدُرْنَ حَشْـوَ المَكَاحِـلِ(٥)
تَمَتَّــعْ بِــذَا اليَــوْمِ القَصِــيرِ فإِنَّــهُ ❁ رَهِــينٌ بِأَيَّــامِ الشُّــهُورِ الأَطَــاوِلِ(٦)

قال: فسرقه بعضُ المحدثين فقال(٧):

---

(١) لازمة للسياق، وقد سقطت من «ص».
(٢) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل للأعلم الشنتمري ص٧١، دار الكتاب العربي سنة ١٩٩٣.
(٣) في ديوانه: (بريمين شتىٰ)، أي بلونين مختلفين.
(٤) ابن ميادة هو الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة من بني غطفان بن أسعد بن قيس بن غيلان بن مضر، وأمه ميادة أم ولد. قيل أنها بربرية، وقيل صقلبية، ويزعم هو أن أمه فارسية، شاعر فصيح مقدم من شعراء الدولتين كان في أيام هشام بن عبد الملك، وبقىٰ إلىٰ زمن المنصور العباسي. (الأغاني، ساس، ٨٥/٢) والأبيات في الحماسة بشرح المرزوقي: ١٣٥/٣.
(٥) الأغاني والحماسة: (يذرين حشو الكاحل).
(٦) الأغاني: (الدهور الأطاول).
(٧) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٤٢٣، والمصون في الأدب للعسكري ص ٧٠، والبيتان من الطويل.

خُـذِي عُـدَّةً لِلْبَـيْنِ إِنِّـي رَاحِـلٌ ❁ قِـرَىٰ أَمَـلٍ يُجْـدِيكِ واللهُ صَـانِعُ
فَسَـحَّتْ بِسِـمْطَيْ لُؤْلُـؤٍ خَلْـطَ إِثْمِـدِ ❁ علـىٰ الخـدِّ إِلَّا مَـا تَكُـفُّ الأَصَـابعُ

وقال أَبو تمام(١):

خُـذِي عَبَـرَاتِ عَيْنِـكِ عَـنْ زَمَـاعِي ❁ وصُـونِي مـا أَزَلْـتِ مِـنَ القِنَـاعِ
أَقِلِّـي قَـدْ أَضَـاقَ بُكَـاكِ ذَرْعِـي ❁ ومـا ضَـاقَتْ بِنَازِلَـةٍ ذِرَاعِـي(٢)
أَآلِفَـةَ النَّحِيـبِ كـم افْتِـرَاقٍ ❁ أَظَـلَّ فكَـانَ دَاعِيَـةَ اجْتِمَـاعِ
ولَيْسَـتْ فَرْحَـةُ الأَوْبَـاتِ إِلَّا ❁ لِمَوْقُـوفٍ عَلَـىٰ تَـرَحِ الـوَدَاعِ(٣)
تَعَجَّـبُ أَنْ رَأَتْ جِسْـمِي نَحِيفًـا ❁ كـأَنَّ المَجْـدَ يُـدْرَكُ بالصِّـرَاعِ(٤)

وهذه كلُّها أَبياتٌ جيَادٌ صحيحة الأَلفاظ والمعاني، وقد عابه ابنُ عمارٍ وغيرِه بهذا البيتِ الأَخيرِ.

وحدثني أبو علي محمدُ بنُ العلاءِ السِّجستاني قال: حدثني أَبو [محمد] عبدُ اللهِ بنُ قتيبة المؤلفُ، قالَ: سمعتُ عليَّ بن هارونَ الكاتبَ النصرانيَّ يقولُ: قلتُ لأَبي تمامٍ:

أَنشدني أَجودَ شعرٍ قلتَهُ، فأَنشدني قصيدَتَهُ: «خُذِي عَبَرَاتِ عَيْنِكِ» فلما بلغَ إِلىٰ قوله: «تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ» قلت: يخيَّلُ إِليَّ أَنَّ هذا غلطٌ منك؛ لأَنَّ الصِّراعَ ليس من النَّحافةِ والجَسَامَةِ في شيءٍ، ولو قلتَ: كأَنَّ المجدَ يدركُ بحرفٍ في معنىٰ

(١) شرح الصولي: ٢/٢١، وفيه: (أذلت)، شرح التبريزي: ٢/٣٣٦، والأبيات من الوافر.
(٢) «ص»: (بنازل) ولا يصح الوزن بها.
(٣) «ص»: (الأويار) تحريف.
(٤) عند الصولي والتبريزي: (توجع).

الجسامة كنتَ قد أَصبتَ.

[٨١/٢/أ] و«عليُّ بنُ هارون» هذا، وكلُّ من عابَ هذا البيتَ عندي غَالِطٌ.

ولم كانَ الصراعُ عندَه ليسَ من النحافةِ والجسامةِ في شيءٍ، وهل تجد القوةَ أَبدًا إِلا في العَبَالَة وغِلَظِ الأَلْوَاح؟ وهل الضَّعْفُ أَبدًا إِلا في الدِّقَّةِ والنحافة؟ وهذا هو الأعمُّ الأكثرُ، وإلا لِمَ صار الفيلُ يحملُ ما لا يحملُ الجمَلُ، والجملُ يحملُ ما لا يحملُ البغلُ، والبغلُ يحملُ ما لا يحملُ الحمارُ.

فأَرادَ أَبو تمام أَنَّ المجدَ لا يُدركُ بالصراعِ الذي مَنْ كانَ فيه أَغْلظُ وأَعْبَلُ كان أَولىٰ بالغلبةِ، فهذا هو الأَعمُّ الأَكثرُ في هذا البابِ.

ولستُ أَنكرُ أَنْ تكونَ القوةُ قد توجدُ مع الدِّقةِ والنَّحافةِ كما قالَ بعضُهُم(١):

إِنَّــا علــىٰ دِقَّتِنَــا صِــلَابُ

وأَنْ يكونَ الخَورُ والرَّخَاوةُ قد يوجدان مع الغِلَظِ والعَبَالَةِ في بعض الأَشياءِ، فأَما الشَّجاعةُ والجُرْأَةُ فقد توجدانِ في النحيفِ الجسم الضعيفِ، وفي العَبلِ الغليظِ.

وهذا إِنما يرجعُ إِلىٰ القلبِ لا إِلىٰ الجسمِ؛ ولعلَّ عَامِرَ بن الطُّفَيْلِ وعُتَيْبَةَ ابن الحارثِ بن شهاب وبِسْطَامَ بن قَيْسٍ ما كانَ يَقدرُ كُلُّ واحدٍ منهم أَنْ يحملَ علىٰ كتِفِهِ مائة رجلٍ.

فجعلَ أَبو تمامٍ معناهُ علىٰ الوجهِ الأَعمِّ الأَكثرِ، وقد أَحسنَ عندي فيهِ، ولم يُسِئْ.

---

(١) هذا عجز بيت صدره: قد علمت إخوتنا كلابُ
تمثل به علي بن عيسىٰ بن الجراح، انظر: (معجم الأدباء: ٤/٨٢٤)، والبيت من الوافر.

وقالَ البحتريُّ[1]: [٨١/٢/ب]

رَحَلُوا فأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ ✤ أَسَفًا، وأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ
قَدْ بَيَّنَ البَيْنُ المُفَرِّقُ بَيْنَنَا ✤ عِشْقَ النَّوَىٰ لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبْرَبِ
صَدَقَ الغُرَابُ لَقَدْ رأَيتُ شُمُوسَهُم ✤ بالأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرَّبِ[2]
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا ومَا صَنَعَ النَّوَىٰ ✤ بِقُلُوبِنَا لَحَسَدْتَ مَنْ لَمْ يُحْبِبِ[3]
شُغل الرَّقِيبُ، وَأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ ✤ في هَجْرِ هَجْرٍ، واجْتِنَابِ تَجَنُّبِ
فَتَلَجْلَجَتْ عَبَرَاتُهَا، ثُمَّ انْبَرَتْ ✤ تَصِفُ النَّوَىٰ بِلِسَانِ دَمْعٍ مُعْرِبِ[4]
تَشْكُو الفِرَاقَ إِلىٰ قتيلِ صَبَابَةٍ ✤ شَرِقِ المَدَامِعِ بِالْفِرَاقِ مُعَذَّبِ

قولُه: «قَدْ بَيَّنَ البَيْنُ المُفَرِّقُ بَيْنَنَا»، فالبَيْنُ: الفِرَاقُ، يريدُ قد بَيَّنَ الفراقُ المفَرِّقُ بيننا.

وبعضُ أَهل اللغةِ يقولُ: «البَيْنُ» من الأَضدادِ[5] يكونُ الاتصالُ، ويكونُ الافتراق، وليسَ الأَمرُ كذلك، بل البينُ: الحَدُّ والقَطْعُ بين الشيئين، والذي يتميز به الحَيِّزَان أَحدهما عن الآخرِ، يقال: وصلتُ بينهما، وفرّقتُ بينهما، وبعّدت بينهما، فيصلح ذلك كله فيه، لأَنه الحدّ، والبَرْزَخُ، لا أَنَّه الاتصالُ، ولا الافتراقُ، إلا أَنَّ الشعراءَ جعلوه في استعمالهم: الفراقُ.

فقوله: «قَدْ بَيَّنَ البَيْنُ»، يريدُ قد بيّنَ الفراقُ المُفَرِّق بيننا.

---

(١) ديوانه: ٧٨/١، والأبيات من الكامل.
(٢) ديوانه: (في جوانب).
(٣) ديوانه: (وما صنع الهوىٰ).
(٤) ديوانه: (تصف الهوىٰ).
(٥) الأضداد، لابن الأنباري ص ٦٢.

والنوىٰ: هي النِّيَّة في انتقالِ [٨٢/٢/أ] القوم من موضعٍ إلىٰ آخرَ، فعشقُ النِّيةِ لِربيبِ الرَّبْرَبَ استعارةٌ ليستْ بحسنةٍ، غيرَ أَنَّ الشعراءَ المتأَخرين قد اصطلحوا علىٰ أَن جعلوا البينَ، والفراقَ، والنوىٰ كالأَشخاصِ، وجعلوها الحَائِلَةَ بينهم وبين من يَهْوَوْنَه، فهم يستعيرون الأَفعالَ لها، فربما حسُنت الاستعارة لها، وربما قَبُحتْ، علىٰ حسب مواضعها في الإِغراقِ والاقتصادِ.

وقوله: «لو كنتَ شاهدَنا» من أَبياتِهِ المشهورةِ في الحسنِ والحلاوةِ.

وقوله: «في هَجرٍ هَجرٍ، واجْتِنَابِ تَجَنُّبِ» مذهبٌ من مذاهبِ المولدين، وقد قدمتُ القول في أَنه غيرُ حسنٍ ولا جميلٍ.

ولم يعتمدْ البحتريُّ في هذا الباب ذكرَ بكاءِ النساءِ إِلا قوله: «وقَدْ ورّدَ سَكْبُ الدموع وَرْدَ الخدود» وقوله: «فتَلَجْلَجَتْ عَبَرَاتُهَا» ولكنه وصفهن عند التوديع أَحسن وصف وأَحلاه فقالَ[1]:

عَجِلَتْ إِلىٰ فَضْلِ الخِمَارِ فَأَثَّرتْ ❊ عَذَبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ
وتَبَسَّمَتْ عند الوَدَاع فأَشْرَقَتْ ❊ إِشراقةً عَنْ عَارِضٍ مَصْقُولِ
أَأَخِيبُ عِنْدك والصِّبَا لي شَافِعٌ ❊ وأُرَدُّ دُونَك والشَّبابُ رَسُولي؟

[٨٢/٢/ب] وقالَ أيضًا[2]:

أَكُنْتَ مُعَنِّفِي يومَ الرَّحِيلِ ❊ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي في الهُمُولِ؟
عَشِيَّةَ لا الفِراق أفاءَ عَزْمِي ❊ إِليَّ، ولا اللقاءُ شَفَىٰ غَلِيلي
دَنَتْ عند الوَدَاعِ لِوَشْكِ بَيْنٍ ❊ دُنُوَّ الشَّمْسِ تَجْنَحُ لِلأَصِيلِ[3]

(١) ديوانه: ١٦٦٢/٣، والأبيات من الطويل.
(٢) ديوانه: ١٧٣٦/٣، والأبيات من الوافر.
(٣) ديوانه: (لو شك بعد).

وقال أَيضًا[1]:

إِذَا مَا نَهَىٰ النَّاهِي فَلَجَّ بِيَ الهَوَىٰ ❊ أَصَاخَتْ إِلىٰ الوَاشِي فَلَجَّ بِها الهَجْرُ

ويَومَ تَثَنَّتْ للوَدَاعِ وسلَّمَتْ ❊ بِعَيْنَيْن مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السِّحْرُ

تَوَهَّمْتُها أَلْوَىٰ بِأَجْفَانِهَا الكَرَىٰ ❊ كَرَىٰ النَّوْمِ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الخَمْرُ[2]

وقال أَيضًا[3]:

وأَنَا الفِدَاءُ لِمُرْهَفٍ غَضِّ الصِّبَا ❊ يُوْهِيهِ حَمْلُ وِشَاحِهِ وعُقُودِهِ

قَصُرَتْ تَحِيَّتُهُ فَجَادَ بِخَدِّهِ ❊ يَوْمَ الوَدَاعِ لَنَا، وَضَنَّ بِجِيدِهِ

ولَوْ اسْتَطَاعَ لَكَانَ يَوْمَ وِصَالِهِ ❊ لِلْمُسْتَهَامِ مَكَانَ يَوْم صُدُودِهِ

أرادَ أَنَّها لما قَصرتْ تحيتها فلم تَقْدِر على السلامِ أَعْرَضَتْ فرأىٰ خدَّها، فكأنَّها جادتْ لمَّا رأَته، وقد ضنَّت علىٰ الحقيقةِ بجيدِها، وهو موضعُ العِناقِ[4].

وقالَ أَيضًا[5]: [٨٣/٢/أ]

ما أَرَىٰ البَيْنَ مُخْلِيًا مِنْ وَدَاعٍ ❊ أَنْفُسَ العَاشِقينَ حتَّىٰ تَبِينَا

---

(١) ديوانه: ٨٤٤/٢، والأبيات من الطويل.

(٢) ونقل ابن المستوفي قول الآمدي في كتابه: «تفسير معاني أبيات أبي تمام»، ويسميه أحيانًا: «الأبيات المفردة» فقال: وقال في الأبيات المفردة:

(مازال المتذاكرون بشعر هذا الرجل يفيضون في تفسير هذا البيت فلا يصبح إلا بالحدس والظن، وأقرب ما سمعت في قوله: «وانحط الشباب علىٰ فؤادها» أي مالت جاهته إليها، كأنه يريد ذكاءها، وسرعة نموها، وقوله: «وجرت في روحها النسب» هو أن يقال: حقيقة الروح، أو عذبة الروح، أو طيبة النفس ونحو هذا). انظر الآمدي بين الموازنة وآثار نادرة للمحقق، ص ١٤٦.

(٣) ديوانه: ٥٩٤/٢، والأبيات من الكامل.

(٤) «ص»: (العنان) تحريف.

(٥) ديوانه: ٢١٦١/٤، والأبيات من الخفيف

مِــنْ وَرَاءِ العُيُــونِ كُثْبَــانُ رَمْــلٍ ❊ تَتَثَــنَّىٰ أَفْنَــانُهُنَّ فُنُونَــا[١]

وبِــودِّ القُلُــوبِ يَــوْمَ اسْــتَقَلَّتْ ❊ ظُعُــنُ الحَــيِّ لَــوْ تكُــونُ عُيُونَــا[٢]

فهذا المذهبُ الذي سَلَكَهُ البحتريُّ أَوْلَىٰ بالصوابِ في وصفِ النساءِ المُفَارِقاتِ، وأَشبهُ بأَحوالهنَّ من مذهبِ «أَبي تمامٍ» في وصفِه إياهنَّ بشدَّةِ الجزعِ، والوَلَهِ، وبكاءِ الدم، ولطمِ الوجه، والإِشْفَاءِ علىٰ الهَلَكَةِ، وإِظهارِهِ التجلُّدَ، وقلةَ الاحتفال بهنَّ، وذلك قوله[٣]:

وقَالَتْ: أَتَنْسَىٰ البَدْرَ؟ قُلْتُ تَجَلُّدًا ❊ إِذا الشمسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ البَدْرُ

وقالَ أَيضًا[٤]:

ومَــا الــدَّمْعُ ثَــانٍ عَزْمَتــي ولَــوَ انَّــهُ ❊ سَقَىٰ خَدَّها مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَها نَهْرُ

وقولُه[٥]:

لَهَــا مِــنْ لَوْعَــة البَـيْنِ الْتِـدامٌ ❊ يُعِيــدُ بَنَفْسَــجًا وَرْدَ الخُــدُودِ

وقولُه[٦]:

وَصَــلَتْ دُموعًــا بالــدِّماءِ فَخَــدُّها ❊ فــي مِثْــلِ حاشــيةِ الــرِّداءِ المُعْلَــمِ

وَلِهَــتْ فَــأَظْلَمَ كُــلُّ شــيءٍ دُونَهــا ❊ وَأَضَــاءَ منهــا كــلُّ شــيءٍ مُظْلِــمِ

---

(١) ديوانه: (من وراء السجوف)، وفي «ص»: (من وراء الغيور) تحريف.

(٢) ديوانه: (أن تكون عيونا).

(٣) سبق في ٢/٣١٢.

(٤) سبق في ٢/٣١٢.

(٥) شرح الصولي: ١/٤٣٥، شرح التبريزي: ٢/٣٢، والبيت من الوافر، وانظر ما قاله فيه الآمدي في كتابه المفقود «تفسير معاني أبيات أبي تمام»، الآمدي الحسن بن بشر بين الموازنة وآثار له نادرة، بتحقيقنا، ص ١٥٩.

(٦) سبقا في ٢/٣١٤.

[٢/٨٣/ب] ولو كانَ وصف بهذا زوجتَهُ، أَو ابنتَهُ، لكانَ معذورًا ولكنَّه إِنما وصف حبائِبه؛ لأَنَّه ذكرهنَّ بالجمالِ والحسنِ، والزوجاتُ لا يوصفنَ بذلك.

وما انتهىٰ عمرُ بن أَبي ربيعةَ الذي كان مُعَشَّقًا يَنْذِرُ أَشْرافُ النساءِ النُّذُورَ في رؤيتِهِ ومجالستِهِ مِنْ ذكرِ صبوتهنَّ به إِلىٰ مِثْلِ هذه الأَوصافِ، ولا قريبٍ منها، وقد عيبَ عمرُ بذلك، واستُقْبِحَ منه، علىٰ أَنَّه قد صَدَقَ في أَكثرِ ما قال، ولم يكذبْ، وأَتىٰ بالأَخبارِ علىٰ وجوهِهَا، فلم يقنعْ أَبو تمامٍ إلا بالزيادةِ عليه، والتناهي فيما يخرجُ عن العادةِ.

وقالَ أبو تمام(١):

لَمَّا اسْتَحَرَّ الوَدَاعُ المَحْضُ وانْصَرَمَتْ ❊ أَوَاخِـرُ الصَّـبْرِ إِلَّا كاظِمًـا وَجِمَـا
رَأَيْـتَ أَحْسَـنَ مَرْئـيٍّ، وأَقْبَحَـهُ ❊ مُسْـتَجْمِعِينَ لِـيَ التَّوْدِيـعَ والعَنَمَـا

استحسنَ إِصبَعَها(٢)، واستقبحَ إِشارَتَها مُوَدِّعةً، والعنمُ: شجرٌ(٣) له أغصانٌ لطيفةٌ غَضَّةٌ كأَنَّها بنانُ جاريةٍ، والواحدةُ عَنَمَةٌ.

وهذا خطأٌ منه أن يستقبحَ إِشارتَهَا بالوداعِ إِليهِ، أتراهُ ما سَمِعَ قولَ جريرٍ(٤):

أَتَنْسَـىٰ إِذْ تُوَدِّعُنَـا سُـلَيْمَىٰ ❊ بِفَـرْعِ بشَـامَةٍ سُـقِيَ البَشَـامُ

فدعا لِلْبشَامِ بالسُّقْيَا، لأَنَّها ودَّعَتْهُ بهِ فَسُرَّ بتوديعِهَا.

وأبو تمامٍ إنما استحسنَ إِصبَعَها، واستقبَح إِشارتَها، فما ظنُّكَ بمن استقبحَ

(١) شرح الصولي: ٢/٤٣٣، شرح التبريزي: ٣/١٦٧، والبيتان من البسيط.
(٢) «ص»: (اصنعها) تصحيف.
(٣) «ص»: (أشجار) تحريف.
(٤) ديوان جرير ١/٢٧٩، والبيت من الوافر.

إشارةَ معشوقةٍ [٨٤/٢/أ] إليهِ عندَ توديعِهِ، وهذا يدلُّ على أنَّه ما عرفَ شيئًا من هذا ولا شاهدَهُ، ولا بُلِيَ بهِ.

وقالَ في وصفِ النساءِ المفارقاتِ أيضًا(١):

خَفَّتْ دُمُوعُكَ في إِثْرِ الخَلِيطِ لَدُنْ ❊ خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضْبَانُ والكُثُبُ

مِـنْ كُـلِّ مَمْكُـورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَـا ❊ ذَوْبَ الغَمَـامِ فَمُنْهَـلٌّ ومُنْسَـكِبُ(٢)

أَطَاعَهَا الحُسْنُ، وانْحَطَّ الشَّبابُ عَلَى ❊ فُؤَادِهَا، وجَرَتْ في رُوحِهَا النِّسَبُ

لَـمْ أَنْسَـها وصُـرُوفُ البَيْنِ تَخْلِجُهـا ❊ ولا مُعَـوَّلَ إِلَّا الوَاكِـفُ السَّـرِبُ(٣)

أَدْنَتْ نِقَابًا عَلَى الخدينِ وانْتَسَبَتْ ❊ لِلنَّـاظِرِينَ بِقَـدٍّ لَـيْسَ يَنْتَقِـبُ(٤)

كانَـتْ لَنَـا لعبًـا نَلْهُـو بِزُخْرُفِـهِ ❊ وقَدْ يُنَفِّسُ عَنْ جِدِّ الفَتَى اللَّعِبُ(٥)

وهذه أبياتٌ حِسَانٌ، جيدة المعاني.

وقوله: «أطاعها الحسن» من أَبياته التي يسأَلُ الناسُ عنها، فقوله: «أَطاعها الحسن» من قول بشَّارِ بن بُرْدٍ(٦):

كَمـا اشْـتَهَتْ خُلِقَـتْ إذا اعْتَـدَلَتْ ❊ تَمَّـتْ تَمَامًـا فـلا طُـولٌ ولا قِصَـرُ

---

(١) شرح الصولي: ١/٣٠٠، شرح التبريزي: ١/٢٣٩، والأبيات من البسيط، وشرح أبو العلاء البيت الأول فقال: خفَّت: أسرعت، والكُثُب الأولى: جمع كثب من الرمل، والكثب الثانية مراد بها أرداف النساء، والقضبان: القدود.

(٢) (ممكورة): مطوية الخَلْق، أو ناعمة.

(٣) عند الصولي والتبريزي: (مصروف البين تظلمها).

(٤) قال التبريزي: استترت بالنقاب لئلا تعرف، لكنها عرفت بقدها.

(٥) «ص»: (وأنت لنا)، وعند الصولي والتبريزي: (ملوبًا).

(٦) لم أجده في ديوان بشار، ووجدته منسوبًا إلى عكاشة بن منصور العمي في الأغاني: ٣/٧٧، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية، كان يهوى جارية لبعض الهاشميين يقال لها نعيم.

وفي نحوه قولُ أَبي نواسٍ(١):

تُرِكَـــتْ والحُسْـــنَ تَأْخُـــذُهُ ❁ تَنْتَقِـــي مِنْـــهُ وتَنْتَخِـــبُ

فانْتَقَـــتْ مِنْـــهُ طَرَائِفَـــهُ ❁ واسْـتَزَادَتْ فَضْـلَ مـا تَهَـبُ

[٢/٨٤/ب] قوله: «وانحط الشباب على فؤادِها» يريدُ الذكاءَ والتيقُّظَ.

وقوله: «وجرَت في روحها النِّسَبُ»، هو أَنْ يقالَ: خفيفةُ الروحِ، وعَذْبَةُ الرُّوحِ، ونحو هذا، كذا فسّره الشيوخُ بعد أَن جرىٰ في البيتِ خَوْضٌ طويلٌ(٢).



(١) ديوان أبي نواس: ٤/١٤: وفيه: (خُلِّيت).

(٢) ديوانه: (فاكتست)، (يهبُ)، والبيتان من المديد.

ما ذَكَرَهُ من استيلاءِ النَّوى على الأحبابِ المفارقينَ

قالَ أبو تمامٍ(١):

وفـي الكِلَّـةِ الصَّـفْرَاءِ جُـؤْذَرُ رَمْلَـةٍ ✽ غَـدَا مُسْـتَقِلًّا ، والفِـرَاقُ مُعَادِلُـهْ

تَيَقَّنْـتُ أَنَّ البَـيْنَ أَوَّلُ فَاتِـكٍ ✽ بـه مُـذْ رَأَيْـتُ الهَجْـرَ وَهْـوَ يُغَازِلُـهْ

قولُه: «الفراقُ معادلُهْ» معنىٰ غيرُ جيدٍ ولا صحيحٍ ؛ لأَنَّ الفراقَ هو مُفَارَقَةُ كلِّ واحدٍ من الاثنين صَاحِبَه ، فإذا جعلَ الفراقَ ماضيًا مع أحدهما ، وأَخلىٰ الآخرَ منهُ كانَ الآخرُ غيرَ مفارقٍ ، وهذا محالٌ ، وإِنَّما أَوقعَ أَبا تمامٍ فيه أَنَّه جعلَ الفراقَ كأَنَّه شخصٌ مُسَلَّطٌ علىٰ المحبوب ، استولىٰ عليه فذهبَ .

وقد يُستعملُ مثلُ هذا ولكنْ ليسَ علىٰ هذا الوجهِ(٢) .

---

(١) شرح الصولي: ٢/١٩٦ ، شرح التبريزي: ٣/٢٣ ، والبيتان من الطويل .

(٢) وقد فسره الآمدي في كتابه: (تفسير معاني أبيات أبي تمام) المفقود ، ونقل نصوصًا منه ابن المستوفي في كتابه «النظام شرح ديواني المتنبي وأبي تمام» ، (انظر: «الآمدي الحسن بن بشر بين الموازنة وآثار له نادرة» ص ١٧٩) .

قال الآمدي:

ومما يسأل عنه من معانيه قوله: (وأنشد هذا البيت) ، وقال: فيقال إذا غدا مستقلًا وعادله الفراق فقد استقل معه ، وإذا مضىٰ الفراق بمُضِيِّه فقد بقىٰ الوصال عند مجيئه ، إذا كان ذهاب أحد هذين الضدين إنما هو بوجود الآخر ، فما الذي يكونه حينئذ إذا عدم الفراق ؟

الجواب: أنه لم يذهب إلىٰ هذا المعنىٰ ، لكنه ذهب إلىٰ أن مثل الفراق شخصًا يقصده في محبوبه ويغلبه عليه ، فلهذا قال: (الفراق معادله) كأنه جعله واليًا عليه ، ألا ترىٰ إلىٰ قوله في موضع آخر:

أتـرىٰ الفـراق يظـن أنّـي غافـل ✽ عنـه وقـد لمسـت يـداه لميسـا

فهذه السبيل سلك ، وهي من استعارته الرديئة ، وقد أصلحه بعضهم فقال: (والفؤاد معادله) ، وذلك باطل .

والاستعارةُ التي هي أقربُ إلىٰ الجوازِ قولُهُ[1]:

سَـعِدَتْ غُرْبَـةُ النَّـوَىٰ بِسُـعَادِ ❊ فَهْـي طَـوْعُ الإِتْهـامِ والإِنْجَـادِ

وذلك أَنَّ النوىٰ إِنما هي: نِيَّةُ القوم المفارقينَ دونَ غيرِهِمْ من [٨٥/٢/أ] المقيمين.

وقالَ البحتريُّ[2]:

قَـدْ بَـيَّنَ البَـيْنُ المُفَـرِّقُ بَيْنَنَـا ❊ عِشْـقَ النَّـوَىٰ لِرَبِيـبِ ذَاكَ الرَّبْـرَبِ

فنسبَ العشقَ إلىٰ النوىٰ علىٰ سبيلِ الاستعارةِ.

وقالَ البحتريُّ وهو حسنٌ[3]:

نَـوَيْنَ النَـوَىٰ، ثُـمَّ اسْـتَجَبْنَ لِهَـاتِفٍ ❊ مِـنَ البَـيْنِ نَـادَىٰ بـالفِرَاق فأَسْـمَعَا

وَحَـاوَلْنَ كِتْمَـانَ التَّرَحُّـلِ بالـدُّجَىٰ ❊ فَبَـاحَ بِهِـنَّ المِسْـكُ لَمَّـا تَضَـوَّعَا[4]

وأَردأُ من قولِ أَبي تمامٍ: «والفراقُ معادلُهْ»، وأَقبحُ وأَسخفُ قولُ أَبي تمامٍ[5]:

أَتُـرَىٰ الفِـرَاقَ يَظُـنُّ أَنِّـي غَافِـلٌ ❊ عَنْـهُ وقـد لَمَسَـتْ يَـدَاهُ لَمِيسَـا

ما زلتُ أَسمعُ الشيوخَ من أَصحابِ أَبي تمامٍ المتعصبينَ له دونَ مَنْ سواهم يقولون: أَتراه أَيَّ شيءٍ أَراد أَنْ يصنعَ بالفراقِ: يقطعُ يديه أَو رجليه، أَو يصلبه

---

(١) سبق في ٢/٢٩٠.

(٢) سبق في ٢/٣١٩.

(٣) ديوانه: ٢/١٢٦٣، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: (حين تضوعا).

(٥) شرح الصولي: ١/٥٨٠، شرح التبريزي ٢/٢٦٣، والبيت من الكامل.

على جذعٍ؟

وقالَ أبو تمام(١):

لا أَظْلِمُ النَّأْيَ؛ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُها ❁ مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَىٰ عِنْدِي نَوًىٰ قُذُفَا

وهذا معنىً جيدٌ حسنٌ.

والقُذُفُ: البعيدةُ.

وقالَ أَيضًا(٢): [٢/٨٥/ب]

دَعِ الفِـرَاقَ فَـإِنَّ الـدَّهرَ سَـاعَدَهُ ❁ فَصَـارَ أَمْلَـكَ مِـنْ رُوحِـي بِجُثْمَـاني

[وهذا في جملةِ أبياتِهِ المشهورةِ التي لهجَ الناسُ بها وهي:

مـا اليـومُ أَوَّلَ تـوديعي ولا الثـاني ❁ البَيْنُ أَكثرُ مِنْ شَوقِي وأَحْزَانِي](٣)

خليفةَ الخِضْرِ مَنْ يَرْبَعْ علىٰ وَطنٍ ❁ فـي بلـدةٍ فَظُهـورُ العِيسِ أَوطـاني(٤)

بالشام قومي، وبَغْدَادُ الهَوَىٰ، وأَنَا ❁ بـالرَّقَّتَيْنِ، وبالفُسْـطَاطِ إِخْـوَانِي

وما أَظُنُّ النَوَىٰ تَرْضَىٰ بِمَا صَنَعَتْ ❁ حَتَّـىٰ تُبَلِّـغَ بـي أَقْصَـىٰ خُرَاسَـانِ

قولُهُ: «البَيْنُ أَكثر من شَوْقِي وأَحزاني» أي زادَ عليها، وغَلَبَها حتىٰ صرتُ لا أَشتاقُ، ولا أَحزنُ؛ لكثرةِ ما أُفارِقُ.

---

(١) شرح الصولي: ٤٩/٢، شرح التبريزي: ٣٦٣/٢، والبيت من البسيط.

(٢) شرح الصولي: ٢٥/٣، شرح التبريزي: ٣٠٨/٣، والأبيات من البسيط.

(٣) الزيادة من نسخة للموازنة نسبت إلىٰ ابن الأثير، ووضع لها عنوان آخر وهو: «القول الفائق الأريب بِعُتْبَىٰ وليد وذكرىٰ حبيب»، انظر: ٣٤٩/٣ من الموازنة، وسيكون رمزها «ل».

(٤) خليفة الخضر: أي هو مسافر دائمًا، كالخضر الذي يزعم بعض الناس أنه حيٌّ لم يمت، وأنه يطوف بالبلاد.

ذِكْرُ الأنفاسِ والحُرَقِ والزَّفَراتِ عندَ الفراقِ

قالَ أَبو تمامٍ[1]:

فَلَــوْ تَرَانَــا وإِيَّــاهُمْ ومَوْقِفَنَــا ✤ فـي مَـأْتَمِ البَـيْنِ لِاسْـتِهْلَالِنَا زَجَـلُ
مِـنْ حُرْقَـةٍ أَطْلَقَتْهَـا فُرْقَـةٌ أَسَـرَتْ ✤ قَلْبًـا ، ومِـنْ عَـذَلٍ فـي نَحْـرِهِ غَـزَلُ[2]

قوله: «أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ» يعني أَبرزَتْهَا وأَظهرْتَها، وإنما قالَ: «أَطلقتها» من أَجلِ قولِهِ: «أسرت قلبًا»؛ ليطابقَ بينَ الإِطلاقِ والإِسارِ.

وقوله: «أسرت قلبًا» يعني الفرقة، معنىً رديءٌ، لأَنَّ القلبَ إِنما يأسرُهُ ويملكُهُ شدَّةُ الحبِّ لا الفراقِ، فإن لم يكُ مأسورًا قبل الفراقِ فما كان هناك حبٌّ، فلم خصَّ التوديعَ؟ وما كان وجهُ هذا البكاءِ [٨٦/٢/أ] والاستهلالِ والزجلِ، وهذه القصةُ الفظيعةُ التي وصفَ الحالَ فيها عندَ مفارقَتِهِمْ؟

وقد ذكرتُ هذا مشروحًا في بابِ أغاليطِهِ[3]:

وقالَ أبو تمامٍ[4]:

---

(١) شرح الصولي: ١٧٢/٢، شرح التبريزي: ٦/٣. والبيتان من البسيط وفيهما: (ولو تراهم وإيانا). ورواية الموازنة تتفق مع رواية النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام، وأمام القصيدة قال: (صحت من خطه) أي من خط أبي تمام. (انظر: ص ١٣٢ من «النسخة الأندلسية من ديوان أبي تمام»). وقال في الهامش: (نسخة: ولو تراهم وإيانا).

(٢) عند الصولي والتبريزي: (ومن غزل في نحره عذل)، وتتفق رواية الموازنة مع النسخة الأندلسية.

(٣) انظر: ص ٤٢٩ من الجزء الأول.

(٤) سبق في ٤٢٩/١.

أَمَـــرَ التَّجَلُّـــدَ بالتَّلَـــدُّدِ حُرْقَـــةٌ ❊ أَمَـــرَتْ جُمُـــودَ دُمُوعِـــه بِسُـــجُومِ

قوله: «أمر التجلدَ بالتلدّدِ حرقةٌ»، جعلَ الحرقةَ آمرةً للتجلد بالتَّلَدُّد.

والحرقةُ التي يكونُ معها التَّلَدُّدُ تُسْقِطُ التَّجَلُّدَ أَلبتة، وتذهبُ به، وأَما أَنْ تجعلَهُ متلدِّدًا فإنَّ هذا من أَحمق المعاني، وأَولاها بالاستحالةِ، بلىٰ لو قالَ: إنَّ الفرقة أَحالتْ التجلُّدَ إلىٰ التَّلَدَدِ، أَو أَبدلتْ من التجلُّدِ التلددَ لكانَ ذلك هو السائغُ الحسنُ.

وأيُّ لفظٍ أَسخف أَيضًا من أَن جعلَ الحرقةَ آمرةً، وإِنما العادةُ في مثلِ هذا أَن تكونَ باعثةً، أو جَالِبَةً، أَو نحوَ هذا، فأَما الأَمرُ فليسَ هذا موضِعَهُ.

وقال أَيضًا[1]:

ومَــنْ زَفْــرَةٍ تُعْطِــي الصَّــبَابَةَ حَقَّهــا ❊ وتُورِي زِنَادَ الشَّوْقِ تَحْتَ الحَشَا الصَّلْدِ

قوله: «منْ زَفْرَةٍ تُعْطِىٰ الصَّبَابَةَ حَقَّها» معنىٰ جيدٌ حسنٌ.

ولله دَرُّ البحتريِّ إذ يقولُ[2]: [٢/٨٦/ب]

بــاتُوا جمِيعًــا، ثــمَّ فَــرَّقَ شَـمْلَهُمْ ❊ بَـيْنٌ كتَقْــوِيضِ الجَهَــام المُقْلِــعِ

ووراءَهـــم صُـــعَدَاءُ أَنْفَـــاسٍ إِذَا ❊ ذُكِـرَ الفِـرَاقُ أَقَمْـنَ عُـوجَ الأَضْـلُعِ[3]

وقال أَيضًا[4]:

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٨٤، شرح التبريزي: ٢/١١١، والبيت من الطويل.
والصلد: الزناد الذي لا يوري النار.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٨٦. والبيتان من الكامل، وفي ديوانه: (كانوا جميعًا).

(٣) «ص»: (أصعار). تحريف.

(٤) ديوانه: ٢/١٢٧٩، والبيت من الخفيف.

عَبَـــرَاتٌ مِـــلْءُ الجُفُـــونِ مَرَتْهَـــا ❁ حُـــرَقٌ لِلفِـــرَاقِ مِـــلْءُ الضُّـــلُوعِ

ومثل قوله: «كتَقْويضِ الجَهَام المُقْلِعِ» قولُ أَبي تمام:

نَوًىٰ كانْقِضَاضِ النَّجْمِ كانَتْ نَتِيجَةً ❁ مِنَ الهَزْلِ يَوْمًا إِنَّ هَزْلَ الهَوَىٰ جَدُّ[1]

فقولهما: كَتقويض الجهامِ، وكانقضاضِ النجمِ يُرِيدَانِ السرعةَ.

والجَهَامُ: السحابُ الذي قد أَراقَ ماءَه فهو سريعُ الذهاب.

في بيت أَبي تمام: لا يليقُ أَوَّلُه بآخِرِه؛ لأَنَّه قال: «كانت نتيجته من الهزل» يعني النوىٰ، أَي كانَ ذكرُهُمْ للرحِيلِ قولًا عبثًا فنتجَ ذلك أَنْ حقَّقوا الرحيلَ، وجدُّوا فيه، وهذا معنىٰ جيدٌ بالغٌ؛ ولفظٌ مستقيمٌ، ولكنْ أَفسدَهُ بقولِهِ: «إن هزلَ الهوىٰ جدٌّ»؛ وليس هزلُ الهوىٰ وجدُّه من هذا المعنىٰ في شيءٍ، وإِنما كانَ وجهُ الكلامِ أَنْ يقولَ: ورُبَّ جدٍّ نَتَجَهُ الهزلُ، أَو وَرُبَّ كبيرٍ هاجَهُ صغيرٌ.

ولولا أَنَّ في سائرِ النُّسخ «إِن هزل الهوىٰ» لظننتُهُ ما قالَ إِلا «هزل النوىٰ» لأَنهم أَبدًا ينغمون بالرحيل [٨٧/٢/أ] ولا يعزمونَ، فيكون ذلك كالهزلِ، ثم يجدُّ الجدُّ فيحققون، ويرتحلون، وقد عرفنا مثلَ هذا مشاهدة في غيرِ شيءٍ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

وَكَـمْ نَافَسُـوا مِـنْ حُرْقَـةٍ إِثْـرَ فُرْقَـةٍ ❁ تعجَّـــب مـــن أَنفاســـنا وامتـــدادِهَا

فهذا موضعُ الحرقةِ والفرقةِ.

وأَجودُ من هذا كلِّه ما أَنشدناه[3] أَبو الحسنِ: موسىٰ بنُ سليمانَ الهمداني

(١) شرح الصولي: ٤٦٦/١، شرح التبريزي: ٨١/٢، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٦٧٥/٢، والبيت من الطويل.

(٣) «ص»: (موسىٰ أبو الحسن موسىٰ) فهو خطأ.

عن أبي دُلَفٍ: هاشِمِ بنِ محمدٍ الخُزَاعِي، عن ابنِ الأَعرابيِّ، وحكىٰ عن أبي دُلَف قال:

دخلتُ علىٰ ابنِ الأَعرابيِّ، وعندَه البحتريُّ، قالَ: فتذاكرنا شعرَ الرجلِ، فقال ابنُ الأَعرابيِّ: ما استحسنتُ له شيئًا إلا قولَه(١):

فَلَمَّــا تَبَيَّنْــتُ المَنَــازِلَ بَــالحِمَىٰ ❊ ولــم أَقْــضِ منهــا حَاجَــةَ المُتَــزَوِّدِ

زَفَــرْتُ إِليهــا زفْــرةً لــو حَشَــوْتُها ❊ سَــرَابِيلَ أَبْــدَانِ الحَدِيــدِ المُسَــرَّدِ

لَــذَابَتْ حَوَاشِــيها وظَلَّــتْ بِحَرِّهَــا ❊ تَلِــينُ كمــا لَانَــتْ لِــدَاوُدَ باليَــدِ

والرجلُ ـ العَلَوِيُّ البَصْرِيُّ(٢) ـ أَشعرُ من أَبي تمامٍ والبحتريِّ في هذا الباب.



(١) وردت الأبيات دون نسبة في: التذكرة الحمدونية. المحب والمحبوب والمشموم والمشروب نسب للسري الرفاء.
وجاء البيتان الأخيران في زهر الآداب للحصري القيرواني ٣/٢٥٥، المكتبة العصرية، بيروت سنة ٢٠١١، مع اختلاف رواية كلمات في بعض الأبيات.

(٢) هو صاحب الزنج، ادعىٰ أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (انظر قصته في تاريخ الطبري، ٩/٤١٠ وما بعدها).

زوالُ الصبرِ وقلةُ التجلُّدِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

أَتظنُّنِـي أَجِـدُ السَّـبِيل إِلـىٰ العَـزَا ❊ وَجِـدَ الحِمَــامُ إِذًا إِلــيَّ سَــبِيلَا

[٢/٨٧/ب] الصَّبْرُ أَجْمَلُ غير أَنَّ تَلَدُّدًا ❊ فـي الحُـبِّ أَحْرَىٰ أَنْ يكـونَ جَمِـيلَا

وهذا معنىً حسنٌ.

وقد قالَ نحوَه في مرثيةِ إِدريسَ بن بدرٍ السَّامي(٢):

وقد كانَ يُدْعىٰ لَابِسُ الصَّبرِ حَازِمًا ❊ فأَصبحَ يُـدْعَىٰ حازِمًـا حِـينَ يَجْـزَعُ

أَخذَ الجميعُ من قولِ العُتْبِي(٣):

أَضْـحَتْ بِخَـدِّي للـدُّمُوع رُسُـومُ ❊ أَسـفًا عليـك، وفـي الفـؤادِ كُلُـومُ

والصَّبْرُ يُحْمَـدُ فـي المـواطنِ كلِّهـا ❊ إِلا عليــك فإِنَّــه مَــذْمُومُ(٤)

وقالَ أَبو تمامٍ(٥):

---

(١) شرح الصولي: ٢/٢٩٠، شرح التبريزي: ٣/٦٦. والبيتان من الكامل، وفيهما يسبق البيت الثاني الأول.

(٢) شرح الصولي: ٣/٣١٤، شرح التبريزي: ٤/٩٤، والبيت من الطويل.
وفي «ص»: (ابن بدر التبياني) تحريف.

(٣) العتبي هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأموي، أديب، كثير الأخبار، حسن الشعر، من أهل البصرة، ووفاته بها سنة ٢٢٨، له تصانيف منها (أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن)، و(الأخلاق) و(أشعار الأعاريب)، و(الخيل).
والبيتان في الكامل للمبرد: ٢/٥٥٥، والعقد الفريد: ٣/٢١٨.

(٤) في الكامل: (في المصائب كلها).

(٥) شرح الصولي: ١/٤٦٧، شرح التبريزي: ٢/٨١، والبيت من الطويل.

ومــا أَحَــدٌ طَــارَ الفِــرَاقُ بِقَلْبِــهِ ❁ بِجَلْـدٍ ولكــنَّ الفِـرَاقَ هُــوَ الجلْـدُ

وهذا معنىٰ سخيفٌ جدًّا.

ولكن قد أَحسنَ، وأَلطفَ، وأَجادَ في قولِهِ حينَ قال(١):

يُصَبِّــرُنِي أَنْ ضِــقْتُ ذَرْعًــا بِحُبِّــهِ ❁ ويَجْـزَعُ أَنْ ضَــاقَتْ عليــه خَلَاخِلُـهْ

وقالَ أَيضًا(٢):

رَحَــلَ العَــزَاءُ مَــعَ الرَّحيــلِ كأَنَّمــا ❁ أُخِــذَتْ عُهُودهُمَــا عَلَــىٰ مِيعَــادِ

وَكَــأَنَّ أَفْئِــدَةَ النَّــوَىٰ مَصْــدُوعَةٌ ❁ حتَّــىٰ تَصَــدَّعَ بــالفراقِ فُــؤادِي

و«أَفئدة النوىٰ مصدوعة» يشبه قوله(٣): [٨٨/٢/أ]

وكَمْ أَبْرَزَتْ مِنْكُمْ علىٰ قُبْح قدِّها ❁ صُرُوفُ النَّوَىٰ مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ القَدِّ

وما أَظنُّ أَحدًا انتهىٰ في الجهلِ، والعِيِّ، واللُّكْنَةِ، وضيقِ الحيلةِ في الاستعارةِ إِلىٰ أَنْ جعلَ لِصُروفِ النوىٰ قدًّا، وأفئدةً مَصْدوعَةً غيرَ أبي تمام.

وقالَ البحتريُّ(٤):

ويَــأْمُرنِي بالصَّــبْرِ مَــنْ لَــيْسَ وَجْـدُهُ ❁ كَوَجْدِي، ولا إِعْلانُ حَالِي كَحَالِهِ(٥)

(١) شرح الصولي: ١٩٢/٢، وشرح التبريزي: ٢٤/٣، وفيهما (يعنفني أن ضقت ذرعًا بنأيه)، وفي النسخة الأندلسية: (يصبرني) و(بهجره) وقال: صحت من خطه ص ١٤٥.

(٢) شرح الصولي: ٤٩٤/١، شرح التبريزي: ١٢٧/٢. والبيتان من الكامل.

(٣) شرح الصولي: ٤٨٤/١، شرح التبريزي: ١١٠/٢. والبيت من الطويل.
وفي «ص»: (قبح خدها)، والتصحيح من «ل»، ثم من تعليق الآمدي علىٰ البيت.

(٤) ديوانه: ١٦٢٣/٣. والبيتان من الطويل.

(٥) انظر ترجمة أبو الشهبي في ٦٢/٣، والبيت في ديوانه ص٥٩، تحقيق: عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٨٤.

فإِنْ أَفْقِد العَيْشَ الذي فَاتَ باللِّوَىٰ ✤ فَقِدْمًا فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ

وهذا ـ لعمرُ الله ـ لفظٌ ومعنىً في غايةِ الحسنِ والبراعةِ.

ومثلُهُ قولُ أَبي الشِّيصِ(١):

يُصَبِّرُني قَومٌ بَرَاءٌ مِنَ الهَوَىٰ ✤ ولَلصَّبْرُ تَاراتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

وقالَ أبو تمام(٢):

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ✤ وعَادَتْ صَبَاهُ في الصَّبَا وهي شَمْأَلُ

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ ✤ ووَجْدِيَ مِنْ هَذَا وهَذَاكَ أَطْوَلُ

جعلَ الصَّبَا شمالًا ؛ لأَنَّ الشَّمالَ تُفرِّقُ ، وقد تقدمَ ذكرُ هذا في الابتداءاتِ(٣).

ثم انظر إِلىٰ هذا السخف: كيفَ جعلَ للدهرِ عرضًا علىٰ هذا اللفظِ الذي كأَنَّه به يمسحُ أرضًا ، أَو يَذْرَعُ ثوْبًا.

[٢/٨٨/ب] وقالَ أبو تمامٍ أَيضًا(٤):

لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الهَوَىٰ حَقَّ الهَوَىٰ ✤ دَنِفٌ أَطَافَ بِهِ الهَوَىٰ فتجلَّدَا

صَبٌّ تَوَاعَدَتِ الهُمُومُ فُؤَادَهُ ✤ إِنْ أَنْتُمُ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا

لِمْ تُنْكِرينَ مَعَ الفِرَاقِ تَلَدُّدِي ✤ وَبراعَةُ المُشْتَاقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا(٥)

(١) شرح الصولي: ٢/٢٩٧ ، شرح التبريزي: ٣/٧٢. والبيتان من الطويل.

(٢) انظر ص ٢٩١ من الجزء الثاني.

(٣) انظر ١/٣٥٧.

(٤) شرح الصولي: ١/٤٧٩ ، شرح التبريزي: ٢/١٠٢. والأبيات من الكامل.

(٥) عند الصولي والتبريزي: (تبلدي)، وهي أقرب إلىٰ مذهب أبي تمام، ورونه النسخة الأندلسية من ديوانه ، والقصيدة فيها صحت من خط أبي تمام.

وهذا المعنىٰ مأْخوذٌ من قولِ قَيْسِ بن ذَرِيح[1]:

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إِلَىٰ غَيْرِهـا الهـوىٰ ❊ فـإِنْ هُـوَ لَاقَاهَـا فَغَيْـرُ بَليـغِ

وقالَ البحتريُّ[2]:

هَلْ أَنْتَ مُصْطَبِرٌ عَلَىٰ مَضَضِ الأَسَىٰ ❊ إِذْ كـانَ بَيْـنهُمُ ورِحْلَـتُهمْ غَـدَا

لَا تكْـذِبَنَّ ؛ فمـا أَمَـارَاتُ النَّـوىٰ ❊ للصَّـبِّ إلا مِـنْ أَمَـاراتِ الـرَّدَىٰ

لُـؤْمٌ بعينـي أَنْ يُلائِمهـا الكَـرَىٰ ❊ عَـنْ سـلْوَةٍ ، وبِمَائِهـا أَنْ يَجْمُـدَا

قد أَتىٰ هذا البيتُ الأَخيرُ علىٰ غرضِ أَبي تمامٍ في بيتِهِ الأَوّلِ.

وأَبو تمامٍ في أَبياتِهِ ـ مع ما فيها من السَّرقِ ـ أَشعر من البحتريِّ في أَبياتِهِ.



(١) ديوانه ص٩٥ ، اعتنىٰ وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت سنة ٢٠٠٤ م.
(٢) لم أجد الأبيات في ديوان البحتري ، كما لم أقف عليها في مصادر أخرىٰ.

ما قالاه في قتلِ الفراقِ للمفارقِ وسفكِ دمِهِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

قَالُوا: الرَّحِيلُ غداً لَا شَكَّ، قُلْتُ لَهُمْ: ❊ الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ اسمَ الحِمَامِ غَدُ

[٨٩/٢/أ]كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الجَيْشَ اللُّهَامَ إِذَا ❊ بَانُوا سَتَحْكُمُ فيهِ العِرْمِسُ الأُجُدُ(٢)

مَا لِامْرِئٍ خَاضَ في بَحْرِ الهَوَىٰ عُمُرٌ ❊ إِلَّا ولِلْبَينِ مِنْه السَّهْلُ والجلَدُ(٣)

كأنما البَينُ في إِلحاحِهِ أَبَداً ❊ علىٰ النُّفوسِ أَخٌ للموتِ أَوْ وَلَدُ

اللُّهَامُ: الذي يلتهمُ كلَّ شيءٍ لكثرتِه، والعِرْمِسُ: الناقةُ الشديدةُ، وكذلك الأُجُدُ: هي المُوَثَّقَةُ(٤) الخَلْقِ.

ولم يكُ هذا عندي وجه الكلامِ، بل كانَ وجهُهُ لمَّا قال: الجيشُ اللُّهامُ أَنْ يقولَ: النَّابُ الضَّعيفةُ، فيهوِّن أَمرَهَا، لا النَّاقَةُ الأُجُدُ؛ لأَنَّ النَّابَ قد يقطعُ بها السفرَ البعيدَ كما قال(٥):

وقَدْ تَقْطَعُ الدَّوِّيَّةَ النَّابُ(٦)

---

(١) شرح الصولي: ٤٢٤/١، شرح التبريزي: ١٠٢/٢. والأبيات من البسيط، وفيهما: (اليوم أيقنت).

(٢) قال التبريزي: (والمعنىٰ: أن الجيش كان يعجز عن فعل هذا المحب، فقتلته العرمس الأُجد، لأنها حملت محبوبه). و(إذا) ساقطة من شرح الصولي.

(٣) (عُمُرٌ) ساقطة من شرح الصولي.

(٤) «ص»: (الموفقة) تحريف.

(٥) «ص»: (كما قال بيت شعر ناب)، وهي عبارة مقحمة من الناسخ.

(٦) مجمع الأمثال للميداني: ١٠٥/٢، والدوية: المفازة، والناب: الناقة المسنة، يضرب للشيخ فيه بقية.

وقوله: «ما لامرئ خَاضَ في بحرِ الهوىٰ عُمُرٌ» قد أَساءَ فيه إِساءَةً ذكرتُها فيما ذكرتُ من أَغاليطِهِ[1].

وقال أبو تمامٍ[2]:

لَـوْ حَـارَ مُرْتَـادُ المَنِيَّـةِ لَـمْ يَجِـدْ ❊ إِلا الفـراقَ علَـىٰ النُّفُـوسِ سَـبِيلَا

قـالُوا: الرَّحيـلُ فَمَـا شَـكَكْتُ بأَنَّهـا ❊ نَفْسِـي عَـنِ الـدُّنيا تُرِيـدُ رَحِـيلَا

(١) انظر ص ٤٣١ من الجزء الأول.

وقد نقل ابن المستوفي في كتاب (النظام)، تعليقًا للآمدي يختلف نصه عما ورد في الموازنة، لكنَّه لا يخرج عن معناه يقول: وقال الآمدي:

(يريد بقوله: «عمر» أي حياة، أو ماله عيش إلا والبين مشتمل عليه كله، أي لا يخليه وقتًا في عمره من فراق الحبيب، والعمر والمعمر بمعنىٰ واحد، وهما الموضع المعمور بمقام أهله فيه، ولذلك قيل لدير النصارىٰ: عُمُرٌ، فيجوز أن يكون الطائي أراد ما لامرئٍ خاض في بحر الهوىٰ عمرُ: أي مَحَل عمرهِ في وقت إلا وأضلاه البين من أحبته.

وقوله: «إلا وللبيت فيه السهل والجلد»، أي السهل منه والحزن، ولذلك أليق بالعمر الذي هو المكان من العمر الذي هو الحياة، لأن العمر الذي هو الحياة لا تجوزها هنا [فهو] لا يتبعض، لا تقول ما لزيد عمر إلا طويل، ولا عمر إلا قصير؛ لأن العمر هو مدة الحياة، من أولها إلىٰ آخرها، وليس هو كالحياة التي يسوغ فيها أن تقول: ما له حياة إلا كدرة، ولا عيش إلا منغص؛ لأنَّ حياة يوم، وحياة شهر، وحياة الدهر تسمىٰ حياة، ولا يكون الدهر إلا للمدة بأسرها، فكما لا تقول ما ليزيد رأس إلا وفيه شجة، فكذلك لا تقول: ما ليزيد عمر إلا ناقص، لأنه ليس له إلا رأس واحد، وللطائي بيت آخر يجوز أن يحمل علىٰ هذين المعنيين، وهو قوله:

إذا مـا امـرؤ بالغـدر جـاور عمـره ❊ فـذاك حـري أن تئـيم حلائلـه

فإن شئت كان «جاور عمره»، أي جاور عيش نفسه، أو حياته بالغدر، كأنه يريد: إذا جاور عمر نفسه بالغدر، فقد عرض عمره للذهاب، ومجاورته عمر نفسه بالغدر، كأنه الإصرار علىٰ الغدر، والإقامة عليه، وإن شئت كان معناه: «إذا ما امرؤ بالغدر جاور عمره» أي عمر الممدوح، يجود محله وجنابه، «فذاك حري أن تئيم حلائله» وهن أزواجه، أي يصرن أيامىٰ لا أزواج لهن، والأول أجود).

(٢) شرح الصولي: ٢/٢٩٠، شرح التبريزي: (لم يرُدْ)، وفيهما: (علىٰ النفوس دليلا).

إنِّــي تأَمَّلْــتُ النَّــوَىٰ فَوَجَــدتُها ❊ سَــيْفًا علــيَّ مَــعَ العِــدَا مَسْــلُولَا[1]

قد عابهُ ابنُ عمَّار في قوله: «إنِي تأَمَّلتُ النوىٰ»، وقالوا: مثل هذا الأَمرِ الفظيعِ الذي مكروهُهُ أَبدًا مَصْبُوبٌ علىٰ الخَلْق لا تُعْلَمُ [٢/٨٩/ب] البلِيَّةُ فيه إلا بعدَ التأَمُّلِ، وهذا إنكارٌ صحيحٌ، وليس هذا كقولِ البحتري[2]:

ولقــد تأَمَّلْــتُ الفِــرَاقَ فلــم أَجِــدْ ❊ يــومَ الفــراقِ علــىٰ امــرئٍ بطويــلِ

لأَنَّ مثلَ هذا يوجبُهُ التأَمُّلُ، وقد فَسَّرَه البحتريُّ، وذكرَ علَّتَهُ، وكأَنَّهُ ردّ لقولِ أَبي تمامٍ: «يومَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طويلا».

وقد ذكرتُ ذلك مشروحًا في بابِ الابتداآتِ من هذا البابِ[3].

وقال أبو تمام[4]:

أَظَلَّــهُ البَــيْنُ حتَّــىٰ إِنَّــهُ رَجــلٌ ❊ لـوْ مـاتَ مِـن شُـغْلِهِ بـالبَيْنِ مـا عَلِمَـا

أخذَ المعنىٰ من قولِ أبي الشِّيصِ[5]:

فكَــم مــن ميتــةٍ قــد مِــتُّ فيهــا ❊ ولكــنْ كــانَ ذَاكَ ومــا شَــعَرْتُ

وبيتُ أَبي تمامٍ أَجودُ، وقوله: «وما شعرت» لفظٌ سخيفٌ.

وقالَ أَبو تمام أَيضًا[6]:

(١) عند التبريزي: (مع الهوىٰ)، والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: ٣/١٦٦٣، والبيت من الكامل.

(٣) انظر: ٢/٢٧٧.

(٤) شرح الصولي: ٢/٤٣٢، شرح التبريزي: ٣/١٦٦. والبيت من البسيط.

(٥) ديوان أبي الشيص وأخباره ص٤٦، عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٤.

(٦) شرح الصولي: ٢/١٧٥، شرح التبريزي: ٣/٨. والبيتان من البسيط.

طُلَّـتْ دِمَـاءٌ هُرِيقَـتْ عِنْـدَهُنَّ كَمَـا ❊ طُلَّـتْ دِمَـاءُ هَـدَايَا مَكَّـةَ الهَمَـلُ
هانَـتْ علىٰ كـلِّ شـيءٍ فَهْـوَ يَسْفِكُـها ❊ حتَّىٰ المَنَازِلُ، والأَحداجُ، والإِبِلُ[1]

الهَمَلُ: وصفٌ لقوله: «دماءُ هدايا مكة» من هَمَلَ يهْمل، والمصدر هو الهُمُولُ، والهملُ ـ ساكنة الميم ـ فحرَّكَها.

وقوله:

هانـتْ علىٰ كـلِّ شـيءٍ فهـو يسفِكُـها ❊ حتـىٰ المنـازلُ، والأَحـداجُ والإِبـلُ

رديءٌ جدًا؛ لأنَّه إذا لم [٩٠/٢/أ] يسفكْ دماءَ العاشقينَ المنازلُ إذا خلتْ من أَهلها، والإِبلُ إِذا سارتْ بهم؛ فأَيُّ شيء يسفكُها؟ وهل شيءٌ عند المحبينَ أَعظمُ من فراقِ الأَحبابِ حتىٰ يجعلَ أَسباب فِراقِهِمْ منْ أَهونِ الأَشياءِ وأَقلِّها في سفكِ دماهم؟

وقد قالَ البحتريُّ[2]:

وقَتْـلُ المُحِبِّـينَ العيـونُ ولـم أَكُـنْ ❊ أَظـنُّ الرسـومَ الدَّارِسَـاتِ قَـوَاتِلَا

فأحسنَ، وأَجادَ وملحَ، ولم يُفْصِحْ بتخسيسِ أمرِ الرسومِ.

وقالَ أبو تمامٍ[3]:

ضَـعُفَتْ جَـوَانِحُ مَـن أَذَاقَتْـهُ النَّـوَىٰ ❊ طَعـمَ الفِـرَاقِ فَـذَمَّ طَعْـمَ العَلْقَـمِ[4]

---

(١) «ص»: (والهمل) خطأ.

(٢) سبق في ٢/٢٢٧.

(٣) شرح الصولي: ٢/٤٢٥، شرح التبريزي: ٣/٢٤٩، وفيه: (جوارح)، والبيتان من الكامل.

(٤) قال أبو العلاء: (المعنىٰ: إن الذي يذوق طعم الفراق ثم يذم طعم العلقم فقد ضعفت جوارحه، لأنه لا يفرق بين الأشياء).

هِـــيَ مِيتَـــةٌ إِلَّا سَـــلَامَةَ أَهلِهَـــا ✤ مِـنْ خَلَّتَـينِ: مِـنَ الثَّـرَىٰ والمَـأْتَمِ[1]

قوله: «ضعفت» دعاءٌ عليها، أَي أَضعفَ اللهُ جوانحَ من أَذاقتْهُ النوىٰ طعمَ الفراقِ فذمَّ طعمَ العلقمِ.

والجَوَانحُ: هي الأَضلاعُ الصّغارُ في الصدرِ، التي تلي الفؤادَ، الواحدةُ جانحةٌ، فكأَنه يدعو عليها بأَنْ تَضْعُفَ عن حملِ حرارة التشوُّق، وحُرَقِ الفراقِ إِن كانَ صاحبُها قد ذاقَ طعمَ الفراقِ، وعَلِمَ مرارَتَهُ فذَمَّ طعمَ العلْقَمِ.

و«ضَعُفَتْ» كلامٌ ضعيفٌ في هذا الغرضِ جدًا، و«أَضعف الله» لو كانَ استوىٰ له أَنْ يقولَها أَحسنُ، وأَبلغُ من ضَعُفَت.

وعلىٰ أَنَّهُ كلامٌ لا يشبهُ بعضُهُ بعضًا، و«حواس» ههنا أَحسنُ [٢/٩٠/ب] وأَليقُ، وأَشبهُ من «جوانح»؛ لأَنَّه ذكرَ الطعمَ فكانتْ الحواسُّ مع الطعمِ لفظًا[2] يُشْبِه لفظًا، ومعنىٰ يُشْبِه معنىٰ، أَو كان يقولُ لو استوىٰ نظمُهُ: «ضعفت جوانح من أَحرقتْ نارُ الهوىٰ جوانحَه فَذَمَّ حرارةَ النارِ، أَو فوجدَ للنارِ حرارةً».

ومنهم من يجعلُ «ضعفت» خبرًا، أَي لقد ضعفتْ جوانحُ من ذاقَ طعمَ الفراق فذمَّ طعمَ العلقمِ، وليس بشيءٍ، وأَظنُّه لو استوىٰ له ذكر «الحواس» في هذا البيتِ لما عدلَ عنهُ.

وليسَ هذا البيتُ من البابِ الذي نحنُ فيه، وإِنَّما أَوردتُه لأَصِلَ به البيتَ الذي بعدَهُ، وكلاهُمَا رديءٌ.

---

(١) قال التبريزي: («اللهىٰ ميتة» يعني مرارة الفراق، إلا أن أهلها يسلمون من الدفن الذي يباشرون به الثرىٰ، ولا يقام عليهم مأتم).

(٢) «ر»، «م»: (مع الطعم لفظًا يشبه جوانحه قدم حرارة النار أو فوجد لفظًا) وهي عبارة مقحمة من الناسخ والتصحيح من «ل».

وقالَ أَبو تمام[1]:

المَـــوتُ عِنْـــدِي والفِـــرَا ❁ قُ كِلاَهُمَـــا مَـــا لَا يُطَـــاقُ
يَتَعَاوَنَـــانِ علـــىٰ النُّفُـــو ❁ سِ فَـذَا الحِمَـامُ، وذَا السِّـيَاقُ
لـــو لـــم يكـــن هَـــذَا كَـــذَا ❁ مـــا قيـــل: مَـــوتٌ أَو فِـــرَاقُ

وهذه أبياتُهُ المشهورةُ المتداولةُ في الفراقِ.

ذكرَ «أَبو الحسنِ: عليُّ بنُ يحيىٰ المُنَجِّمُ»[2] أَنَّهُ أَخذَ هذا المعنىٰ من قولِ النَّمِري[3]:

إِنَّ المَنِيَّـــــةَ والفِـــرَاقَ لَوَاحِـــدٌ ❁ أَو تَوْأَمَـــانِ تَرَاضَـــعَا بِلَبَـــانِ

[٩١/٢/أ] وليس هو عندي من دقيقِ المعاني التي يُتَّهَمُ آخِرٌ أَنَّه أَخذَها من أَوَّلٍ.

ومما غَرِي الناسُ به من شعرِ أَبي تمامٍ في هذا المعنىٰ قولُه[4]:

البَـيْنُ جَرَّعَنِـي نَقِيـعَ الحَنْظَـلِ ❁ البَـينُ أَثْكَلَنِـي وإِنْ لَـم أَثْكَـلِ
مَـا حَسْـرَتي أَنْ كِـدتُ أَقْضِـي إِنمـا ❁ حَسَـرَاتُ نَفْسِـي أَنَّنِـي لَـم أَفْعَـلِ[5]

قوله: «أَثْكَلني» أَي أَثكلني من هويتُ، بمفارقتِهِ إِيَّاي، وإِن لم أَثْكَل علىٰ الحقيقةِ بموتِهِ، ويكون أثكلني أَي أَثكلني أَهلي، أَي جعلني قد ثَكِلوني وإِن لم

(١) شرح الصولي: ٤٥٢/٣، شرح التبريزي: ٤٢٠/٤، والأبيات من الكامل.
(٢) انظر ترجمته في ٢٦٤/٤.
(٣) شعر منصور النمري ص١٣٩، جمعه وحققه الطيب العشاش، مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨١. والبيت من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ٤٥٩/٤، شرح التبريزي: ٢٥٣/٤، والبيتان من الكامل.
(٥) عند الصولي: (حسرات قلبي).

أَنْكَل علىٰ الحقيقة وهذا سائغٌ[1]؛ لأَنَّه أرادَ قتلَ الحُبِّ الذي ليسَ بإِتْيَانٍ علىٰ النَّفْسِ.

وقوله: «ما حَسْرَتِي أَنْ كِدتُ أَقْضِي» أَي أَهلك، وأَتلف، «وإِنما حسرات نفسي أَنني لم أَفعل»، أَي لم أَقْضِ وأَتلفْ، وهذا لفظٌ ومعنىٰ في غايةِ الضعفِ والاختلالِ والرداءةِ.

ثم وصلَ هذا القولَ بالمعنىٰ الذي كانَ يفتخرُ بهِ، وهو قولُه:

نَقِّل فُؤَادَكَ حَيثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَىٰ ❊ مـــا الحـــبُّ إِلَّا للحبِيـــب الأَوَّلِ
كَـم مَنْـزِلٍ فـي الأَرضِ يَأْلَفُـه الفَتَـىٰ ❊ وحَنِينُـــــهُ أَبَـــــدًا لأَوَّلِ مَنْـــــزِلِ

وكانَ أَبو تمامٍ يقولُ: أَنا ابنُ قولي: نقِّل... ويذكرُ البيتَ[2]، كما كانَ أَبو نُواسٍ يقولُ: أَنا ابنُ قَوْلِي[3]: [٩١/٢/ب]

إِذا امْـتَحَنَ الـدُّنْيا لَبيـبٌ تَكَشَّـفَتْ ❊ لَـهُ عَـن عَـدُوٍّ فـي ثِيـابِ صَـدِيقِ

وكما كانَ مُسلمُ بنُ الوَلِيدِ يقولُ: أَنا ابنُ قولي[4]:

تَجُـودُ بـالنَّفْسِ إِذْ ضَـنَّ الجَـوَادُ بِهَـا ❊ والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَىٰ غَايَةِ الجُودِ

وكما كانَ دِعْبلٌ يقولُ: أَنا ابنُ قولي[5]:

---

(١) زيادة من «ل».

(٢) انظر: أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي، ص٢٦٣، تحقيق: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٨٠.

(٣) ديوانه: ١٥٩/٢، والبيت من الطويل.

(٤) شرح ديوان صريع الغواني، ص١٦٤، تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف بمصر، (إذا أنت الضنين بها). والبيت من البسيط.

(٥) شعر دعبل بن علي الخزاعي: ص ٢٠٤. والبيت من الكامل.

لا تَعْجبِي يا سَلْم مِن رَجُلٍ ❊ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَىٰ

وقال البحتريُّ[١]:

أَمَا وفُتُورِ لَحْظِكِ يَومَ أَبْقَىٰ ❊ تَقَلُّبُهُ فُتُورًا في عِظَامِي

لقد كلَّفْتِنِي كَلَفًا أُعَنَّىٰ ❊ بِه وشَغَلْتِنِي عمَّا أَمَامِي

سيُقْتَلُ في المَسِيرِ إِذَا رَحَلْنَا ❊ عَلِيلٌ كان يَمْرَضُ في المَقَامِ

وحسبُكَ بهذا حلاوةً وحسنًا.

ومما أَبَرَّ[٢] فيه علىٰ إِحْسان كلِّ مُحْسِن قولُه[٣]:

أَيَا سَكَنًا فَاتَ الفِراقُ بأُنْسِهِ ❊ وحَالَ التَّعَادِي دُونَهُ والتَّزَيُّلُ

بِكُرهِي رِضا العُذَّالِ عنِّي وإِنَّه ❊ مَضَىٰ زَمَنٌ قد كُنْتُ فيه أُعَذَّلُ

فَلَا تَعْجَبَا أَن لم يَغُلْ جِسْمِيَ الضَّنَىٰ ❊ ولَم يَخْتَرِم نَفْسِي الحِمَامُ المُعَجَّلُ

فَمِنْ قَبْلُ بَانَ الفَتْحُ عنِّي مُوَدِّعًا ❊ وفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ المُتَوَكِّلُ[٤]

[٩٢/٢/أ]فما بلغَ الدَّمعُ الذي كُنْتُ أَرْتَجِي ❊ ولا فعلَ الوَجدُ الذي خِلْتُ يَفْعَلُ

وما كُلُّ نِيْرَانِ الجَوَىٰ تحرقُ الحَشَا ❊ ولا كلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ

وقد كانَ قومٌ من الرواة يقولون: أَجودُ الشعرِ أَكذَبُه، ولا واللهِ، ما أَجوَدُهُ إلا أَصْدَقُه، إِذا كان له من يُلَخِّصُه هذا التَّلْخِيصَ، ويُوردُه هذا الإِيرَادَ علىٰ حقيقةِ البابِ[٥].

---

(١) ديوانه: ٢٠٣٠/٣، والأبيات من الوافر.

(٢) «ص» (ومما أبث) تحريف.

(٣) ديوانه: ١٨٩٢/٣، والأبيات من الطويل.

(٤) ديوانه (فقبلك).

(٥) «ص»: (علىٰ حقيقة لكن ما قالاه..)، والتصحيح من النسخة المنسوبة لابن الأثير.

ما قالاه في الغزلِ من أوصافِ النساءِ ونُعوتهنَّ، وشدةِ الشوقِ، والتَّذكُّرِ، والوجدِ، والغرامِ

وأَفتتحُ هذا البابَ بما جاءَ عنهما من الابتداآتِ في هذه المعاني، وأُبوِّبُها أَبوابًا؛ لتصحَّ الموازنةُ بينهما.

ذكرُ ابتداآتهما بتشبيهِ النساءِ بالظباءِ والبقرِ

قالَ أَبو تمامٍ[1]:

نَـــوَارٌ فــــي صَــــواحِبِهَا نَـــوَارُ ❊ كَمَـــا فَاجَـــاكَ سِـــرْبٌ أَو صِـــوَارُ

«نوار» اسمُ امرأَةٍ، «في صواحبها نوار» أَي نفورٌ، أَي هي نفورٌ في صواحبها، أَي مع صواحبِهَا، فَجُعِلْنَ جميعًا نوافر.

«كما فاجاك سربٌ أو صوارُ»، فالسِّرْبُ: الجماعةُ من الظباءِ ههنا، والصَّوَارُ: الجماعةُ من بقرِ الوحشِ، أَي فيها وفي صواحبها نِفَارٌ كما تفاجئك الظباءُ والبقرُ فتراهنَّ نوافرَ عنك.

وإِنَّما ذكرَ الظباءَ والبقرَ جميعًا لأَنَّ النساءَ يُشَبَّهْن بهنَّ في حسنِ عيونهنَّ [٢/٩٢/ب] [وفي][2] قد تكون بمعنىٰ مع، قال الجَعْدِي[3]:

(١) شرح الصولي: ١/٥١١، شرح التبريزي: ٢/١٥٢، والبيت من الوافر.

(٢) الزيادة من «ل».

(٣) ديوانه ص٣٦، جمع وتحقيق د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت سنة ١٩٩٨.
والبيت من المتقارب. =

وَلَــوْحُ ذِرَاعَــيْنِ فــي بِرْكَــةٍ ❁ إِلَــىٰ جُؤْجُــؤٍ رَهِــلِ المنْكِــبِ

أي مع بركةٍ.

وصدرُ هذا البيتِ ليسَ بجيدٍ.

وقالَ:

مَهَــاةُ النَّقَــا لَــولَا الشَّــوَىٰ والمــآبِضُ ❁ وَإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاضَ لي منكِ مَاحِضُ(١)

الشَّوىٰ: يريدُ القوائمَ، والمآبِضُ: الأَرْفَاغُ، والمَهَاةُ: البقرُ.

يقولُ: أَنتِ مهاةُ النقا لولا قوائمها فإنها ليست كقوائمك، وكذلك المآبضُ.

وفي البقرِ أَشياءُ أُخَرُ ليست في الناسِ منها القرونُ، والأَذْنابُ وسائرُ خلقها، وما هناك من الشبهِ غيرُ العيونِ وإذا مشىٰ النساءُ شُبِّهْنَ بالبقرِ.

فلم يمكنه أَنْ يقولَ: مهاةُ النَّقَا لولا الشَّوىٰ، والمآبِضُ، والأَظْلَافُ، والقُرُونُ، والشعرُ، والجلدُ، وغيرُ ذلك مما ليس في الإنسانِ.

وإذا اقتصرَ الإِنسانُ علىٰ بعضِ هذه الأَشياءِ أَجْزَأَتهُ، وإنما أَخْطَرَ أَبو تمامٍ ببَالِهِ قولَ الشاعر(٢):

فَعَيْنَــاكِ عَيْنَاهــا، وجِيــدُكِ جِيــدُها ❁ سِــوَىٰ أَنَّ عَظْــمَ السَّــاقِ مِنْــكِ دَقِيــقُ

فلذلك قال: الشَّوَىٰ.

= واللوح: العظم، البركة، الصدر، الجؤجؤ: مجتمع عظام الصدر، الرهل: المسترخي من السمن، وكأنه يموج، المنكب: مجتمع العضد والكتف.

(١) شرح الصولي: ٦٠١/١، شرح التبريزي: ٢٩٤/٢، والبيت من الطويل.

(٢) البيت لمجنون ليلىٰ وهو في ديوانه ص١٦٣، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، نشر مكتبة مصر. والبيت من الطويل.

وقوله: «والمآبِضُ» عِيٌّ منه ولُكْنَةٌ، وأرادَ القافيةَ.

وقوله: «وإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاض لي منك مَاحِضُ»، أَي أَنا أَجعلك كمهاةِ النَّقَا، [١/٢/٩٣] وأُشَبِّهُك بها وإِن أَعرضْتِ عنِّي، وهو معنىً ضعيفٌ جدًا.

وقد يجوزُ أَن يكونَ أَرادَ: لولا[1] الشَّوَىٰ والمآبِضُ وأَنْ مَحضَ الإعراضَ لي منك ماحض ـ بفتح أَن ـ أَي لولا أَن محضَ الإِعراضَ لي منك ماحضُ، يريدُ أَنَّ مهاةَ النقا لا تقصده بإِعراضٍ، ولا غيرِ إِعراضٍ، وهذا أَيضًا معنىً ضعيفٌ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

دَنَا السِّرْبُ إِلَّا أَنَّ هَجْرًا يُبَاعِدُهْ ❊ ولَاحَتْ لَنَا أَفْرَادُهُ وَفَرَائِدُهْ

والسربُ: القطيعُ من الظباءِ، والنساءِ، والقطا، وهو ههنا: النساءُ.

وقوله: «لَاحَتْ لَنَا أَفْرَادُه» أَي أَفرادُهُ في الحسنِ، جمعُ فَرْدٍ.

وفَرَائِدُهُ دُرَرُهُ، جمعُ فريدةٍ، وهي الدُّرَّةُ، يريدُ نساءً مفرداتٍ في الحسنِ ونساءً كفرائِدِ الدُّرَرِ.

وبعضهم يجعلُ الفرائدَ ههنا: الثُّغُورَ.

وقال أَيضًا[3]:

عَارَضْنَنَا أُصُلًا، فَقُلْنَا: الرَّبْرَبُ ❊ حتَّىٰ أَضاءَ الأُقْحُوانُ الأَشْنَبُ

الرَّبْرَبُ: القطيعُ من بقرِ الوحش، أي فَحسبناهُنَّ من البقر؛ لشبههنَّ بهن

(١) في «ص»: (أولًا الشوىٰ)، والتصحيح من «ل».
(٢) ديوانه: ١/٥٨٣، والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: ١/٧١، والبيت من الكامل.

من جهةِ عيونهنَّ.

«حتىٰ أَضَاءَ الأُقْحُوَانُ الأَشْنَبُ» يريد ثُغُورَهُنَّ، أي لمَّا ابتسمنَ علمنا أنْ لَسْنَ بالبقرِ؛ لأَنَّ البقرَ لا يبسمنَ، ولا يبدو لَهُنَّ سِنٌّ إلا عندَ التَّثاؤُب، أو الرَّعْيِ.

ونَوْرُ الأُقْحُوَان من أَشبه شيءٍ بالثَّغرِ، والأَشْنَبُ: البَارِدُ.

وهذا الابتداءُ أَجودُ من جميعِ ما مضىٰ.

وقد تصرَّفَ البحتريُّ في الابتداآتِ [٢/٩٣/ب] بهذا المعنىٰ تصرُّفًا حسنًا فقالَ(١):

إِنَّ الظِّبَاءَ غَدَاةَ سَفْحِ مُحَجَّرِ ✤ هَيَّجْنَ حَرَّ جَوًىٰ، وفَرْطَ تَذَكُّرِ

وقالَ(٢):

هَلْ فِيكُمُ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسِ ✤ يُعْدِي عَلَىٰ نَظَرِ الظباءِ الأُنَّسِ

وقالَ(٣):

يَشُوقُكَ تَخْوِيدُ الجِمَالِ القَنَاعِسِ ✤ بِأَمْثَالِ غِزْلَانِ الصَّرِيمِ الكَوَانِسِ

وقالَ(٤):

مَا لِذَا الرِّيمِ لَا يُرَامُ اقْتِنَاصُهْ ✤ وَهْوَ لِلْقُرْبِ بَيِّنٌ إِفْرَاصُهْ

---

(١) ديوانه: ٢/١٠٣٩، والبيت من الكامل. وفي «ص»: (فقال البحتري).

(٢) ديوانه: ٢/١١٥٠، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ٢/١١٢٣، وفيه (توخيد)، والتخويد: إرسال الإبل إلىٰ المرعىٰ. والتوخيد: الإسراع. والقناعس: جمع قنعاس: وهو الجمل الضخم العظيم. الصريم: موضع، الكوانس: الغزلان والظباء التي تأوي إلىٰ كناسها.

(٤) ديوانه: ٢/١١٨٧، وفيه: (ما لذا الظبي). والبيت من الخفيف، والإفراص: إمكان إصابته.

وقالَ[1]:

تَـــوَهَّمَ لَيْلَـــىٰ وأَظْعَانَهَـــا ❊ ظِبَـــاءَ الصَّـــرِيمِ وغِزْلاَنَهَـــا

وقالَ[2]:

عِنْــد ظبــاءِ الرَّمْــلِ أَوْعِينِــه ❊ قَلْــبٌ مَشُــوقُ القَلْــبِ مَحْزُونِــهِ

وقالَ[3]:

رُنُـــوُّ ذَاكَ الغَـــزَالِ أَوْ غَيَـــدُهْ ❊ مُولِـــعُ ذي الوَجْـــدِ بالَّـــذي يَجِـــدُهْ

وهذا كلُّه من ذكرِ الظباءِ، غايةٌ في حسنِهِ، وصحتِهِ، وحلاوتِهِ، على اختلافِ فنونِهِ ومعانيه.

ولستُ أَعرفُ لأَبي تمامٍ غيرَ البيتين الأَولين في ذكرِ البقرِ.



(١) ديوانه: ٤/٢١٧٤، والبيت من المتقارب.

(٢) ديوانه: ٤/٢٣٤٠، والبيت من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٢/٧٣٥، والبيت من المنسرح.

ابتداآتهما بذكرِ الثغورِ

[٩٤/٢/أ] قالَ أَبو تمامٍ[١]:

وثَنَايَـــاكِ إِنَّهــا إِغْـــرِيضُ ✤ وَلآلٍ تُـــوْمٌ، وبَـــرْقٌ وَمِـــيضُ

وهذا وصفٌ حسنٌ، وزادَ حسنَهُ وبهجتَهُ أَنه جعلَهُ يمينًا حَلَفَ بها.

والإِغريضُ: ما تنشقُّ عنه الطَّلْعَةُ، وهو الضَّحِكُ أَيضًا.

والتُّوْمُ: حَبٌّ يُعْمَلُ مِن الفضةِ يشبَّهُ باللؤلؤِ.

وقد كانَ يكفيهِ أَنْ يقولَ: و[لآل][٢] ولكنَّه احتاجَ إِلىٰ تُوْم.

وقالَ البحتريُّ[٣]:

يَضْـحَكْنَ عَـنْ بَـرَدٍ وَنَـوْرِ أَقَـاحِ ✤ وَيَشُـبْنَ ظَلْـمَ رُضَـابِهِنَّ بِـرَاحِ

وقالَ أَيضًا[٤]:

أَضَوْاءُ بَـرْقٍ بَـدَا، أَمْ ضَـوْءُ مِصْبَاحِ ✤ أَمْ ابْتِسَـامَتُها بـالمَنْظَرِ الضَّـاحِي

وقالَ أَيضًا[٥]:

بِعَيْنَيْـكِ ضَـوْءُ الأُقْحُـوَانِ المفُلَّـجِ ✤ وتَفْتِيـرُ عَيْنَـي فَـاتِرِ اللحْـظِ أَدْعَـجِ

(١) شرح الصولي: ١/٥٩٦، شرح التبريزي: ٢/٢٨٧، والبيت من الخفيف.

(٢) الزيادة من «ل».

(٣) ديوانه: ١/٤٧٦، والبيت من الكامل، وفي «ص»: (وعن نور).

(٤) ديوانه: ١/٤٤٢، والبيت من البسيط.

(٥) ديوانه: ١/٤١٥، والبيت من الكامل، وفي ديوانه: (وألحاظ عيني ساحر).

وقالَ أَيضًا[1]:

تَبَسَّـــمُ عَـــنْ وَاضِـــحٍ ذِي أَشَـــرْ ❁ وَتَنْظُـــرُ مِـــنْ فَـــاترٍ ذِي حَـــوَرْ

شبَّهَ أَبو تمام في بَيْته الثَّغْرَ بثلاثة أَشياء: بالإِغريض، ولؤْلؤِ التُّومِ، والبرقِ.

وشبَّههُ البحتريُّ بالبردِ، والأَقاحي في صدرِ البيتِ، [٢/٩٤/ب] وكلا الصَّدْرَيْنِ جَيِّدٌ.

ولو كانَ أَبو تمام قالَ: «وجنىٰ لؤلؤ وبرق وميض» لفضَّلْتُ بيتَهُ.

وجنىٰ لؤلؤ: هو[2] اللؤلؤُ الرَّطْبُ، ولكنَّ قوله: «ولآلٍ تُوْم» ليس بالجيدِ.

فاجعلهما في البيتين متكافئين، وسائرُ أَبياتِ البحتريِّ فَضلٌ.



(١) ديوانه: ٢/٨٤٨، والبيت من المتقارب.

(٢) «ص»: (وجني هذا الؤلؤ) والتصحيح من «ل».

ابتداآتهما بذكرِ البكاءِ والدموعِ

قال أَبو تمامٍ[1]:

لو صَحَّحَ الدَّمْعُ لي، أَوْ نَاصَحَ الكَمَدُ ❁ لَقَلَّمَا صَحِبَاكَ الخدُّ والكبدُ

وهذا بيتٌ صالحٌ، وليس بالجيد، ولم يستو له أَنْ يقولَ: العينُ والكبدُ؛ لأَنَّهما مؤنثتان فكانَ يقولُ: صحبتاكَ، فجعل مكانَ العين الخدَّ؛ لأَنه مذكرٌ، ولأَنَّ كثرةَ البكاءِ تؤثر فيهِ، وتذهبُ بلحمِهِ، وذهابُ العينِ بالبكاءِ أَخصُّ من ذهابِ الخدِّ.

ولو قالَ: «صحباك العين والكبد» لكانَ ذلك سائغًا وإِنْ كانتا مؤنثتينِ؛ لأَنَّ هذا يجوزُ فيما ليسَ لتأنيثِهِ حقيقةٌ.

ولأَبي تمام في بابِ الفراقِ والتوديعِ من الابتداآتِ بذكرِ البكاءِ والدمعِ، كلُّ شيءٍ جيد نادر، وقد مضىٰ في بابِهِ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

شَوْقٌ إِليكَ تَفِيضُ مِنْهُ الأَدْمُعُ ❁ وجَوًىٰ عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الأَضْلُعُ

وهذا من مشهورِ أَبياتِهِ في الحسنِ والجودةِ.

وقال أَيضًا[3]: [٩٥/٢/أ]

---

(١) شرح الصولي: ٢٦٨/٣، وشرح التبريزي: ٧٤/٤، والبيت من البسيط، وفيهما: (الروح والجَسَدُ).

(٢) ديوانه: ١٣١٠/٢، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ٦٤٥/٢، والبيت من البسيط.

يَكَـادُ يُبْـدِي لِسُعْدَىٰ غَيْـبَ مَـا أَجِـدُ ❊ تَحَـدُّرٌ مِـنْ دِرَاكِ الـدَّمْعِ مُطَّـرِدُ

وهذا معنىً حلوٌ حسنٌ.

وقالَ أَيضًا(١):

لأَخِـي الحُـبِّ عَبْـرَةٌ مـا تَجِـفُّ ❊ وغَـرَامٌ يُـدْوِي الحَشَـا، ويَشِـفُّ

وقالَ أَيضًا(٢):

تَعُـودُ عَوَائِـدُ الـدَّمْعِ المُـرَاقِ ❊ عَلىٰ مَا فـي الصُّـدُورِ مِنَ احْتِرَاقِ

وقالَ أَيضًا(٣):

دُمُـوعٌ عليهـا السَّـكْبُ ضَـرْبَةُ لازِمِ ❊ تُجَـدِّدُ مِـنْ عَهْـدِ الصِّبَا المُتَقـادِمِ

وقالَ أَيضًا(٤):

أَدْمُــعٌ قَــدْ غَــرِينَ بِــالهَمَلَانِ ❊ وفُــؤادٌ قــد لَــجَّ فــي الخَفَقَــانِ

وقالَ أَيضًا(٥):

بِعَيْنِـكَ لَوْعَـةُ القَلْـبِ الـرَّهِينِ ❊ وفَـرْطُ تَتَـابُعِ الـدَّمْعِ الهَتُـونِ

وقالَ أَيضًا(٦):

تـذكَّرَ مَحْـزُونٌ، وأَنَّـىٰ لَـهُ الـذِّكْرَىٰ ❊ وفَاضَـتْ بغَـزْرِ الـدَّمْعِ مُقْلَتُـه العَبْـرَىٰ

---

(١) ديوانه: ٣/١٣٧٥، والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٣/١٥٢٥، وفيه: (علىٰ ما في الضلوع)، والبيت من الوافر.

(٣) ديوانه: ٣/١٩٦٩، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٤/٢١٩٧، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ٤/٢٢٦٦، والبيت من الوافر.

(٦) ديوانه: ١/٥٨، وفيه: (محزونًا)، والبيت من الطويل.

وقالَ أَيضًا[1]:

بِـأَيِّ أَسًـى تُثْنَـى الـدُّمُوعُ الهَوَامِـلُ ❊ ويُرْجَـى زِيَـالٌ مِـنْ جَـوًى لا يُزَايِـلُ ؟

وهذه كلُّها ابتداآت جيادٌ، وأَجودُ منها ومن كلِّ ابتداءٍ في هذا البابِ وغيرِهِ بذكرِ البكاءِ والدمع، قولُه[2]:

قلْـبٌ مَشُـوقٌ عَنَـاهُ البـثُّ والكَمـدُ ❊ ومقلـةٌ تَبْـذُلُ الـدَّمْعَ الـذي تَجِـدُ

وقد ذكرتُهُ في بابِ الفراقِ، وهذا موضِعُهُ.



(١) ديوانه: ٣/١٧٣١، والبيت من الطويل.

(٢) سبق في ٢/٢٨٤.

ابتداآتهما بذكرِ السهرِ وطولِ الليلِ



ولا أَعرفُ في وسطِ كلامهما من هذا البابِ شيئًا يُعْتَدُّ بمثلِه كنحوِ ما جاءَ في الشعرِ القديمِ والمحدثِ.

وقالَ أَبو تمامٍ(١):

أَفْنَىٰ، ولَيْلِي لَيْسَ يَفْنَىٰ آخِرُهْ ❊ هَاتَا مَوَارِدُهُ فَأَيْنَ مَصَادِرُهْ؟

وهذ ابتداءٌ حسنٌ وكلامٌ حسنٌ سَجْسَجٌ(٢)، ومعنىً جيدٌ بالغٌ.

وقد أَخذَ البحتريُّ معنىٰ هذا الصَّدْرِ فوقعَ دُونَه فقالَ(٣):

لَهُ الوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَاخِرُهْ ❊ وَوَشْكِ نَوَىٰ حَيٍّ تُزَمُّ أَبَاعِرُهْ

وقد ذكرتُهُ في ابتداآت بابِ الفراقِ.

وقالَ البحتريُّ(٤):

هو الظلامُ فلا صُبحٌ ولا شَفَقُ ❊ هل يُطلَقُ الليلُ عن عيني فأَنْطَلِقُ؟

عجزُ هذا البيتِ في غايةِ الصحةِ والبراعةِ والحسنِ والحلاوةِ، ولكنَّ قولَهُ: «الظلام فلا صبح» معنىً [غيرُ] صحيحٍ؛ لتوقُّعِه الصبحَ وهو مبطئٌ متأَخرٌ فما وجهُ قوله: ولا شفقُ، لأَنَّ من كانَ في الليلِ فإِنما يتوقَّعُ الصبحَ [٩٦/٢/أ] ولا

---

(١) شرح الصولي: ٥٤٩/١، شرح التبريزي: ٢١٠/٢، والبيت من الكامل.

(٢) «ص»، «ر»: (سجج) تحريف، والسجسج: هواء معتدل بين الحر والبرد.

(٣) سبق في ٢٩٣/٢.

(٤) ديوانه: ١٤٦٩/٣، والبيت من البسيط.

يتوقَّعُ الشفقَ ، وأَظنُّهُ أَرادَ نحنُ في ظلامٍ ولسنا في أَوَّلِ نهارٍ ولا آخره .

وقالَ أَيضًا[1]:

أَبــى الليــلُ إلا أَنْ يَعُــودَ بِطُولِــهِ ✻ علــى عاشــقٍ نَــزْرِ المَنَــامِ قَلِيلِــهِ

وقالَ[2]:

لَيْلِـي بِـذِي الأَثْـلِ عَنَّـاني تَطَاوُلُـهُ ✻ أَرَى بِــهِ مُقْــبلًا قرنًــا أُنازِلُــهُ

وقال أَيضًا[3]:

تَـرَى الليـلُ يَقْضِـي عُقْبَةً مِـنْ هَزِيعِـهِ ✻ أَوِ الصُّـبْحُ يَجْلُـو غُـرَّةً مِـنْ صَـدِيعِهِ

وهذه أَبياتٌ كلُّها جيدةُ المعنى ، بارعةُ اللفظِ ، حسنةُ السبكِ ، كثيرةُ الماءِ والرونقِ .

وهذا البيتُ الأَخيرُ أَجودها وأَبرعها .

وقالَ أَيضًا[4]:

أَيُّهــا العَاتِــبُ الــذي لَـيْسَ يَرْضَــى ✻ نَــمْ هَنِيئًــا فَلَسْــتُ أَطْعَــمُ غَمْضَــا



(١) ديوانه: ٣/١٦٣٣ ، والبيت من الطويل .

(٢) ديوانه: ٣/١٨٢٨ ، والبيت من البسيط

(٣) ديوانه: ٢/١٢٧٥ ، والبيت من الطويل .

(٤) ديوانه: ٢/١٢١٤ ، و(ليس) مستدركة بين السطرين ، في «ص» والبيت من الخفيف .

بابٌ آخرُ من الابتداآتِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

مَتَىٰ أَنْـتَ عَـنْ ذُهْلِيَّـةِ الحيِّ ذَاهِـلُ ❊ وصَـدْرُكَ مِنْهَـا مُـدَّةَ الـدَّهْرِ آهِـلُ ؟

قوله: «ذاهِل» أَي منصرفٌ ، يقالُ: ذهلتُ عن الشيءِ بمعنىٰ انصرفتُ عنهُ ، فيقول: متىٰ أَنتَ عنها مُنْصرِفٌ ، وصدركَ أَبَدًا منها آهِلٌ ؟ أَي لا تخلو أَبدًا من قلبكَ .

وقال البحتريُّ(٢): [٩٦/٢/ب]

ضَـمَانٌ علـىٰ عَيْنَيْـكِ أَنِّـيَ لا أَسْـلُو ❊ وأَنَّ فُـؤَادِي مِـنْ جَـوًىٰ بِـكِ لا يَخْلُـو

فعجزُ هذا البيتِ مثلُ عجزِ [بيتِ](٣) أَبي تمامٍ ، وهو أَجود ؛ لتصريحه بذكر الجوىٰ .

وصدرا البيتين(٤) مقاربان ، وبيتُ البحتريِّ أَجودُ وأَبرعُ .

وقالَ البحتريُّ(٥):

هَوَاهَـا علـىٰ أَنَّ الصُـدُودَ سـبيلُها ❊ مُقِـيمٌ بأَكْنـافِ الحَشَـا مـا يَزُولُهَـا

وهذا البيتُ أَيضًا أَجودُ من بيتِ أَبي تمامٍ لفظًا ومعنىٰ .

---

(١) شرح الصولي: ٣٢٢/٢ ، شرح التبريزي: ١١٢/٣ ، وفيهما: (وقلبك منها) ، والبيت من الطويل .

(٢) ديوانه: ١٦١٥/٣ ، والبيت من الطويل .

(٣) الزيادة من النسخة المنسوبة لابن الأثير (ل) .

(٤) «ص»: (وصدر البيت) ، والتصحيح من (ل) .

(٥) ديوانه: ١٧٧٩/٣ ، والبيت من الطويل .

وقالَ في نحوِ هذا(١):

أَأَفَاقَ صَبٌّ مِنْ هَوىً فَأُفِيقَا ✤ أَوْ خَانَ عَهْدًا، أَوْ أَطَاعَ شَفِيقَا؟

وقالَ أيضًا(٢):

أَرَادَ سُلُوًّا عَنْ سُلَيْمَىٰ وعَن هِنْدِ ✤ فَغَالَبَهُ غَيُّ السَّفَاهِ علىٰ الرُّشْدِ

وقال(٣):

سِوَايَ مُرَجِّي سَلْوَةٍ، أَوْ مُرِيدُهَا ✤ إِذَا وَقَدَاتُ الحُبِّ حبَّ خُمُودُها

وهذا كلُّه غايةٌ في الحسنِ والجودةِ.

وقد تصرَّفَ البحتريُّ في بابِ الوجد والغرامِ وشدَّةِ الحبِّ في ابتداآتهِ تصرُّفًا حسنًا، فمن ذلك قولُهُ(٤):

حَاشَاكَ مِنْ ذِكْرَىٰ ثَنَتْهُ كَئِيبَا ✤ وصَبَابَةٍ مَلأَتْ حَشَاهُ نُدُوبَا

[٩٧/٢/أ] وقال أَيضًا(٥):

حَقًّا أَقُولُ: لَقَدْ تَبَلْتِ فُؤَادِي ✤ وأَطَلْتِ مُدَّةَ غَيِّيَ المُتَمَادِي

وقال أَيضًا(٦):

نَاهِيكِ مِنْ حَرَقٍ أَبِيتُ أُقَاسِي ✤ وجُرُوحِ حُبٍّ مَا لَهُنَّ أَوَاسِ

---

(١) ديوانه: ١٤٥٠/٣، وفيه: (أم خان... أم طاع)، والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٧٥٩/٢، والبيت من الطويل، وفي «ص»: (عن السفاه) تحريف.

(٣) ديوانه: ٥٣١/١، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ١٨٤/١، وفيه: (من ذكر)، والبيت من الكامل.

(٥) ديوانه: ٧٣١/٢، والبيت من الكامل.

(٦) ديوانه: ١١٣٤/٢، والبيت من الكامل.

وقال أَيضًا[1]:

أَتَـــرَاكَ تَسْـــمَعُ لِلحَمَـــام الهُتَّـــفِ ❁ شَـجْوًا يَكُـونُ كَشَـجْوِيَ المُسْـتَطرَفِ

وقال أَيضًا[2]:

يَهُـــونُ عَلَيْهـــا أَنْ أَبِيـــتُ مُتَيَّمًـــا ❁ أُعَـالِجُ وَجْـدًا فـي الضَّـمِيرِ مُكَتَّمَـا

وقال أَيضًا[3]:

غَـــرَامٌ مَـــا أُتِـــيحَ مِـــنَ الغَـــرَامِ ❁ وَشَـــجْوٌ لِلمُحِـــبِّ المُسْـــتَهَامِ

وقال أَيضًا[4]:

أَنـــافعٌ عنـــد لَيْلَـــىٰ فَـــرْطُ حُبِّيهـــا ❁ ولوعـــةٌ لـــيَ أُبْـــدِيها وأُخْفِيهـــا

وقال أَيضًا[5]:

قَلِيـلٌ لهـا أَنِّـي بِهَـا مُغْـرَمٌ صَـبٌّ ❁ وأَنْ لَمْ يُقَارِفْ غَيْرَ وَجْدٍ بِهَا القَلْبُ

أَرادَ: قليلٌ لها غرامي بها وصبابتي وإِن لم أَهوَ غيرَها، ولا وجهَ [٩٧/٢/ب] لكسرِ أَنْ الثانية.

فانظر إِلىٰ هذا التَّصرُّفِ الحسنِ، والأَلفاظِ المختلفةِ في المعاني المتقاربةِ.

ولا أعرفُ لأَبي تمامٍ في هذا كلّه شيئًا.

وممَّا افتتحَهُ البحتريُّ بالهجرِ قولهُ[6]:

---

(١) ديوانه: ١٤١٥/٣، وفيه: (كشجوك)، والبيت من الكامل

(٢) ديوانه: ١٩٨١/٣، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٢٠٣٠/٣، والبيت من الوافر.

(٤) ديوانه: ٢٤٠٩/٤، والبيت من البسيط.

(٥) ديوانه: ١٢٢/١، والبيت من الطويل، وفي «ص»: (لم يفارق).

(٦) ديوانه: ٣٧٧/١، والبيت من الوافر.

نَصِيبِيَ مِنْكَ لَوْمُ العَاذِلَاتِ ✤ وهِجْرَانٌ أَطَلْتَ بِهِ أَذَاتِي

وقال أَيضًا(١):

شَدَّ مَا أُغْرِيَتْ ظَلُومٌ بِهَجْرِي ✤ بَعْدَ وَجْدِي بها وغُلَّةِ صَدْرِي

وقال أَيضًا(٢):

خَيْرُ يَوْمَيْكَ في الهَوَىٰ واقْتِبَالِهْ ✤ يَوْمَ يُدْنِيكَ هاجرٌ مِنْ وِصَالِهْ

وقال أَيضًا(٣):

لَجَّ هَذَا الحَبِيبُ في هِجْرَانِهْ ✤ وغَدَا والصُّدودُ أَكْبَرُ شَانِهِ

وقال أَيضًا(٤):

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ في الهَجْرِ جِدًّا ✤ وأَعَادَ الصُّدودَ مِنْهُ وأَبْدَىٰ

وقال أَيضًا(٥):

طَافَ الوُشَاةُ بِهِ فَصَدَّ وأَعْرَضَا ✤ وغَلَا بِهِ هَجْرٌ أَمَضَّ وأَرْمَضَا

وقال أَيضًا(٦):

[٩٨/٢/أ] مِنِّيَ وَصْلٌ ومِنْكَ هَجْرُ ✤ وفِيَّ ذُلٌّ، وفيكَ كِبْرُ

---

(١) ديوانه: ٩٧٠/٢، والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ١٨٤٣/٣، والبيت من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٢١٦٩/٤، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ٧١١/٢، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ١٢٠٣/٢، والبيت من الكامل.

(٦) ديوانه: ١٠٥٠/٢، والبيت من مخلع البسيط.

وليسَ لأَبي تمامٍ في هذا النحوِ شيءٌ إلَّا قولَهُ[1]:

خَشُــنْتِ عليــه أخــتَ بَنِــي خُشَــيْنِ ❁ وأَنْجَــحَ فِيــكِ قَــوْلُ العَــاذِلَيْنِ

وهذا ابتداءٌ رديءٌ.



(١) شرح الصولي: ١٤/٣، شرح التبريزي: ٢٩٧/٣، والبيت من الوافر.

ومما جاءَ في ابتدائه في ذكرِ العيونِ



قالَ البحتريُّ[1]:

تُرِيكَ الذي حُدِّثْتَ عَنْهُ مِنَ السِّحْرِ ❁ بِطَرْفٍ عَلِيلِ اللَّحْظِ مُسْتَغْرَبِ الفَتْرِ

وقالَ أيضًا[2]:

غَـالَ صَبْرِي أَمـا سـأَلْتِ بِصَبْرِي ❁ مَـا بِعَيْنَيْـكِ مِـنْ فُتُـورٍ وسِـحْرِ

وقال أيضًا[3]:

مَـا بِعَيْنَـيْ هَـذَا الغَـزَالِ الغَرِيـرِ ❁ مِـن فُتُـونٍ مُسْـتَجْلَبٍ مِـنْ فُتُـورِ

وقال أيضًا[4]:

ومُهْتَـزَّةِ الأَعْطَـافِ نَازِحَـةِ العَطْـفِ ❁ مُنَعَّمَـةِ الأَطْـرَافِ فَـاتِرَةِ الطَّـرْفِ

وقال أيضًا[5]:

سَـطَا فَمَـا يَأْمَنُـهُ خِلُّـهُ ❁ أَغْيَـدُ سَـاجِي الطَّـرْفِ مُعْتَلُّـهُ

وقال أيضًا[6]: [٩٨/٢/ب]

فُتُـورُ العُيُـونِ وإِمْرَاضُـهَا ❁ نُبُـوُّ الجُنُـوبِ وإِقضَاضُـهَا

---

(١) ديوانه: ١٠٠٤/٢، والبيت من الطويل. وفي (ص): (قال أبو تمام)، وهو خطأ

(٢) ديوانه: ١٠٧٩/٢، والبيت من الخفيف.

(٣) ديوانه: ٨٨٤/٢، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ١٣٦٩/٣، والبيت من الطويل.

(٥) ديوانه: ١٨٠٤/٣، وفيه: (أحوىٰ سقيم الطرف). والبيت من السريع.

(٦) ديوانه: ١٢١٩/٢، والبيت من المتقارب.

وهذا كلُّه جيدٌ حسنٌ عذبٌ.

وليسَ لأَبي تمامٍ في معناه شيءٌ.

وقالَ أَيضًا[1]:

لَـــوَتْ بالسَّـــلامِ بَنَانًـــا خَضِـــيبًا ❊ ولَحْظًـــا يَشُـــوقُ الفُـــؤَادَ الطَّرُوبَـــا

عهدتُ بعضَ الشيوخ يَكْرَه قوله: «لوت»، ويقولُ: كانَ ينبغي أَنْ يقولَ: أَشارتْ، أَو أَومأَتْ، أَو نحو هذا، وكانَ بعضهم يحتجُّ له ويقولُ: لم يمكنْهُ ذاكَ في نظمِ البيتِ.

والذي أَظنُّهُ أَنا أَنَّه أَوْمَأَ إِليها بالسلامِ فردَّت عليهِ والسلامُ الأَولُ يُشارُ فيهِ بمدِّ الإِصبعِ على استقامةٍ، والردُّ: فمن الناسِ من يَرَدُّ بِمَدِّ الإِصبعِ على استقامةٍ أَيضًا، ومنهم من يَفْتِلُها ويَلْوِيها كأَنَّه يقولُ بإِصبعِهِ: وعليكِ، فيلويها إِذا أَراد هذا المعنى، وذلك مما نراهُ أَبدًا مشاهدةً، ونَفْعَلُه.

وقد ذكرَ البحتريُّ لَيَّ البَنَانَةِ في موضعٍ آخرَ فقالَ[2]:

إِنَّ الفِـــرَاقَ جَـــلَا لَنَـــا عَـــنْ غَـــادَةٍ ❊ بَيْضَـــاءَ تَجْلُـــو عَـــنْ شَـــتِيتٍ أَشْـــنَبِ

أَلْـــوَتْ بِمَوْعِـــدِهَا القَـــدِيم، وَأَيْأَسَـــتْ ❊ مِنْـــهُ بِلَـــيٍّ بَنَانَـــةٍ لَـــمْ تُخْضَـــبِ[3]

فدلَّ هذا على مثلِ ذاكَ، وإِنْ كانَ المعنيان مختلفين في أَنَّها لمْ تمدَّ إِصبعَها مُشِيرَةً بها على استقامةٍ كما يُشير المبتدئُ بالسلامِ، [٩٩/٢/أ] وإِنما أَلْوَتْ إِصبَعَها في الإِشارة إِليه إِمَّا يَمْنَةً أو شَأْمَةً بمعنى تنحَّ عنَّا، أَو اعدل عنا؛ فليس إِلى ما

(١) ديوانه: ١٤٩/١، والبيت من المتقارب.

(٢) ديوانه: ٢٨٢/١، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: (آيست).

التمست سبيل.

وفي البيتِ سؤالٌ آخرُ وهو قوله: «لَمْ تُخْضَبِ» ومن شأنهم أَن يصفوا بَنَانَ المرأَةِ بالخِضَابِ نحو قول الشاعر[1]:

ويُبْـدِي الحَصَـىٰ مِنْهـا إِذَا قَـذَفَتْ بِـهِ ❊ مِـنَ البُـرْدِ أَطْـرَافَ البَنَـانِ المُخَضَّـبِ

وقولُ الراعي[2]:

حُمْـرُ الأَنَامِـلِ عِـينٌ طَرْفُهَـا سَـاجِ

ومثلُهُ كثيرٌ، وعليه مذاهبُ الناس.

ولا نعلمُ أَحدًا شَرَطَ في البنانِ أَنَّه غيرُ مخضوبٍ غيرَ البحتريِّ في هذا البيتِ[3]، وإنما يذكرونَ الخضابَ أَو لا يذكرونَهُ.

وما أَظنُّ البحتريَّ قالَ هذا عِيًّا ولا جُزافًا ولا قالَهُ إلا أَنَّ البنانةَ لم تكنْ مَخْضُوبةً، فوصَفَ الحالَ علىٰ مذاهب الناس ومذهبُهُ في وصفِ الشيءِ علىٰ ما هو؛ لأَنَّ هذا إِذا أَوْرَدَهُ علىٰ ما هو لم تَكُ فائدةٌ، فأَقولُ:

إِنَّه قد يجوزُ أَنْ يكونَ ـ واللهُ أعلمُ[4] ـ ذهبَ إِلىٰ أَحدِ معنيين:

---

(١) البيت لمحمد بن عبد الله بن نمير، شاعر غزل من شعراء العصر الأموي، مولده ومنشؤه ووفاته بالطائف، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، وتهدده الحجاج فلم يأبه له النميري، فلمَّا بلغ الحجاج من الشأن ما بلغ طلب النميري، ففر إلىٰ اليمن، وأقام بعدن مدة، ثم قصد عبد الملك ابن مروان مستجيرًا فأجاره، وعفا عنه الحجاج. انظر: الأغاني: (٦/٢٣ ـ ٣٠، ساسي).

(٢) صدره: حتىٰ أضاء سراجٌ دونه بقرٌ

والبيت في ديوانه ص٢٨، تحقيق: راينهرت فايبرت، المنشورات الإسلامية، بيروت سنة ١٩٨٠.

(٣) (هذا) مستدركة بين السطرين في (ص).

(٤) في «ص»: (والده) تحريف.

إِمَّا أَنْ يكونَ خطرَ ببالِهِ عندَ نظمِ البيتِ قولَ الشاعرِ[1]:

وإِنْ حَلَفَتْ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا ❊ فَلَـيْسَ لِمَخْضُـوبِ البَنَـانِ يَمِـينُ

[٢/٩٩/ب] فقال هو: «وَأَيْأَسَت مِنْهُ بِلَيِّ بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ» ؛ لأَنَّ المرأَةَ لا عهدَ لها مخضوبةَ البنانِ كانتْ أَو غيرَ مخضوبةٍ ؛ أَلا ترىٰ إِلىٰ قولِهِ بعدَ هذا:

وأَرَىٰ عُهُـودَ الغَانِيَـاتِ صَـبَابَتِي ❊ آلًا جَـرَىٰ ، وَوَمِـيضَ بَـرْقٍ خُلَّـبِ

فَدَلَّكَ هذا علىٰ أَنه خَطَرَ ذلك البيتُ ببالِهِ فذهبَ إِلىٰ ذلك المعنىٰ.

أَي مَنْ كانَ يذمُّ عهد مخضوبةِ البنانِ فهذه غيرُ مخضوبةٍ وأَنا أَذمُّ عهدَها أَيضًا ، فهذا المعنىٰ ـ إِن شاء الله ـ جَيِّدٌ لائقٌ.

والمعنىٰ الآخرُ: أَنْ يكونَ أَرادَ أَنها عزفتْ عن الصِّبا ، وتركت الزينةَ ؛ لأَنَّه قال: «أَلْوَتْ بِمَوْعِدِهَا القَدِيم» ، فَدَلَّ علىٰ أَنه إِنما انتجزها مَوْعِدًا قديمًا وأَنَّ حالها الآن غير تلك الحالِ.

وهذا أَيضًا وجهٌ قويٌّ دقيقٌ ، وكأَنَّه أَولىٰ من المعنىٰ الأَوَّلِ بالصوابِ ، واللهُ أَعلمُ.

قوله: «ولحظًا يشوق الفؤاد الطروبا» بالنصب إِنما أَراد أَلْوَت بالسَّلامِ بَنَانًا خضيبًا ، ولحظت لحظًا يَشُوقُ الفؤادَ.



(١) البيت منسوب مرة لعلي بن أبي طالب ، وأخرىٰ لقيس بن ذريح ، وهو في ديوانه ص ١١٦ ، وتالية لديك الجن الحمصي ، وهو متأخر معاصر لأبي تمام ، ونسبه الحصري القيرواني في زهر الآداب لكثير ، ١/٤٢ ، ولم أجده في ديوانه ، والبيت من ثلاثة أبيات بدون نسبة في الحماسة (شرح الحماسة للمرزوقي ص١٣٠٩).

ومن ابتداآتِ البحتريِّ في التشوُّقِ

قال[1]: [١٠٠/٢/أ]

أُقِـيمُ عَلَـى التَّشَـوُّقِ أَمْ أَسِـيرُ ❁ وأَعْـدِلُ فـي الصَّـبَابَةِ أَمْ أَجُـورُ؟

وقال أيضًا[2]:

شَـوْقٌ لَـهُ بَـيْنَ الأَضَـالِعِ هَـاجِسُ ❁ وَتَـذكُّرٌ للصَّـدْرِ مِنْـهُ وَسَـاوِسُ

وقال أيضًا[3]:

عَهْدُ المَشُوقِ بِوَصْلِ الأُنُسِ الخُرُدِ ❁ يَكادُ يَشْرَكُ نَجْمَ الليلِ في البُعَدِ

وقال أيضًا[4]:

لَبَّيْتُ فِيكِ الشَّوْقَ حِينَ دَعَانِي ❁ وعَصَيْتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَانِي

وقال أيضًا[5]:

أَمَا لِعَيْنَيْ كَلِيمِ الهَمِّ تَغْمِيضُ ❁ أَمِ الكَرَى عَنْ جُفُونِ العَيْنِ مَرْحُوضُ

وقال أيضًا[6]:

---

(١) ديوانه: ٩١٣/٢، والبيت من الوافر.
(٢) ديوانه: ١١٣٢/٢، والبيت من الكامل.
(٣) ديوانه: ٥١٤/١، والبيت من البسيط.
(٤) ديوانه: ٢٢٥٢/٤والبيت من الكامل.
(٥) ديوانه: ١٢١٧/٢، والبيت من البسيط.
(٦) ديوانه: ١٣١٧/٢، والبيت من الطويل.

يَبِيــتُ لَــهُ مِــنْ شَــوْقِهِ ونِزَاعِــهِ ❁ أَحادِيـثُ نَفْسٍ أَوْشَـكَتْ مِنْ زَمَاعِـهِ

أَي أَسرعتْ من إِزْمَاعِهِ على الرَّحيلِ.

وقال أَيضًا(١):

شَــوْقٌ إِلَيْـكَ تَفِـيضُ مِنْـهُ الأَدْمُـعُ ❁ وجـوًى عَلَيْـكَ تَضِـيقُ عَنْـهُ الأَضْـلعُ

وقد مرَّ هذا البيت في بابِ البكاءِ والدمعِ.

وهذه كلُّها ابتداآتٌ جيادٌ لفظًا ومعنىً.

ولا أَعرفُ لأَبي تمامٍ في نحوِ هذا شيئًا.



(١) سبق في ٢/٣٥٢.

[١٠٠/٢/ب] ومن ابتداآتِ البحتريِّ في معانٍ شتَّى وهي كثيرةٌ

قالَ(١):

رَأَىٰ البَـرْقَ مُجْتَـازًا فَبَـاتَ بِـلَا لُـبِّ ✤ وأَصْبَاهُ مِـنْ ذِكْـرِ البَخِيلَـةِ مـا يُصْـبِي

وقال أَيضًا(٢):

أُخْفِي هَوًىٰ لَكَ في الضُّلُوعِ وأُظْهِرُ ✤ وأُلَامُ مِــنْ كَمَــدٍ عَلَيْــكَ وأُعْــذَرُ

وقال أَيضًا(٣):

يَــزْدَادُ فــي غَــيِّ الصِّــبَا وَلَعُــهْ ✤ فكأَنَّمــا يُغْرِيــهِ مَــنْ يَزَعُــهْ

وقالَ أَيضًا(٤):

بِـوُدِّي لَـوْ يَهْـوَىٰ العَـذُولُ ويَعْشَـقُ ✤ فـيعلم أَسـبابَ الهَـوَىٰ كيـفَ تَعْلَـقُ

وقال أَيضًا(٥):

أَجِرْنِي مِنَ الوَاشِي الذي جَارَ واعْتَدَىٰ ✤ وغـابرِ حُـبٍّ غَـارَ بِـي ثُـمَّ أَنْجَـدَا

وقالَ أَيضًا(٦):

---

(١) ديوانه: ١/١٠٤، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٢/١٠٧٠، وفيه: (وألام في)، وفي «ص»: (كمدلك)، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه: ٢/١٢٤٨، والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ٣/١٥٣٤، وفي «ص»: (يهوىٰ في العذول). والبيت من الطويل.

(٥) ديوانه: ٢/٦٧٠، وفيه: (وخابر شوق)، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ٣/٢٠٤٦، والبيت من البسيط.

بـــالله أُولـــئ يَمِينًـــا بَـــرَّةً قَسَـــمَا ❁ مَـا كَـانَ مَـا زَعَـمَ الوَاشِـي كما زَعَمَا

وقال أيضًا[1]:

تَغَيَّـــرَ أَوْحَـــالَ عَـــنْ عَهْـــدِهِ ❁ وأَضْـــمَرَ غَـــدْرًا وَلَـــمْ يُبْـــدِهِ

وقال أيضًا[2]: [١٠٢/٢/أ]

جَـائِزٌ فـي الحُكْـم لَـوْ شَـاءَ قَصَـدْ ❁ أَخَـذَ النَّـوْمَ وأَعْطَـاني السُّـهُدْ

مضتْ الابتداآتُ بأنواعِ الغزلِ.

وأَنا أَذكرُ الآن ما جاءَ عنهما من أَوصافِ الغزلِ في وسطِ الكلامِ، وأَتلقَّطُ ذلك من بابِ الفراقِ والتوديعِ، وسائرِ أَبوابِ التشبيبِ[3]؛ ليكونَ كلُّ نوعٍ من أَنواعِ الوصفِ في بابٍ واحدٍ لا في أَبوابٍ متفرقةٍ.



(١) ديوانه: ٦٥٦/٢، والبيت من المتقارب.

(٢) ديوانه: ٦٦٧/٢، والبيت من الرمل.

(٣) «ص»: (أبواب الشيب).

ذِكرُ ما قالاهُ في الجمالِ والبهجةِ وحُسْنِ الوجوهِ وتشبيهِ النساءِ بالشموسِ، والبدورِ، والنجومِ، وغيرِ ذلك

قالَ أبو تمامٍ[1]:

لَحِقنا بِأُخراهُم وَقَد حَوَّمَ الهَوىٰ ❊ قُلوبًا عَهِدنا طَيرَها وَهيَ وُقَّعُ

فَرُدَّت عَلَينا الشَمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ ❊ بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

نَضا ضَوءُها صِبغَ الدُجُنَّةِ وانطَوىٰ ❊ لِبَهجَتِها ثَوبُ السَماءِ المُجَزَّعُ

فَوَاللهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ ❊ أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ

وَعَهدي بِها تُحيي الهَوىٰ وَتُميتُهُ ❊ وَتَشعَبُ أَعشارَ الفُؤادِ وَتَصدَعُ

وَأَقرَعُ بِالعُتبىٰ حُمَيَّا عِتابَها ❊ وَقَد تَستَقيدُ الراحَ حينَ تُشَعشَعُ

وَتَقفو إِلىٰ الجَدوىٰ بِجَدوىٰ وَإِنَّما ❊ يَروقُكَ بَيتُ الشِعرِ حينَ يُصَرَّعُ

قوله: «حوم الهوىٰ قلوبًا» أي هَيَّجَها الشوقُ وكانت طيرُها ساكنةً.

يريدُ أنَّ [٢/١٠٢/ب] ظَعْنَهُمْ هَيَّجَ الشوقَ بعدَ سُكونِهِ والدارُ جامعةٌ.

و«ثَوْبُ السَّماء المُجَزَّعُ» يريدُ طَمَسَ نورُها نورَ الكواكبِ التي هي نقشُ السماءِ، كالجزعِ نقط البياض.

و«يوشع» يريد يُوشَعَ بن نون، قيل: إنَّ الشمسَ رُدَّتْ له، في قصةٍ تُؤْثَر.

وقوله: «تُحْيِي الهَوَىٰ» أَي بهجرِها، و«تُمِيتُهُ» بوصلِها ونائلِها، كما قال

(١) شرح الصولي: ٢/٥، وشرح التبريزي: ٢/٣١٩، والأبيات من الطويل.

جَرِيرٌ[1]:

فَلَمَّـا التَقَـىٰ الحَيَّـانِ أُلقِيَـت العَصَـا ❊ ومَـاتَ الهَـوَىٰ لَمَّـا أُصِـيبتْ مَقَاتِلُـهْ

أَي لمَّا أُصيبت مَقَاتِلُهُ بالاجتماعِ.

«وتَشْعَبُ أَعْشَارَ الفُؤاد»[2] تضمُّها، وتلائمُ بينها، وأَعْشَارُه: أَجزاؤُه من قول امرئ القيس[3]:

«فـــي أعشـــار مُقَتَّـــلِ»

وإِنما قيلَ أَعْشَار؛ لأَنَّ العشرةَ نهايةٌ في كلِّ شيءٍ من العددِ، واحدها عُشْر، فإِنما أَرادَ جميعَ القلبِ.

وقوله: «تَصْدَعُ»، أَي تَشُقُّ، يريد[4] تلائمُ بينَ أَجزائِهِ مَرَّةً، وتفرِّقُ مَرَّةً أخرىٰ بينها، مثل قوله: «تُحْيي الهوىٰ وتُمِيتُه».

وقوله: «وأَقْرَعُ بالعُتْبَىٰ حُمَيَّا عِتَابِهَا»، أَي أَعتبُ إِذا عاتبتْ، وأَنتهي إلىٰ ما فيه رضاها، فجعل شدَّةَ غضبها عند العتاب حُمَيًّا كحُمَيَّا الخمر، وهي شدّتها، وجعلَ العُتْبَىٰ التي تكون منه حتىٰ يَزُولَ غضبها قَرْعًا كقَرْعِ الخمرِ بالماءِ حتىٰ تلينَ.

وقوله: «وقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تُشَعْشَعُ»، أَي وهي مع أَني كسرتُ غَضَبَهَا

---

(١) ديوانه: ٩٦٤، والبيت من الطويل.

(٢) رواية أخرىٰ عند الصولي والتبريزي.

(٣) صدره:

(ومـا ذرفـت عينـاك إلا لتضـربي ❊ بسهميك......)

ديوانه بشرح أبي سعيد السكري: ١/١٩٦. وهو من الطويل.

(٤) «ص»: (أي يريد).

وقمعتُهُ يَقْهَرُني حبُّها، ويغلِبُني سُكْرُ هواها، ويملِكُني [١٠٣/٢/أ] كما تَسْتَقِيدُ الراحُ فتصرعُ بالسكرِ من يَقْرَعها بالمِزَاج.

وهذه كلُّها معانٍ صحيحةٌ مستقيمةٌ، واستعاراتٌ لائقةٌ بما استعيرتْ له.

فأَما قولُهُ[١]:

وتَقْفُو لي الجَدْوَى بجَدْوَى وإنَّما ❊ يَروقُكَ بَيْتُ الشِّعرِ حين يُصَرَّعُ[٢]

فلفظٌ حَسَنٌ حلوٌ، ولكنَّه مثَّلَ شيئًا بشيءٍ كانَ غيرَه بالتمثيلِ أَليقُ، وذلك لمَّا قال: «وتَقْفُو لي الجَدْوَى» كان سبيلُهُ أَنْ يقولَ: وإِنما يبل الغليلَ العَلَلُ بعد النَّهَلِ، أَو ما كان أَشبه هذا وقاربَهُ؛ لأَنَّ الجَدْوَى هو نائلُ المرأَة، وليستْ من حظوظِ السمعِ فيمثل بها بيت الشِّعرِ المصرَّعِ الذي إِنما يَروقُ السمعَ فقط.

ولستُ أَقولُ إِنَّه أخطأَ، ولكنْ ليسَ بالجيدِ اللائقِ[٣]، والجيدُ فيهِ قولُ

---

(١) ديوانه: ٤٢٧/١.

(٢) نقل ابن المستوفي في النظام شرحًا لقول أبي تمام:

وأقــرع بلعبتــي حُميًّــا عتابهــا ❊ وقــد تسـتقيد الـراح حـين تشعشـع

لم يرد في نسخ الموازنة التي بين أيدينا، (قال الآمدي: قوله: «حُميا عتابها» أي: حَمي عتابها، والحميا هي القبر، وهذا الاسم مما جاء مصغرا في كلامهم، أراد: إني أكسر حمي عتابها بالعتبي، أي: الأعتاب.

وقد تستقيد الراح حين تشعشع.

من أحسن تمثيل وأعجبه، أي: إني وإن فرغت حُميا عتابها وكسرته بالأعتاب، أيضًا غالبتني بهواها، وإن رضيت، كما إن الراح إذا قرعتها بالماء وشعشعتها استقادت بأن تُسْكِرَا، وتصرع الفاعل لذلك بها، وإن كان يقال استقاد بمعنى: انقاد واطاع، فيجوز أن يكون قوله:

وقد تستقيد الراح حين تشعشع

أي: تنقاد وتسهل، وتزول شدتها، يريد: اعتابه سهّل أمر صده المرأة، وأزال عنتها، آخر كلامه). النظام جـ٢ لوحة ١٣٦.

(٣) انظر الدراسة في الجزء الأول من الموازنة: ٥٢/١، ففيها الرد على رأي الآمدي.

البحتريّ[1]:

فـإِنْ تُتْبِـعِ النُّعْمَـى بِنُعْمَـى فإِنَّـه ❁ يَـزِينُ اللآلـي فـي النِّظَـامِ ازْدِوَاجُهَـا

فجعلَ اللآلئ التي هي فرائدُ تحصلُ في اليدِ والعينِ والنفسِ مِثالًا لنعمةِ المنعمِ وليسَ للأُذنِ ههنا ولا هناك حظٌّ.

وقالَ أبو تمامٍ[2]:

عَطَفُوا الخُدُورَ على البُدُورَ [ووَكَّلُوا ❁ ظُلَـمَ السُّـتُورِ بِنُـورِ حُـورٍ نُهَّـدِ

وَثَنَـوْا علَـى وَشْـيِ الخُـدُودِ صِـيَانَةً ❁ وَشْـيَ البُـرُودِ بِمُسْـجَفٍ ومُمَهَّـدِ]

البيتُ الأولُ حسنٌ حلوٌ، وأخذَ قولَهُ: «وَثَنَوْا علَى وَشْيِ الخُدُودِ صِيَانَةً وَشْيَ البُرُودِ» من قولِ الكُمَيْتِ[3]:

وأَدْنَـيْنَ البُـرُودَ عَلَـى خُـدُودٍ ❁ يُـزَيِّنَّ الفَـدَاغِمَ بالأَسِـيلِ

[٢/١٠٣/ب] أَرادَ بالفداغمِ: الخدودَ اللَّحِيمَةَ، أَي يزيِّنها بِأَسَالَةِ خدودهنَّ، أَو أَن يكونَ أَرادَ بالفداغمِ المواضعَ الممتلئةَ من الجسد بالشحمِ، فيزينَّ ما كانَ ممتلئًا بأَسالَةِ خدودهنَّ، وهذا غيرُ حسنٍ، والأَولُ أَشبهُ بلَفظِ البيتِ.

ومعناه أَيضًا غيرُ جيدٍ؛ لأَنَّ الخدَّ الأَسيلَ إِذا اقترنَ بالخدِّ اللَّحِيمِ قَبَّحَهُ وشَانه ولم يزنْهُ؛ لبيانِ فضلِهِ عليهِ، وقد ذكرتُ هذا في أَغاليطِهِ مشروحًا[4].

---

(١) ديوانه: ١/٤٢٧، والبيت من الطويل.

(٢) شرح الصولي: ١/٤٥٠، شرح التبريزي: ٢/٤٦، وفي «ص»:

عطفـو الخـدود علـى البـدور صـيانة ❁ ومشـى البـرود بسـجّف ومُمهَّـل

تحريف، والتصحيح من النسخة المنسوبة لابن الأثير لوحة ٧١، ومن شرحي الصولي والتبريزي. والبيتان من الكامل.

(٣) سبق في ١/٢٩٧، ٤٥٧.

(٤) انظر: ١/٢٩٧.

وقال أَبو تمام[١]:

وَفـي الخُـدورِ مَهًـا لَـو أَنَّهـا شَـعَرَت ❊ إِذًا طَغَـت فَرَحًـا أَو أُبلِسَـت أَسَـفَا[٢]
لآلِـئُ كَـالنُجومِ الزُهـرِ قَـد لَبِسَـت ❊ أَبشارُها صَدَفَ الإِحصانِ لا الصَّدَفَا
مِن كُلِّ خَوْدٍ دَعَاها البَيْنُ فَابْتَكَرَت ❊ بِكْرًا وَلَكِن غَدا هِجْرانُها نَصَفَا[٣]
لا أَظْلِـمُ النَـأْيَ قَـدْ كانَـتْ خَلَائِقُهَـا ❊ مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَىٰ عِنْدِي نَوًىٰ قُذُفَا[٤]
غَيْـدَاءُ جَـادَ وَلِـيُّ الحُسْـنِ سُـنَّتَها ❊ فَصَـاغَها بِيَدَيْـهِ رَوْضَـةً أُنُفَـا[٥]
مَصْـقولَةٌ سَـتَرَت عَنّـا تَرائِبُهـا ❊ قَلبًـا بَريئًـا يُنـاغي نـاظِرًا نَطِفَـا[٦]

[٧] [قوله: «صَدَفَ الإِحصانِ لا الصَدَفا» ليس بالجيدِ؛ لأَنَّه قالَ: قد لبست

(١) شرح الصولي: ٢/٤٧، شرح التبريزي: ٢/٣٦٠، والأبيات من البسيط.

(٢) في «ص»، «ل»، والمطبوع: (أُلْبِسَتْ) تحريف. وقال التبريزي:
(معناه: لو علمت كيفية حسنها لورَّتها وكسَّبها علمها به أحدَ شيئين: إما فرحًا يغضي بها إلىٰ الطغيان؛ إذ لا ترىٰ لنفسها نظيرا، وإما حزنًا يؤسيها من نفسها شفعة علىٰ الناس ورقة لهم؛ لأنها تراهم موتىٰ صرعىٰ عليها).

(٣) قال التبريزي: (أي دعاها البيت فأجابت وفارقتنا، وهي حديث السن، ولكن هجرانها قديم).

(٤) قال الخارزنجي كما نقل ابن المستوفي:
(يقول: لا أكذب علىٰ النأي فأقول إنه فرق بيننا، فقد كانت أخلاقها لي قبل الفراق فراقًا يمنعني من الوصل إليها)، وقذفا: بعيدة.
النظام: ج ٢ لوحة ١٦٩.

(٥) قال أبو العلاء: استعار «ولي الحسن» من المطر الإيجار، وهو الذي يجيء بعد الوسمي، لأن من شأن النبت أن يكثر إذا أصابه الولي بعد الوسمي، فدل بقوله: «ولي الحسن» علىٰ أن الجمال في هذه المذكورة عميم.

(٦) قال المرزوقي: المعنىٰ أنها تريك خاصرًا من أمرها معك يخالفه الباطن، فهي تتملق لك وتظهر الوجد وتتباكىٰ لفراقك، ومَبْنىٰ ذلك كله علىٰ قلب بريء وصدر من الحب سليم. والنطف: الفاسد الدخلة، الملطخ النية. وانظر: النظام ج ٢ لوحة ١٦٩.

(٧) زيادة من «ل».

صدفَ الإِحصانِ، فأَراكَ أَنَّها لابستُهُ في الحالِ.

وقوله: «لا الصَّدَفَا» ليسَ له وجهٌ؛ لأَنَّ اللؤلؤَ قد فارقَ الصَّدَفَ وليسَ هو لابسُهُ في الحالِ.

والجيدُ الصحيحُ المعنىٰ قولُ البحتريِّ[1]:

إِذَا نَضَـوْنَ شُـفُوفَ الـرَّيْطِ آوِنَـةً ✤ قَشَـرْنَ عَـنْ لُؤْلُـؤ البَحْـرَيْن أَصْـدَافَا

فشبَّهَ أَجسامَهُنَّ في وقتِ تجرُّدِهِنَّ من الثياب باللؤلؤِ في الوقتِ الذي يُقْشَرُ عنه الصدفُ.

والعذرُ لأَبي تمامٍ أَنْ يقالَ: إِنما أَرادَ أَنَّها خُلِقَتْ لابسةً صَدَفَ الإِحصانِ لا الصدفَ، أَي ليست كاللؤلؤِ الذي خُلِقَ في الصَّدَفِ.

وبيتُ البحتريِّ أجودُ[2].

وقولُ أَبي تمام: «صدف[3] الإِحصان» معنىٰ لطيفٌ.

وقوله: «لو شَعَرَتْ به» أَي لو شعرتْ بشدَّةِ وجدِهِ طغتْ فرحًا، أَو «أُلبست أَسفًا علىٰ ما فات منه» وهذه طريقةُ ابنُ أَبي رَبِيعةَ التي كانت تليقُ بهِ، ومع ذلك يُعَابُ بها.

وهذه أَبياتٌ متكلفةٌ، وخاصةً قوله: «فَابْتَكَرَت بِكرًا وَلَكِن غَدا هِجرانُها نَصَفا» فإِنَّه غيرُ شهيٍّ، ولا مريءِ اللفظ، ولا المعنىٰ.

---

(١) ديوانه: ١٣٨١/٣، والبيت من البسيط.

(٢) وقارن ما قاله في هذا البيت في ص ٣٧٣ من هذا الجزء.

(٣) «ل»: (صنف الإحصان). تحريف.

ولله دَرُّ أَبي عُبَادَةَ إذ يقولُ على هذا [١٠٤/٢/أ] الوزنِ(١):

وَفـي الخُـدُورِ بُـدُورٌ قَلَّمـا طَلَعَـت ❊ إلَّا تَصَـرَّمَ ضَـوءُ البَـدرِ أَو كُسِـفَا
مَقســـومَةٌ بَـــينَ أَردافٍ مُبَـــتَّلَةٍ ❊ تَدْعُو الهَوَى وَخُصُورٍ أُرهِفَتْ قَضَفَا(٢)
[قَدْ كُنْتُ أَشْكو تَمَادِي حُبِّها حَدَثًا ❊ فَالآنَ أَطمَعُ في إنْصَافِهَا نَصَفَا](٣)
أَكَادُ مِنْ كَلَفٍ أُعْطِي الحَمَامَ يَدًا ❊ إذَا الحَمَـامُ عَلَـى أَغْصَـانِهِ هَتَفَـا
مـا بَاشَـرَ النَّـارَ مَشْـبُوبًا تَضَرُّمُهـا ❊ مَنْ لَمْ يُضِفْ تَحْتَ أَحْنَاءِ الحَشَا كَلَفَا(٤)
أَرَاجِـعٌ مِـنْ شَـبَابِي قَـيضُ مُبْتَـذَلٍ ❊ أَنْفَقْتُـهُ فـي لُبَانَـاتِ الصِّـبَا سَـرَفَا
للهِ أَيَّامُنـــا مـــا كـــانَ أَحْسَـــنَها ❊ لَـوْ أَنَّ دَهْـرًا تَـوَلَّى ذَاهِبًـا وَقَفَـا
لا تَكْـذِبَنَّ فَمَـا الـدُّنيا بِرَاجِعَـةٍ ❊ مَا فَاتَ مِنْ لَـذَّةِ الـدُّنْيا وَمَا سَلَفَا

[لم يتولَّهْ أنْ يقولَ: رجعًا، فقال: وقفًا، أي: وقفَ علينا ولم يمضِ](٥).

وقالَ أبو تمامٍ(٦):

وَرَفيقَـةِ اللَحَظَـاتِ يُعقِـبُ رِفقُهـا ❊ بَطشًـا بِمُغتَـرِّ القُلـوبِ عَنيفَـا
جُـزنَ الصِـفاتِ رَوادِفًـا وَسَـوالِفًا ❊ وَمَحـاجِرًا وَنَـواظِرًا وَأُنوفَـا
كُـنَّ البُـدورَ الطالِعـاتِ فَأَوسَـعَت ❊ مِنَّـا أُفـولًا لِلنَـوى وَكُسُـوفَا(٧)

---

(١) ديوانه: ١٤٣٧/٣، والأبيات من البسيط.
(٢) ديوانه: (أرهفت هيفا)، والهيف: ضمور البطن ورقة الخصر، والقضف: النحافة والدقة.
(٣) زيادة من «ل».
(٤) «ص»: (مسبوقًا تضرمها) تحريف.
(٥) زيادة من «ل».
(٦) شرح الصولي: ٧٢/٢، شرح التبريزي: ٣٧٩/٢، والأبيات من الكامل.
(٧) عن الصولي والتبريزي: (فأوسعت عنا).

آرامُ حَـــيٍّ أَنـــزَفَتهُم نِيَّـــةٌ ❁ تَرَكَتكَ مِن خَمرِ الفِراقِ نَزيفَا
كـانوا بُـرودَ زَمـانِهِم فَتَصَـدَّعوا ❁ فَكَأَنَّمـا لَـبِسَ الزَمـانُ الصُّـوفَا

وهذه معان جيّدةٌ لائقةٌ إلا قولَهُ: «لَبِسَ الزمانُ الصُّوفَا» ؛ فإنَّ الناسَ جميعًا استهجنوهُ، ولو كانَ اعتمدَ أَنْ لاَ يترك قافيةً على الفاءِ إلا أَوردَهَا لما كلن ينبغي أَنْ ذَكَرَ الصوفَ وخاصّةً على هذا الوجهِ.

وقالَ البحتريُّ[1]:

إنَّ فـي السِـربِ لَـو يُسـاعِفُنا السِـر ❁ بُ شُموسًـا يَمشِـينَ مَشـيًا وَئيـدَا
يَتَـدافَعنَ بِـالأَكُفِّ وَيَعرِضـ ❁ ـنَ عَنلَيـا عَوارِضًـا وَخُـدودَا
يَتَبَسَّـمنَ عَـن شَـتيتٍ أَراهُ ❁ أُقحُوانًـا مُفَصَّـلًا أَو فَريـدَا
رُحـنَ وَاللَيـلُ قَـد أَقـامَ رُواقًـا ❁ فَـأَقَمنَ الصَـباحَ فيـهِ عَمـودَا
بِمَهـاةٍ مِثـلَ المَهـاةِ أَبَـت أَن ❁ تَصِـلَ الوَصـلَ أَو تَصُـدَّ صُـدودَا[2]
ذاتِ حُسنٍ لَو استَزادَت مِنَ الحُسـ ❁ ـنِ إِلَيـهِ لَمـا أَصـابَت مَزيـدَا
فَهِـيَ الشَـمسُ بَهجَـةً وَالقَضـيبُ الـ ❁ ـغَـضُّ لينًـا وَالـرِئمُ طَرفًـا وَجيـدَا

وحَسْبُكَ بهذا حسنًا، وصحةً، وجودةً، وخاصةً هذا البيتَ الأَخيرَ وما جمعَ فيه من التشبيه بأَبرع لفظ، وأحلى سَبْكٍ، ولكنْ أَفسدَهُ بقولِهِ: «أَبت أَنْ تَصِلَ الوصلَ، أَو تَصُدَّ صُدُودَا»، [وإنما علقَهُ من أَبي تمامٍ][3].

(١) ديوانه: ١/٥٩٠، والأبيات من الخفيف.
(٢) في ديوانه: (تصد الصدودا).
(٣) الزيادة من «ل»، ويعني به طلب الجناس.

وقالَ أَبو تمامٍ[1]:

سَلَبْنَا غِطَاءَ الحُسْنِ عَنْ حُرِّ أَوْجُهٍ ❁ تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبيها سَوَالِبَا
وجُوهٌ لو انَّ الأَرْضَ فيها كواكبٌ ❁ تَوَقَّدُ للسَّارِي لكانَتْ كَوَاكِبَا

وهذا معنىً قديمٌ متداولٌ، وأَحسنُ ما قيلَ فيه قولُ مُزَاحِمِ العُقَيْلِي[2]:
[٢/١٠٤/ب]

وُجُوهٌ لو أَنَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا ❁ صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِي

وهذا كثيرٌ.

وقالَ البحتريُّ[3]:

كالبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلَى ❁ والشمسِ إِلَّا أَنَّهَا لا تغربُ

فجاءَ بمعنىً آخرَ فيهِ سؤالٌ؛ وذلك أَنَّه لمَّا قالَ: «كالبدر إِلا أَنها لا تجتلى» كان هذا من أَحسن معنىً وأَلطفه؛ لأَنَّ عيونَ الناسِ كلّهم تَرَى البدرَ وتجتليهِ، وهي لا تراها العيونُ، ولا تُجْتَلَى [ثم قال: «والشمس إِلا أَنها لا تغرب» وإِنما قال لا تجتلى][4] لأَنَّها[5] محجوبةٌ، وإِذا كانت في حجابٍ فهي في غروبٍ؛ لأَنَّ

---

(١) شرح الصولي: ١/٢٣٨، والبيتان من الطويل.

(٢) مزاحم العقيلي هو: مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث، من بني عقيل بن كعب، من عامر بن صعصعة، شاعر غزل بدوي من الشجعان، كان زمن جرير والفرزدق، وسئل كل منهما: أيعرف أحدًا أشعر منك، فقال الفرزدق: لا، إلا أن غلامًا من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد، وأجاب جرير بمثل ذلك، وجعله ابن سلام أول الطبقة العاشرة من فحول شعراء الإسلام: (طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢/٧٧٠، والبيت أورده الجاحظ في البيان والتبيين: ٣/٢٥٢، ٤/٦٩، وفي الحيوان: ٣/٩١، وفيهما: (حتى ترى الليل). والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ١/٧٢، والبيت من الكامل.

(٤) الزيادة من «ل».

(٥) «ص»: (لأن تلك محجوبة)، والتصحيح من «ل».

الشمسَ إِذا غربتْ فإِنما تدخلُ تحتَ حجابٍ، فظاهرُ المعنىٰ: كالبدر إِلَّا أَنَّ العيونَ لا تراها، والشمس إِلا أَنَّ العيونَ لا تفقدُها، وظاهرُ هذا القولِ ـ كما تراه ـ متناقضٌ، وأَظنُّه أَنَّه أَرادَ أَنَّها وإِنْ كنتَ في حجاب فإِنَّه لا يُقالُ غَرَبَتْ تَغْرِبُ كما يقالُ للشمسِ، وإِنما يُقالُ لها إِذا سافرتْ: بعدتْ، واغتربتْ، وغربت إِذا توجهتْ نحوَ الغربِ.

وقد يقالُ للرجلِ أُغْرُبْ عنَّا أَي ابعد، ولو استعارَ لها اسمَ الغروبِ عن الأَرضِ التي تكونُ فيها إِذا ظَعَنَتْ عنها إِلىٰ أَرض أخرىٰ، كانَ ذلك حسنًا جدًا، لا سِيَّما وقد جَعَلَهَا شمسًا، كما قال إِبراهيمُ بنُ العباسِ الصُّولي[1]:

وزَالَـتْ زَوالَ الشـمسِ عَـنْ مُسْـتَقَرِّهَا ❊ فَمَـنْ مُخْبِـرِي فـي أَيِّ أَرِضٍ غُرُوبُهـا

[١٠٥/٢/أ] وقد يجوزُ أَنْ يقولَ قائلٌ: إِنَّه أَرادَ أَنَّها لا تَغْرُبُ تحتَ الأَرضِ كما تغرب الشمسُ، وهذه معاذيرُ ضيقةٌ لأَبي عُبَادَةَ، فإِنْ لم يكُ قد أَخطأَ فقد أَساءَ [وإِنْ لمْ يكنْ قد أَساءَ فما أَحسن][2].

وقالَ أبو تمامٍ[3]:

قالـتْ وقَـدْ أَعْلَقْـتُ كفِّـي كفَّهـا ❊ حِـلًّا ومـا كُـلُّ الحَـلالِ بطيِّـبِ

فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذا حُجِبَتْ بَدَتْ ❊ مِـنْ نُورِهـا فكأَنَّهـا لَـمْ تُحْجَـبِ

وهذا معنىٰ حسنٌ، وقد تقدَّمَ الناسُ فيه وأَكثروا.

(١) والبيت في ديوانه في الطرائف الأدبية.
(٢) الزيادة من «ل».
(٣) شرح الصولي: ٢١٧/١، شرح التبريزي: ٩٥/١، والبيتان من الكامل.

قالَ قيسُ بنُ الخَطِيمِ(١):

قَضَىٰ لَهـا الله حِـينَ صَـوَّرَها الْـ ❊ ـخَـالِقُ أَن لا يُكِنَّهـا سَـدَفُ

وأَجودُ من هذا قولُ جريرٍ(٢):

كأَنَّهـا مُزْنَـةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ ❊ أَوْ دُرَّةٌ لا يُـوَارِي ضـوءَها الصَّـدَفُ

ووصلَ أَبو تمامٍ ذلك بأَنْ قالَ:

وإِذَا رَنَـتْ خِلْـتَ الظِّبـاءَ وَلَـدْنَها ❊ رِبْعِيَّـةً، واسْتُرْضِـعَتْ فـي الرَّبْـرَبِ

إِنْسِـيَّةٌ إِنْ حُصِّـلْت أَنْسَـابُها ❊ جِنِّيَّـة الأَبَـوَيْنِ مـا لَـمْ تُنْسَـبِ

قوله: «رِبْعِيَّةً» يريدُ أَنَّها وُلِدتْ في الربيعِ أَوَّلَ النَّتاجِ فهي أَحسنُ ما تكونُ وأَقوىٰ، «واسْتُرْضِعَتْ في الرَّبْرَبِ» والرَّبْرَبُ: القطيعُ من [بقرٍ](٣) كأَنَّه يؤَكِّدُ حسنَ عينِها.

وقوله:

إِنْسِـيَّةٌ إِنْ حُصِّـلَتْ أَنْسَـابُها ❊ جِنِّيَّـةُ الأَبَـوَيْنِ مـا لَـمْ تُنْسَـبِ

فيه سؤالٌ وهو أَنْ يُقالَ: قوله: «جنية الأَبوين» هو كقوله: تميمِيَّة الأَبوين، أَو قُرَشِيَّةُ [١٠٥/٢/ب] الأَبوين، وهذا أَصحُ ما يكونُ من النسبِ، فكيفَ يقولُ: ما لم تنسب؟ والنَّسَبُ إِلىٰ الجِنِّ كالنَّسَبِ إِلىٰ الإِنسِ، فكما تقولُ: إِنْسِيٌّ فكذلك تقولُ: جِنِّيٌّ، فكيف يكونُ ذلك نسبًا، وهذا غير نَسَبٍ.

---

(١) ديوانه ص١٠٥. تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت. والبيت من المنسرح.

(٢) ديوانه: ١٧٠/١.

(٣) الزيادة من «ل».

فالجوابُ أَنَّه أَرادَ إِنْ حُصِّلَ نَسَبُها فقيلَ فلانةُ بنتُ فلانٍ من بني فلانٍ عُلِمَ أَنَّها من الإِنسِ، وإِنْ أَبصرَها المبصرُ ولمْ يسأَلْ عنْ نَسَبِهَا ظنَّ أَنَّها من الجنِّ من فرطِ حُسْنِهَا الزائدِ على حسنِ الإِنسِ المعهودِ، فإِنَّما قال: «ما لم تُنْسَبِ» أَي ما لم نَنْسِبْها[1] إِلىٰ آبائها من الإِنسِ، وقال المُؤَمَّلُ بنُ أُمَيلٍ المُحاربيُّ[2]:

جنِّيَّــــةٌ أَوْ لهـــا جِـــنٌّ يُعَلِّمُهَـــا ❊ رَمْـيَ القُلُـوبِ بِسَـهْمٍ مَالَـهُ وَتَـرُ

وأَحسنَ في هذا كلَّ الإِحسانِ؛ لأَنَّ الرميَ عنْ غيرِ وَتَرٍ ليسَ من رمي الإِنسِ وقال [بشارٌ][3]:

إِنْسِيَّةٌ ... ... جِنِّيَّةٌ ❊ أَوْ فَـــوْقَ ذَاكَ أَجَـــلُّ قَـــدْرَا

فَجَعَلَهَا لِحُسْنِهَا فَوْقَ الإِنسِ والجنِّ.

وقالَ حَسَّانُ[4]:

جِنِّيَّـــــةٌ أَرَّقَنِـــــي حُبُّهَـــــا ❊ تَـذْهَبُ صُـبْحًا وتُـرَىٰ فـي المَنَـامْ

فأَمَّا قولُ الشَّنْفَرَىٰ[5]:

فَلَـوْ جُـنَّ إِنْسَـانٌ مِـنَ الحُسْـنِ جُنَّـتِ

---

(١) «ص»: (ما تنسب)، والتصحيح من «ل».

(٢) في «ل»: (وقال أبو دهبل الجمحي:)، والبيت من حماسية لأبي دهبل الجمحي، (شرح الحماسة للمرزوقي ص١٣٥١). والبيت من البسيط.

(٣) زيادة من «ل»، والبيت في ديوان بشار: ٤/ ٥٦. برواية: (جنية إنسية.. أو تبين ذاك أجل أحمرا). والبيت من مجزوء الكامل.

(٤) شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي ص٣٨٠، والبيت من السريع.

(٥) سبق في الجزء الأول ص٣٤٦.

فإِنِّي أَظنُّهُ أَرادَ: لو عَرَضَتْ الجنُّ لأَحدٍ من حُسْنِهِ عَرَضَتْ لها، وقد قيل فيهِ غير شيء، وكلُّه رديءٌ، وليسَ مثلُهُ يذكرُ.

وقالَ أَبو تمامٍ(١):

أَيـنَ التـي كانـتْ إِذا شـاءَتْ جَـرَىٰ ❁ مِـنْ مُقْلَتِـي دَمْـعٌ يُعَصْـفِرُهُ دَمُ؟
بَيْضَـاءُ تَسْـرِي فـي الظَّـلام فَيَكْتَسِـي ❁ نُـورًا وتَبْـدُو فـي الضِّـياء فَـيُظْلِمُ(٢)
يَسْـتَعْذِبُ الرِّعْدِيـدُ فيهـا حَتْفَـهُ ❁ فَتَـرَاهُ وهـو المُسْـتَمِيتُ المُعْلَـمُ(٣)
مَقْسُـومَةٌ فـي الحُسْـنِ بَـلْ هِـيَ غَايَـةٌ ❁ فالحسـنُ فيهـا والجمـالُ مُقَسَّـمُ(٤)
مَلْطُومَـةٌ بـالوَرْدِ أُطْلِـقَ طَرْفُهـا ❁ فـي الخَلْـقِ فَهْـوَ مَـعَ المَنُـونِ مُحَكَّـمُ

قوله: «بيضاءُ تَسْرِي في الظلام فيكتسي نورًا» هو مذهبُ الناسِ نحوَ قولِ امرئِ القيسِ(٥):

تُضِـيءُ الظَّـلامَ بالعشَـاءِ كأَنَّهـا ❁ [مَنَـارَةُ مُمْسَـىٰ رَاهِـبٍ مُتَبَتِّـلِ]

وقولُ مُزَاحِم: «صَدَعْنَ الدُّجَىٰ» وأَشباه هذا.

وقولُهُ: «تَبْدُو في الضِّياءِ فيُظْلِمُ» يريدُ أَنَّ نورَها يغلبُ علىٰ ضوءِ النهارِ حتىٰ يصيرَ كأَنَّهُ مظلمٌ، وهذا أَيضًا معنىٰ معروفٌ، من قولِهم: لو بَرَزْتَ للشمسِ

(١) شرح الصولي: ٣٨١/٢، شرح التبريزي: ٢١٣/٣. والأبيات من الكامل.
(٢) عند الصولي والتبريزي: (وتسرب في الضياء).
(٣) عند الصولي والتبريزي: (يستعذب المقادم).
(٤) «ص»: (فالحسن فيه) والتصحيح من «ل»، والصولي والتبريزي.
(٥) الزيادة من «ل»، ومن ديوان امرئ القيس، ص١٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

لَكَسَفَتْها، والنهارُ عندَ نُورِ وَجْهِها ليلٌ، وأَشباه هذا.

وقالَ في موضعٍ آخر[1]:

وَلِهَــتْ فَــأَظْلَمَ كــلُّ شــيءٍ دُونَهــا ❊ وأَضَــاءَ منهــا كــلُّ شــيءٍ مُظْلِــمِ

فقولُهُ: «أَظلم كلُّ شيءٍ دُونَها» ليسَ من هذا البابِ، وإنما أَرادَ أَنَّ أَمرَ الفراقِ أَوْلَهَهَا فأَظلمتْ الأَشياءُ في عينِهَا؛ لِعِظَمِ ما وَرَدَ عليها.

وهذا مثلُ قولِ الشاعرِ، وأَنشدَ أَبو تمامٍ في الحماسةِ[2]:

نَعَىٰ لي أَبَا المقدامِ فاسْوَدَّ مَنْظَرِي ❊ من الأَرضِ واسْتَكَّتْ عليَّ المَسَامِعُ

[١٠٦/٢/أ] قولُهُ: و«أَضَاءَ منها كلُّ شيءٍ مُظْلم» مثلَ قولِهِ: «تَبْدُو في الظلامِ فيكْتَسِي نُورًا»[3].

وقولُهُ: «مَقْسُومَةٌ في الحُسْنِ» أَيْ محظوظةٌ منهُ، كأَنَّها قد قُسِمَ لها منهُ، والقَسْمُ: النصيبُ.

وقولُهُ: «مَلْطُومَةٌ بالوَرْد» يريدُ حُمْرَةَ خدِّها، فلمْ يَقُلْ: مَصْفُوعَةً بالقَارِ، ويريدُ سَوَادَ شعرِها، ومَخْبُوطَةٍ بالشحمِ يريدُ امتلاءً لجسمِها، ومضْرَوبة بالقطنِ يريدُ بياضَها، إنَّ هذا لأَحْمَقُ ما يكونُ من اللَّفظِ، وأَسخفِهِ، وأَوسخِهِ.

---

(١) شرح الصولي: ١٤٧/٢، شرح التبريزي: ٢٤٨/٣. والبيت من الكامل.

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي: ٨٦٧/٢، وفي «ص»: (أبو المقدام) تحريف.

(٣) قال الصولي:

(سألت أبا مالك عن هذا البيت فقال: يقول: لما جزعتْ لفراقي أظلم كل شيء في عيني لما رأيت ما بها، وبانَ لي ما في نفسها من الحب وأنار، وكان مغيبًا عني مشتبهًا علي، قال: وسألني عن هذا بعض الكتاب الأجلاء، فأخبرته فاستحسنه، وزعم أنه كان عندهم: أنها أشرقت حين صارت الظلمة نورًا، وليس بشيء).

وقد جاءَ مثلُ هذا في كلامِ العربِ ولكن علىٰ وجهٍ حسنٍ، قالَ النابغةُ[1]:

مَقْذُوفَـةٌ بِـدَخِيسِ اللَّحْـمِ بَازِلُهَـا ❊ [لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ][2]

يريدُ أَنَّها قُذِفَت بالشَّحْمِ، أَيْ كأَنَّه رُمِيَ علىٰ جسمِهَا رميًا.

وإنما ذَهَبَ أَبو تمامٍ إِلىٰ قولِ أَبي نواسٍ: «وتَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ»[3]

وهذه كانتْ تلطِمُ علىٰ الحقيقةِ في مأْتمٍ علىٰ ميّتٍ بأَناملَ مَخْضُوبةِ الأَطرافِ، فجعلها عنَّابًا تلطمُ بهِ وردًا، فأَتىٰ بالظرفِ كلِّهِ، والحسنِ أَجمعِهِ، والتشبُّهِ علىٰ حقيقتِهِ.

وجاءَ أَبو تمامٍ بالجهل علىٰ وجهِهِ، والحمقِ بأَسْرِهِ، والخطإِ بعينِهِ.

وقالَ[4]:

ومَقْـدُودَةٍ رُوْدٍ تَكَـادُ تَقُـدُّها ❊ إِصَابَتُها بـالعَيْنِ مِـنْ حُسُـنِ القَـدِّ

تُعَصْـفرُ خَـدَّيْهَا العُيُـونُ بِحُمْـرَةٍ ❊ إِذَا وَرَّدَتْ كَانَتْ وَبَالًا عَلَىٰ الوَرْدِ[5]

إِذَا زَهَّدَتْنِي في الهَوَىٰ خِيفَةُ الرَّدَىٰ ❊ جَلَتْ لِيَ عَنْ وجْهٍ يُزَهِّدُ في الزُّهْدِ

[٢/١٠٦/ب] قولُهُ: «مِنْ حُسُن القَدِّ» بضمِّ السِّينِ، من أَقبحِ لفظةٍ وأهجنِها.

---

(١) ديوانه، ص١٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

(٢) الزيادة من «ل»، ومن الديوان.

(٣) ديوانه: ١٥/٤، وصدره:

يبكي فيذري الدر من نرجس

والبيت من السريع.

(٤) شرح الصولي: ٤٥٦/١، وفيه: (يكاد يقدها)، شرح التبريزي: ٦١/٢، وفيهما: (حَسَنِ القدِّ). وانظر شرح التبريزي.

(٥) شرح الصولي والتبريزي: (وَرَدَتْ) بترك تضعيف الراء.

ومثلُ قولِهِ[1]:

«أَعرضــتْ عــن الإِعــراضِ»

وهذا إِذا سمعَهُ الأَعرابُ ضحِكُوا منه، بل الجيِّدُ قولُهُ[2]:

لَــوْلَا العُيــونُ وَتُفَّــاحُ الخُــدودِ إِذًا ❊ مـا كـانَ يَحْسُـدُ أَعْمَىٰ مَنْ لَـهُ بَصَـرُ

وأَوَّلُ هذه القصيدةِ:

يــا هــذِهِ أَقْصِــرِي مــا هــذِهِ بَشَــرُ ❊ ولا الخَرَائِــدُ مــن أَتْرَابِهَــا الأُخَــرُ

خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ كَالرَّوْضِ لَيْسَ لها ❊ إِلَّا الحُلِــيَّ علــىٰ أَعْنَاقِهــا زَهَــرُ

بِـــدُرَّةٍ حَفَّهـــا مِـــنْ حَوْلِهَـــا دُرَرٌ ❊ أَرْضَـىٰ غَرَامِـيَ فيهـا دَمْعِـيَ الـدُّرَرُ

صَـبَّ الشـبابُ عليهـا وهْـوَ مُقتَبِـلٌ ❊ مـاءً مـن الحُسْـنِ مـا فـي صَـفْوِهِ كَـدَرُ

قوله: «خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ» فإِنَّ الخضرةَ ليستْ من أَلوانِ ثيابِ نساءِ الباديةِ ولا من صِبْغِ نساءِ الأَمصارِ إِلا في الفرطِ، لا يُلْبَسُ إِلا أَنْ يكونَ أَصلُ لونِ الثوبِ أَخضرَ.

وقد جعلَ[3] أَبو تمامٍ جميعَ لباسِ هؤلاءِ النِّسوةِ الأَخضرَ، وشَبَّهَهُ بالروضِ من أَجلِ تشبيهِهِ الحليَّ بالزَّهرِ، وهو نبتٌ حسنٌ، وغرضُهُ في ذكرِ الخضرةِ غرضٌ صحيحٌ إِلا أَنَّهُ غيرُ معروفٍ.

---

(١) شرح الصولي: ١/٦١٠، شرح التبريزي: ٢/٣٠٩، والبيت كاملًا:

أعرضـــت بـــرهن لمـــا أحســـت ❊ بـــالقوىٰ عرضـــت عـــن الإعـــراض

وهو من الخفيف.

(٢) شرح الصولي: ١/٥٣٢، شرح التبريزي: ٢/١٨٥. والبيت من البسيط.

(٣) «ص»: (وقد جمع).

وقالَ البحتريُّ[1]:

واخْضَـرَّ مَوْشِـيُّ البُـرُودِ وقَـدْ بَـدا ✤ مِـنْهُنَّ دِيبـاجُ الخُـدُودِ المَـذْهَبُ

ذكرَ الخضرةَ لأنَّه لم يجدْ لونًا غيرها ؛ وذلك أَنَّ البياضَ ليسَ ممَّا توصفُ بهِ ثيابُ النساء ، والسوادُ ثيابُ الحزنِ والمصائبِ ، وقد جعلَ خدودَهُنَّ ديباجًا مُذَهَّبًا ، والذَّهبُ يشتملُ على لونِ الحمرة ، والصُّفرةِ ، والتَّوْرِيدُ هو من أَلوانِ الخَدِّ ، والكُحْلِيُّ لا يلفظُ بهِ ، والعربُ لا تَذْكُرُه في الأَلوانِ ، وكذلك الأَزرقُ لا تستعمِلُه إِلا في صفةِ الماءِ والصبحِ ، ويقولون: عَدُوٌّ أَزْرَقُ ، أَي حديدُ النَّظرِ ، وسِنانٌ أَزْرَقُ أَي حديدُهُ ، ولم يبقَ من الأَلوان ما يخالفُ لونَ الخُدُودِ المذهَّبَةِ كما قالَ إِلا الخُضْرةُ ، فهذا وجهُ ذكرِ البحتريِّ الخَضرةَ ؛ لأَنه لو قالَ:

واحْمَـرَّ مَوْشِـيُّ الخـدودِ وقـد بَـدَا ✤ مـنهنَّ ديبـاجُ الخـدودِ المُـذْهَبُ

لكانَ مدحًا بلونين متَّفقينِ .

وقالَ البحتريُّ[2]:

هَـزَّ مِنْهـا شَـرْخُ الشَّـبابِ فَجَالَـتْ ✤ فَـوْق خَصْـرٍ كثيـرِ جَـوْلِ الوِشَـاحِ

وَأَرتْنَـا خَـدًّا يُـرَاحُ لَـهُ الـوَرْ ✤ دُ وَيَشْـتَمُّهُ جَنَـى التُّفَّـاحِ

وشَـتِيتًا يَغُـضُّ مِـنْ لُؤْلُـؤِ الـنَّظْ ✤ م وَيُـزْرِي علـى شَـتِيتِ الأَقَـاحِي

فَأَضَـاءتْ تَحْـتَ الدُّجُنَّـةِ لِلشَّـرْ ✤ بِ وكَـادَتْ تُضِـيءُ لِلْمِصْبَاح

وأَشَـارتْ علـى الغِنَـاءِ بِأَلْحـا ✤ ظٍ مِرَاضٍ مِنَ التَّصَابِي صِحَاحِ[3]

فَطَرِبْنَـا لَهُـنَّ قَبْـلَ المَثَـانِي ✤ وَسَـكِرْنَا مِـنْهُنَّ قَبْـلَ الـرَّاحِ

---

(١) ديوانه: ٧١/١ ، والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ٤٧٥/١ ، والأبيات من الخفيف.

(٣) ديوانه: (إلى الفناء).

قَـدْ تُـدِيرُ الجُفُـونُ مِـنْ عَـدَمِ الأَلْ ❊ بَـابِ مَـا لَا يَـدُورُ فـي الأَقْـدَاحِ

قولُهُ: «فجَالت فوق خصْر» كلامٌ حسنٌ.

وقولُهُ: «يراح له الورد» حسنٌ أَيضًا.

وقولُ أَبي [٢/١٠٧/ب] تمامٍ: «كانت وَبَالًا على الوَرْد» أَحسنُ منه وأَلطفُ، وأَشبَهُ بما يُسْتَعْمَلُ في هذا المعنى.

وقوله: «ويَشْتَمُّهُ جَنَى التُّفَّاح» ليس بالجيِّدِ، بل هو رديءٌ؛ لأَنَّه لا يدخلُ في الاستعارةِ أَن يشتمَّ التفاحُ خدَّها، ولكنَّه يُحمَلُ على أَنَّه لو كان مما يشْتَمُّ لاشْتَمَّ خدَّها، أَو لو كانَ الورد ممَّا يُراحُ لراحَ لَهُ.

و«يراح» أَسهلُ من «يشتم».

وهذا مثلُ قولِ [عَوْفِ بنِ عَطِيَّةَ][1] بن الخَرِع[2]:

لهـا حَـافِرٌ مِثْـلُ قَعْـبِ الوَلِيـدِ ❊ يَتَّخِـذُ الفـأْر فيـه مَغَـارَا

والفأْرُ لا تتخذُ في الحافرِ مغارًا، وإِنما قال ذلك لِعِظَمِ الحافرِ، ومثلُهُ أَيضًا قولُهُم: جاءَ بِجَفْنَةٍ يقعُدُ فيها خمسةٌ، وإِنما أَرادَ لو قعدوا فيها لوسعتهم.

وهذا على كلِّ حالٍ أَقربُ من استعارةِ البحتريِّ.

وقولُهُ: «وشَتِيتًا يغضُّ مِنْ لُؤْلُؤِ النَّظْمِ» بيتٌ في غايةِ الجودةِ، والصحةِ،

---

(١) الزيادة من «ل».

(٢) المفضليات ص ٤١٤، وهو عوف بن عطية بن عمرو بن عبس التيمي من تيم الرباب، و«الجزع» لقب جده عمرو، من فرسان العرب، شاعر جاهليٌّ مفلق، أدرك الإسلام، عده ابن السلام من الطبقة الثامنة من الإسلاميين. (طبقات فحول الشعراء، ص ١٦٤).

والبراعةِ.

وكذلك قولُهُ: «وكَادَت تُضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ» وهو أَجودُ من قولِ أَبي تمامٍ: «وتَبْدُو في الضياءِ فَيُظْلِمُ»، وأَوضحُ وأَليقُ، وأَشدُّ مبالغةً في الضوءِ.

وقال(1) البحتريُّ(2):

وبِنَفْسِـي مُسْـتَغْرَبُ الحُسْـنِ فِيـهِ ❊ حَيَـدٌ عَـنْ مُحِبِّـهِ وَنِفَـارُ(3)

فَـاتِرُ النَّـاظِرَيْنِ يَنْتَسِـبُ الـوَرْ ❊ دُ إِلَـى وَجْنَتَيْـهِ وَالجُلَّنَـارُ

مُـذْنِبٌ يُكْثِـرُ التَّجَنِّـي فَمِنْـهُ الـذَّ ❊ نْـبُ ظُلْمًـا ومِنِّـي الإِعْتِـذَارُ

وهذا من قولِ المُؤَمَّلِ بنِ أُمَيلِ المُحَارُبيِّ(4): [108/2/أ]

وتُـذْنِبونَ فَنَـأْتيكُمْ فَنَعْتَـذِر

وقالَ البحتريُّ(5):

---

(1) «ص»: (وقول).

(2) ديوانه: 852/2.

(3) ديوانه: (وازْوِرَارُ).

(4) المؤمل بن أميل المحاربي، شاعر من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي، واشتهر في العصر العباسي، وكان فيه رجال الجيش وانقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها، عمي في آخر عمره، توفي سنة 190هـ. (معجم الأدباء، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة 1993، ص2733).

والبيت في بهجة المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت: 263/1، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، 45/3، والمستظرف للأبشهي، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر بيروت: 314/3، وصدر البيت:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكُمُ

وهو من البسيط.

(5) ديوانه: 498/1، والأبيات من البسيط.

وقَـدْ نَهَيْـتُ فُـؤَادِي لَـوْ يُطَـاوِعُني ❁ عَنْ ذِي دَلَالٍ غَرِيبِ الحُسْنِ مُفْرَدِهِ

عَنْ حُبِّ أَحْوَىٰ أَسِيلِ الخدِّ أَبيضِهِ ❁ ساجِي الجُفُونِ كَحِيلِ الطَّرْفِ أَسوَدِهِ

مِثْـلِ الكَثِيـبِ تعَـالَىٰ فـي تَرَاكُمِـهِ ❁ مثْـلِ القَضِـيبِ تَثَنَّـىٰ فـي تَـأَوُّدِهِ

فجعلَ الخدَّ ههنا أَبيضَ من أَجلِ قولِهِ: «كحيلِ الطرفِ أَسْوَدِهِ».

وابيضاضُ الخدِّ عندَ كثيرٍ من الناسِ ـ إِذا كان له ماءٌ ورونقٌ ـ أَحسنُ من احمرارِهِ.

وقوله: «أَحْوَىٰ» إِنما ذهبَ به إِلىٰ الظَّبي، وهو الذي في ظهرِهِ خطٌّ أَسودُ، فقالَ «أَحوىٰ» مكانَ قولِهِ «ظبيٌ» لَوْ قَالَهُ.

وهذا لفظٌ ومعنىٰ في غايةِ الحسنِ.

وقال[1]:

بَيْضَـاءُ أَوْقَـدَ خَـدَّيْهَا الصِّبَا وَسَـقَىٰ ❁ أَجْفَانَهـا مِـنْ مـدَامِ الـرَّاحِ سَـاقِيها

فـي حُمْـرَةِ الـوَرْدِ شَـكْلٌ مِـنْ تَلَهُّبِهَـا ❁ وللقَضِـيبِ نَصِـيبٌ مِـنْ تَثَنِّيهَـا

قوله: «أَوْقَدَ خَدَّيْها الصّبا» يريدُ احمرارَها، وهذا لفظٌ حسنٌ ومعنىٰ مستقيمٌ.

وقولُهُ: «وسقَىٰ أَجفانَها مِنْ مُدام الرَّاحِ ساقِيها» يريدُ تَفْتِيرَ أَلحاظِهَا، وانكسارَ أَجفانِها من الغَنَجِ، كما تتكسَّرُ أَجفانُ السكرانِ.

وهذا كقولِهِ[2]:

---

(١) ديوانه: ٤/٢٤٠٩، والبيتان من البسيط.

(٢) ديوانه: ١/٤٣٥، والبيت من السريع.

تَحْسَـــبَهُ نَشْـــوَانَ إِمَّـــا رَنَـــا لِلــــ ❊ ـفَتْـــرِ مِـــنْ أَجفانِـــهِ وَهْـــوَ صَـــاحْ

[٢/١٠٨/ب] والأَشهرُ[١] الأَكثرُ في كلامهم تشبيهُهُمْ أَجفانَ المحبوب بطرف الوَسْنَانِ لا بطرفِ السكرانِ، فذلك نحوُ قول الشاعرِ[٢]:

وكأَنَّهـــا بَـــيْنَ النِّسَـــاءِ أَعَارَهـــا ❊ عَيْنَيْـــهِ أَحْـــوَرُ مِـــنْ جَـــآذِرِ جَاسِـــمِ

وَسْـــنَانُ أَقْصَـــدَهُ النُّعَـــاسُ فَرَنَّقَـــتْ ❊ فـــي عَيْنِـــهِ سِـــنَةٌ وَلَـــيْسَ بِنَـــائِمِ

ويجعلونَ طرفَ المحبوبِ هو الذي يُسكرُ، ويقيمونَهُ مقامَ الراحِ، وقد أَكثرَ البحتريُّ من هذا الوصفِ، وذلك قوله[٣]:

أَرْسَلَتْ شُـغْلَيْنِ: مِـنْ لَفْـظٍ مَحَاسِـنُهُ ❊ تُذْوِي الصَّحِيحَ ولَحْظٍ يُسْكِرُ الصاحِي

حَيَّيْتُ خدَّيْكَ بَلْ حَيَّيْتُ مِنْ طَرَب ❊ وَرْدًا بِـــوَرْدِ وتُفَّاحًـــا بتُفَّـــاحِ

[وقوله[٤]:

قـد تُـديرُ الجفُـونُ مـن عـدم الأَلـ ❊ ـبابِ ما لا يـدورُ فـي الأَقْـدَاحِ][٥]

وقوله[٦]:

ومـا أَسْـكَرِتْنِي الـرَّاحُ لكِـنْ أَعَانَهـا ❊ عَلَـــيَّ بِعَيْنَيْـــهِ الغَـــدَاةَ مُـــدِيرُهَا

---

(١) «ص»: (والأشهد) تحريف.

(٢) البيتان لعدي بن الرقاع، وهما في ديوانه، ص١٢٢، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، و د. حاتم صالح الضامن، مطبوعات المجمع العراقي سنة ١٩٨٧، والبيتان من الطويل.

(٣) ديوانه: ٤٤٣/١، والبيتان من البسيط.

(٤) سبق في ٣٨٧/٢.

(٥) الزيادة من «ل».

(٦) ديوانه: ٩٩٩/٢، وفيه: (وما صرعتني الكأس حتىٰ أعانها). والبيت من الطويل.

وقوله(١):

سـقَانِي بِكَأْسَـيْهِ، وعَيْنَيْـهِ قَـادِرًا ❊ بأَلحاظِـهِ دُونَ المُـدَامِ عَلَـىٰ سُـكْرِي

وقوله(٢):

مُسْـكِرِي إِنْ شَـرِبْتُ مِنْـهُ بِعَيْنِـي ❊ أُرْجُـوَانٌ مِـنْ خَمْـرِ خَدَّيْـهِ صِـرْفُ

ولو قالَ: «خندريس من خمر عينيه» كانَ ذلك صحيحًا مستقيمًا، ولكن «أَرجوان [١٠٩/٢/أ] من خمر خديه» أَحسنُ وأَلطفُ.

ولما قيلَ: «بيضاءُ أَوْقَدَ خدَّيها الصّبا» كانَ يجبُ أَنْ يقولَ: في حمرةِ الوردِ شكلٌ من تَلَهُّبِهَا، فلم يَقُلْ، ونسبَ التلهُّبَ إِليها، وإِن كانَ للخدَّينِ، وذلك من أَجلِ قولِهِ:

وللقضـيب نصـيبٌ مـن تَثَنِّيهـا

ويجوزُ أَنْ يكونَ ذهبَ بقولِهِ من تلهُّبِها إِلىٰ تَلَهُّبِ نارِ الخدَّين؛ لأَنَّه قد دلَّ عليها بالإِيقادِ.

وقالَ أبو تمامٍ في حمرةِ الخَدِّ(٣):

إِنَّ فـي خَـيْمِهِمْ لَمُطْعَمَـةُ الحِجْـ ❊ ـلَـيْنِ والمَـتْنُ مَـتْنُ خُـوطٍ وَرِيـقِ

وكـأَنَّ الجِرْيَـالَ شِـيبَ بِمَـاءِ الـدُّ ❊ رِّ فـي خَـدِّها بمـاءِ العَقِيـقِ

(١) ديوانه: ١٠٥٢/٢، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ١٣٧٦/٣، وفيه: (إن سقيت). والبيت من الخفيف.

(٣) شرح الصولي: ١٣٠/٢، شرح التبريزي: ٤٣٢/٢، وفيهما: (عبرئ بماء الدر في خدها وماء العقيق).

كذا روايةُ هذا البيتِ: «شيبَ بماءِ الدرِّ في خدِّها[1] بماءِ العقيقِ» [وهو الصحيح][2].

والجريالُ: اللونُ الأَحمرُ، وأَراهُ أَرادَ لونَ الخمرِ، كما قالَ الأَعْشَىٰ[3]:

«سَلَبْتُها جِرْيَالَها»، أَي حمرَتَها، وقد سُئِلَ عن هذا فقالَ: شَرِبْتَها حمراءَ وبِلْتُها بيضاء!

واستقامةُ اللفظِ أَنْ يكونَ أَرادَ: وكأَنَّ الجريالَ بماءِ العقيقِ شِيبَ بماءِ الدُّرِّ في خدِّها، كما قالَ في نحو هذا اللفظِ[4]:

وأَخْـــلاقٌ كـــأَنَّ المِسْـــكَ فيهـــا ❊ بِصَـــفْوِ الـــرَّاحِ بـــالنُّطَفِ العِـــذَابِ

فإِنْ كانَ هذا أَرادَ فقد كان ماءُ العقيقِ يُغْني عن الجِرْيالِ؛ لأَنَّ الدُّرَّ والعَقِيقَ جوهرانِ، واختلاطُ مائهما علىٰ الاستعارةِ حتىٰ يُشْبِه الخدَّ الموَرَّدَ سائغٌ.

وإن كانَ [٢/١٠٩/ب] أرادَ بالجِرْيَالِ الخمرَ نفسَها كما قالَ الشاعرُ[5]:

وتَكَلَّمَـــتْ بِلِسَـــانِها الجِرْيَـــالُ

---

(١) «ص»: (في خدها بالعقيق).

(٢) زيادة من «ل».

(٣) ديوانه ص٢٧، وتمام البيت:

وســـبيئة ممـــا تعتـــق بابـــلٌ ❊ كـــدم الـــذبيح ســـلبتها جريالهـــا

وهو من الكامل.

(٤) شرح الصولي: ١/٣٣٠، وشرح التبريزي: ١/٢٨٣، وفيه: (والنطف)، والبيت من الوافر.

(٥) هذا عجز بيت رواه الحصري القيرواني في زهر الأدب: ١/٣٧ وصدره:

حتىٰ إذا ما استأنسـت بحديثهـا

وهو من قصيدة في أحد عشر بيتًا، وقال: إنه شعر (رُوي لأبي نواس، ورواه قوم لعنان جارية الناطفي). ولم أجده في شعر أبي نواس.

فإِنَّ الخمرةَ بحمرةِ لونها مستغنيةٌ عن ماءِ[1] العقيقِ ؛ لأنَّها أَنصعُ وأَحسنُ.

وهو أَيضًا [جمع][2] بين شيئين لا يتشابهان.

والعادةُ الجاريةُ في مثلِ هذا أَنْ يقالَ: كأَنَّ خدَّها الخمرُ والماءُ، أَو كأنَّها في خدِّها الخمرُ والماءُ، فأَما الخمرُ ممزوجةً أَو مشوبةً بماءِ العقيقِ فإِنَّه خَطَلٌ من القولِ.

وقال أبو تمامٍ[3]:

رُوْدٌ أَصَابَتْها النَّوَىٰ في خُرَّدٍ ✤ كانَت بُدُورَ دُجُنَّةٍ وَشُمُوسَا

وكأَنَّما أَهْدَىٰ شَقَائِقَهُ إِلىٰ ✤ وَجَنَاتِهِنَّ ضحىٰ أَبُو قَابُوسَا[4]

بيضًا يُدِرْنَ عُيُونَهُنَّ إِلىٰ الصّبا ✤ فكأَنَّهن بها يُدِرْنَ كُؤُوسَا[5]

وهذه أَبياتٌ صالحةٌ.

ثم جُنَّ بعدَ هذا فقال:

لَوْلَا حَدَاثَتُها وَأَنِّيَ لا أَرَىٰ ✤ عَرْشًا لها لَظَنَنْتُها بِلْقِيسَا

فأَيُّ شيءٍ يزيدُ علىٰ هذه الحماقةِ.

وقالَ البحتريُّ[6]:

---

(١) «ص»: (مستغنية بماء).

(٢) زيادة من «ل».

(٣) شرح الصولي: ٥٨١/١، شرح التبريزي: ٢٦٤/٢، والأبيات من الكامل.

(٤) عند الصولي والتبريزي: (بها أبو قابوسا).

(٥) عند الصولي والتبريزي: (بيض تدور).

(٦) ديوانه: ١٨٣٩/١، والبيتان من الكامل.

سَفَرْتَ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ عَنْ ❀ وَرْدٍ يُرَقْرِقُهُ الضُّحَىٰ مَصْقُولِ
وتَبَسَّمَتْ عَنْ لُؤْلُؤٍ في رَصْفِهِ ❀ بَرَدٌ يَرُدُّ حُشَاشَةَ المَتْبُولِ

أَيُّ شيءٍ يزيدُك علىٰ هذا الإِحسانِ؟

وأَجودُ من هذا وأَحلىٰ قولُ كُثَيِّرٍ(١): [١١٠/٢/أ]

ويومَ الخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وكَفَّتْ ❀ رِدَاءَ العَصْبِ عَنْ رَتلٍ بُرَادِ
وعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمعُ في بياضٍ ❀ إذا دَمَعَتْ وتَنْظُرُ في سَوَادِ(٢)
وعن مُتَكَاوِسٍ في العَقْصِ جَثْلٍ ❀ أَثِيثِ النَّبْتِ ذِي عُذَرٍ جِعَادِ(٣)

مُتَكاوِس: شعر كثير قد ركب بعضه بعضًا.



(١) ديوانه: ٢١٩، والأبيات من الوافر.
وبقيع الخيل: موضع بالمدينة، ورتل: حسن التنضيد، براد: بارد.

(٢) دموعها تسيل علىٰ خد أبيض، وتنظر من حدقة سوداء.

(٣) العقص: الضفيرة، جثل: كثير ملتف، العذر: خصلات الشعر، جعاد: فيها التواء.

ما قالاه في وَصْفِ الثُّغُورِ

وقالَ أبو تمامٍ[1]:

وثَنَايَاكِ إنَّها إغْرِيضُ ❊ ولآلٍ تُومٌ وبَرْقٌ وَمِيضُ
وَأَقاحٍ مُنَوَّرٌ في بِطاحٍ ❊ هَزَّهُ في الصَباحِ رَوضٌ أَريضُ
وَارْتِكاضِ الكَرَى بِعَينَيكِ في النَو ❊ مِ فُنونًا وَما لِعَينَي غُموضُ[2]
لَتَكاءَدَنَي غِمارٌ مِنَ الأَح ❊ داثِ لَم أدرِ أَيَّهُنَّ أَخوضُ

وهذهِ لعمرُ اللهِ يَمِينٌ في غايةِ الحسنِ [والحلاوةِ][3] والملاحةِ.

وقولُهُ: «وَأَقاحٍ مُنَوَّرٌ في بِطاحٍ» كلامٌ مستقيمٌ، والبِطَاحُ: ما اطمأَنَّ من الأَرض وانْهبَط[4]، والندىٰ والعشبُ فيه أَبقىٰ، ورياضُ الحَزْنِ أَحسن، فأَما قولُ الأَعْشَىٰ[5]:

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ

فإِنَّ الحَزْنَ ههنا: موضعٌ كانتْ إِبلُ الملوكِ تَرْعَىٰ فيه علىٰ ما ذُكر.

وقوله: «هَزَّهُ في الصَباحِ رَوضٌ أَريضُ» ليس بالجيِّدِ اللائقِ؛ لأَنَّ الأَقاحِي

(١) شرح الصولي: ١/٥٩٦، شرح التبريزي، ٢/٢٨٧، والأبيات من الخفيف.
(٢) «ص»: (فتونا)
(٣) زيادة من «ل».
(٤) (والهبط) تحريف. والتصحيح من «ل».
(٥) ديوانه: ٥٧، وعجزه:

خضراء جاد عليها مسبلٌ هَطِلُ

هي من الروضِ ، والرَّوْضُ إِنما يهزُّه ويحرِّكه [٢/١١٠/ب] الندىٰ ، والنسيمُ لا أَنْ يهزَّ بعضُه بعضًا .

والأَريضُ[١]: هو المتمكِّنُ في موضعِهِ ، الجيِّدُ النبات .

وقالَ البحتريُّ[٢]:

لهـا غَرَائِـبُ دَلٍّ مـا يَـزَالُ لَهَـا ❊ علـىٰ الغَـرَامِ بـه حَـثٌّ وَتَحْـرِيضُ
تُفّـاحُ خَـدٍّ إِذا احْمَـرَّتْ مَحَاسِـنُهُ ❊ مُقَبَّـلٌ بِخَفِـيِّ اللَّحْـظِ مَعْضُـوضُ
وَوَاضِـحَاتٍ تُرِيـكَ الـدُّرَّ مُتَّسِـقًا ❊ كَـأَنَّهنَّ إِذا اسْـتَغْرَبْنَ إِغْـرِيضُ
لـو كـان يَكْفِيكَ عِلْـمُ الشيءِ تَجْهَلُـهُ ❊ فَقَـدْ كَفَـاكَ مِـنَ التَّصْـرِيح تَعْـرِيضُ[٣]

فقولُهُ: «تُرِيكَ الدُّرَّ مُتَّسِقًا» أَحسنُ ، وأَصحُّ من قولِ أَبي تمامٍ:

«ولآلٍ تُوْم» غيرَ أَنَّ أَبا تمامٍ شَبَّه الثَّغْرَ في بيتهِ بثلاثةِ أَشياءَ وقد فعلَ البحتريُّ ذلك فقال[٤]:

بَـاتَ نَـدِيمًا لـي حتّـىٰ الصَّـبَاحْ ❊ أَغْيَـدُ مَجْـدُولُ مَكَـانِ الوِشَـاحْ
كَأَنَّمَـا يَضْـحَكُ عَـنْ لُؤْلُـؤٍ ❊ مُـنَظَّمٍ أَوْ بَـرَدٍ أَوْ أَقَـاحْ

فشبَّهَ الثَّغرَ بثلاثةِ أَشياءَ ، وشرطَ في اللؤلؤِ أَنَّه منَظَّمٌ ، كما قالَ في البيتِ الآخرِ[٥]:

---

(١) «ص»: (والأرض) تحريف .
(٢) ديوانه: ١٢١٧/٢ ، وفيه: (علىٰ الغرام بنابثٌ) ، والأبيات من البسيط .
(٣) ديوانه: (لقد كفاك) .
(٤) ديوانه: ٤٣٥/١ ، والبيتان من السريع
(٥) «ص»: (يريد) تحريف .

«تريك الدُّرَّ متَّسقًا» ، حتىٰ استوىٰ التشبيهُ بالإغْرِيضِ.

وقد شبَّهَ الثَّغرَ بالبَرَدِ والأَقاحي في مصراعٍ فقال[1]:

يَضْحَكْنَ عَنْ بَرَدٍ ونَوْرِ أَقَاحِ ❁ ويَشُبْنَ ظَلْمَ رُضَابِهِنَّ بِرَاحِ

وَوَصَلَهُ ببيتٍ هو في حسنِهِ وحلاوتِهِ فقالَ: [١١١/٢/أ]

وإِذَا بَرَزْنَ مِن الخُدُورِ سَفَرْنَ عَنْ ❁ هَمَّيْكَ: مِنْ وَرْدٍ ومِنْ تُفَّاحِ

وقد شبَّه البحتريُّ أَيضًا بياضَ ثغرِ المرأَةِ بالبرقِ، وبضوءِ المصباحِ فقالَ[2]:

أَضَوْءُ بَرْقٍ بَدَا أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ ❁ أَم ابْتِسَامَتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحي

ثم قالَ بعدَهُ[3]:

ويَرْجِعُ الليلُ مُبْيَضًّا إذا ضَحِكْتَ ❁ عَنْ أَبْيَضٍ خَضِلَ السِّمْطَيْنِ لَمَّاحِ

وهذا أَحسنُ كلامٍ، وأَصحُّهُ، وأَحلاهُ.

ولكنَّ البديعَ في تشبيهِ الثَّغر بالبرقِ قولُ العُدَيْلِ بنِ الفَرْخِ العِجْلِي[4]:

ضَحِكَتْ فَقُلْتُ غَمَامَةٌ بَرَقَتْ لَنَا ❁ بشعابِ مَكَّةَ برقُها لا يبرحُ

فشرطَ أَنَّ برقَها مقيمٌ لا يبرحُ، وهذا أَلطفُ ما يكونُ من المعاني وأَحسنُها.

وقد أَحسنَ البحتريُّ كلَّ الإحسان في قولِهِ[5]:

---

(١) ديوانه: ٤٧٦/١، وقد سبق في ٣٥٠/٢. والبيت من الكامل. وفي ديوانه: (ويشبن طعم).

(٢) ديوانه: ٤٤٢/١، وفيه: (ألمع برق)، والبيت من البسيط.

(٣) في ديوانه: (إذا ابتسمت)، (وضاح).

(٤) البيت في التذكرة الفخرية لبهاء الدين الإربلي، ص٩٤، تحقيق د. حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق سنة ٢٠٠٤.

(٥) ديوانه: ٢٥٨/١، وهو من الخفيف. وفي «ص»: (ويندىٰ علىٰ) تحريف.

وشَــتِيتًا يَغُــضُّ مِــنْ لُؤْلُــؤِ النَّظْــ ❊ ــم ويُــزْرِي عَلَــىٰ شَــتِيتِ الأَقــاحِي

ومن إحسانِهِ المشهورِ لفظًا ومعنىً قولُهُ(١):

وَلَمّــا اِلتَقَيْنَــا وَالنَّقَــا مَوْعِــدٌ لَنَــا ❊ تَعَجَّــبَ رَائِــي الــدُّرِّ حُسـنًا وَلاقِطُــهْ

فَمِــن لُؤْلُــؤٍ تُبديــه عِنــدَ اِبتِســامِها ❊ وَمِـن لُؤْلُـؤٍ عِنـدَ الحَـديثِ تُسَـاقِطُهْ(٢)

والعربُ تشبِّهُ الثَّغْرَ باللؤلؤِ، والإغريضِ وهو ما(٣) يتشقَّقُ عنه الطلعُ من النخلِ، [١١١/٢/ب] وبالأَقاحي، وهو أَشبهُها بالثَّغرِ هَيْئَةً، وشكلًا، وبياضًا، وتَفَلُّجًا، وتُشَبِّهُه بالبَردِ، وبشوكِ السَّيَالِ، وهو شجرٌ، ولا يريدون اللَّونَ، وإنما يريدون الشَّكلَ والتَّفرُّقَ، قالَ الأَعْشَىٰ(٤):

بَاكَرَتْهَــا الأَغْــرَابُ فــي سِــنَةِ النَّــو ❊ مِ فَتَجْــرِي خِــلَالَ شَــوْكِ السَّــيَالِ

الأَغْرَابُ: أَقْداحُ الفِضَّةِ باكَرَتْها وفيها الخمرُ.

[وقد](٥) قالَ أَبو تمامٍ(٦):

وعَلَــىٰ العِــيسِ خُــرَّدٌ يَتَبَسَّمْــ ❊ ــنَ عَــنِ الأَشْــنَبِ الشَّــتِيتِ البُــرَادِ

كَــانَ شَــوْكَ السَّــيالِ حُسْــنًا فَأَضْــحَىٰ ❊ دُونَــه لِلْفِــرَاقِ شَــوْكُ القَتَــادِ(٧)

فالبُراد: هو الباردُ، والأَشْنَبُ أَيضًا: الباردُ، والشنبُ: البرد، وإنما جمعَ

---

(١) ديوانه: ١٢٣٠/٢، والبيتان من الطويل.

(٢) ديوانه: (فمن لؤلؤ تجلوه).

(٣) «ص»: (وهمامه) تحريف.

(٤) ديوان الأعشىٰ ص٥، والبيت من الخفيف.

(٥) من «ل».

(٦) شرح الصولي: ٣٧٣/١، شرح التبريزي: ٣٥٧/١، والبيتان من الخفيف.

(٧) فيهما (فأمسىٰ).

بينهما لاختلافِ اللفظِ.

وقالَ أَبو تمام[1]:

وَلَـوْ تَبَسَّـمُ عُجْنَـا الطَّـرْفَ فـي بَـرَدٍ ❊ وفـي أَقـاحٍ سَـقَتْهُ الخَمْـرُ وَالضَّـرَبُ
مِن شَكْلِهِ الدُّرُّ في رَصْفِ النِّظَامِ ومِنْ ❊ صِـفَاتِهِ الفِتْنتـانِ الظَّلْـمُ وَالشَّـنَبُ

قولُهُ: «وفي أَقاح الخمر والضرب» معنىً حسنٌ جدًّا، ولائقٌ بالمعنىٰ.

والظَّلمُ: ماءُ الأَسنانِ، والشَّنَبُ: بَرْدُها.

وتزعمُ الرواةُ أَنَّ أَحسنَ ما قيلَ في وصفِ الثغرِ قولِ بِشْرِ بنِ أَبي خَازِمٍ[2]:

يُفَلِّجْـنَ الشِّـفَاهَ عَـن أُقْحُـوَانٍ ❊ جَـلَاهُ غِـبَّ سَـارِيَةٍ قِطَـارُ

[١١٢/٢/أ] وهذا ـ لعمري ـ يستحقُّ التقديمَ والتفضيلَ وليسَ بدونِهِ قولُ النابغةِ[3]:

كـالأُقْحُوان غَـدَاةَ غِـبِّ سَـمَائِهِ ❊ جَفَّـتْ أَعاليـه وأَسْـفَلُهُ نَـدِي

بل قولُ النابغةِ أَجمعُ للمعنىٰ؛ لأَنَّ قولَهُ: «كالأُقْحُوانِ غَدَاةَ غِبَّ سمائِه» بإزاء قولِ بِشْرٍ: «جَلَاهُ غِبَّ سَارِيَةٍ قِطَارُ».

وقولُ النابغةِ: «جفَّتْ أَعاليهِ وأَسفَلُهُ ندي» زيادةٌ حسنةٌ.

ولكنَّ بيتَ بِشْرٍ أَبرعُ؛ لأَنَّه مستغنٍ بنفسِهِ، وبيتُ النابغةِ متعلِّقٌ علىٰ البيتِ الذي قبله.

---

(١) شرح الصولي: ٣٠١/١، شرح التبريزي: ٢٤١/١، والبيتان من البسيط، وفي ديوانه: (استقتها).
(٢) «ص»: (حازم)، تصحيف، والبيت في: ديوان بشر بن أبي خازم، ص٥٨، قدم له وشرحه، مجيد طواد، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٩٩٤، وهو من الوافر. وانظر ترجمة بشر في ٢٢٣/٤.
(٣) ديوانه: ص ٩٥.

ما قالاهُ في وصفِ القدودِ، والخصورِ، والأخْصافِ، وثِقَلِ الأردافِ، وحُسْنِ المشي



قالَ أَبو تمامٍ(١):

ومقْــــدُودَةٍ رُوْدٍ تكَـــادُ تَقُـــدُّهَا ❁ إِصَـابَتُها بـالعَيْنِ مِـنْ حُسْـنِ القَـدِّ
تُعَصْــفِرُ خَـــدَّيْها العيــونُ بِحُمْــرَةٍ ❁ إِذا وَرَدَتْ كانَـتْ وَبَـالًا علـى الـوَرْدِ

وقال(٢):

وخُوطِيَّـــةٍ شَمْســـيَّةٍ رَشَـــئِيَّةٍ ❁ مُهَفْهَفَــةِ الأَعْلَــى رَدَاحِ المُحَقَّــبِ
تُصَدِّعُ شَـمْلَ القَلْـبِ مِنْ كُلِّ وجْهَـةٍ ❁ وتَشْـعَبُهُ بالبَـثِّ مِـنْ كُـلِّ مَشْـعَبِ
بِمُخْتَتَـلٍ سَـاجٍ مِـنَ الطَّـرْفِ أَحْـورٍ ❁ وَمُقْتَتَـلٍ صَـافٍ مِـنَ الثَّغْـرِ أَشْـنَبِ(٣)
مِـنَ المُعْطِيَـاتِ الحُسْـنَ، والمُؤْتِيَاتِـهِ ❁ مُجَلْبَبَـــةً أَوْ فاضِـــلًا لَـــم تُجَلْبَـــبِ

[٢/١١٢/ب] وهذه معانٍ حسنةٌ وقولٌ حلوٌ(٤).

والرَّدَاحُ: العظيمةُ العَجُز.

وقوله: «تُصَدِّع شَمْلَ القلبِ»، و«تشعبه» بمعنى واحد، ولولا قوله:

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٥٦، شرح التبريزي: ٢/٦١، والبيتان من الطويل.

(٢) شرح الصولي: ١/٢٤٤، شرح التبريزي: ١/١٤٧، والأبيات من الطويل.

(٣) عند التبريزي: (بمختبل)، وعند «ص»: (ومقتبل)

(٤) سبق أن قال الآمدي عن البيتين الأولين وفيهما قال في ٢/٣٨٤: (قوله: «ومن حُسْن القد» من أقبح لفظةٍ وأهجنها)!!!

«بالبثِّ» لصلحَ أنْ يكونَ تَشْعَبُه: تضم أجزاءَه، وتلائمُ بينها، لأنَّ شَعَبَ من الأَضدادِ[1]: يكونُ جمعتُ وفرّقتُ، فكأَنَّ المعنىٰ حينئذٍ: تصدعُ شملَ القلبِ أَي تفرِّقُه إِذا شاءَتْ، وتَشْعَبُه أيْ تضمُّه وتجمعُه، كما قالَ في موضعٍ آخر[2]:

وعَهْدِي بهـا تُحْيـي الهَـوَىٰ وتُمِيتُـهُ ❊ وتَشْـعَبَ أَعْشَـارَ الفُـؤَادِ وتَصْـدَعُ

أي تُحْيِي الهوىٰ بهجرها، وتميتُه بوصلِها.

وقولُه: «ساج» أَي يختلُ بنظرِهِ، ومقتتلٍ صافٍ، يريدُ قتلَ الحبِّ؛ يقالُ: اقْتَتَلَهُ الحبُّ، واقْتَتَلَتْهُ الجنُّ، كأنَّه اعتمدَ ازدواجَ اللفظينِ بقولِهِ: مُخْتَتَل، ومُقْتَتَل[3].

وقوله: «مُجلْبَبَةٌ» من الجلْبَاب وهو: الخِمَارُ، وقد يكونُ أَيضًا الثَّوبُ.

«أَوْ فَاضِلًا لَمْ تُجَلْبَبِ»، والفَاضِلُ: هي المُتَفَضِّلَةُ في ثوبٍ واحدٍ، وهو الذي لَبِستهُ المرأة لِلْبِذْلَةِ والاعْتِمَالِ.

وقال[4]:

مِـن كُـلِّ ضـاحِكَةِ التَرائِـبِ أُرْهِفَـتْ ❊ إِرْهَـافَ خَـوْطِ البانَـةِ المَيَّـاسِ
بَـدْرٌ أَطاعَـتْ فيـكَ بَـادِرَةَ النَّـوَىٰ ❊ خَطًّا وَشَمْسٌ أولِعَتْ بِشِمَاسِ[5] [١١٣/٢/أ]
وَإِذا مَشَتْ تَرَكَتْ بِصَدرِكَ ضِعْفَ مَا ❊ بِحُلِيِّهـا مِـن كَثـرَةِ الوَسْـوَاسِ[6]

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ص٥٣: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
(٢) سبق ٢٢٤/٢.
(٣) في النسخة الأندلسية القصيدة منقولة من خط أبي تمام وفيها: (بمختل) و(مُقتبل).
(٤) شرح الصولي: ٥٦٩/١، شرح التبريزي: ٢٤٣/٢. والأبيات من الكامل.
(٥) من «ل».
(٦) سبق البيت الأول في ص٣٧٠ من هذا الجزء.

والخِطْءُ: ما يعتمدُه الإِنسانُ، والخَطأُ: ما لا يعتمده.

وقوله: «ضاحكة الترائب»: يريدُ ما على صدرِها من الحلي، والتَّرَائب: عظام الصّدرِ.

وقال[1]:

إِن فــي خَــيْمِهِمْ لَمُطعَمَــةُ الحِجْــ ❊ ـلَــيْن والمَــتْنُ مَــتْنُ خُــوْطٍ وَرِيــقِ
وَهــيَ لا عَقْــدُ وُدِّهَــا سَــاعَةَ البَيْــ ❊ ــنِ ولا عَقْــدُ خَصْــرِهَا بوَثِيــقِ

قولُه: «مطعمة الحِجْلَيْن»، والحِجْلُ، الخَلْخَالُ، والمُطْعَمُ: المَرْزُوقُ من الطُّعْمِ، جعل امتلاءَ لحمِ ساقها طُعمًا لخلخالِها؛ لأنَّه يَعَضُّ به.

وقوله: «وهي لا عَقْد وُدِّها ساعةَ البَيْن بوثيقِ، ولا عقدَ خصرِها بوثيقٍ على كلِّ حالٍ، ولكنَّه[2] لمَّا أَخبرَ عنها خبرًا واحدًا، ونَسَقَ بأحدِهِمَا على الآخر صارَ الظرفُ، وهو ساعةُ البَيْنِ، على ظاهر اللفظِ، كأنَّه يضمهما[3] معًا، فيكون عقدُ خصرِها غيرَ وثيقٍ أَيضًا في ساعة البينِ، وهو قبيحٌ على جوازِه وسَوْغِهِ.

وقالَ البحتريُّ[4]:

وَفِـيهِنَّ مَشْـغولٌ بِـهِ الطَّـرفُ هـارِبٌ ❊ بِعَيْنَيْـهِ مِـن لَحـظِ المُحِـبِّ المُخـالِسِ
يُخَبِّـرُ عَـن غُصْــنٍ مِـنَ البـانِ مَائِـدٍ ❊ إِذا اهْتَـزَّ في ضَـربٍ مِـنَ الـدَلِّ مـائِسِ

(١) «ص»: (في حيِّهم)، سبق البيت الأول في ٢/٣٩١. [أخذته من نشرة السيد صقر، إذ كان الهامش فارغًا، وأيضًا قبل عبارة «وقال» كتب في المتن: (قال أيضًا: وذاشت) وكان الهامش فارغًا فلم يعلق عليها المحقق ﷺ] الشرقاوي.

(٢) «ص»: (لكنها) تحريف.

(٣) «ص»: (يضمنها) تحريف.

(٤) ديوانه: ٢/١١٢٣، وفيه: (ومنهن)، والبيتان من الطويل.

وهذا نمطُ البحتريِّ الحلوُ، وإنما قالَ: «هارب بعينيه»، فخصَّهُمَا دونَ غيرِهما؛ لأنَّ الحسنَ[1] إِنما هو في العينِ، علاقةُ الحبِّ إنما تكونُ عند النظرِ إلى العينِ.

وقال[2]:

وَقَـد بَـانَ فـيهِمْ غُصْـنُ بَـانٍ إِذَا بَـدَا ❊ ثَـوَىٰ مُخبِـرًا عَـنْ مِثْلِـهِ أَوْ مِثالِـهِ

[٢/١١٣/ب]يَسُوءُكَ أَلَّا عَطْفَ عِندَ انْعِطَافِهِ ❊ وَيُشْـجِيكَ أَلَّا عَـدْلَ عِنْـدَ اعْتِدَالِـهِ[3]

كأنَّه أَرادَ بالمثلِ الشيءَ نفسَهُ، والمِثَالُ: الشِّبْهُ، أَي ثوىٰ مُخْبِرًا عن غصنِ بانٍ مثلِه، أَو شبهِه، إلىٰ هذا ذَهَبَ.

وقالَ[4]:

أُعْطِيـتْ بَسْـطَةً عَلـىٰ النَّـاسِ حَتَّـىٰ ❊ هِيَ صِنْفٌ في الحُسْنِ وَالناسُ صِنْفُ

اعْتِـدالٌ يَميـلُ مِنْـهُ انْخِنَـاثٌ ❊ وَتَـثَنٍّ فيـهِ الفَخَامَـةُ لُطْـفُ

نَعْمَـةَ الغُصـنِ إِن تَـأَوَّدَ عِطْـفٌ ❊ مِنْـهُ عَـن هِـزَّةٍ تَماسَـكَ عِطْـفُ[5]

مُسْـكِري إِنْ سُـقيتُ مِنْـهُ بِعَيْنِـي ❊ أُرْجُـوَانٌ مِـنْ خَمْـرِ خَدَّيْـهِ صِـرْفُ[6]

وهذا من إِحسانِهِ المشهورِ.

وقالَ[7]:

---

(١) «ص»: (إلا أن) تحريف.

(٢) ديوانه: ١٦٢٣/٣، وفيه: (ثوىٰ مخبرٌ)، والبيتان من الطويل.

(٣) ديوانه: (إلا العطف) و(إلا العدل).

(٤) ديوانه: ١٣٧٥/٣. والأبيات من الخفيف.

(٥) «ص»: (عن همة) تحريف والتصحيح من «ل».

(٦) سبق في ٣٩١/٢.

(٧) ديوانه: ٦٩٧/٢، والأبيات من الكامل.

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الأَرَاكِ تَشَابَهَتْ ❊ أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ
فِي حُلَّتَيْ حِبَرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَىٰ ❊ وَشْيَانِ وَشْيُ رُبًىٰ وَوَشْيُ بُرُودِ
وَسَفَرْنَ فَامْتَلَأَتْ عُيونٌ رَاقَهَا ❊ وَرْدَانِ وَرْدُ جَنًىٰ وَوَرْدُ خُدُودِ[1]
وَضَحِكْنَ فَاغْتَرَبَ الأَقَاحِي مِنْ نَدٍ ❊ غَضٍّ وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ بَرُودِ[2]

وهذا أَيضًا من إِحسانِهِ المعروفِ.

وقولُه «فاغترب» يريد الضَّحِكَ، والمستعملُ اسْتَغْرَبَ في الضحكِ إِذا اشتدَّ فيهِ، وأَغربَ أَيضًا، قالَ ذُو الرُّمَّةِ[3]:

فما يغربُونَ الضحْكَ إلا تَبَسُّمَا ❊ ولا ينْسبونَ القَوْلَ إلا تَنَاجِيَا

[١١٤/٢/أ] ولم أسمعْ في الضحكِ اغتربَ، إنما ذلك من الغُرْبَةِ والبُعد، فقولُه: «اغترب الأَقاحي من ندٍ غض» يريدُ النَّوْرَ نفسَهُ، «وسَلْسَالُ الرُّضَابِ» يعني الثغورَ، كأَنَّه جعلَهُما جميعًا من الأَقاحي، وفصَّلَه فقالَ: من ندٍّ غضٍّ، ومن سلسالِ الرضابِ، وسلسالُ الرضابِ هو ندٌّ غضٌّ أَيضًا، إِلا أَنَّه جعلَ الفرقَ بينهما أَنَّ هذا أَندىٰ، وأَجرىٰ من ذاك.

وأَظنُّ المُسْتَغْرِبَ في الضحكِ إِنما أُخذَ من غُرُوبِ الأَسنانِ إِذا بدتْ كلُّها في الضحكِ، وهي أَطرافُها، وغربُ كلِّ شيءٍ: حدُّه.

أَو أَنْ يكونَ استغربَ في الضحكِ أَي امتلأَ ضحكًا من قولهم: أَغْرَبْتُ السِّقاءَ إذا ملأْتَه، قالَ بِشْرُ بنُ أَبي خَازِمٍ[4]:

---

(١) «ص»: (ورد ضحىٰ جنًىٰ) تحريف.

(٢) ديوانه: (من ندًىٰ).

(٣) ديوانه: ٢/١٣١٤، وفيه: (ينسبون)، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ص٣٩، والبيت من الكامل.

وكــأَنَّ ظُعْــنَهُمْ غَــدَاةَ تَحَمَّلُــوا ❊ سُــفُنٌ تَكَفَّــأُ فــي خَلــيجٍ مُغْــرِبِ

وسبيلُ هذا البيتِ أَنْ يلحقَ في «باب الثغور».

وقوله: «فالتقىٰ وَرْدَان: وَرْدُ جَنَّىٰ، ووَرْدُ خُدُودِ» إِنْ كانَ أَرادَ هذا الوردَ المعروفَ فمن أَينَ بذي الأَراك وَرْدُ؟ إِلا أَنْ يريدَ بعضَ الأَنواعِ، والحمرُ من الأَنوارِ فإِنَّها كثيرةٌ، وإِيَّاها ـ إن شاءَ الله ـ أَرادَ.

ومن عجيبِ ما أَوْرَدَهُ في حُسْنِ القَدِّ قولُه[1]:

تَهْتَــزُّ مِثْــلَ اهْتِــزَازِ الغُصْــنِ أَتْعَبَــهُ ❊ مُــرُورُ غَيْــثٍ مِــنَ الوَسْــمِيِّ سَــحَّاحِ

وقال[2]: [١١٤/٢/ب]

بَيْضَــاءُ يُعْطِيــكَ القَضِــيبَ قَوامُهَــا ❊ وَيُرِيــكَ عَيْنَيْهَــا الغَــزَالُ الأَحْــوَرُ

تَمْشِــي فَــتَحْكُمُ فــي القُلــوبِ بِــدَلِّهَا ❊ وَتَمِيسُ فــي بُــرْدِ الشَّبَابِ فَتَخْطِرُ[3]

وَتَمِيــلُ مِــنْ لِــينِ الصِّــبا فَيُقِيمُهَــا ❊ قَــدٌّ يُؤَنَّــثُ تَــارَةً وَيُــذَكَّرُ

وقالَ[4]:

هَــلِ الــذَّلْفَاءُ مُخْبِرَتِــي أَهَجْــرًا ❊ أَرَادَتْ بالتَّجنُّــــبِ، أَمْ دَلالا؟

ذكــرتُ بهــا قَضِــيبَ البَــانِ لَمَّــا ❊ غَدَتْ تَخْتَالُ في الحُسْنِ اخْتِيَالا[5]

تُشَــاكِلُهُ انْعِطافًــا واهْتِــزَازًا ❊ وتَحْكِيــهِ قَوَامًــا واعْتِــدَالا[6]

---

(١) ديوانه: ٤٤٢/١، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ١٠٧٠/٢، والأبيات من الكامل.

(٣) ديوانه: (في ظل الشباب فتخطرُ).

(٤) ديوانه: ٧٢٨/٣، وفيه: (هل الحسناء). والأبيات من الوافر.

(٥) ديوانه: (بدت تختال).

(٦) ديوانه: (اهتزازًا وانعطافًا).

وهذا ما لا يكادُ يُسْمَعُ أَحلىٰ ولا أَعذبُ ولا أَبرع منه.

وقالَ[1]:

أُلامُ عَلَىٰ هَوَىٰ ظَمْيَاءَ ظُلْمًا ❁ وَقَلْبِي فِي يَدَي ظَمْيَاءَ عَانِ
إِذَا انْصَرَفَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ ❁ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنُ بَانِ

قوله: «أَضاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ» أَي إِذا انصرفتْ مُولِّيَةً بوجهِهَا كانَ ضوؤُها كضوءِ الشمسِ من تَحْتِ الدَّجْنِ، وهو إلباسُ الغمِّ الأُفقَ، وهذا أَحسنُ ما يكونُ من المعنىٰ[2] وأَلطفُه، أَي إِذا غابَ وجهُها حين تُولِّىٰ فأَنا منها أَيضًا في ضياءٍ كضياءِ[3] الشمسِ من تحت الدَّجْنِ.

وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

أَدْنَتْ نِقَابًا عَلَىٰ الخَدَّينِ وانْتَسَبَتْ ❁ للنـاظرينَ بِقَدٍّ لَيْسَ يَنْتَقِبُ

[١١٥/٢/أ] وهذا حسنٌ جدًّا.

وقالَ أَبو تمامٍ[5]:

لَيَالِيَ أَضْلَلْتَ العَزاءَ وَجَوَّلَتْ ❁ بِعَقْلِكَ آرَامُ الخُدُورِ الخَوَاذِلُ
مِنَ الهِيْفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُيِّرَتْ ❁ لَهَا وُشُحًا جَالَتْ عَلَيْها الخَلاخِلُ[6]

(١) ديوانه: ١٢٢٨/٤، وفي ديوانه: (هوىٰ الحسناء)، (يد الحسناء)، والبيتان من الوافر.
(٢) «ص»: (من المعاني)، والتصحيح من «ل».
(٣) «ص»: (كيظاء) تحريف.
(٤) شرح الصولي: ٣٠١/١، وشرح التبريزي: ٢٤١/١، والبيت من البسيط.
(٥) شرح الصولي: ٣٢٤/٢، شرح التبريزي: ١١٥/٣، وفيهما: (أرام الخدور المقائل)، والأبيات من الطويل.
(٦) «ص»: (جالت عليه).

مَهَا الوَحْشِ إِلّا أَنَّ هَاتَا أَوانِسٌ ✤ قَنَا الخَطِّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

قولُه: «جَوَّلَتْ» من أَجلِ قولِهِ: «الخَوَاذِلُ» وهُنَّ[1] اللَّوَاتِي تخلَّفنَ من جملةِ السِّربِ علىٰ أَولادهِنَّ، فأَرادَ أَن يُطَابِقَ بَيْنَ «الجَوَلَانِ» و«التأَخُّرِ» وهو طباقٌ غيرُ جيِّدٍ، ولا لائقٍ.

وقولُه: «مِنَ الهِيف لو أَنَّ الخَلَاخِلَ صُيِّرتْ لَهَا وُشُحًا» من أَقبحِ الخطإِ وأَفحشِهِ، لأَنَّ الخلخالَ لا يكونُ في موضعِ الوشاحِ؛ لأَن الوشاح: ما تتقلَّدُهُ المرأَةُ من سيرٍ، أَو خيط تنظم فيه خرزًا، أَو حليًا من فضةٍ أَو غيرها، تتزَّينُ بهِ فيكون منها في موضعِ حَمَائِلِ السيفِ من الرَّجُلِ، والخَلْخَالُ لا يكونُ في هذا الموضعِ إِلا إِذا مَسَخَهَا اللهُ، وأَقمَأَها.

[وقد أَخطأَ في البيت الثاني أَيضًا فقالَ: «قنا الخَطِّ إِلا أَنَّ تلكَ ذَوَابِلُ» وإنما قيلَ للرِّماحِ: «ذوابل» للينها وتثنِّيها، فَنَفَىٰ ذلك عن قُدود النساءِ التي من أَكملِ أَوصافِها التَّثَنِّي واللينِ والانعطافِ، كما قال تميمُ بنُ أُبيٍّ بنِ مقبلٍ:

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مُنَعَّمَةً ✤ هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًىٰ عِيدَانَ يَبْرِينَا[2]

أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَلَهُ ✤ أَيْدِي التِّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا][3]

وقد ذكرتُ هذا مشروحًا في أَغاليطهِ[4].

---

(١) «ص»: (وهي اللواتي) تحريف.

(٢) ديوان ابن مقبل ص٢٣٢، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، دمشق سنة ١٩١٥، والبيتان من البسيط.

(٣) الزيادة من «ل».

(٤) انظر الجزء الأول ص٣٥٦.

وللهِ دَرُّ أبي عبادةَ إذ يقولُ(١):

غَــدَتْ قُضْــبَانُ أسْــحِلَةٍ عَلَيْهَـــا ❊ لِفَــرْطِ الجَـدْلِ أَوْشِــحَةً تَجُــولُ
يُقَـــوِّمُ مِـــنْ تَثَنِّيهـــا اعْتِـــدالٌ ❊ تكَـادُ تَقُـولُ مِـنْ هَيَـفٍ نُحُـولُ(٢)
مَشَــيْنَ عَلَــى خَمَائِــلِ ذِي طُلُــوحٍ ❊ وقـد ضَـاقَتْ بمـا فيهـا الحُجُـولُ
[٢/١١٥/ب] فَقُلْتُ: أَزِيدَ مِنْ سَقَمٍ فُؤَادِي ❊ وهَــلْ يَــزْدَادُ مِــنْ قَتْــلٍ قَتِيــلُ؟(٣)

فهذا ـ والله ـ هو الشعرُ، لا تَعْلِيلَاتُ أَبي تمامٍ بطباقِهِ وتَجْنيسِهِ، وفرطِ تَقَعُّرِهِ، وكثرة إحالاته، وما زلتُ أَسمعُ الشيوخَ يفضِّلونَ هذا البيتَ الأَخيرَ على كلِّ ما سمِعُوه في الغزلِ.

وهذه القصيدةُ من قلائدِهِ، وفيها يقولُ قبلَ هذه الأَبياتِ:

بَعِيــدَةُ مَطْلَــبٍ وَجَمَــادُ نَيْــلٍ ❊ فَهَــا هِــيَ لا تُنَــالُ ولا تُنِيــلُ(٤)
إِذَا خَطَــرتْ تَــأَرَّجَ جَانِبَاهــا ❊ كمـا خَطَـرَتْ علـى الـرَّوْضِ القَبُـولُ
ويَحْسُــنُ دَلُّهــا والمــوتُ فيــهِ ❊ وقَــدْ يُسْتَحْسَـنُ السَّـيْفُ الصَّـقِيلُ

وقالَ أَبو تمامٍ(٥):

---

(١) ديوانه: ١٨٢٣/٣، والأبيات من الوافر.

(٢) ديوانه: (يكاد يقال).

(٣) ديوانه: (أقول: أزيد).

(٤) ديوانه: (ما تنال).

(٥) شرح الصولي: ٦٠/٣، شرح التبريزي: ٣٥٣/٣، والبيتان من الوافر. وقال التبريزي: («اسبكرَّت»: تم شبابها فاسترسل، «طلاع المرط»: أي: مُلؤهُ، يعني مرط المرأة «والبديّ»: الواسع، ويروي: «البدي»: وهو البديع العجيب).
وفي «ص»: (البدي)، غير أن الشرح على (اليديّ).

وناضِــرَةِ الصِّــبَا حَــينِ اسْــبَكَرَّتْ ❁ طِــلَاعَ المِــرْطِ والــدِّرْعِ اليَــدِيِّ
تَشَــكَّىٰ الأَيْــنَ مِــنْ نِصْــفٍ سَرِيعٍ ❁ إِذَا قَامَــتْ ومِــنْ نِصْــفٍ بَطِــيِّ

وهذا ما لا مَدْفَعَ لجودتِهِ وحسنِهِ، وكأنَّه صفوةُ خاطرِ أَبي تمامٍ، إذا كانَ بِجِمَامِهِ يأتي بهِ وبأَمثالهِ، فإذا أَعْيَا وكَلَّ زمانًا رَمىٰ بالأَوساخِ والأَقذارِ والغُثَاءِ.

وقولُه: «طِلَاعُ المِرْط» أَي تملأَ المِلْحَفَة تمامًا وكمالًا، كأنَّها تطلعُ عليها، أَي تعلوهُ، والدرعُ: القميصُ التامُّ، واليديِّ: الواسعُ.

وقالَ البحتريُّ(١):

نَوَاصِــعٌ كَسُــيُوفِ الصَّــقْل مُشْــعَلَةٌ ❁ ضَــوءًا وَمُرْهَفَــةٌ فــي الجَـدْلِ إِرْهَافَــا
[١١٦/٢/أ] إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرَّيْطِ آوِنَةً ❁ قَشَــرْنَ عَــنْ لُؤْلُــؤِ البَحْــرَيْنِ أَصْــدَافَا
كَــأَنَّهُنَّ وَقَــدْ قــرّبن مِــنْ طَرْفِــيِ ❁ ضِدَّيْنِ في الحسنِ تَثْقِيلًا وإِخْطَافَا(٢)
رَدَدْنَ مـا خُفِّفَـتْ مِنْـهُ الخُصُـورُ إِلَىٰ ❁ مَــا فــي المَــآزِرِ فاسْــتَثْقَلْنَ أَرْدافَــا

وحسبُكَ بهذا حُسْنَ لفظٍ، وحلاوةَ نظمٍ، وصحَّةَ معنىٰ.

وأَلطفُ من قولِهِ: «قَشَرْنَ عن لُؤْلُؤِ البَحْرَينِ أَصْدَافا» قولُ أَبي تمامٍ(٣):

لآلِــئٌ كــالنُّجُومِ الزُّهْــرِ قَــدْ لَبِسَــتْ ❁ أَبْشَارُها صدَفَ الإِحْصَانِ لا الصَّدَفَا

وبيتُ البحتريِّ أَبرعُ وأَحلىٰ.

---

(١) ديوانه: ١٣٨١/٣، والأبيات من البسيط. وفي «ص»: (تواضع لسيوف) تحريف.
(٢) ديوانه: (قاربن)، (تبتيلًا).
(٣) سبق في ٣٧٤/٢.

وقالَ البحتريُّ أَيضًا[1]:

غَـدَتْ أَتْرُابُهـا يَنْهَضْـنَ هَوْنًـا ❊ لثقـلٍ مِـنْ رَوَادِفِهـا الثِّقَـالِ

مَشَـيْنَ ضُـحًىٰ بِأَقْـدَامٍ لِطَـافٍ ❊ وَسُـوقٍ فـي خَلَاخِلِهـا خِـدالِ

إِذا اِجْتَـبنَ الحُلِـيَّ رَأَيـتَ بيضًـا ❊ أَوانـسَ كَـاللآلِئِ فـي اللآلِـي[2]

وقالَ[3]:

أَطَـاعَ لهـا دَلٌّ غَرِيـرٌ وَوَاضِـحٌ ❊ شَتِيتٌ وقَـدٌّ مُرْهَـفٌ وشَـوًىٰ خَـدْلُ

وأَلحـاظُ عَـيْنٍ مـا عَلِقْـنَ بفـارغٍ ❊ فَخَلَّيْنَـهُ حتَّـىٰ يكـونَ لَـهُ شُـغْلُ[4]

وهذا من مشهورُ أَبي عبادةَ.

[وقالَ أَبو تمامٍ][5]:

ومِـنْ جِيـدِ غَيْـدَاءِ التَّثَنِّـي كأَنَّمـا ❊ أَتَتْـكَ بِلِيتَيْهَـا مِـنَ الرَّشَـأ الفَـرْدِ

[١١٦/٢/ب] كأَنَّ عليها كُلَّ عِقْدٍ مَلاحَةً ❊ وَحُسْنًا وإِن أَمْسَتْ وَأَضْحَتْ بِلَا عِقْدِ

وَمِـنْ نَظْـرَةٍ بَـيْنَ السُّـجُوفِ عَلِيلَـةٍ ❊ وَمُحْتَضَـنٍ شَـخْتٍ وَمُبْتَسَـمٍ بَـرْدِ[6]

ومِـنْ فَـاحِمٍ جَعْـدٍ ومِـن كَفَـلٍ نَهْـدٍ ❊ ومـن قَمَـرٍ سَـعْدٍ وَمِـنْ نَائِـلٍ ثُمْـدِ[7]

---

(١) ديوانه: ١٧٠٨/٣، والأبيات من الوافر. وفي ديوانه (بثقل).

(٢) «اجتبن»: لبسن.

(٣) ديوانه: ١٦١٥/٣، والبيتان من الطويل.

(٤) «ص»: (علقن بفاتر)، ورواية الديوان يؤكدها الشطر الثاني.

(٥) زيادة من «ل»، والأبيات في شرح الصولي: ٤٨٤/١، شرح التبريزي: ١١١/٢، و(بليتيها): تثنية الليت: فهو صفحة العنق، أي: صفحتي عنقها، والأبيات من الرمل.

(٦) «ص»: (بين السيوف) تحريف.

(٧) الثمد: القليل.

مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوِ مِنَ النَّوَىٰ ❊ تُغَطِّي عَلَيها أَوْ مَسَاوِ مِنَ الصَّدِّ

شَخْتٌ: دقيقٌ يتمكنُ الذِّراعُ من احتضانِهِ، كأنَّه ينفي عنها ضخمَ البطنِ وموضعَ [الكشحِ][1] ويستحبُّ فيها الضَّمْر.



(١) زيادة من «ل».

ما قالاهُ في: شِدَّةِ الحُبِّ، والوَجْدِ، والتَّشَوُّقِ، والغَرامِ، والحُزنِ، وانتجازِ المواعيدِ، وإخلافِها، ونحوِ ذلك

في الحزنِ والوجدِ



قالَ أَبو تمامٍ(١):

حُـزْنٌ غَـدَاةَ الحُـزْنِ هـاجَ غَلِيلَـهُ ❁ فـي أَبْـرَقِ الحنَّـانِ مِنْـكَ حَنِـينُ
سِـمَةُ الصَّـبَابَةِ زَفْـرَةٌ أَو عَبْـرَةٌ ❁ متكفـل بهمـا حَشًـا وشُـؤُونُ
لَوْلَا التَّفَجُّعُ لادَّعَىٰ هَضْبُ الحِمَىٰ ❁ وصَـفَا المُشَـقَّرِ أَنَّـهُ مَحْـزُونُ

وهذا المعنىٰ غايةٌ في حسنِهِ وجودتِهِ، وإنما حَذَا علىٰ قولِ الأَحْوَصِ(٢):

إِذَا كُنْـتَ عِزْهَـاةً عَـنِ اللَّهْـوِ والصِّبَا ❁ فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا

[١١٧/٢/أ] ولكنَّه عبَّرَ عنهُ بعبارةٍ أَغربَ فيها حتىٰ صارَ كأَنَّهُ ليسَ ذلك المعنىٰ وهو هو بعينِهِ.

والعِزْهَاةُ: الذي قد عَزَفَ عن اللَّهوِ والصِّبا.

وقالَ البحتريُّ(٣):

زَعَـمَ الزَّاعِمُـون أَنَّ الـذي يَهْـ ❁ ـوَىٰ مِـرَاضَ العُيُـونِ غَيْـرُ رَشِـيدِ

---

(١) شرح الصولي: ٣٩/٣، شرح التبريزي: ٣٢٤/٣، والأبيات من الكامل. وفي «ص»: (منك حنينُهُ) وبسبب هذا التحريف أضاف الناسخ بعده: (وقال) وجاء بالبيت الذي يليه.

(٢) شعر الأحوص الأنصاري ص١٢١، جمعه وحققه عادل سليمان، الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٩٠، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٧٦٨/٢، وفيه: (أن الذي يصيبه بخل العيون)، والبيتان من الخفيف.

كَـذَبَ الزَّاعِمُـون قَـدْ يَحْسُـنُ الحُـ ❁ ـبُّ بِمَـنْ لَـيْسَ قَلْبُـهُ مِـنْ حَدِيـدِ

وقالَ[1]:

ولـــو أَنَّ الجِبـــالَ فَقَـــدْنَ إِلْفًـــا ❁ لأَوْشَـــكَ جَامِـــدٌ منهـــا يَـــذُوبُ

وقالَ[2]:

حَقًّـا أَقُـولُ لَقَـدْ تَبَلْـتِ فُـؤَادِي ❁ وأَطَلْـتِ مُـدَّةَ غَيِّـيَ المُتَمَـادِي

بِجَـوًى مُقِـيمٍ لَـوْ عَلِمْـتِ غَلِيلَـهُ ❁ لَوَجَدْتِـهِ غيـرَ الهَـوَى المُعْتَـادِ[3]

والحـبُّ سُـكْرٌ للنُّفُـوسِ يَسُـرُّنِي ❁ سَـهْرُ العَوَائِـدِ عَنْـهُ والعُـوَّادِ[4]

وهذا معنى آخرٌ حسنٌ جدًّا.

وقد قالَ أَبو تمام[5]:

بِـهِ عِلَّـةٌ صَـمَّاءُ لِلْبَيْنِ لَـمْ تُصِـخْ ❁ لِبُـرْءٍ ولـمْ تُوجِـب عيـادَةَ عَائِـدِ

ومعنى البحتريِّ أجودُ وأَحلى.

وقالَ أَيضًا[6]:

بَـلْ مَـا أَوَدُّ بِـأَنَّنِي أَفْرَقْـتُ مِـنْ ❁ وُجْـدٍ وَلَا أَنِّـي بَـرَدْتُ غَلِيلِـي

وأَعُـدُّ بُرْئِـي مِـنْ هَـوَاك ضَـمَانَةً ❁ والبُـرْءُ أَكبـرُ حَاجـةِ المخَبُـولِ[7]

---

(١) ديوانه: ١/٢٥٧، وفي «ص»: (ولو أن الجياد). والبيت من الوافر.

(٢) ديوانه: ٢/٧٣١، والأبيات من الكامل.

(٣) ديوانه: (لو تلوت)، (غير الجوى).

(٤) ديوانه: (والحب شكوٌ)

(٥) شرح الصولي: ١/٤٥٩، شرح التبريزي: ٢/٦٩، وفيهما: (للبين صماء). والبيت من الطويل

(٦) ديوانه: ٣/١٨٣٩، وفيه: (من وجدي). والبيتان من الكامل.

(٧) في ديوانه: (من هواك رزية).

[١١٧/٢/ب]

وفي الشَّوقِ(١) والصَّبابةِ

قالَ أبو تمامٍ(٢):

لا شَـوْقَ مَـا لَـمْ تصـلَ مِنْـه بـالَّتي ✤ هَجَرَتْـكَ وَجْـدًا كالأَبَـاءِ المُحْـرَقِ
يَغْلِــي إِذَا لَــمْ يَضْـطَرِمْ ويُـري إِذَا ✤ لَـمْ يَحْتَـدِمْ ويُغِـصُّ إِنْ لَـمْ يُشْـرِقِ

قولُهُ: ما لمْ تَصْلَ منهُ أيْ من الشَّوقِ، وجدًا: أَي من الوجدِ.

كالأباءِ المُحْرَقِ: أَي فتَكُونُ إذا صَلِيَتْ بِهِ كالأَباءِ المُحْرَقِ من الوجدِ.

وقولُه: «يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِمْ»، كأنَّه جعلَ الاضطرامَ أَشدَّ من الغَلْيِ، والغَلْيُ هو اضطرامٌ أَيضًا.

«ويُرِي» معناهُ يُحرقُ، والاحْتِدَامُ: شدَّةُ الحرِّ، ويقالُ: وجدتُ للحرِّ حَدَمَةً.

يقولُ: هو يُحرقُ وإنْ لمْ يشتد حرُّهُ.

«ويُغصُّ إِنْ لم يُشرِقِ»، فنَزَلَ من الغليانِ، والاضطرامِ، والوَرْيِ، والاحْتِدَامِ إِلىٰ الغَصَص، والشَّرقِ، وليسَ ذلك بخطإٍ ولا هو بالجيدِ، ولا الحلوِ،

---

(١) في «ص»: (وفي الشيب) ثم صححت فوقه إلىٰ (الشوق).

(٢) شرح الصولي: ٩٦/٢، شرح التبريزي: ٤٠٦/٢، وفيهما:

(لا شوق ما لم تصل وجدًا في التي ✤ تأبىٰ وصالك..)

وقال الصولي: (وغير أبي مالك يرويه: (وذكر رواية الموازنة) «وتصلَ»: تلتهب، «الأباء»: القصب، يعني سرعة وقود النار في القصب.

والبيتان من الكامل.

ولا الشَّهيِّ[1].

وقالَ البحتريُّ[2]:

وحَرَّضَ شَوْقِي خَاطِرُ الرِّيح إِذْ سَرَىٰ ❁ وبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ جَانِـبِ الغَـرْبِ لامعُ
ومـا ذاكَ أَنَّ الشـوقَ يَـدْنُو بِنَـازِحٍ ❁ ولا أَنَّنـي فـي وَصْـل عَلْـوَةَ طـامِعُ
خَـلَا أَنَّ وَجْـدًا مـا يُغِـبُّ ولَوْعَـةً ❁ إِذَا اضْطَرَمَتْ فَاضَتْ عليها المَدَامِعُ[3]

وهذه طريقةُ البحتريِّ التي يُخبرُ فيها بالشيءِ علىٰ ما هُوَ فيُعفِّي علىٰ كلِّ بديعٍ واستعارةٍ إذا اعتمدَها؛ وذلك لحسنِ عبارتِهِ وتلخيصِهِ.

وقولُه: «خَاطِرُ [١١٨/٢/أ] الرِّيحِ»: من الخَطَرانِ كما قالَ في موضعٍ آخر:

كما خَطَرَتْ عَلَىٰ الرَّوْضِ القَبُولُ[4]

وقالَ[5]:

شَـوْقٌ إِليـكَ تفَـيِضُ منـه الأَدْمُـعُ ❁ وجَـوًىٰ عَليـكَ تَضِـيقُ عَنْـهُ الأَضْـلُعُ
وهــوًىٰ تجــدِّدُهُ الليــالي كلمــا ❁ قَـدُمَتْ وتُرْجِعُـه السِّـنُونُ فيرجـعُ

وقالَ[6]:

---

(١) نقل ابن المستوفي تعليق الآمدي ويختلف عما ورد في الموازنة ولم يذكر مصدره، قال: (وقال الآمدي: قوله: «إذا لم يضطرم») أي: يغلي، إذا كانت نارًا مضرمة، و«تري» أي: يحرق إذا لم يحتدم أي يلتهب، أي يحرق وإن لم يلتهب، «ونصٌّ» «يشرق»، كأنه يقول: لا شوق إلا كما كان كهذا، وإن بقيت النفس معه ويتلف صاحبه). النظام جـ ٢ لوحة ١٨٥.

(٢) ديوانه: ١٣٠٢/٢، والأبيات من الطويل.

(٣) ديوانه: (خلا أن شوقا)، وفي «ص»: (عليه).

(٤) سبق في ٤٠٨/٢.

(٥) ديوانه: ١٣١٠/٢، والبيتان من الكامل.

(٦) ديوانه: ٥٥١/١، وفيه: (من برح الصبابة لما ذرىٰ)، (أو أنت)، والبيتان من الكامل.

هَـلْ أَنْـتَ مِـنْ حِـرِّ الصَّـبَابَةِ مُنْقِـذِي ✤ أَوْ أَنْتَ مِنْ شَكْوَىٰ الصَّبَابَةِ عَائِدِي ؟
شـــوقٌ تَلَـــبَّسَ بـــالفؤادِ دَخِيلُـــهُ ✤ والشَّـوْقُ يُسْـرِعُ فـي الفـؤادِ الوَاجِـدِ

ومِمَّا أَحسنَ فيهِ البحتريُّ وأَغْرَبَ قولُه في شدَّةِ الحُبِّ وتَمَكُّنِهِ(١):

غَيْــر حَــبٍّ لِسُــلَيْمَىٰ لَــمْ يَــزِدْ ✤ فيــه إِسْـعَافٌ ولَــمْ يَنْقُصْــه ضَــنْ
ثَبَتَــتْ تَحْــتَ الحَشَــا آخِيَــةٌ ✤ مِنْــهُ لا يَنْزِعُهَــا المُهْــرُ الأَرِنْ

وقد بالغَ أَيضًا الذي يقولُ(٢):

أَحُبُّـكِ مَـا لَـوْ كَـانَ بَـيْنَ قَبَائِـلٍ ✤ مِـنَ النَّـاسِ أَعْـدَاءٍ لَجَـرَّ التَّصَـافِيَا

وأَبلغُ من هذا كُلِّهِ وأَجودُ قولُ الأَعْشَىٰ(٣):

كفَـىٰ بالَّـذي تُولِينَـهُ لَـوْ تَجَنَّبَـا ✤ شِـفاءً لِسُـقْمٍ بَعْـدَ مَـا كَـانَ أَشْـيَبَا
ولكنَّمَـــا كانَـــتَ تَوَابِـــعُ حُبِّهَـــا ✤ تَـوَالِيَ رِبْعِـيِّ السِّقاب فأَصْـحَبَا(٤)
[١١٨/٢/ب] فتَمَّ عَلَىٰ مَعْشُوقَةٍ لا يَزِيدُهَا ✤ إِليـه بَـلاءُ السّـوءِ إِلا تَحَبُّبَـا(٥)

وكانَ حمَّادُ الراويةُ يتعجبُ من قولِهِ: «فتم علىٰ معشوقةٍ»، ويقول: هذا ـ واللهِ ـ غايةُ العشقِ، ونهايةُ الإحسانِ في النسيبِ.

---

(١) ديوانه: ٢١٥٤/٤، وفيه: (غير حبي). الأَرِن: النشط، والبيتان من الرمل.
(٢) البيت للأقرع بن معاذ القشيري، واسمه الأشيم، كان في أيام هشام بن عبد الملك، وكان يناقض جعفر بن عُلبة الحارثي اللص. ولم تعرف سنة وفاته، (معجم الشعراء للمرزباني ص٣٤٣، تحقيق فاروق سليم، دار صادر، بيروت سنة ٢٠٠٥).
والبيت بدون نسبة في المستطرف للأبشيهي: ٩٠/٣، والمحب والمحبوب: ٢٣٠/٢.
(٣) ديوانه: ص١١٣، والأبيات من الطويل.
(٤) ديوانه: (علىٰ أنها كانت تأوَّلُ حبها ✤ تاوُّلَ....).
(٥) ديوانه: (بلاء الشوق).

يقول: كفىٰ بالذي تُولينَهُ من البعدِ والقطيعةِ شفاءً له من سقمِ الحُبِّ لو تَجَنَّبَ، ولكنَّهُ لا يقدرُ علىٰ ذلك.

وقولُهُ: «تَوَابِعُ حُبِّها» أَي ما تتابعَ وتَوَالَىٰ من حبِّها كتَوَالِي الرِّبْعِيِّ، وهو: السَّقْبُ الذي نُتِجَ في أَوَّلِ الربيعِ، ينتقلُ مِنْ سِنٍّ إِلىٰ سِنٍّ حتىٰ قَوِيَ ومرنَ، وانقادَ، جعلَ هذا مثلًا لزيادةِ حبِّهِ شيئًا فشيئًا حتىٰ تمكَّنَ، فذلك معنىٰ قوله: «تَوَالَىٰ».

وقد روىٰ «تَأَوَّل رِبْعِي» من حالٍ إِلىٰ حالٍ، مِنْ آلَ يَئُولُ.

وقال أَبو حَيَّةَ النُّمَيْرِي في هذا المعنىٰ، وجاءَ به أَكْشَفَ وأَبْيَنَ وأَحسن مما جاءَ به الأَعْشَىٰ فقال(١):

لا مُنكِــرٌ لِقَبِــيحٍ مِنْــكَ أَعْرِفُــهُ ❊ إِنــي أَرَاهُ - إِذا أَرْضَــاكِ - إِحْسَــانَا
أُحَــدِّثُ الــنَّفْسَ مَسْــرُورًا بِــذِكْرِكُمُ ❊ حتىٰ كأَنَّ الـذي مَـا كَـانَ قَـدْ كَانَـا(٢)

ومن هذا أَخَذَ أَبو الشِّيصِ ـ واللهُ أعلمُ ـ قولُهُ(٣):

وأَهَنْتِنِــي فَأَهَنْــتُ نَفْسِــي عَامِــدًا ❊ مـا مـن يَهُـونُ عَلَيْـك مِمَّـنْ أَكْـرم

ولكنَّه تناهىٰ في التذلُّلِ فأَحسنَ المعنىٰ كلَّ الإحسانِ، ولكنَّ الحُرَّ الكَرِيمَ

---

(١) لم أجدهما في ديوان أبي حية، ووجدتهما دون نسبة في المنتحل لأبي منصور الثعالبي ص٢٣٤، نظر فيه مصحح ألفاظه أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، الإسكندرية سنة ١٩٠١. والبيتان من البسيط.

(٢) تحرف البيت الأول في «ل»، وفي المطبوع: فصار:
حتىٰ كأن الذي قد كان ما كانا
وهو في نسخة «ص»، والمنتحل كما أثبت، وبه يستقيم معنىٰ البيت.

(٣) ديوان أبي الشيص وأخباره ص٤٤٣، صنعة عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٧١، والأبيات من الطويل.

الأَنِفَ: «كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمن» إذْ يقولُ[1]:

ولَمَّــا رَأَتْ وَجْــدِي بهــا وتَبَيَّنَــتْ ❊ صَــبَابَةَ حَــرَّانِ الصَّــبَابَةِ صَــادِ
أَدَلَّــتْ بِصَــبْرٍ عِنْــدَهَا وجَــلَادَةٍ ❊ وتَحْسِــبُ أَنَّ النَّــاسَ غَيْــرُ جِــلَادِ
فيـا عزُّ صَـادِي القَلْـبِ حتىٰ يَـوَدَّني ❊ فُــؤَادُكِ أَوْ رُدِّي عَلَــيَّ فُــؤَادِي[2]

وكانَ هذا ممَّا ينشدُهُ «أَبو العباسِ ثعلبُ كثيرًا» ويَسْتَحْسِنُهُ، ذَكَرَ ذلك الأَخفشُ.

وقولُهُ: «صَادِي القَلْبَ» أَي دَارِيهِ، والمُصَادَاةُ: المُدَارَاةُ.

وقالَ كثيِّرٌ أَيضًا وأَحسنَ كلَّ الإِحسانِ[3]:

وكنـتُ أَلُـومُ الجـازِعِينَ علىٰ البُكَـا ❊ فكيــفَ أَلُــومُ الجــازِعِينَ وأَجْــزَعُ
ولــي كبــدٌ قــد بَرَّحــتْ بــي مريضــةٌ ❊ إِذا سُــمْتها الهِجْـرَانَ ظَلَّــتْ تَصَــدَّعُ

وأَظنُّ أَبا الشِّيصِ أخذَ بقولِهِ[4]:

أَشْــبَهْتِ أَعْــدَائي فَصِــرْتُ أُحُــبّهمْ ❊ [إِذْ كَانَ حَظِّي منكِ حَظِّي منهمُ][5]

من قولِ كُثَيِّرٍ[6]:

---

(١) ديوان كثير عزة ص٤٤٣، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت سنة ١٩٧١، والأبيات من الطويل.

(٢) «ص»: (حين يودني).

(٣) ديوانه: ص٤٠٤، والبيتان من الطويل.

(٤) ديوانه: ص١٠٢، والبيت من الكامل.

(٥) الزيادة من ديوانه: وهي في «ل».

(٦) ديوانه ص٣٧٨، وفي ديوانه: (عديَّ في صدورهم)، والبيت من الطويل.

مُجَاوِرَةٌ قَوْمًا عِدًى لي صُدُورُهُمْ ❊ أَلَا حبَّذَا مِنْ حُبِّهَا مَنْ تُجَاوِرُ

وقد أَحسنَ أَيضًا الإِحسانَ كلَّهُ الذي يقولُ(١):

ولَمَّا بَدَا لِي مِنْك مَيْلٌ مَعَ العِدَا ❊ عَلَيَّ وَلَمْ يحدث سِوَاك بَدِيلُ

صَدَدْتِ كما صَدَّ الرَّمِيُّ تَطَاوَلت ❊ بِهِ مُدَّةَ الأَيَّامِ وهْو قتيلُ(٢)

وقالَ أَبو تمامٍ يذكُرُ الوعدَ وإِخْلَافَه(٣): [١١٩/٢/ب]

وفي الكِلَّةِ الوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُؤْذَرٌ ❊ مِن العِينِ وَرْد الخدِّ وَرْدِ المَجَاسِدِ

غَدَتْ مُغْتَدَى الغَضْبَى وأَوْصَتْ خَيَالَها ❊ بِحَرَّانَ نِضْوِ العِيسِ نِضْوِ الخَرَائِدِ(٤)

وقَالَتْ: نِكَاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ ❊ وكَمْ نَكَحُوا حُبًّا ولَيْسَ بِفَاسِدِ

سَاوِي بِهَذَا القلَبِ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى ❊ إِلَى ثَغَبٍ مِنْ نُطْفَةِ اليَأْسِ بَارِدِ

وهذه أَبياتٌ سخيفةُ المعاني، قد أَتى فيها بكلِّ قبحٍ وفحشٍ، لأَنَّه قالَ:

رَمَتْهُ بِخُلْفٍ بَعْدَما عَاشَ حِقْبَةً ❊ لَهُ رَسَفَانٌ في قُيودِ المَوَاعِدِ

---

(١) البيتان في ديوان عروة بن أذينة ص٣٤٦، حققه وجمعه د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت سنة ١٩٨١، والبيتان من الطويل.

ونسبا أيضًا إلى الخبزأرزي، وهما في القسم المستدرك على ديوانه: نقلًا من محضرات الأدباء: ١٣٠/٣.

(٢) في ديوان الخبزأرزي: (صد الرزيُّ)، وهو الجمل الهالك هزالًا.

(٣) شرح الصولي: ٤٥٩/١، شرح التبريزي: ٦٩/٢. وفيهما: (جؤذر من الأنس)، والأبيات من الطويل.

(٤) نقل ابن المستوفي شرحًا للآمدي لهذا البيت لم أجده في الموازنة، وهو قوله: (قال الآمدي: قوله «نضو الخرائد إنما أراده أنه لا يراهن إلا خيالًا في النوم، وجعل الخيال نضوًا، لأنه قد حري على ألسنتهم أن تقول: لم يبق منه إلا خياله، ولم يبق منهم إلا الخيال إذ وصفوا الإنسان بالتحول وذهاب اللحم والدقة) النظام لابن المستوفي: جـ١ لوحة ٣٢٥.

وبعدَ ذلك بيَّنَ بأَنَّ الوعدَ كانَ مُبَاضَعَةً، وأنَّه لمَّا حَقَّقَ المطالبةَ غَضِبَتْ، وذلك قولُه: «غَدَتْ مُغْتَدَىٰ الغَضْبَىٰ».

وقولُه: «وقالتْ: نِكاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ»، فقالَ هو: «وكم نكحوا حُبًّا وليس بفاسد»، فاحتجَّتْ عليهِ، واحتجَّ عليها.

وهذه خصومةٌ ومناظرةٌ علىٰ ذلك البابِ شديدةٌ مُسْتَقْصَاةٌ ما أَظنُّ أَحدًا سَبَقَهُ إلىٰ مثلِها.

وقولُه بعد هذا(١):

سآوِي بِهَذَا القَلْبِ عَنْ لَوْعَةِ الهَوَىٰ ❊ إِلىٰ ثَغَبٍ مِنْ نُطْفَةِ المَاءَ بَارِدِ

هو أَيضًا غَضِبَ منهُ لِمَنْعِهَا إِيَّاهُ مِمَّا التمسَ، ومثلُ هذا إنما يُفصِحُ بهِ الشاعرُ إذا هَزَلَ ومَجَن، وإنما وصلَ هذه الأَبياتَ بما افتَتَحَهُ من قولِهِ:

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بالمَعَاهِدِ ❊ وإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ

[١٢٠/٢/أ]لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ ❊ وبَيْنِهِمْ إِطْرَاقَ ثَكْلانَ فَاقِدِ(٢)

وأَبْقَوْا لِضَيْفِ الهَمِّ والحزنِ منهمُ ❊ قِرًىٰ منْ جوًىٰ سَارٍ وطيفٍ مُعَاوِدِ(٣)

سَقَتْهُ ذُعَافًا عَادَةُ الدَّهْرِ فيهمْ ❊ وسَمُّ اللَّيَالي فَوْقَ سَمِّ الأَسَاوِدِ

بِهِ عِلَّةٌ صَمَّاءُ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ ❊ لِبُرْءٍ ولَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ(٤)

---

(١) في الشرحين: (من لوعة الهوىٰ)، (نطفة اليأس). ورواية الموازنة (نطفة الماء) ذكرها ابن المستوفي في النظام جـ١ لوحة ٣٢٦.

(٢) «ص»: (لقد أطرق الركب) تحريف.

(٣) في الشرحين: (وأبقوا لضيف الحزن مني بعدهم).

(٤) في الشرحين: (للبين صماء).

ومن يقفُ علىٰ المعاهدِ، ويصفُ ما بِهِ من الهمِّ، والحزنِ، والجوىٰ، وأَنَّ عادةَ الدهر فيهم سقتهُ الذُّعافَ ـ وهو السمُّ ـ وأَنَّ به علَّةً للبينِ صمَّاءَ لم تُصِخْ لبرءٍ: أَي لَمْ تصُغْ إِليه، ولم تَقْرُبْ منهُ فإِنَّهُ لا يقولُ بعدَ ذلكَ كلِّه: إِنَّه كانَ التمسَ من المرأَةِ الفاحشةَ، وناظرَها[1] عليها، وغَضِبَ من مَنْعِهَا إِيَّاهُ، وهذا غايةُ ما يكونُ من السُّخْفِ والحُمقِ.

فإِنْ قيل: إِنَّ المعاهدَ التي وقفَ عليها لم تكُ معاهدَ هذهِ المرأَةِ ذاتِ الكِلَّةِ الوَرْدِيَّةِ اللونِ، وإِنَّ هذه إِنما كانتْ مَعَهُ في الرِّفاقِ وهم سائرونَ، فاستوقَفَهُمْ لتجديدِ عهدٍ بديارٍ كان فيها أَحبابٌ أُوَل.

قيلَ: هذا غلطٌ من التأْويلِ؛ لأَنَّه قالَ: «به علة صماء للبين لم تصخ لبرء»، فأَوجبَ بهذا القولِ أَنَّ حُبَّه باقٍ غيرُ منصرمٍ.

وإِذا كانَ لَمْ يبرأْ حبُّه من امرأَةٍ أُولَىٰ، فكيفَ يقفُ صَحْبَه علىٰ معاهدِها وفيهم امرأَةٌ أُخرَىٰ يهواها، وقد طالبَها سَنَةً، وهي تَعِدُه، وذكرَ أَنَّها أَوصتْ خيالَها [به][2]، وأَنَّه حَرَّانُ؟ هذا محالٌ، لم يكنْ الحبُّ إِلا لهذهِ المرأَةِ ذاتِ الكِلَّة [رحم الله غفلته][3].

وقوله: «نضو العيس» لطولِ السفرِ، و«نِضْوُ الخرائد»، يعني الخيالاتِ.

وللهِ دَرُّ أَبي عبادةَ إِذْ يقولُ[4]:

(١) «ص»: (وناظر عليها).

(٢) الزيادة من «ل».

(٣) زيادة من «ل».

(٤) ديوانه: ١/٢٩٥، والأبيات من الكامل.

لَـوْ تُسْـعِفِينَ وَمَـا سَـأَلْتُ مَشَـقَّةً ❊ لَعَـدَلْتِ حَـرَّ جَـوًى بِبَـرْدِ رُضَـابِ
ولَـئِنْ شَـكَوْتُ ظَمَـايَ إِنَّـكِ لَلَّتِـي ❊ قِـدْمًا مِـنَ السَّـرَابِ شَـرَابِي[1]
وعَتَبْـتِ مِـنْ حُبِّيـكِ حتَّـىٰ إِنَّنِـي ❊ أَخْشَـىٰ مَلَامَـكِ أَنْ أَبُثَّـكِ مَـا بِـي

وقالَ البحتريُّ[2]:

إِذا رَاجَعَت وَصْلًا علَىٰ طُولِ هِجْرَةٍ ❊ تَرَاجَعْتُ شيئًا مِنْ بَلَايَ إِلىٰ سُقْمِي
وقد زعمتْ أَنْ سوف تُنْجِح مَا وَأَتْ ❊ وظَنِّي بها الإِخلافَ في ذلك الزَّعْمِ
خَلِيلَيَّ ما في لا شِفَاءٌ مِنَ الجَوَىٰ ❊ ولا نَعَـمٌ مَرْجُـوَّةُ الـنُّجْحِ مِـن نُعْـمِ

وقالَ[3]:

بِنَفْسِـيَ مَـنْ تَنَـأَىٰ ويَـدْنُو ادِّكَارُهَـا ❊ ويَبْـذُلُ عَنْهـا طَيْفُهـا وتُمَـانِعُ
خَلِيلَـيَّ أَبْلَانِـي هَـوًى مُتَلَـوِّنٌ ❊ لَـهُ شِـيمَةٌ تَـأبَىٰ وأُخْـرَىٰ تُطَـاوِعُ

وهذا لعمري حسنٌ، وأَحسنُ منه قولُ كثيِّرٍ [لأَنَّه تمنىٰ الحالَ التي وصفَها البحتريُّ فقالَ[4]:

والله مـا يـدري غـريمٌ لَوَيْتِـهِ ❊ أَيَشْـتَدُّ إِنْ لاقـاكِ أَم يَتَضَـرَّعُ
بَخِلْـتِ فكـانَ البخـلُ منـكِ سَـجِيَّةً ❊ فَلَيْتَـكِ ذُو لَـوْنَيْنِ يُعْطِـي ويَمْنَـعُ

---

(١) «ل»: (من الشراب) تصحيف.
(٢) ديوانه: ٢٠١٤/٣، وفيه: (رجعت)، والأبيات من الطويل.
(٣) ديوانه: ١٣٠٢/٢، والبيتان من الطويل.
(٤) ديوانه: ص ٤٠٥، والبيتان من الطويل.

وقالَ البحتريُّ][1]:

مـاذَا علَـىٰ الأَيَّـامِ لَـوْ سَـمَحْت لَنَـا ❀ بِثَـــوَاءِ أَيَّـــامٍ لَـــدَيْكِ قَلَائِـــلِ
فأَوَيْــتِ لِلْقَلْــبِ المُعَنَّــىٰ المُبْتَلَــىٰ ❀ بِهَــوَاكِ والبَــدَن الضَّـئِيلِ النَّاحِــلِ

[١٢١/٢/أ] وقالَ أَيضًا[2]:

فِــدَاؤُكِ مَــا أَبْقَيْــتِ مِنــيِّ فإِنَّــهُ ❀ حُشَاشَـةُ حُـبٍّ فـي نُحُـولِ عِظَـامِ[3]
صِلِي مُغْرَمًـا قَـدْ أَوتَـرَ الشَّـوْقُ دَمْعَـهُ ❀ سِـجَامًا عَلَـىٰ الخَـدَّيْنِ بَعْـدَ سِـجَامِ[4]
فَلَــيْسَ الــذي حَلَّلْتِــهِ بِمُحَلَّــلٍ ❀ ولَــيْسَ الــذي حَرَّمْتِــهِ بِحَــرَامِ

وقال[5]:

وَدِدْتُ وهَــلْ نَفْــسُ امْـرِئٍ بِمُلِيمَــة ❀ إِذَا هِـيَ لَـمْ تُعْـطَ الهَـوَىٰ مِـنْ وِدَادِهَـا
لَـو انَّ سُـلَيْمىٰ أَسْـمَحَتْ أَوْلَـو انَّـهُ ❀ أُعِيـرَ فُـؤَادِي سَـلْوَةً مِـنْ فُؤَادِهَـا[6]

وقال[7]:

أَيْـنَ الغَـزَالُ المُسْـتَعِيرُ مِـنَ النَّقَـا ❀ كَفَـلًا ومِــنْ نَــوْرِ الأَقَـاحِي مَبْسِـمَا
ظَمِئَــتْ جَوَانِحُنَــا إِليــه ورِيُّهَــا ❀ في ذلك اللَّعس المُمَنَّعِ واللَّمَىٰ[8]

(١) الزيادة من: «ل» ، والبيتان في ديوانه: ١٦٤٧/٣ ، وهما من الكامل.
(٢) زيادة من: «ل» ، والأبيات في ديوانه: ٢٠٠٠/٣ ، وهي من الطويل.
(٣) ديوانه: (حشاشة نفس).
(٤) ديوانه: (قد واصل).
(٥) ديوانه: ٦٧٤/٢ . والبيتان من الطويل.
(٦) ديوانه: (سليمىٰ أسجحت) ، وأسجحت: أحسنت العفو.
(٧) ديوانه: ١٩٥٨/٣ ، والأبيات من الكامل.
(٨) ديوانه: (ضمنت مراشفنا).

مُتَعَتِّبٌ فـي حَيْـثُ لا مُتَعَتَّـبٌ ❖ إِنْ لَـمْ يَجِـدْ جُرْمًـا علَـيَّ تَجَرَّمَـا
أَلِـفَ الصُّـدُودَ فَلَـوْ يَمُـرُّ خَيَالُـهُ ❖ بالصَّبِّ فـي سِنَةِ الكَـرَىٰ مَـا سَلَّمَا

وقالَ(١):

أَرَىٰ ثِقَـةَ الرَّاجِـي مُوَاصَـلَةَ المَهَـا ❖ تَكَاءَدَهَـا أَوْ آدَهَـا شَـكُّ خَـائِفِ
كـأَنَّ الـذي يَكْذِبْنَـه نَحْـبُ نَـاذِرٍ ❖ يُقَضَّـيْنَ مِنْـهُ أَوْ أَلِيَّـةُ حَـالِفِ(٢)
[١٢١/٢/ب] فَلَيْتَ لُبَانَاتِ المُحِبِّ رُدِدْنَ في ❖ جَوَانِحِـهِ أَوْ كُـنَّ عِنْـدَ مُسَـاعِفِ

وهذا حسنٌ جدًّا.

وقالَ(٣):

إِذَا قَرُبْـتِ فَهَجْـرٌ منـكِ يُبْعِـدُنِي ❖ وإِنْ بَعَـدْتِ فَوَصْـلٌ مِنْـك يُـدَنِينِي
تَصَـرَّمَ الـدَّهْرُ لا جُـودٌ فَيُطْعِمُنِـي ❖ فِيمَـا لَـدَيْك ولا يَـأْسٌ فَيُسْـلِينِي(٤)
فَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَان قَلْبِك لي ❖ يَوْمًا إِذَا كانَ قَلْبِي فيك يَعْصِينِي(٥)

وهذا إِحسانُهُ المشهورُ، ويقالُ: إِنَّه أَخذه من قولِ الخليعِ(٦):

---

(١) ديوانه: ١٣٩٠/٣، والأبيات من الطويل. وفي ديوانه: (مواصلة المها).

(٢) ديوانه: (كأن النوىٰ)، وفي «ص»: (تحت نادر) تصحيف.

(٣) ديوانه: ٢٢٤٧/٤.

(٤) ديوانه: (لا وصل فيطعمني).

(٥) ديوانه: (عمدًا إذا).

(٦) هو أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي بالولاء، البصري الخراساني، المعروف بالخليع، والبيت في ديوانه، تحقيق جليل العطية، منشورات الجمل سنة ٢٠٠٥.
والبيت في ديوان الخليل بن أحمد الفراهيدي ص١٦، جمع حاتم الضامن، ضياء الدين الحيدري، بغداد سنة ١٩٧٣، نقلًا من مرآة الجنان، وأعيان الشيعة. والبيت من الوافر.

أَتَطْمَـعُ أَنْ يُطِيعَـكَ قَلْـبُ سُـعْدَىٰ ❖ وتَــزْعَمُ أَنَّ قَلْبَــك قَــدْ عَصَــاكَا

وما أَحسنَ ما قالَ بَشَّارٌ[1]:

وإِذا قُلْنــا لَهَــا: جُــودِي لَنَــا ❖ خَرَجَـتْ بالصَّـمْتِ مِـنْ لَا وَنَعَـمْ

وقالَ أَبو تمامٍ في النائلِ النزرِ القليلِ ما هو فوقَ كلِّ حُسنٍ وحلاوةٍ[2]:

تَــأْبَىٰ عَلَــىٰ التَّصْـرِيدِ إِلَّا نَـائِلًا ❖ إِلَّا يَكُــنْ مَــاءً قَرَاحًــا يُمْــذَقِ

نَـزْرًا كَمَـا اسْـتَكْرَهْتَ عَـائِرَ نَفْحَـةٍ ❖ مِـنْ فَـأْرَةِ المِسْـكِ التـي لـم تُفْتَـقِ

وقد تصرَّفَ البحتريُّ في جملة معاني هذا البابِ تصرفًا كثيرًا حسنًا.

ومن ذلك قولُهُ[3]:

ظَلَمَتْنِــي تَجَنُّبًــا وصُــدُودا ❖ غَيْــرَ مُرْتَاعَــةِ الجَنَــانِ لِظُلْمِــي

[١٢٢/٢/أ] ويَسِيرٌ عِنْدَ القَتُول إِذَا مَا ❖ أَثِمَــتْ فــي أَنْ تَبُــوءَ بــإِثْمِي[4]

أَجِــدُ النَّــارَ تُسْــتَعَارُ مِــنْ النَّــا ❖ رِ وَيَنْشَـا مِـنْ سُـقْمِ عَيْنَيْـكِ سُـقْمِي

(١) ديوانه: ٤/١٦٦، وفيه، و(إذا قلت)، وهو في الأغاني: ٣/٢٦ ساس.

(٢) شرح الصولي: ٢/٩٨، وفيه: (باتت علىٰ التعديد)، شرح التبريزي: ٢/٤٠٧، وقال التبريزي عن البيت الأول: (أي تأبىٰ هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال، إلا نيلا ممذوقًا غير خالص، فلا تهنأ في الوصال).
وقال أبو العلاء يشرح البيت الثاني: (أي نائلًا لا نزرًا كما انتكث عائر نفحة أي عطاء نزرًا لا غناء منه كالرائحة التي تفلت من فارة المسك لم تفتق، أي بَعُدَ نائلها، كشمة من هذا الفارة، ولا تغني هذه الشمة غناء، فكذلك نائلها). والأبيات من الكامل.

(٣) ديوانه: ٣/١٩٤٠، والأبيات من الخفيف.

(٤) في «ص»: (عند القتيل)، (أثمت فيه) تحريف.

وقولُهُ[1]:

لَوْ شِئْتِ عُدْتِ إلىٰ التَّنَاصُفِ في الهَوَىٰ ❁ وَبَـذَلْتِ مِـنْ مَكْنُونِـهِ مَـا أَبْـذُلُ
أَحْنُـو عَلَيْـك وفـي فُـؤَادِي لَوْعَـةٌ ❁ وأَصُـدُّ عَنْـكِ وَوَجْـهُ وُدِّي مُقْبِـلُ
وإذا هَمَمْـتُ بِوَصْـلِ غيـرك رَدَّنِـي ❁ وَلَـهٌ عليـك وشَـافِعٌ لـك أَوَّلُ[2]
وأَعِـزُّ ثُـمَّ أَذِلُّ ذِلَّـةَ عَاشِـقٍ ❁ والحـبُّ فيـه تَعَـزُّزٌ وتَـذَلُّلُ

وقولُهُ[3]:

وَبِـي ظَمَـأٌ لَا يَمْلِـك المـاءُ دَفْعَـهُ ❁ إلىٰ نَهْلَةٍ مِنْ رِيقِهَا الخَصِرِ العَذْبِ
تَـزَوَّدْتُ مِنَهـا نَظْـرَةً لَـمْ تَجُـدْ بهـا ❁ وقَدْ يُؤْخَذُ العِلْقُ المُمَنَّعُ بالغَصْبِ
ومَا كَانَ حَظُّ العين في ذَاكَ مَذْهَبِي ❁ ولكنْ رأَيْتُ العَيْنَ بابًا إلىٰ القَلْبِ
أُعِيـذُكَ أَنْ تُمْنَـىٰ بِشَـكْوَىٰ صَـبَابَة ❁ وَإِنْ أَكْسَبَتْنَا مِنك عَطْفًا علىٰ الصَّبِّ[4]
ويَحْزُنُنِـي أَنْ تَعْـرف الحُـبَّ بـالجَوَىٰ ❁ وإِنْ نَفَعَتْنَـا فِيـكَ مَعْرِفَـةُ الحُـبِّ[5]

وقولُهُ[6]:

نَظَـرْتُ وكَـمْ نَظَـرْتُ فَأَقْصَـدَتْنِي ❁ فُجَـاءَاتُ البُـدُورِ عَلَـىٰ الغُصُـونِ
[٢/١٢٢/ب] وَرُبَّـةَ نَظْـرَةٍ أَقْلَعْـتُ عَنْهَـا ❁ بِسُـكْرٍ فـي التَّصَـابِي أَوْ جُنُـونِ

---

(١) ديوانه: ١٥٩٩/٢، والأبيات من الكامل.
(٢) ديوانه: (ولهٌ إليك).
(٣) ديوانه: ١٠٤/١، والأبيات من الطويل.
(٤) ديوانه: (بشكوٍ)، وفي «ص»: (كسبتنا) تحريف.
(٥) ديوانه: (أن تعرفي).
(٦) ديوانه: ٢٢٦٦/٤، والأبيات من الوافر.

فِيـا للهِ مـا تَلْقَـىٰ القُلُـوبُ الـْ ❊ ـهَـوَائِمُ مِـنْ جِنَايَـاتِ العُيـونِ
وقَـدْ يَـئِسَ العَـوَاذِلُ مـن فُـؤَادٍ ❊ لَجُـوجٍ فـي غَوَايَتِـهِ حَـرُونِ

وقوله[1]:

قَـالَ بُطْـلًا وَأَفَـالَ الـرَّأْيَ مَـنْ ❊ لَـمْ يَقُـلْ إِنَّ المَنَايَـا فـي الحَـدَقْ
إِنْ تَكُـنْ مُحْتَسِـبًا مَـنْ قَـدْ ثَـوَىٰ ❊ لِحِمَـامٍ فاحْتَسِـبْ مَـنْ قَـدْ عَشَـقْ
يَمْـلأُ الوَاشِـي جَنَـانِي ذُعُـرًا ❊ ويُعَنِّينِـي الحـديثُ المُخْتَلَـقْ
حُبُّهـا أَوْ فَرَقـا مِـنْ هَجْرِهَـا ❊ وصَـرِيحُ الـذُّلِّ حُـبٌّ أَوْ فَـرَقْ[2]

قولُه: «يُعَنِّيني الحديثُ المُخْتَلَقْ» من أَحسنِ المعاني وأَحلاها، وأَجراها في عاداتِ كلِّ عاشقٍ فأَرادَ يعنِّيني اختلاق الحديث، وهو اخْتِرَاصُه أَي يُنْصِبَنِي، ويحزنني؛ لشدَّةِ حبِّي لها، وخوفي من هجرِها.

والأَلفُ في قولِهِ: «أَو» في البيت مُقْحَمَةٌ في الموضعين؛ وإِنَّما أَرادَ حبَّها وفَرَقَ هَجْرِها، وصريحُ الذُّلِّ حبٌّ وفرقٌ، ولم يردْ بإِدخالِ الأَلفِ أَحَدَهُمَا وقال آخرُ في نحوِ هذا[3]:

تُكَذِّبُنِي في الحبِّ سَلْمَىٰ ولَيْسَ لِي ❊ شُـهُودٌ وأَنَّـىٰ بالشهودِ علَـىٰ صِـدْقِي
سِوَىٰ ذَوْبِ جِسْمِي وانْتِكَاثِ بَشَاشَتِي ❊ ورَوْعَـةِ قلبـي بالأَبَاطِيـلِ والحَـقِّ

(١) ديوانه: ٢/١٤٧٢، والأبيات من الرمل.
(٢) «ص»: (وصريح الحب) غير أن الشرح بعد ذلك على (الذل).
(٣) لم أعرف قائلهما، ولم أجدهما في بين يدي من مصادر.

[قولُهُ: «روعة قلبي بالأَباطيل والحق»][1] [١٢٣/٢/أ] نحوَ قولِ البحتريِّ:

ويعنِّينـــي الحـــديثُ المختلـــقْ

وهذا البيتُ حسنُ التقسيمِ.

كانَ بعضُ شيوخِ الأَدبِ تعجبُهُ التقسيماتُ في الشِّعرِ، وكان ممَّا يُعجِبُهُ قولُ عباسِ بنِ الأَحنفِ[2]:

وِصَــالُكُمُ هَجْــرٌ وحُــبُّكُمُ قِلًــى ❁ وَعْطفُكُــمُ صَــدٌّ وسِــلْمُكُمُ حَــرْبُ

ويقولُ: هذا أَحسنُ من تَقْسِيمَاتِ إِقْلِيدِسْ.

وقالَ أَبو العباسِ ثعلبٌ: سمعتُ «سيِّدَ العلماءِ» يستحسِنُهُ، يعني ابنَ الأَعرابيِّ[3].

ونحوُ هذا ما أَنشدَهُ المُبرِّدُ لأَعْرَابِيٍّ، وليسَ هو عندي من كلامِ الأَعرابِ، وهو بكلامِ المولدين أَشبهُ[4]:

---

(١) زيادة من «ل».

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ص١٩، شرح وتعليق عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٤، وفيه (وصالكم صرم)، والبيت من الطويل.

(٣) جاء في «ل» تعليق لعبد السلام النطوي أقحم في أصل الكتاب، وهو: (وقال عبد السلام أنشدني أبو الحسن عمر بن أبي عمر السنجزي قال: روىٰ لنا ابن طباطب، ﷺ في آخر كتاب «عيار الشعر» للبحتري ولم أجده في شعر البحتري:

وفـي أربـع منـي حلـت منـك أربـع ❁ فمـا أنـا دارٍ أيهـا هـاج لـي كربـي

أوجهـك فـي عينـي أم الريـق فـي فمـي ❁ أم النطق في سمعي، أم الحب في قلبي)

والبيتين في عيار الشعر دون نسبة، تحقيق د. عبد العزيز المانع ص ٢١٦.

وانظر تخريجهما في الهامش، ولم أجد البيتين في ديوان البحتري.

(٤) نسبا في خريدة القصر إلىٰ عبد الحليم بن عبد الواحد، ٢٢/١ من قسم شعراء المغرب، وهما بدون نسبة في العقد الفريد، والكامل للمبرد والمحب والمحبوب، والبيتان من الطويل.

وأَدْنُــو فتُقْصِــينِي وأَبْعُــدُ طَالبًــا ❊ رِضَـاها فَتَعْتَـدُّ التَّبَاعُـدُ مِـنْ ذَنْبِـي
وشَـكْوَايَ تُؤْذِيهـا وصَـبْرِي يَسُـرُّهَا ❊ وتَجْـزَعُ مِـنْ بُعْـدِي وتَنْفِرُ مِـنْ قُرْبِـي

وقالَ البحتريُّ(١):

وَلِـي هَفَـوَاتٌ بَاعِثَـاتٌ لـيَ الجَـوَىٰ ❊ يُعَرِّضْــنَنِي مِــن بَرْحِــهِ للمَتَــالِفِ
كــأَنَّ العُيُــونَ الفَاتِنَــاتِ تَعَاوَنَــتْ ❊ عَلَـىٰ تِـرَةٍ عِنْـدَ العُيـونِ الـذَّوَارِفِ(٢)

وقولُهُ(٣):

وإِذَا كَسَــرْنَ جفُــونَهُنَّ نَظَــرْنَ مِــنْ ❊ مرضــي يَشُــفُّكَ سِــحْرُهُنَّ صِــحَاحِ
تَظْمَــا إِلــيهنَّ القلــوبُ وقــد تَــرَىٰ ❊ فــيهِنَّ ريَّ الحَــائِم المُلْتَــاحِ(٤)
والحُــبُّ سُــقْمٌ للصَّــحِيحِ إذا غَــلَا ❊ فيــه المحــبُّ ونشــوةٌ للصَّــاحِي
بَكَـرَ العَـذُولُ فكَـفَّ غَـرْبَ بَطَـالَتِي ❊ وبَدَا المشيبُ فَرَدَّ غَرْبَ جِمَاحِي(٥)
قَـدْ آنَ أَنْ أَعْصِـي الغَوَايَـةَ إِذْ نَضَـا ❊ صِـبْغُ الشَّـبابِ وأَنْ أُطِيـعَ اللَّاحِـي

وقولُهُ(٦):

جُنُـونِي إِلـىٰ سُـعْدَىٰ وَسُـعْدَىٰ خَلِيَّـة ❊ وصَغْوِي إِلىٰ سُعْدَىٰ وسُعْدَىٰ تَجَنَّبُ

---

(١) ديوانه: ١٣٩٠/٣، وهما من الطويل.
(٢) في «ل»: (العيون الروادف) تحريف.
(٣) ديوانه: ٤٧٦/١، والأبيات من الكامل.
(٤) ديوانه: (الهائم الملتاح).
(٥) ديوانه: (فكفّ غرب ❊....).
(٦) ديوانه: ١٣٤/١، وفيه:

جُنُــونيَ فــي لَيلــىٰ، وَلَيلــىٰ خَلِيَّــةٌ ❊ وَصَغْوِي إلىٰ سعدىٰ وسعدىٰ تجنب

إِذا لَبِسَــتْ كانَــتْ جَمَــالَ لِبَاسِــهَا ❊ وَتَسْلُبُ حُبَّ المُجْتَلي حينَ تُسلَبُ[1]

وَسَــمَّيتُهُا مِــنْ خَشْــيَةِ النَّــاسِ زَيْنَبَــا ❊ وَكمْ سَتَرَتْ حُبًّا على النَّاسِ زَينَبُ

غَضَــارَةُ دُنْيَــا شَــاكَلَتْ بِفُنُونِهــا ❊ مُعاقَبَــةَ الــدُنْيَا التــي تَتَقَلَّــبُ

وَجَنَّــةُ خُلــدٍ عَــذَّبَتْنَا بِــدَلِّها ❊ وَما خِلْتُ أَنّا في الجَنَانِ نُعَذَّبُ[2]

وهذا البيتُ يزيدُ على إحسانِ كلِّ محسنٍ في الغزلِ.

ولا خفاءَ بفضلِ أَبي عبادةَ على أَبي تمامٍ في هذا البابِ.



(١) ديوانه: (وتسلب لُبُّ).

(٢) ديوانه: (بالجنان). والأبيات من البسيط.

ما قيل في ائتلاف المحبين



قالَ البحتريُّ(١):

وَجَدْتِ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ ❀ هِيَ المُصافَاةُ بَيْنَ الماءِ والرَّاحِ

وهذا حسنٌ جدًّا وأَظنُّه أَخذَهُ من قولِ بشَّارٍ(٢): [١٢٤/٢/أ]

وإِذْ نَلْتَقِي خَلْفَ العُيُونِ كَأَنَّنَا ❀ سُلَافُ عُقَارٍ بالنُّقَاخِ مَشُوبُ

أَخذَهُ أَيضًا من قولِ ابنِ أَبي عُيَيْنَةَ فقالَ(٣):

ذَاكَ إِذْ رُوحُها وَرُوحِي مِزَاجَا ❀ نِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ

وقولُ البحتريِّ أَيضًا أَجودُ من البيتين، وأَخذَهُ أيضًا(٤) عباسُ بنُ الأَحْنَفِ فقالَ:

ما أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمْنَاهَا مُعَطَّفَةً ❀ على فؤادي ويسرها على راسي

وقولها: لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي ❀ أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبالًا لعَبَّاسِ

---

(١) ديوانه: ٤٤٢/١، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ٢١٢/١، والنقاخ: الماء البارد.

(٣) أبو عيينه اسمه كنيته، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء، وأكثر هجائه في ابن عمه خالد، وكان من شعراء الدولة العباسية، ومن ساكني البصرة (الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، ٢٩/٢٠. والبيت في الأغاني من ثلاثة أبيات: ٣٥/٢٠).

(٤) في «ص»: (وقول البحتري أيضًا أجود من البيتين، وأخذه عباس بن الأحنف)، والتصحيح من «ل»، وهو أصح للسياق.

أَوْ لَيْتَـهُ كَـانَ لـي خَمْـرًا وكنـتُ لـهُ ❊ من مـاءِ مُزْنٍ فكُنَّـا الـدَّهْرَ في كَـاسِ

وأَخذَهُ عليٌّ بنُ الجهْمِ وجعلَهُ في العِنَاق [فقال][1]:

وبِتْنَـا علَـىٰ رَغْـم الحَسُـودِ كأَنَّنَـا ❊ خَلِيطَـانِ مِـنْ مَـاءِ الغَمَامَـةِ والخَمْـرِ

وأَجودُ من هذا كلِّهِ وأَحلىٰ وأَلطفُ معنىٰ قولُ بَشَّارٍ[2]:

لَقَـدْ كـانَ مـا بَيْنِـي زَمَانًـا وبَيْنَهـا ❊ كما بَيْنَ رِيحِ المِسْكِ والعَنْبَرِ الوَرْدِ

وقالَ عبدُ الصَّمَدِ بنُ المُعَذَّلِ في العناقِ والاختلاطِ[3]:

كـــأَنني عَانقْـــتُ رَيْحَانَـــةً ❊ تَنَفَّسَـــتْ فـــي لَيْلِهـــا البَـــارِدِ

فَلَـوْ تَرانَـا فـي قَمِـيصِ الـدُّجَىٰ ❊ حَسِـبْتَنَا فـي جَسَـدٍ وَاحِـدِ

وهٰذا أَحسنُ من بَيْتَيْ العبَّاسِ الأَولين.

وقالَ البحتريُّ[4]: [٢/١٢٤/ب]

ولَــمْ أَنْـسَ لَيْلَتَنَـا فـي العِنَـا ❊ قِ لَـفَّ الصَّـبا بِقَضِـيبٍ قَضِـيبَا

وما زلتُ أَسمعُ أَهلَ العلمِ بالشعرِ يقولونَ إِنَّ هذا البيتَ أَجودُ ما قيلَ في العناقِ؛ لأَنَّه أَصابَ حقيقةَ التشبيهِ بأَجودِ لفظٍ، وأَحسنِ نظمٍ.

ومثلُه قولُ آخرَ وجدتُهُ في الأَناشيدِ، ولستُ أَدري أَيُّهما أَخَذَ من صاحبِهِ[5]:

---

(١) ديوان علي بن الجهم وتكملته، ص٢٥٢، عنىٰ بجمعها وتحقيقها ونشرها خليل مردم بك. والبيت من الطويل، والزيادة من «ل».

(٢) ديوانه: ٣١٤/١، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ص٨٤، تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٠م.

(٤) ديوانه: ١٥٠/١، وهو من المتقارب.

(٥) نقل المرتضى في أماليه، ٦٣/٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية سنة=

وضَـــــمٌّ لا يُنَهْنَـــــهُ واعْتِنَـــــاقٌ ✤ كمـا الْتَـفَّ القَضِـيبُ علـىٰ القَضِـيبِ

وبيتُ البحتريِّ أَجودُ سَبْكًا، وأَحلىٰ لفظًا؛ لقولِهِ: «لَفَّ الصَّبا»؛ لأَنَّ القضيبَ إِنما يلتف بالقضيبِ بالريحِ.

وقد قالَ بشارٌ في نحوِ هذا، وأَظنُّ هذين منه أُخِذَا[1]:

إِنَّنِـــي أَشْـــتَهِي لِقَـــاءَكَ وَاللَّـــ ✤ ـــهِ فَمَـــاذَا عَلَيْـــك مِـــنْ لُقْيَـــانِي

قَـد تَلُـفُّ الريـاحُ غُصـنًا مـن البـا ✤ نِ إلـــىٰ مثلِـــه فَيَلْتَقِيَـــانِ

وقالَ عليُّ بنُ الجهمِ في وَكيدِ الالتزامِ[2]:

سـقىٰ اللهُ لـيلًا ضـمَّنا بعـدَ هجعـةٍ ✤ وأدنـىٰ فـؤادًا مـن فـؤادٍ مُعَـذَّبِ

فَبِتْنَـا جميعًـا لـو تُـرَاقُ زُجاجـةٌ ✤ مـن الـرَّاحِ فيمـا بينَنَـا لـم تَسَـرَّبِ

وهذا أَيضًا حسنٌ لفظًا ومعنىٰ.

وأَحسنُ ما قيلَ في المُضَاجَعَةِ قولُ امرئِ القيسِ[3]:

تَقُـولُ وقَـدْ جَرَّدْتُهـا مِـنْ ثِيَابِهـا ✤ كما رُعْتَ مَكْحُولًا مِنَ العِينِ أَتْلَعَا

وجَـدِّكَ لَـوْ شَـيءٌ أَتَانَـا رَسُـوُلُه ✤ سِـوَاكَ ولَكِـنْ لَـمْ نَجِـدْ لـكَ مَـدْفَعَا

[١٢٥/٢/أ] فَبِتْنَا نَذُودُ الوَحْشَ عَنَّا كأَنَّنَا ✤ قَتِيلَانِ لَـمْ يَعْلَـمْ لنا النـاسُ مَصْـرَعَا

= ١٩٥٤، البيتين مع خصني عبارة الآمدي دون أن يشعر إليه.

وهذا البيت أيضًا ورد في سر الفصاحة ص٢١٤، لابن سنان الخفاجي، الطبعة الأولىٰ. والبيت من الوافر.

(١) ديوان بشار: ٤/٢٢٣، والبيتان من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٩٥، وفيه: (بعد فرقة)، والبيتان من الطويل.

(٣) ديوانه: ٢٤١، وفيه، (مكحول المدامع)، والأبيات من الطويل.

تجافَىٰ عن المَأْثُورِ بَيْنِي وبَيْنَها ❊ وتُدْني عَلَيَّ السَّابِرِيَّ المُضَلَّعَا[1]
إِذا أَخَذَتْها هِزَّةُ الرَّوْعِ أَمْسَكَتْ ❊ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَىٰ الهَوْلِ أَرْوَعَا

وهذا لا شيءَ أَجودُ منهُ ولا أَحلىٰ ولا أَبرعُ وقد أَخْبَرَ بالأَمرِ علىٰ ما كانَ.

وقد أَحسنَ أَيضًا عبدُ بني الحسْحاسِ في قولِهِ[2]:

وبِتْنَا وسَادَانَا إِلىٰ عَلَجَانَةٍ ❊ وحِقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّياحُ تَهادِيَا
فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيابَها ❊ إِلىٰ الحَوْلِ حتَّىٰ أَنْهَجَ البُرْدُ بَالِيَا[3]

ولستُ أَعرفُ لأَبي تمامٍ في هذا البابِ شيئًا.



(١) ديوانه: (تدني عليها).
(٢) ديوان سحين عبد بن المساس، ص١٩ ـ ٢٠، تحقيق عبد العزيز الميني، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠، والبيتان من الطويل. وفي «ص» (وسادتنا) تحريف.
(٣) (أنهج): إذا أخلق وبلي.

بابٌ في نوحِ الحمامِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

أَتَضَعْضَعَتْ عَبَراتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ ❊ وَرْقَاءُ حِينَ تَضَعْضَعَ الإِظْلَامُ
لا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا ❊ ضَحِكٌ وإِنَّ بُكَاءَكَ اسْتِغْرَامُ
هُنَّ الحَمَامُ فإِن كَسْرتَ عِيَافَةً ❊ مِن حَائِهِنَّ فإِنَّهُنَّ حِمَامُ

قولُهُ: «أَتَضَعْضعتْ عبراتُ عينِكَ» أَي وَهَتْ، وانحلَّ نِظَامُها.

وقولُهُ: «حِينَ تَضَعْضَعَ الإِظْلَامُ»: أَي حين تَقَوَّضَ إِلا أَقلَّه.

والنَّشِيجُ: البكَاءُ.

وههنا معارضاتٌ ومعارضاتٌ عورضَ بها أَبو تمامٍ في هذه الأَبياتِ، وهي أَنْ قيلَ:

قولُهُ: «أَتضعضعت عبراتُ [٢/١٢٥/ب] عينِكَ» إِنكارٌ على نفسِهِ البكاءَ من أَجلِ دعاءِ حمامةٍ، كأَنَّه يُخَسِّسُ(٢) أَمْرَها، فما وَجهُ قولِهِ: «فإِنهن حِمَامُ» فسهَّل أَمرَها أَولًا، ثمَّ أَعظَمَهُ هذا التعظيمَ آخرًا، هذا عينُ المُنَاقَضةِ.

ثمَّ مَنْ ذا رآه قتلَه بكاءُ الحمامِ حتى يجعلهُنَّ حِمَامًا؟ وزعمَ أَنَّ بكاءَها

(١) شرح الصولي: ٣٧٣/٢، وفيه (أتحدَّرت عبرات....) و(حين تُرقَّع)، وشرح التبريزي: ١٥٢/٣، وفيه (أتصعصعت)، و(وحين تصعصع) بالصاد المهملة. وهي كذلك في النسخة الأندلسية، وقال التبريزي: (تصعصعت) تفرقت، ويقال: صعصع ماله إذا فرقه).

(٢) «ص» (يحسِّنُ) تحريف.

ضَحِكٌ ، والحَمَامُ إِنَّما ينوحُ لفقدِ إِلفِهِ وفِرَاخِهِ فيُطِيلُ الترنُّمَ والنَّوْحَ ، فكيفَ يكونُ ذلك ضَحِكًا أَوْ كالضَّحِكِ ؟

فقيلَ للمعارضينَ: وأَيُّ دليلٍ في [قولِهِ][١]: «أَتضعضعتْ عبراتُ عينِكَ أَنْ[٢] دَعَتْ وَرْقَاءُ» علىٰ أَنَّه خَسَّسَ[٣] أَمر الورقاءِ وهي الحمامةُ ، وحقَّرَهُ حتىٰ يكونَ قوله: فإنهنَّ[٤] حِمامُ نَقْضًا لهذا المعنىٰ .

فقالوا: هذا مذهبٌ من مذاهبِ العربِ معروفٌ في تهوينِ أَمرِ الحمامةِ ، وتعنيفِ مَنْ يبكي لِبُكائِها ، ومن ذلك قولُ البحتريِّ بنِ حذافر الحرشي[٥]:

أَإِنْ غَـــرَّدَتْ يومًـــا بِـــوَادٍ حَمَامَـــةٌ ❊ بَكَيْـتَ ولَـمْ يَعْـذرْكَ بالجهـلِ عَـاذِرُ

فقوله: «أإِن غرَّدت حمامةٌ بكيت» تهوينٌ لأَمرِ الحمامةِ في تغريدِها ، أَي ذلك لا يوجبُ البكاءَ ، وهذه الأَلفُ تسمىٰ أَلفَ التوبيخِ .

ونحوُهُ قولُ ابنُ الدُّمَيْنَةَ[٦]:

أَأَنْ هتَفَتْ وَرْقَاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَىٰ ❊ علَىٰ غُصُـن غَـضِّ النَّبـاتِ مـن الرَّنْـدِ

---

(١) زيادة من: «ل».

(٢) «ص»: (أي) تحريف.

(٣) «ص»: (خسَّ) تحريف.

(٤) «ص»: (كان هذا حمام) تحريف.

(٥) البيت من أبيات رواها له علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري في الحماسة البصرية ٢/٦١٣ ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية ، القاهرة سنة ١٩٨٧ ، وجاء اسمه: بَخْتَرِيّ بن عذافر الجُرَشُّ ، وفيه: أألَن هتفت). والبيت من الطويل. ونسب البيت إلىٰ مجنون ليلىٰ تزيين الأسواق مع جملة أبيات ص٥٩ ، طبع بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣١٩ ، هـ.

(٦) ديوان ابن الدمينة ص٨٥ ، صنعة أبي العباس تغلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق أحمد راتب النافخ ، دار العروبة بمصر سنة ١٩٥٩ ، وفيه: (علىٰ فنن). والبيتان من الطويل.

بكيتَ كما يَبْكِي الوَليدُ ولَمْ تكُنْ ✤ جَلِيدًا وأَبْدَيْتَ الذي لم تكُنْ تُبْدِي

فقالَ: «بكيتَ كما يبكي الوليدُ» يعني الصَّبِيَّ.

ومثلُهُ قولُ الأَحوصِ(١):

أَأَنْ نَادَىٰ هَدِيلًا يومَ فَلْجٍ ✤ مع الإِشْرَاقِ في فَنَنٍ حَمَامُ

ظَلَلْتَ كأَنَّ دمعك دُرُّ سِلْكٍ ✤ هَوَىٰ نَسقًا وأَسْلَمَهُ النِّظَامُ

ونحوُهُ قولُ آخرَ من بني قُشَيْرٍ وأَنشدَه أَبو حاتمٍ(٢):

أَتَجْزَعُ أَنْ وُرْقُ الحمامِ تغرَّدَا ✤ بكَىٰ شجْوَه أَو جَاوَبَ اليومَ هُدْهُدا

ومثلُهُ في أَشعارِهِم [كثيرٌ](٣) موجودٌ.

وإِلىٰ هذا المعنىٰ ذهبَ أَبو تمامٍ في قولِهِ: «أَتضعضعت عبراتُ عينِكَ» كأَنَّه يوبِّخ نفسَه علىٰ البكاءِ من أَجلِ بكاءِ حمامةٍ، ولمَّا قال: «فإِنهنَّ حِمَامُ»، كانت هذه مناقضةً ظاهرةً.

وهذه(٤) ـ لعمري ـ معارضةٌ، غيرَ أَنَّ أَبا تمام قد يجوزُ أَنْ لا يكونَ اعتمدَ تهوينَ أَمرِ الحمامةِ كما اعتمدَ هؤلاءِ الشعراءِ، وأَنْ يكونَ توبيخُهُ(٥) لنفسِهِ ليسَ علىٰ هذا الوجهِ، بل إِنما أَرادَ: لا تبكِ لبكاءِ الحمامِ، فإِنك تسمَعُهُ دائمًا يُغَرِّدُ،

---

(١) شعر الأحوص الأنصاري ص٢٣٦، جمعه وحققه عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٩٠، وفيه: (ذات فلج) والبيتان من الوافر.

(٢) لم أجده فيما بين يديّ من مصادر.

(٣) زيادة من «ل».

(٤) «ص»: (وهذا) تحريف.

(٥) «ص» (توضيحه) تحريف.

فإنْ كنتَ كلَّما سمِعتَه بكيتَ وحزِنتَ طَالَ بكاؤُكَ وحزنُكَ وذلك كما قالَ الآخرُ[1]:

أَأَنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وفارَقَ جِيرَةٌ ❁ وصاحَ غرابُ البَيْنِ أَنْتَ حَزينُ؟

وقد عِيبَ هذا الشاعرُ في هذا المعنىٰ، وقيلَ: إذا كان هذا لا يحزنُ فأَيُّ شيءٍ يحزنُ[2]؟

ولا شكَّ في أَنَّ ظاهرَ هذا القولِ قبيحٌ؛ لمخالفتِهِ ما في عاداتِ الناسِ، إلَّا أَنِّي أَظنُّ هذا الشاعرَ ما ذهبَ في هذا القولِ إلىٰ تهوينِ هذه الأَشياءِ وتحقيرِها، وإنَّما أَرادَ أَنَّ مثل هذا يقعُ دائمًا، فإنْ كانَ كلَّما شاهدته ورأَيته حزنت، طَالَ حزنُك.

وقد قالَ مُرَّةُ النَّهْدِيُّ[3]:

أَأَنْ سَجَعَتْ في بَطْنِ وادٍ حَمَامَةٌ ❁ تُجَاوِبُ أُخْرَىٰ ماءُ عَيْنَيْكَ غَاسِقُ

كأَنَّك لَمْ تَسْمَع بُكاءَ حَمَامَةٍ ❁ بليلٍ ولَمْ يحزنك إِلْفٌ مُفَارِقُ

ولَمْ تر مشغوفًا بشيءٍ تحبُّه ❁ سِوَاكَ ولم يَعْشَقَ كَعِشْقِكَ عاشِقُ[4]

فقال: «أَأَن سَجَعَتْ» يوبِّخُ نفسَهُ علىٰ البكاءِ لبكاءِ حمامةٍ، ولم يذهبْ في

---

(١) البيت لكُثيِّر وهو في ديوانه ص١٧٠، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧١.

(٢) قائلة هذا عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب كما في الموشح للمرزباني ص١٦١، نشر جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.

(٣) الأبيات في أمالي القالي منسوبة إلىٰ القوام بن عقبة بن كعب: ١٦٦/١.
وفي حماسة ابن الشجري نسب الأبيات إلىٰ الصمة القشيري ص٥٩٧ وهما في ديوان قيس بن الملوح ص٩٧، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٩. وفي «ص»: (عاشق).

(٤) «ص»: (لعشقك).

ذلك إِلىٰ تَخْسِيسِ أَمرِها، بل إِلىٰ ما قدْ دَلَّ عليهِ [قولُهُ][1]: «كأَنَّكَ لم تسمعْ بكاءَ حمامةٍ»، أَي قد حزنتَ لذلك كثيرًا، وبليتَ للحزنِ علىٰ مفارقةِ الإِلفِ دائمًا، ورأَيتَ[2] مَنْ حالُهُ كحالكِ أَبدًا، فينبغي أَنْ تُقْصِر.

فكذلك هؤلاءِ الشعراءِ في الأَبياتِ المتقدمةِ جائزٌ أَنْ لا يكونوا هَوَّنُوا أَمْرَ الحمامةِ، إِنْ كانوا اعتمدوه، علىٰ أَنَّه هيِّنٌ عندَهم وعلىٰ الحقيقةِ إِنَّما ذهبوا في ذلك إِلَىٰ أَن يَرْدَعُوا نُفُوسهم عن البكاء، فغيرُ منكرٍ مِمَّن أَرادَ أَنْ يردعَ نفسَهُ عن شيءٍ أَن يُهَوِّنَ السَّبَبَ الجالبَ لذلك[3] الشيءِ ويُحَقِّرَه، وإِنْ كانَ عظيمًا.

غيرَ أَنَّ أَبَا تمامٍ أَوقعَ التوبيخَ علىٰ نفسِهِ كما فعلوا، وذهبوا إِلىٰ تهوينِ أَمرِ الحمامةِ، وذهبَ هو إِلىٰ تعظيمِهِ في قوله: «فإِنَّهُنَّ حِمامُ»، فوافقهم في التوبيخ، وخالَفَهُمْ في المعنىٰ، كقائلٍ قال لرجلٍ: أَمِثْلُكَ يُسامي عَمْرًا؟

ويقولُ لَهُ قائلٌ آخرُ كهذا القولِ سواءً، [١٢٧/٢/أ] ويكونُ أَحدُهما مُصَغِّرًا [له][4] عن مُسَامَاةِ عمرٍو، والآخرُ مُكَبِّرًا معظمًا، فيستويان في اللفظِ، ويختلفانِ في المعنىٰ.

وقد تقدَّم الناسُ أَبَا تمامٍ في مثل قولِهِ: «فإِنَّهُنَّ حِمَامُ»، وقد ذكرُوا أَنَّ تَغْرِيدَ الحمامِ يُبْلِي، ويُميتُ، ويَقتل، وهو المذهبُ الأَعمُّ الأَكثرُ فمن ذلك قولُ «نُصَيْبٍ»[5]:

---

(١) الزيادة من «ل».

(٢) (ورأيت) مستدركة في هامش «ص».

(٣) «ص»: (إلىٰ ذلك).

(٤) «ص» (مصعدا عن).

(٥) شعر نصيب بن رباح ص١٣٠، جمع د. داود سلوم، بغداد سنة ١٩٦٧. والشاعر هو نصيب بن رباح ويكنى أبا الحجناء، ولد في خلافة معاوية وعاصر عبد الملك بن مروان، وكان شاعرًا فحلًا=

مُحَـلَّاةُ طَـوْقٍ كَـانَ مِـنْ غَيْـرِ شـرْبَةٍ ✤ بمـالٍ ولَـمْ تَغْـرَمْ لَـهُ جُعْـلَ دِرْهَـمِ
أَمَـوتُ لتبْكَاهـا أَسًـىٰ إِنَّ عَـوْلَتِي ✤ وَوَجْدِي بِسُعْدَىٰ شَجْوُه غَيْرَ مُنْجِمِ[1]

وقالَ [آخرُ][2]:

أَلَا يَـا حَمَامَـاتِ اللِّـوَىٰ عُـدْنَ عَـوْدَةٍ ✤ فَـإِنِّي إِلَـىٰ أَصْـوَاتِكُنَّ حَـزِينُ
فَعُـدْنَ فَلَمَّـا عُـدْنَ كِـدْنَ يُمِتْنَنِـي ✤ وكِـدْتُ بِـأَحْزَانِي لَهُـنَّ أُبِـينُ

[وقالَ آخرُ[3]:

وهَيَّجَتني فاهْتَجْتُ للشَّوْقِ والصِّبَا ✤ مُطَوَّقَـةٌ خَطْبَـاءُ عَـالٍ رَنِينُهـا
تَمـوتُ لهـا نَفْـسُ الحـزينِ صَـبَابَةً ✤ إِذا مَا دَعَتْ وَهْنًا وغَنَّتْ غُنُونُها][4]

وقالَ [آخرُ][5]:

أَلا يَا حَمَامَ الشِّعْبِ من غَيْضَةِ اللِّوَىٰ ✤ رِدِي الماءَ لا تُؤْخَذْ عَلَيْكِ الكَظَائِمُ
حَمَـائِمُ قَـدْ أَبْلَيْنَنِـي وقَتَلْنَنـي ✤ كأَنْ لَـمْ يَهِـمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ هَائِمُ

وذكرَ هذا أنهنَّ[6] أَبْلَيْنَه وقَتَلْنَهُ فما وجهُ الإِنكارِ على أَبي تمامٍ قوله: «فإنهن حمام»؟

= فصيحًا مقدمًا في النسيب والمديح، ولم يكن له حظ في الهجاء، توفي سنة ١٠٨هـ. (الأغاني د. إحسان عباس: ١/٢١٤).

(١) «ص» (شجو).

(٢) الزيادة من «ل».

(٣) يُروىٰ البيتان لابن الدمينة، وهما في ديوانه: ص٣٩، ولمجنون ليلىٰ، ديوانه: ص ٩٢.

(٤) لم أجدهما فيما بين يدي من مصادر.

(٥) زيادة من «ل».

(٦) «ص»: (أنه) تحريف.

فإنْ قيلَ: إنَّما أَرادَ هؤلاءِ الشعراءُ إماتةَ الحبِّ، وقتلَ الحبِّ الذي هو التذليلُ والتَّتيمُ، ولم يريدوا القتلَ الذي هو الإتيانُ على النفسِ، ولا الموتَ [٢/١٢٧/ب] الوَحِيَّ [والحِمَام][١] ليس من هذا في شيءٍ؛ وإنما قَدَرُ المَوْتِ المَقْدُورِ، وقضاؤُهُ المَحْتومِ، يقال: قد حُمَّ الأمرُ إذا قضى وقُدِّر، قالَ «الراعي»[٢]:

وما حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ

قيلَ: إذا اسْتُعْمِلَ الموتُ على المجازِ فقضاءُ الموتِ وقدرُهُ أَيضًا يُستعملُ على المجازِ؛ لأنَّك إذا قلتَ على المجازِ: في هذا[٣] الأَمر إذا ارتكبته قَتْلى، أو مَوْتى قلتَ أَيضًا على المجازِ: في هذا الأَمرِ حِمَامِي، وقد ذُكِر الحِمَامُ على الوجهِ كما ذُكِر الموتُ والقتلُ، فقال [الفزاريُّ[٤]:

وأَوْرَدَنِي يوم العذيب حِمَامِي[٥]

ولم يمتْ يومَ العذيبِ، ومثلُه كثيرٌ موجودٌ].

وأَمَّا إنكارُهم قولَه[٦]: «فإِنَّ بكاءَها ضحكٌ» وقولَهم: إِنَّ الحمامةَ تُغَرِّدُ لفقدِ إِلفِها وفرخِها، وتُكْثِرُ النَّوْحَ عليهِمَا، فكيفَ يكونُ ذلك ضحكًا؟

فالجوابُ عن هذا: أَنَّ ذلك التغريدَ قد يُسْمَعُ مِنْها وإِلفُها مَعَها، وتفعَلُه وهي

---

(١) زيادة من «ل».

(٢) ديوان الراعي النميري ص١٠٠، جمعه وحققه راينهرت فايبرت، المعهد الألماني، بيروت سنة ١٩٨٠، وصدره: تغير قومي ولا أسخر
والبيت من المتقارب.

(٣) (هذا) مستدركة في هامش: «ص».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) الزيادة من «ل».

(٦) «ص»: (قولهم) تحريف.

في عُشِّها مع فَرْخِها، والمشاهدةُ لهذا أَكثرُ وأَعمُّ، ويسمىٰ ذلك التغريدُ نَوْحًا؛ أَلا تَرىٰ إلىٰ قولِ الشاعر[1]:

أَلَا يـا حَمَـامَ الأَيْـكِ إِلْفُـكَ حَاضِـرٌ ❊ وغُصْـــنُكَ مَيَّـــادٌ فَفِـــيمَ تَنُـــوحُ
وَناحَـتْ وَفَرْخَاهَـا بِحَيْـثُ تَرَاهُمَـا ❊ ومِـــنْ دُونِ أَفْرَاخِـــي مَهَامِـــهُ فِـــيحُ

ولهذا قالَ وَرْدُ بن الجَعْدِ[2]:

أَحقًّـــا يَـــا حَمَامَـــةَ بَطْـــن وَادٍ ❊ بأَنَّـــك فـــي بكائِـــك تَصْـــدُقِينَا[3]
غَلَبْتُـــك فـــي البكـــاءِ بـــأَنَّ لَيْلِـــي ❊ أُوَاصِـــلُهُ وأَنَّـــك تَهْجَعِينَـــا[4]
وأَنِّي إِنْ بكيتُ بكيتُ حقًّا ❊ وأَنَّـــك فـــي بكائِـــكِ تَكْـــذِبِينَا [١٢٨/٢/أ]

فمن ههنا قالَ أَبو تمامٍ: «لا تَنْشجَنَّ لها فإِنَّ بَكاءَها ضَحِكٌ»، أَي ليسَ هناك بكاءٌ علىٰ الحقيقةِ، ولا حزنٌ علىٰ الصِّحةِ، وإِنَّما يشجوكَ تغريدُها لأَنَّ لها تَلْحينًا وتَرْجِيعًا كأَنَّه صوتُ نائحٍ؛ ومن أَجل ذلك ادَّعَتْ الأَعرابُ أَن فرْخَ حمام كانَ علىٰ عهدِ نوحٍ يقالُ له[5] الهديلُ صادَهُ بعض جوارحِ الطيرِ، فيزعمونَ أَنَّه ما من حمامةٍ إِلا وهي تبكي عليهِ، وهذا من خرافاتِ الأَعرابِ، وإِنما قالوا ذلك لِما

---

(١) نسبهما مع أبيات صاحب التذكرة الحمدونية إلىٰ أبي كبير الهذلي ١٤٥/٨، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت سنة ١٩٩٠.
والبيت الأول في زيادات شعر أبي كبير الهذلي، شرح ديوان الهذليين ١٣٣٤/٣.
والبيت الأول في الكامل منسوبًا إلىٰ عوف بن محلم، ص ١٠.
وانظر هامشه والبيتان في سمط اللآلي لابن محلم، ص ٣٧٢. والبيتان من الطويل.

(٢) الأبيات في ديوان عروة بن حزام ص٣٣، جمع وتحقيق أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت سنة ١٩٩٥، وفيه: (بطن وج)، (بهذا النوح أنك)، والأبيات من الوافر.

(٣) ديوان عروة: (بالبكاء لأن...).

(٤) «ص»: (فإني وإن...).

(٥) «ص»: (يقال لها).

رأَوا الحمام علىٰ كلِّ حالٍ يُغرِّدُ هذا التغريدَ الشَّجِيَّ فسموه نوحًا وبكاءً [واحتراقًا] واخترعوا له هذا الحديثَ، وذكروه في أَشعارِهم.

فمن ذلك قولُ الكُمَيْتِ(١):

وَمَـا مَـنْ تَهْتِفِـينَ لَـهُ بِنَصْـرٍ ❁ بِـأَقْرَب جَابَـةً لَـكِ مِـنْ هَـدِيلِ

وقالَ نُصَيْبٌ(٢):

فَقُلْـتُ: أَتَبْكِـي ذَاتُ طَـوْقٍ تَـذَكَّرَتْ ❁ هَـدِيلًا وقَـدْ أَوْدىٰ وَمَـا كَـانَ تُبَّـعُ

أَي أَودىٰ قبل تُبَّعٍ.

وقالَ نُصَيبٌ أَيضًا(٣):

هَتُوفُ الضُّحَىٰ وَرْقَاءُ يُذْكِرُكَ الهَوَىٰ ❁ بُكاهَـا هَـدِيلًا شَـجْوهُ حِـين تَهْتِـفُ

وقولُه: شجوه أَي بشجوه.

وقالَ آخرُ(٤): [١٢٨/٢/ب]

أَيَبْكِـي هَـدِيلًا بالعَشِـيِّ وبالضُّـحَىٰ ❁ عَلَـىٰ الطَّلْحِ قُمْرِيّ الحَمَـامِ الْمُغَـرِّدِ

وقالَ آخرُ(٥):

إِنِّـي تُـذَكِّرُنِي سَـلْمَىٰ مُطَوَّقَـةٌ ❁ تَـدْعُو هَـدِيلًا علـىٰ أَفْنَـانِ أَغْصَـانِ

---

(١) ديوانه ص٣٥٨، جمع وشرح د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، سنة ٢٠٠٠.

(٢) شعر نصيب بن رباح ص١٠٢، جمع د. داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد سنة ١٩٩٧، والبيت من الطويل.

(٣) شعر نصيب، ص١٠٦، وفيه: (شجوها)، والبيت في الطويل.

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مصادر. والبيت من الطويل.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مصادر. والبيت من البسيط.

ومثلُ هذا كثيرٌ في أَشعارِهم جدًّا، ولا يكادونَ يخرجونَ في نوحِ الحمامِ عن أَنْ يجعلوه على الفرخِ القديمِ، أَو على إلفٍ مُفَارِقٍ؛ وذلك لرقَّة تغريدِها، وشدَّةِ تَشَوُّقِ مَنْ يَسْمَعُ ذلك إلى إِلفِهِ، قال رجلٌ من بني نهشلٍ[1]:

أَيبكي حمامُ الأَيكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ ❁ [وأَصبرُ عنها إِنَّني لَصَبُورُ

وقالَ جميلٌ][2]:

أَيبكي حَمامُ الأَيكِ من أَجل إِلفه ❁ وأَصْبِرُ مَالِي عن بُثَيْنَةَ مِنْ صَبْرِ

وقالَ آخرُ[3]:

أَلا يا حَمَامَ الأَيْك مالَكَ بَاكيًا ❁ أَفَارَقْتَ إِلْفًا أَمْ جَفَاكَ حَبيبُ

ومعَ هذا فقد جعلوا تغريدَها أَيضًا غِناءً، لأَنَّ من الغناءِ ما يَشْجُوكَ فيحزنُك، ومنه ما يَسُرُّكَ فيطربُك، ولهذا مَا جَعَلُوا نَوْحَ الحمامِ تفجُّعًا، وسمَّوْهُ غناءً، وبكاءً في حالٍ واحدةٍ، ومنه قولُ الأَحْوَصِ[4]:

أَهَاجَ لَكَ الصَّبَابَةَ أَنْ تَغَنَّتْ ❁ مُطَوَّقَةٌ عَلَى فَنَنٍ بَكُورُ
تَفَجَّعُ فَوْقَ غُصُنٍ مِنْ أَرَاكٍ ❁ وتَحْتَ لَبَانِهَا فَنَنٌ نَضِيرُ

---

(١) الأمالي للقالي: ١/١٦٦، والتذكرة الحمدونية: ٦/٩٥، غير منسوب فيهما، وقبله بيت آخر وهو قوله:

أَلامُ على فيض الدموع وإنني ❁ بفيض الدموع الجاريات جديرُ

(٢) الزيادة من: «ل». والبيت في ديوان جميل بثنية، دار صادر، بيروت ص ٥٨.

(٣) البيت لقيس بن الملوح (مجنون ليلى)، وهو في ديوانه، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، ص ٤٨. وفيه: (فقلت حمامَ الأيك...) والبيت من الطويل.

(٤) شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق د. عادل سليمان، مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٩٠، ص١٦١. والبيتان من الوافر.

فجعلَ غناءَها تَفَجُّعًا.

وقالَ عليُّ بنُ عُمَيْرَةَ الجَرْمِي(١): [١٢٩/٢/أ]

لقد هَاجَ ذكري أُمْ عَمْرٍو حَمَامَةٌ ❊ بنعْمَانَ غَنَّتْنَا غِنَاءً مُرَجَّعَا

بَكَتْ سَاقَ حُرٍّ بالمَراوِيح وانْتَحَتْ ❊ بها الريح في وَادٍ أَرَاضَ وأَمْرَعَا

فقالَ غَنَّتْنَا ثمَّ قالَ: بكتْ ساقَ حُرٍّ، فجعلَ غناءَها بكاءً.

وقالَ آخرُ(٢):

تَغَنَّتْ بِرَأْدٍ مِنْ ضُحَاهَا فأَسْمَعَتْ ❊ أَخَا طَرَبٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَوَاذِلُهْ

إذا سَجَعَتْ كَرَّتْ بِجَرْسٍ كأَنَّهُ ❊ وَتحوُّبُ ثكْلَى زايَلَتْ مَنْ تُزَايِلُهْ(٣)

فجعلَ بكاءَها كَتَحَوُّبِ ثكلى.

وقالَ النَّابغةُ(٤):

بكاءَ حَمامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً ❊ مُفَجَّعَةٍ علَى فَنَنٍ تُغَنِّي

فجعلَها باكيةً، مفجَّعةً، مُغَنِّيَةً.

وقال نُصَيْبٌ(٥):

لقد كِدْتَ تَبْكِي أَنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ ❊ علَى رَأْدَةِ الأَفْنَانِ نَاعِمَةِ الأَصْلِ

---

(١) لم أجدهما فيما بين يدي من مصادر. والبيتان من الطويل.

(٢) لم أجدهما فيما بين يدي من مصادر، وقال الشيخ السيد صقر: الردأ: رونق الضحى.

(٣) قال الشيخ السيد صقر: الجرس الصوت، والتحوُّب البكاء في جزع، وزايلت: فارقت، والبيتان من الطويل.

(٤) ديوانه: ص١٢٥، والبيت من الوافر.

(٥) شعر نصيب: ص ١١٩.

تَهُـزُّ بِهـا الـرِّيحُ الضَّـعِيفَةُ غُصْـنَها ❊ مِـرَارًا فَتُـدْنِي فَرْعَـهُ ثـم تَسْـتَعْلِي[1]
بِهَاتِفَـــةٍ لَا تَبْـــرَحُ الـــدَّهْرَ وَالِهًـــا ❊ علىٰ إِثْـر إِلْـفٍ أَوْ تَنُـوحُ عَلَـىٰ شَـكْلِ

فقالَ: تغَنَّتْ، ثم جعلَها وَالِهًا، ونائحةً علىٰ شكلٍ، أَي علىٰ شبهٍ ومثلٍ[2].

وقالَ نُصَيْبٌ[3]:

وقـد هَـاجَنِي للشَّـوْقِ نَـوْحُ حَمَامَـةٍ ❊ هَتُوفِ الضُّحَىٰ هاجَتْ حَمَامًا فَغَرَّدَا
طَرُوبٍ غَدَتْ مِنْ حَيْثُ بَانَتْ فَبَاكَرَتْ ❊ بِعَوْلَتِهـا غُصْـنًا مِـنَ الأَثْـلِ أَغْيَـدَا
تَغَنَّـــت عليـــهِ ذاتُ شَـــجْوٍ مُرِنَّـــةٌ ❊ بِصَـوْتٍ يَشُـوقُ المُسْـتَهَامَ المُصَـيَّدَا

[٢/١٢٩/ب] فقال: هاجني نَوْحُ حمامة، ثم قال: تَغَنَّتْ.

وقالَ نُصَيْبٌ أَيضًا[4]:

لعلَّـــكَ بـــاكٍ أَنْ تَغَنَّـــتَ حمامـــةٌ ❊ يَمِيـدُ بهـا غُصْـنٌ مـن الـريحِ مَائِـلُ
من الوُرْقِ يَدْعُوها إِلىٰ شَجْوِها الضُّحَىٰ ❊ فَتَبْكِـي وتُبْكـي حِينَ تَـدْنُو الأَصَـائِلُ

فجعلَها باكيةً مُغَنِّيَةً.

ومثلُه قولُ ابنِ مَيَّادَةَ[5]:

---

(١) ديوان (فتدنى فرعها).

(٢) إلىٰ هنا تنتهي مخطوطة «ل» وهي المنسوبة خطأ لابن الأثير.

(٣) شعر نصيب: ص ٨٥.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٦، والبيتان من الطويل.

(٥) شعر ابن ميادة: ص١٨٥، جمعه وحققه د. حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٢، والبيتان من الطويل.

يُـذَكِّرنيها أَنْ تَغَنَّـتْ حَمَـائِمٌ ❖ لهـنَّ علىٰ خُضْرِ العِضَاهِ عَوِيـلُ(١)

تَجـاوَبْنَ فـي حَـدِّ النهـارِ بعَوْلَـةٍ ❖ وأُخْرىٰ تُوَافي الشمسَ كُلَّ أَصِيلِ(٢)

وقالَ عُمَرُ بن أَبي رَبِيعَةَ(٣):

أُدْمُ الظِّبَـاءِ بـه تَـرَنَّمُ سُـنَّحا ❖ وبكـاءُ نائحـة بـه تتـرنَّمُ(٤)

غَنَّتْ عَلَىٰ فَنَنٍ فأَسْعَدَ شَجْوَهَا ❖ وُرْقٌ أَجَبْنَ كَمَا اسْتَجَابَ المأْتَمُ(٥)

وقالَ رجلٌ من بني نضرِ بن معاويةَ(٦):

أَهَـاجَ لـك الأَحـزانَ نَـوْحُ حمامـةٍ ❖ تغنَّتْ بليـلٍ فـي ذَرَىٰ نـاعِمٍ نَضْـرِ

فقالَ: نوحُ حمامةٍ، ثم قال: تغنَّتْ.

وقالَ سعدُ بنُ الجَرَّاحِ بنِ سفيانَ بنِ صامتٍ الحارثيُّ(٧):

وحمامـةٍ أَوْفَـتْ بأَخْضَـرَ نَـاعِمٍ ❖ تبكـي علىٰ غصـنٍ مـن الأَغْصـانِ

عـرفَ الحَمـامُ لهـا الغِنـاءَ فرَنَّمَـتْ ❖ فاعتـادني نُكْـسٌ مـن الأَحـزانِ

وقال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ(٨): [١٣٠/٢/أ]

---

(١) ديوانه: (غصن العضاه).

(٢) البيت فيه إقواء. وهو اختلاف حركة الروي.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٨٩، دار القلم، بيروت، والبيتان من الكامل.

(٤) في الديوان:

أدم الظبـاء بـه تراعـي خلفـة ❖ وسـخالها فـي رسـمه تتـبغَّمُ

(٥) في الديوان: (غرِدَتْ علىٰ)، (يجبن).

(٦) لم أعرفه ولم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٧) لم أخرجه ولم أجد البيتين فيما بين يدي من مصادر. والبيتان من الكامل.

(٨) ديوانه ص٣٧٩، ٣٨٠، جمعه وحققه د. محمد شفيق البيطار، هيئة أبو ظبي للثقافة، سنة ٢٠١٠=

فأَوْفَتْ علىٰ غُصْنٍ ضُحَيًّا فَلَمْ تَدَعِ ❁ لباكيـــةٍ فـــي شَـــجْوِها مُتَلَوَّمَـــا
تغنـــي إِذا غَنَّـــتْ بـــأَجْزَاع بِيشَـــةٍ ❁ أَو الرَّضْـمِ مـن تَثْلِيـث أَوْ يَبَنْبَمَـا[1]

وقالَ أبو شيبةَ الجرميُّ[2]:

ألا قَاتَـــلَ اللهُ الحمامـــةَ غُـــدْوةً ❁ علىٰ الغُصْنِ ماذا هيَّجَتْ حين غَنَّتِ
تَعَلَّـتْ عَلَـى الأَفْنَـانِ فـي تلـع الضُّـحَا ❁ فهَاجـت حَزِينًـا بالبكـاءِ ووَلَّـتِ

وقالَ يزيدُ بنُ عمَّارٍ الهِلَالِيُّ[3]:

وذات فَـرْخيْن غنَّـتَ فـي مُسَـوَّقَةٍ ❁ عَجْمَـاءَ مُعْرِبَـةٍ مـا ضَـرَّها العَجَـمُ
بكت فأَبْكَتْ مَرِيضَ القلبِ ذَا شَجَنٍ ❁ ولَـيْس يجـري لهـا دَمْـعٌ فَيَنْسَـجِمُ

وقال أَبو مَخْلَدٍ الرَّاسِبِيُّ[4]:

ولكنَّهـا لـم تُـذْرِ دَمْعًـا وقـد بَكَـتْ ❁ وعَيْنُـك تُـذْرِي الـدَّمْعَ سَحًّا شُئُونُها

وقالَ رجلٌ من ولدِ سالمِ بنِ مالكٍ الثَّقَفِيِّ[5]:

= والبيتان من الطويل.

(١) الديوان: (إذا شئت غنتني)، (أو الجزع)، والرضم: دون الهضاب، أو صخور بعضها فوق بعض (اللسان رضم). وتثليث: أرض شجرية، وهو واد بنجد، على ثلاث مراحل من نجران إلىٰ ناحية الشمال. (معجم ما استعجم للبكري، ص ٣٨٧. ويبنبم: واد كبير قبل تثليث، واستشهد البدري ببيت حميد. معجم ما استعجم ص١٣٨٧).

(٢) لم أعرف الشاعر، والبيت الأول في قصيدة لابن الدمينة ديوانه: ص٢٠٢، وهو أيضًا منسوب لمجنون ليلىٰ في ديوانه: ص٦٩، لم أجد البيت الثاني فيما بين يدي من مصادر. والبيتان من الطويل.

(٣) لم أجد البيتين فيما بين يدي من مصادر، وهما من البسيط.

(٤) لم أجده ولم أعرف قائله. والبيت من الطويل.

(٥) لم أجده ولم أعرف قائلهما. والبيتان من الطويل.

ويوم اللِّوَىٰ أَجْرَىٰ دُمُوعَك إِذْ دَعَتْ ❊ حَمَـائِمُ فِـي فَـيْءِ الأَرَاكِ صَـوَائِحُ
حَـوَائِمُ مـا تُـذْرِي الـدُّمُوعَ إِذا بَكَـتْ ❊ وَهُــنَّ بأَســرارِ الــدُّموعِ بَــوَائِحُ

وقالَ حَرْبُ بنُ الحَكَمِ بنِ المُنْذِرِ بنِ الجَارُودِ[1]:

وقبْلِـيَ أَبْكَـىٰ كُـلَّ مَـنْ كَـانَ بَاكِيًـا ❊ هَتُــوفُ البَــواكِي والـدِّيارُ البَلاقِـعُ
بواكٍ علىٰ الأَطلال من كلِّ جانبٍ ❊ نـوائحَ مـا تخضـلُّ منهـا المـدامعُ[2]

وقالَ عليُّ بنُ عَمْرَةَ الجرْميُّ[3]:

هَتُوفُ الضُّحَىٰ مَعْرُوفَةُ اللَّحْنِ لم تَزَلْ ❊ تَقُـودُ الهَـوَىٰ مُهْـدًىٰ لَنَـا ونَقُودُهـا[4]
جَـزُوعٌ جَمُـودُ العَـيْنِ دائمـةُ البُكَـا ❊ وكَيْـفَ بَكَـا ذِي مُقْلَـةٍ وجُمُودُهـا[5]
مطوَّقـةٌ لـم يَضْـرِبِ القَـيْنُ فِضَّـةً ❊ عليها ولم يَعْطَلِ من الحَلْىٰ جِيدُها[6]

فهذا ما عليهِ العربُ وغيرُهم في أَنَّ الحمامَ وغيرَه من الطيرِ لا دموعَ لها.

وقالَ رباحُ العُقَيْلِيُّ فجعلَ لها دموعًا وذلك سهوٌ منهُ أَو جهلٌ، وأَنشدَه

(١) قال عنه الجاحظ في البيان والتبيين (أنه كان يتغنَّىٰ ويتشيع وذكر له بيتين في ذلك، ٣/٣٦٥). البيتان مع ثلاثة أخرىٰ رويت لأعرابي في زهر الآداب للقيراني ٢/١٤١، مع محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٢/٦٥، وهما من الطويل.

(٢) في محاضرات الأدباء: (ومر علىٰ الأطلال)، زهر الآداب: (وهن علىٰ الأطلال).

(٣) أولهما ثاني اثنين في أمالي القالي: ١/٢٦، والثاني والثالث زادهما البكري: ص١٩. وعزا الثلاثة إلىٰ علي بن عميرة الجرمي، والأبيات في الأضداد لابن الأنباري ص٢٤١، والزهرة ص٣٣٢. والثلاثة معزوة إلىٰ مجاشع الجرمي في الأشباه والنظائر للخالدين: ٢/٣١٩.

(٤) الزهرة: (صدوح الضحىٰ هيَّاجة اللحن)، (قيود الهوىٰ تهدي لها وتقودها) الأشباه والنظائر: (صدوح الضحىٰ معروفة اللحن من نجوها ويقودها).

(٥) الأشباه والنظائر: (فهي عبرة).

(٦) الزهرة: (لم تطرب العين)، الأشباه والنظائر، (من الطوق جيدها). والأبيات من الطويل.

أَبو حاتمٍ[1]:

وما هاجَ لي إلَّا عَشِيَّةَ واسِطٍ ❊ حَمَائمُ غِيطَانِ الأَرَاكِ وُقُوعُ
تَجَاوَبْنَ في أَطْلالِ أَفْنَانِ أَثْلَةٍ ❊ بِمُغْرَوْرِقَاتٍ فَيْضُهُنَّ دُمُوعُ[2]
وإِنِّي لأَرْعَىٰ السِّرَّ مِنْ أُمِّ عَاصِمٍ ❊ ولستُ لِعَهْدٍ صَالحٍ بِمُضِيعِ[3]

فقالَ: «بمغرورقات تفيض منهن الدموع».

وقالَ آخرُ[4]:

فَعُدْنَ بِقَرْقَارِ الهَديرِ كأَنَّمَا ❊ شَرِبْنَ حُمَيًّا أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا ❊ بَكَيْنَ فَلَمْ تَقْطُرْ لَهُنَّ جُفُونُ[5]

وهذا قد أَفصحَ ـ كما ترىٰ ـ بأَنَّ كُلَّ حمامٍ رآه يبكي قبلَ هذه الحمائمِ [١٣١/٢/أ] رأىٰ له دموعًا، وهذا محضُ الجهلِ، وأَظنُّه أَرادَ أَنْ يقولَ:

فلم ترَ عيني قبلهن بواكيًا، فقال حمائمًا كما قال جَهْمُ بن خَلَفٍ[6]:

فَلَمْ أَرَ بَاكيةً مثلها ❊ تُبَكِّي ودَمْعَتُها مَا تُرَىٰ

لم يردْ باكيةً من الحمامِ، ولا من الطيرِ، وإِنَّما أَرادَ باكيةً من الإِنسِ مفجَّعةً

---

(١) لم أعرفه ولم أجد الأبيات فيما بين يدي من مصادر، وهي من الطويل.
(٢) «ص»: (فضهنَّ).
(٣) البيت فيه (إقواء).
(٤) البيتان لابن الدمينة، وهما في ديوانه ص٣٩، تحقيق أحمد راتب النفاخ، دار العروبة بالقاهرة، والبيتان من الطويل.
(٥) ديوانه: (ولم تدمع).
(٦) البيت في الحيوان لجهم بن خلف من قصيدة في عشرة أبيات، ١٩٩/٣، والزيادة والتصحيح منه. وانظر الأشباه والنظائر ٣١٧/٢، والقصيدة منسوبة فيه إلىٰ أبي صفوان الأسدي، وانظر تخريجها في الهامش. والبيت من المتقارب.

مثلَ هذه الحمامةَ، واللهُ أَعلمُ.

وهذا الفصلُ ليسَ من الاحتجاجِ لأَبي تمامٍ في أَبياتِهِ، وقد كانَ يجوزُ أَنْ أَتعدَّاهُ، وأَقتصرَ[1] أيضًا على بعضِ الشواهدِ التي تقدَّمَتْهُ، ولكن وجدتُ ذلك متمِّمًا للبابِ فأَوردتُه.

وقالَ أَبو تمامٍ[2]:

لَئِنْ أَرْقَأَ الدَّمْعَ العيونُ وقَدْ جَرَىٰ ✤ لَقَدْ رَوِيَتْ مِنْهُ خُدُودٌ نَوَاعِمُ
كَمَا كَادَ يَنْسَىٰ عَهْدَ ظَمْيَاءَ باللِّوَىٰ ✤ ولكِنْ أَمَلَّتْهُ عليهِ الحَمَائِمُ[3]
بَعَثْنَ الهَوَىٰ في قلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمًا ✤ فَقُلْ في فؤادٍ رُعْنَهُ وهْوَ هَائِمُ
لها نَغَمٌ لَيْسَتْ دُموعًا فإِن جَرَتْ ✤ مَضَتْ حَيْثُ لا تَمْضِي الدُّمُوعُ السواجمُ[4]

قوله: «لَئِنْ أَرْقَأَ الدَّمْعَ العيونُ وقَدْ جَرَىٰ»، يريدُ لئن قَطَعَتْ العيونُ التي ترقُبُني دمعي وقد جرىٰ، أَيْ حالَ جَرْيِهِ، لقد رَوِيَتْ منه خدودُ أَحبابي.

وهذه حالٌ مفهومةٌ معلومةٌ قلَّما يخلو منها [أَحدٌ] وهو أَنْ يدورَ الدمعُ في مآقِهِ، ويستحي أَن يُرَىٰ باكيًا، فيكفَّ العبرةَ ويردَّها.

ولم يُوَضِّحْ المعنىٰ ويلخِّصْهُ.

والجيدُ النادرُ، واللفظُ الحسنُ، والعبارةُ الصحيحةُ قولُ البحتريِّ[5]:

---

(١) «ص»، «ر»: (وأقتصره) تحريف.
(٢) شرح الصولي: ٣٨٥/٢، شرح التبريزي: ١٧٦/٣.
(٣) عند الصولي والتبريزي: (لقد كاد).
(٤) عند الصولي والتبريزي: (فإن علت).
(٥) ديوانه: ١٨٢٣/٣، وفيه: (لا يفيض ولا يسيل). والبيت من الوافر.

[١٣١/٢/ب] نَهتْهُ رِقْبَةُ الوَاشِينَ حتَّىٰ ❊ تَعَلَّقَ ما يَغِيضُ وما يَسِيلُ

ومثلُ هذا لا يكونُ مسروقًا ؛ لأنَّه جارٍ علىٰ عاداتِ الناسِ ، مشاهدٌ معلومٌ ، وما علمتُ أَحدًا نَظَمَهُ نظمَ البحتريِّ.

والجيِّدُ الحسنُ أَيضًا لفظًا ومعنىٰ قولُه[١]:

ما لِخُضْرٍ يَنُحْنَ في قُضُبِ الخُضْـ ❊ ـرِ عَلَىٰ كلِّ صاحبٍ مفقودِ[٢]

عَاطِلَاتٍ بَلْ حَاليَاتٍ يُرَدِّدْ ❊ نَ الشَّجَا في قَلَائِدٍ وعُقُودِ

زِدْنَنِي صَبْوَةً وَذَكَّرْنَنِي عَهْـ ❊ ـدًا قَدِيمًا من ناقضٍ للعهودِ

ما يُرِيد الحمَامُ في كلِّ وادٍ ❊ مِنْ عَمِيدٍ صَبٍّ بِغَيْرِ عَمِيدِ

كُلَّمَا أُخْمِدَت لَهُ نَارُ شَوْقٍ ❊ هِجْنَهَا بالبكاءِ والتَّغْرِيدِ

قوله: «عاطلاتٍ بل حالياتٍ» ، يريدُ أَطْوَاقَ الحمامِ ، هو لها [كالحليِّ][٣] ، وهنَّ منه عواطلُ.

وما قالَ أَحدٌ في هذا المعنىٰ أَحسنَ ولا أَبرعَ ولا أَحلىٰ من قولِ أمية بن أَبِي الصَّلْتِ في حمامة نوحٍ ، وأنشدناه أبو الحسين علي بن العباس النوبختي عن ثعلب ، وكان يستحسنه ، ويعجب منه[٤]:

فلما فرسوا الآياتِ صاغُوا ❊ لها طوْقًا كما عُقِدَ السِّخَابُ[٥]

---

(١) ديوانه: ٦٣٢/١ ، والأبيات من الخفيف.

(٢) ديوانه: (بالخضر ينحن في القضب..).

(٣) «ص»: بالحلىٰ ، والتصحيح من «ر».

(٤) ديوانه: ص٢٥ ، جمع وتحقيق سجيح جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت سنة ١٩٩٨. والبيتان من الوافر. وانظر هامشه.

(٥) فرسوا: صاغوا ، السخاب: القلادة.
وفي «ص»: فرشوا: تصحيف.

تُوَرِّثُـــــه إِذا مَاتَـــــتْ بَنِيهـــــا ✤ وإِن تُقْتَـلْ فلَـيْسَ لهـا اسْـتِلَابُ[1]

وقولُ البحتريِّ: «يُرَدِّدْنَ الشجا في قلائدٍ وعُقُودِ» حسنٌ؛ لأَنَّ الباكيةَ الحزينةَ ذاتَ [١٣٢/٢/أ] الشجوِ لا تلبسُ الحليَّ، وإِنْ كانَ عليها تَسَلَّبَتْ منه.

وأَحسنُ منه قولُ الآخرِ[2]:

مُطَوَّقَـــةٌ تُبْكِـــي ولَـــمْ أَرَ بَاكِيًـــا ✤ بَـدَا مـا بَـدَا مِـنْ شَـجْوها لَـمْ تَسَـلَّبِ

أَخذَهُ ابنُ الرُّوميِّ فقالَ[3]:

لــو تســتطيع تَسَـلَّبَتْ مِـنْ طَوْقِهـا ✤ لَـوْ كَـانَ منْـتَحَلًا مِـنَ الأَطْـوَاقِ

وقالَ البحتريُّ[4]:

وَوُرْقٍ تَـدَاعَى بالبكـاءِ بَعَـثْنَ لِـي ✤ كَمِـينَ أَسًـى بَـيْنَ الحَشَـا والحَيَـازِمِ

وصـلتُ بِـدَمْعِي نَـوْحَهُنَّ وإِنَّمـا ✤ بَكَيْـتُ لِشَـجْوِي لا لِشَـجْوِ الحَمَـائِمِ

وهذا أَيضًا جيدٌ حسنٌ.

ولستُ أَعرفُ لهما في ذكرِ الحمامِ غيرَ هذا[5].



(١) ديوانه: (إذا ماتت تُوَرِّثُهُ بنيها).

(٢) البيت لابن الرومي ص١٧٤، وهو في ديوانه. تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة سنة ٢٠٠٢. والبيت من الطويل.

(٣) هو لم يأخذه لذكر معناه والبيت في ديوانه: ١٧٠٩/٤. والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ١٩٧٠/٣، والبيتان من الطويل.

(٥) «ص»: (هذه). تحريف.

بابٌ في وصفِهما للأيَّام التي خَلَتْ، والأزمانِ التي حَمِدَاها، والتَّذكّر لها، والأسى عليها ويتَّصلُ(١) بذلك شيءٌ من ذكرِ النساءِ وأوصافِهنَّ



وأذكرُ أولًا ابتداآتهما في هذا البابِ.

قالَ أبو تمامٍ(٢):

أَأَيَّامَنَا مَا كُنْتِ إِلَّا مَوَاهِبَا ❊ وكُنْتِ بِإِسْعَافِ الحَبيبِ حبَائِبَا

وقالَ(٣):

أَحْسِنْ بأَيَّامِ العَقِيقِ وأَطْيِبِ ❊ والعَيْشِ في أَظْلَالِهِنَّ المُعْجِبِ

[٢/١٣٢/ب] وقالَ البحتريُّ(٤):

لَيَالِيَنَا بَيْنَ اللِّوَى فَزَرُودِ ❊ مَضَيْتِ حَمِيدَاتِ الفِعَالِ فَعُودِي

بيتُ أَبي تمامٍ الأَولُ أَجودُ من الأَبياتِ الثلاثةِ.

ولفظُ البحتريِّ لا زيادةَ على حسنِهِ وجودتِهِ.



---

(١) «ص»: (ويفضل). تحريف.

(٢) شرح الصولي: ١/٢٣٨، شرح التبريزي: ١/١٣٨. والبيت من الطويل.

(٣) شرح الصولي: ١/٢١٦، شرح التبريزي: ١/١٣٨. والبيت من الكامل.

(٤) ديوانه: ٢/٧٧٧. والبيت من الطويل.

ما جاءَ عنهُمَا في وسطِ كلامِهِمَا من هذا البابِ



قالَ أَبو تمامٍ[(١)]:

أَأَيَّامَنَـــا مَـــا كُنْـــتِ إِلَّا مَوَاهِبَـــا ✤ وكُنْـــتِ بِإِسْـعَافِ الحَبِيــبِ حَبَائِبَـا

سَـنُغْرِبُ تَجْدِيـدًا لِعَهْـدِكِ فـي البُكَـا ✤ فمــا كُنْــتِ فــي الأَيَّــامِ إِلَّا غَرَائِبَـا

ومُعْتَـرَكٍ للشَّـوْقِ أَهْـدَىٰ بِـهِ الهَـوَىٰ ✤ إِلىٰ ذِي الهَـوَىٰ نُجْـلَ العُيُـونِ رَبَائِبَـا

كَوَاعِـــبُ زَارَتْ فـــي لَيَـــالٍ قَصِـــيرَةٍ ✤ تَخَـيَّلْنَ لِـي مِـنْ حُسْـنِهِنَّ كَوَاعِبَـا

قولُه: «ومُعْتَرِكٍ للشَّوق» يريدُ موضعًا زارَهُ فيه الكواعبُ اللاتي ذَكَرَهُنَّ؛ [وفيهِ سؤالٌ: وهو أنْ يقالَ: إذا وقعتِ الزِّيارَةُ والاجتماعَ في موضع][(٢)] فإنَّ ذلك الموضعَ يسقطُ فيه الشوقُ فلأَنْ يكونَ معتركًا للوصلِ أَوْلىٰ، والعُذْرُ له أَنْ يقالَ: إِنَّه إِنَّما كان معتركًا للشوقِ بعدَ تلكَ الحالِ التي تَقَضَّتْ فهو أَبدًا مشتاقٌ إِلىٰ ذلك الموضع إِذا ذُكِرَ لَهُ.

وقالَ[(٣)]:

أَحْسِـــنْ بأَيَّـــام العَقِيـــقِ وأَطْيِـــبِ ✤ والعـيشِ فـي أَظْلالِهِـنَّ المُعْجِـبِ

[١٣٣/٢/أ] وَمَصِـيفِهِنَّ المُسْـتَظَلِّ بِظِلِّـهِ ✤ سِـرْبُ المَهَـا، ورَبِـيعِهِنَّ الصَّـيِّبِ[(٤)]

---

(١) شرح الصولي: ٢٣٨/١، شرح التبريزي: ١٣٨/١. والأبيات من الطويل.

(٢) الزيادة من النظام، ١/لوحة ٧٥.

(٣) شرح الصولي: ٢١٦/١، شرح التبريزي: ٩٢/١. والأبيات من الكامل.

(٤) ربيعهن الصيب: يريد المطر الذي يكون في الربيع.

أُصُلٌ كَبُردِ العَصْبِ نِيطَ إِلىٰ ضُحًى ✤ عَبِـقٍ بِرَيْحَـانِ الرِّيَـاضِ مُطَيَّـبِ[1]
وظِلَالِهِــنَّ المُشْــرِقَاتِ بِخُــرَّدٍ ✤ بِيضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الأَكْعُبِ[2]

وهذا لعمري حَسَنٌ مُعْجِبٌ.

وقالَ أَيضًا أبو تمامٍ[3]:

وَلَقَــدْ أَرَاكِ فَهَــلْ أَرَاكِ بِغِبْطَــةٍ ✤ والعَـيشُ غَـضٌّ والزَّمَـانُ غُـلَامُ[4]
أَعْـوَامَ وَصْـلٍ كَـانَ يُنْسِـي طُولَهَـا ✤ ذِكْــرُ النَّــوىٰ فكأَنَّهــا أَيَّــامُ
ثـم انْبَـرتْ أَيَّـامُ هَجْـرٍ أَعْقبـت ✤ بِجَـوًىٰ أَسًـىٰ فكأَنَّهـا أَعْـوَامُ[5]
ثـم انقَضَـتْ تِلْـكَ السُّنُونُ وأَهْلُهـا ✤ فكأَنَّهــا وكــأَنَّهُمْ أَحْــلَامُ

فقولُه: «كانَ يُنْسِي طُولَها ذِكْرُ النَّوىٰ»، أَي إِنَّا كُنَّا نَذْكُرُ الفراقَ فنُبَادِرُ السرورَ واللذاتِ فكانَ ذلك يُقَصِّرُ من طولِها، وأَيَّامُ السُّرورِ علىٰ كلِّ حالٍ قِصارٌ، اعترضَ فيها خوفُ الزوالِ أَو لمْ يعترضْ.

وهذا من مشهورِ إِحسانِ أَبي تمامٍ لفظًا ومعنىٰ.

---

(١) أصل: جمع أصيل، نيط: عُلِّق، كبُردِ العَصْبِ، أي هو حسن فيه نقوش، وأصل العصب هو الغَزْل.

(٢) قال الصولي: ظلالهن: جمع ظلَّة، وهي البناء المشرف. وقال المعري: جعل الظلال مشرقات، وإنما الإشراق مشمس وهذا من صنعة الشعر.
وقلت: بل هذا من مذهب أبي تمام في المطابقة بين ظلال ومشرقات، وجعل الظلال تشرق بهؤلاء الحسناوات وغامضات الأكعب: أي أن كعوبهن غائبة في اللحم لا تظهر للعين، وهذا من صفات الجمال عند العرب.

(٣) شرح الصولي: ٢/٣٧٢، شرح التبريزي: ٣/١٥٠، والأبيات من الكامل.

(٤) عند الصولي: (فهل أراك بعزة).

(٥) الصولي والتبريزي: (أيام هجر أردفت)

وقالَ البحتريُّ[1]:

عَـــيْشٌ لَنَـــا بـــالأَبْرَقَيْنِ تَأَيَّـــدَتْ ❊ أَيَّامُـــــهُ وتَجـــــدَّدَتْ ذِكْـــرَاهُ
والعـــيشُ مـــا فَارَقْتَـــهُ فَذَكَرْتَـــهُ ❊ لَهَفًـــا ولَـــيْسَ العَـــيْشُ مَـــا تَنْسَـــاهُ

وهذا إِحسانٌ يزيدُ على كلِّ إِحسانٍ.

وقالَ البحتريُّ[2]: [١٣٣/٢/ب]

سقَى اللهُ أَخْلاقًـا مِـنَ الـدَّهْرِ رَطْبَـةً ❊ سَقَتْنَا الجَوَى إِذْ أَبْرَقُ الحَزْنِ أَبْرَقُ
لَيَـالٍ سَـرَقْنَاهَا مِـنَ الـدَّهْرِ بَعْـدَمَا ❊ أَضَاءَ بِمِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ[3]
تَـدَاوَيْتُ مِـنْ لَيْلَـى بِلَيْلَـى فَمَـا شَـفَى ❊ بماءِ الزُّبَى مَنْ بَاتَ بالماءِ يَشْرَقُ[4]

وهذا مِنْ أَحسنِ معنى وأَحلاه، وقولُه: «إِذْ أَبْرَقُ الحَزْنِ أَبْرَقُ»، أَي كما عهدناه، لا كما هو في الوقتِ من الخرابِ.

وقولُه: «تداويتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى» أَي فلمْ أَبرأْ من الداءِ كما أَنَّ من شَرَقَ بالماء لمْ يدفعْ شَرَقَه الماءُ ولو تناهى في الكثرةِ حتى يبلغَ الزُّبى وهو من قولِهِمْ: بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى: جَمْعُ زُبْيَةٍ، وهي حُفْرَةٌ تُحفر للأَسدِ في أَعلى ما يُمكِنُ من المواضعِ فلهذا ضُرِبَ [بها][5] المثلُ في كثرةِ الماءِ فقيلَ: بَلَغَ الماءُ الزُّبَى[6].

فالشَّرَقُ بالماءِ لا يُزِيلُه الماءُ كما قالَ عدِيُّ بنُ زَيْدٍ[7]:

---

(١) ديوانه: ٤/ ٢٢٠٤، والبيتان من الكامل.
(٢) ديوانه: ٣/ ١٤٩٢.
(٣) ديوانه: (أضاء بإصباح).
(٤) ديوانه: (فما اشتفى).
(٥) لازمة للسياق.
(٦) مجمع الأمثال للميداني ١/ ٩٢، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة ١٩٥٥.
(٧) ديوانه ص٩٣، تحقيق محمد جابر المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد سنة ١٩٦٥. والبيت من الوافر.

لَـوْ بِغَيْـرِ المـاءِ حَلْقِـي شَـرِقٌ ❊ كُنْـتُ كالغَصَّـانِ بالمـاءِ اعْتِصَـارِي

فقالَ البحتريُّ ليؤكِّدَ ذلك بقاءَ حبِّه، أَي لا يكونُ بُرْئِي من حبِّها أَن أَتَدَاوَىٰ منها بها كما لا يَدْفَعُ الماءُ شَرَقَ مَنْ شَرِقَ بالماءِ.

وقالَ البحتريُّ[١]:

فسقىٰ الغضا والنازليه وإِنْ هُـمُ ❊ شَـبُّوهُ بَـيْنَ جَـوَانِحٍ وقُلُـوبِ

وقِصَـار أَيَّـامٍ بـه سُـرِقَتْ لَنَـا ❊ حَسَـنَاتُها مِـنْ كَاشِـحٍ ورَقِيـبِ

[١٣٤/٢/أ] خُضْرٍ تسَاقِطُها الصَّبا فكأَنَّها ❊ وَرَقٌ يُسَـاقِطُهُ اهْتِـزَازُ قَضِـيبِ[٢]

كانـتْ فُنُـونَ بَطالَـةٍ فَتَقَطَّعَـتْ ❊ عَـنْ هَجْـرِ غانيـةٍ وَوَخْـطِ مَشِـيبِ

فقولُه: «خضر تسَاقطها الصّبا» معنىً في غايةِ الحسنِ، وتمثيلٍ في نهايةِ اللُّطفِ.

ومن حُلْوِ معانيه، ومشهورِ إِحسانِه قولُه[٣]:

بَعْـضَ هَـذَا العِتَـابِ والتفنيـدِ ❊ لَـيْسَ ذَمُّ الوَفَـاءِ بِـالمَحْمُودِ

مَـا بَكَيْنَـا عَلَـىٰ زَرودَ ولَكِنْـ ❊ ـنَـا بَكَيْنَـا أَيَّامَنَـا فـي زَرُودِ

وقالَ أَيضًا[٤]:

لَيَالِيَنَـا بَـيْنَ اللِّـوَىٰ فَمُحَجَّـرِ ❊ سُقِيتِ الحَيَا مِنْ صَيِّبِ المُزْنِ مُمْطِرِ

مَضَىٰ بكِ وَصْلُ الغَانِيَاتِ ونَشْوَةُ الشَّـ ❊ ـبَـابَ ومَعْـرُوفُ الهَـوَىٰ المُتَنَكِّـرِ

---

(١) ديوانه: ٢٤٦/١. والأبيات من الكامل.

(٢) ديوانه: (خضرًا)، (يساقطها).

(٣) ديوانه: ٦٣٢/١، والبيتان من الخفيف.

(٤) ديوانه: ١٠٦١/٢، والأبيات من الطويل.

فإنْ أَتَذَكَّرْ حُسْنَ مَا فَاتَ لَمْ أَجِدْ ❊ رُجُوعًا لِمَا فَارَقْتُهُ بالتَّذَكُّرِ[1]
نَضَوْتُ الأَسَىٰ عَنِّي اصْطِبَارًا ورُبَّمَا ❊ أَسِيتُ فكَمْ أَصْبِرْ ولَمْ أَتَصَبَّرْ

وقالَ أيضًا[2]:

عَهْدٌ لِعَلْوَةَ باللِّوَىٰ قَدْ أَشْكَلَا ❊ مَا كَانَ أَحْسَنَ مُبْتَدَاهُ وأَجْمَلَا
أَنْسَىٰ لَيَالِينَا هُنَاكَ وقَدْ حَلَا ❊ مِنْ لَهْوِنَا في ظِلِّها مَا قَدْ حَلَا
عَيْشٌ غَرِيرٌ لَوْ مَلَكْتُ لِمَا مَضَىٰ ❊ رَدًّا إِذًا لَرَدَدْتُهُ مُسْتَقْبَلَا

[٢/١٣٤/ب] قولُه: «عيشٌ غريرٌ» أَي رقيقٌ ناعمٌ، قال جَرِيرٌ[3]:

بِيضٌ تَرَبَّبَهَا النَّعِيمُ وخَالَطَتْ ❊ عَيْشًا كَحَاشِيَةِ الفِرَنْدِ غَرِيرَا

الفِرَنْدُ: الحريرُ، والفِرَنْدِ: ماءُ السيف. والحاشيةُ: جانِبُ الثوبِ، وإِنَّما أَرادَ الفِرَنْدِ نفسَه.

وقالَ أَبو تمامٍ[4]:

لَيَالِينَا بالرَّقَّتَيْنِ وأَهْلِهَا ❊ سَقَىٰ العَهْدَ مِنْكِ العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ
سَحَابٌ مَتَىٰ يَسْحَبْ عَلَىٰ النَّبْتِ ذَيْلَهُ ❊ فَلَا رَجِلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ ولا جَعْدُ[5]
ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وظَهْرَهُ ❊ فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عِوَضًا بَعْدُ

قولُه: «العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ»، فالعَهْدُ جمع عُهْدَة، وجمع عَهْدٍ: عِهَادُ،

---

(١) ديوانه: (لا أجد).
(٢) ديوانه: ٣/١٦٥١، والأبيات من الكامل.
(٣) ديوانه: ١/٢٢٦، والبيت من الكامل.
(٤) شرح الصولي: ٢/٤٦٩، شرح التبريزي: ٢/٨٥، والأبيات من الطويل.
(٥) «ص»: (ولا رحل).

وهو المطرُ يأْتي إِثْرَ مَطَرٍ، فأَراد سقَىٰ العَهْدَ الذي عهدناك هذا المطر[1] بِأَسْرِهِ: أَوَّلِهِ، ووسطِهِ، وآخرِهِ، وأَرادَ سَقتكِ العهادُ كلُّها، ومثلُه قولُه:

سَقَىٰ عَهْدَ الصِّبا سَيْلَ العِهَادِ[2]

وهذا مستقيمٌ، والأَولُ ليسَ بالجيِّدِ.

وقد فسَّرَ هذا قومٌ بما يبعدُ عن المعنىٰ، ولا يليقُ بهِ، وخلَّطوا فيهِ[3].

قالَ أَبو تمامٍ[4]:

سَـــلَامٌ تَرْجُــفُ الأَحْشَــاءُ مِنْـــهُ ❊ علىٰ الحَسَنِ بـنِ وَهْـبٍ والعِـرَاقِ
علَـىٰ البَلَـدِ الحبِيـبِ إِلـيَّ غَـوْرًا ❊ وَنجْـدًا والأَخِ العَـذْبِ المَـذَاقِ[5]

---

(١) «ص»: (هذا الأمطار).

(٢) شرح الصولي: ٣٨٠/١، شرح التبريزي: ٣٦٩/١ وعجزه:

وروّض حاضر منه وباد

والبيت من الوافر.

(٣) نقل ابن المستوفي شرح الآمدي لهذا البيت من كتابه المنقول (تفسير معاني أبيات أبي التمام)، يرد فيه علىٰ الصولي الذي قال (سقىٰ هذا العهد سائر ما يقع عليه الاسم، وهو لا يخرج عما ورد عنا).

قال ابن المستوفي:

(وقال الآمدي في تفسير مشكل أبياته:

قد فسر قوم هذا البيت بأعجب تفسير، وأبعده عن الصواب، فذكروا وجوه العهد على كم يتصرف، وجعلوا معنىٰ كل واحد مخالفًا لمعنىٰ الآخر، والرجل إنما أراد بالعهد الأول: الوقت الذي عهد «فيه» أحبابه في هذه المنازل، فدعا لذلك العهد بسقيا العهاد، التي هي الأمطار المتابعة، أي سقي العهد منك أول العهد وآخرها ووسطها، فلذلك قال: العهد والعهد والعهد، وقد قال في موضع آخر: سقىٰ عهد الحمىٰ سبل العهاد

وإنما خص العهاد لأنها أمطار تتابع وتتوالىٰ). وانظر: (الحسن بن بشر بين الموازنة وآثار له نادرة، ص١٥٣).

(٤) شرح الصولي: ١٢٢/٢، شرح التبريزي، ٤٢٥/٢، والأبيات من الوافر.

(٥) فيهما: (الحلو المذاق).

[١٣٥/٢/أ] لَيَالِيَ نَحْنُ في وَسَنَاتِ عَيْشٍ ❊ كـأَنَّ الـدَّهْرَ عَنْهـا فـي وَثَـاقِ[1]
وأَيامًـا لَنَـا ولَـهُ لِـدَانًا ❊ غَنِينَـا فـي حَوَاشِـيها الرِّقَـاقِ[2]
كـأَنَّ العَهْـدَ عَـنْ عُفْـرٍ لَـدَيْنَا ❊ وإِنْ كـانَ التَّلَاقِـي عَـنْ تَـلَاقِ[3]

وهذا كلامٌ حلوٌ عذبٌ.

وقولُه: «سلامٌ تَرْجُفُ الأَحشاءُ مِنْهُ»، لأَنَّه فارقَ العراقَ وهو كارهٌ، فسلَّمَ سلامَ مودِّعٍ متأَسِّفٍ، شديدِ النفسِ للشوقِ والأَسفِ؛ فلذلك قال: «ترجف الأَحشاء منه».

بيتُ أَبي تمامٍ النادرُ في هذا البابِ قولُه[4]:

ثـم انقضـتْ تلـك السـنونُ وأَهلُهـا ❊ فكأَنَّهـا وكـأَنَّهم أَحـلامُ

وبيتُ البحتريِّ قولُه[5]:

والعـيشُ مـا فارَقْتَـهُ فَذَكَرْتَـهُ ❊ لهفًـا ولـيسَ العـيشُ مـا تنسـاهُ

وبيتُ أَبي تمامٍ أَسْيَرُ، وبيتُ البحتريِّ أَلْطَفُ معنىً.

وهما في سائرِ مَا مَرَّ لهما في هذا البابِ مُتَكافِئَان.

---

(١) عند الصولي: (سنلقى بعده عقلات عيش).
(٢) عند الصولي والتبريزي: (عرينا من حواشيها..).
(٣) قال أبو العلاء:
(يقال: لقيته عن عُفُر، فقيل: هو مقدار شهر، وقيل لا حد له.
يقول: نحن في أيام القرب لا يملُّ بعضنا بعضًا، فإذا لقيته باكرًا، ثم رحت إلى لقائه فكان التلاقي عن وقت بعيد، وقد قرب المدة بقوله: «وإن كان التلاقي عن تلاقٍ»، لأن ذلك يجوز أن يكون في أقصر حين).
(٤) سبق في ٢/٤٨.
(٥) سبق في ٢/٤٨.

ومن حلوِ كلامِ البحتريِّ في معنى الأَيامِ قولُه(١):

مَـــا أَحْسَـــنَ الأَيَّـــامَ إلا أَنَّهـــا ✤ يَـا صَـاحِبَيَّ إِذَا مَضَـتْ لَـمْ تَرْجِـعِ

وأَحلى منه وأَبدعُ قولُ أَبي حَيَّةَ النُّمَيْرِي(٢):

إذ الأَيَّـــامُ مُقْبِلَـــةٌ إِلَيْنَـــا ✤ وظِـــلُّ أَرَاكَـــةِ الـــدُّنْيا ظَلِيـــلُ

وفي هذا الباب لأَبي تمام إِساءَةٌ في قصيدتِهِ التي أَولُها قولُه(٣): [١٣٥/٢/ب]

أَمــا إِنَّــهُ لَــوْلَا اللِّــوَى ومَعَاهِــدُه

وذلك قولُه:

فَيَـا مَشْـهَدًا يُسْـتَهْزَمُ البـينُ باسْـمِهِ ✤ إِذا عُـدَّ أَيَـامُ الهَـوى ومشَـاهِدُه

ويـا ليلـةً لـو يَعْـرِفُ الـدَّهْرُ طِيبَهَـا ✤ لَصَـيَّرَهَا ثَغْـرًا تَنَـاغَى مَرَاصِـدُه

وهذا من أَقبحِ ما يكونُ من الكلامِ، وأَهجنِ(٤) ما يكونُ من المعاني، وأَبعدِ ما تكلَّفَه أَهلُ الاستعارةِ من الأَغْرَاضِ.

---

(١) ديوانه: ١٢٨٦/٢، والبيت من الكامل.

(٢) شعر أبي حية النميري ص١٦١، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري، وزارة الثقافة، دمشق، سنة ١٩٧٥، والبيت من الوافر.

(٣) شرح الصولي: ٥٠٨/١، شرح التبريزي: ٦٢٥/٤، فعدها محقق شرح التبريزي من المنحول، ولكنه قال:
(ولا نجد ما يرفع من صحة نسبتها إليه).
(أوردها ابن المستوفي في النظام، وينقل شروح الصولي، والآمدي والخارزنجي).
وعجز البيت:

مواعيسه قد أقفرت وأجالدُه

والأبيات من الطويل.

(٤) «ص»: (وأهجنه وما يكون).

يقولُ: ولو عَلِمَ الدهرُ طيبَ هذه الليلةِ لَجَعَلَها ثغرًا له مَرَاصِدُ.

والمَرَاصِدُ: مواضعُ الحرسِ.

وقولُه: تناغىٰ، يريدُ حراسَ المَرَاصدِ، يخاطبُ بعضهم بعضًا، ويُنْذِرُ واحِدٌ آخرَ، وأَصْلُ المُنَاغَاةِ: الكلامُ الرَّخِيمُ الخَفِيُّ، مثلُ مُنَاغَاةِ الصَّبيِّ. وربما فعلَ ذلك أَهلُ المراصدِ المتقاربةِ: يُوحِي بعضُهم إِلىٰ بعضٍ، وينبِّهُ بعضُهم بعضًا علىٰ ما يَتَخَوَّفُونَهُ ويتوقَّعُونَهُ، يقولُ: فلو علمَ الدهرُ طِيبَ هذه الليلةِ لجعلَها ثغرًا يحرسُهُ مِنْ أَنْ تلحقَهُ آفةٌ أَو جائحةٌ تُزيلُه وتُبْطِلُه.

وهذا مما ينبغي أَن تَسْمَعَه وتضحكَ منهُ، كما أَن جَيِّدَه يُسْمَعُ ويُعْجَبُ منه، ومن أَجلِ هذا التفاوتِ العظيمِ في شعرهِ تفاوتَ الناسُ في التَّعَصُّبِ له والتَّعَصُّبِ عليهِ، فما ينبغي أَن يُقبّح إِحسانُه، ولا [أَن][1] تُحَسَّنَ إِساءاته[2].

---

(١) لازمة لصحة السياق، وفي «ص»: (أن ينبح لإحسانه).

(٢) نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي علىٰ البيت الثاني، مع بيتين آخرين لم يردا في الموازنة، ولم يذكره ابن المستوفي بصدره.

قال:

(وأنشد الآمدي:

ويـا ليلـة لـو يعـرف الـدهر طيبهـا ❊ لصـيرها ثغـرًا تنـاغىٰ مراصـده

ومـرَّت لـو انَّ العيس تقسم أقسـمت ❊ إذا قطعتـه أنَّهـا لا تعـاوده

تظـلُّ وتُمْسـي مُكعِمـات ركابـه ❊ وركبانـه أعلامـه وفدافـده

فقوله: «لصيرها دهرًا تناغي مراصده» أي لجمالها وحرسها كما يحمىٰ ويحرس الثغر، أي إذا دارت الليلة من كل سنة يفعل بها ذاك، وحراسته إياها ألا تحدث حادثة مكروهة فيها من محنة أو مصيبة ولا آفة.

وقوله:

تظـل وتمسـي مكعمـات ركابـه ❊ وركبانـه أعلامـه وفدافـده

أي: تسر أعلامه وفدافده أفواه ركابه وركبانه، فلا يطعم الراكب والمراد به شيئًا؛ لأنها تغنى=



= أزوادهم لطولها، وأراد أنها تمنعهم من الأكل والشرب لطولها، وشدة الخوف الذي يلاقونه فيها، وقواه: «تناغى مراصده» أي: مرتفعات ينظر بعضها إلى بعضن كما يقال: قصد فلان يناغى السماء لارتفاعه، وقال الشاعر:

كأنـــك بالمبـــارك بعـــد شـــهر ✤ ينـــاغي موجُـــهُ غـــرّ الســـحاب

والمبارك: نهر، والمناغاة: أن تلقي إلى الرجل كلمة ويلقي إليك أخرى، ويقال: ما سمعت منه نفية).

ما جاءَ عنهُما في طُروقِ الخيالِ



[١٣٦/٢/أ] هذا بابٌ الفَضْلُ فيه للبحتريِّ على أَبي تمامٍ، وما زلتُ أَسمعُ الشيوخَ من أَهلِ العلمِ بالشعرِ يقولون: هو أَشعرُ الناسِ في الخانينِ الخيلُ والخيالُ(١).

ولم يأتِ عن أَبي تمامٍ فيه إِلا أَبياتٌ يسيرةٌ منها قولُه في قصيدةٍ(٢):

زَارَ الخَيَالُ لَهَا لا بَلْ أَزَارَكَهُ ❊ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فكرُ النَّاسِ لَمْ يَنَمِ(٣)

ظَبْيٌ تَقَنَّصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ ❊ مِن آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكًا من الحُلمِ(٤)

ثُمَّ اغْتَدَىٰ وبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ ❊ بَاقٍ وإِنْ كَانَ مَعْسُولًا مِنَ السَّقَمِ(٥)

قولُه: «زارَ الخيالُ لها بل أَزَارَكَهُ» ليسَ بالجيِّدِ؛ لأَنَّه إِذا أَزارَهُ(٦) الفكرُ فقد زارَ فما وجهُ الاستدراكِ؟ فكأَنَّه أَرادَ أَنَّ الخيالَ لم يعتمدِ الزيارة، وإِنَّما أَزارَه(٧) الفكرُ، ومثلُه قامَ زيدٌ، لا بل أَقمتُهُ، وكأَنَّ قائلَ هذا يريدُ ما اعتمدَ زيدٌ القيامَ بل أَقمتُهُ أَنا ويروىٰ: «إِذا نامَ فكرُ الخِلْوِ».

---

(١) «ص»: (والخاين والحيل والخيال) تحريف. وانظر: طيف الخيال الشريف المرتضىٰ، ص ١٧ وما بعدها. [هكذا كتبت، ولعلها «الخاءين أو الخايين بالتسهيل: الخيل والخيال»] الشرقاوي.

(٢) شرح الصولي: ٣٤٧/٢، والتبريزي: ١٨٥/٣، والأبيات من البسيط.

(٣) شرح الصولي: (فكر الخلق).

(٤) شرح الصولي والتبريزي: (في آخر الليل).

(٥) شرح الصولي والتبريزي: (وإن كان مشغولًا من السَّقَمِ) وذكرا رواية الموازنة في هامشيهما.

(٦) «ص»: (إذا زاره).

(٧) «ص»: (كما قال).

وقولُه: «لم يَنَم»، لم يردْ حقيقةَ النَّومِ، وإنَّما أرادَ لم يسكنْ، ولم يفترْ، كما يقالُ[1]: فلانٌ لا ينامُ عن هذا الأَمرِ، أَي لا يفترُ عنه، ولا يُقَصِّرُ.

وقوله: «من آخرِ الليلِ»، ولم يقلْ من أَوَّلِ الليلِ، يريد أَنَّه لا ينامُ بالليلِ، وأَنَّه يسهرُهُ، وأَنَّه يهَوِّمُ في آخره تَهْوِيمًا فيطرقُهُ الخيالُ في ذلك الوقتِ.

وقولُه: «وإنْ كانَ معسولًا من السقمِ»، [أي] وإن كانَ حُلْوًا من الأَسقامِ، أَي كأَنَّه ممزوجٌ بالعسلِ، ويرويه قومٌ: [١٣٦/٢/ب] «وإن كانَ مغسولًا من السقمِ» وليسَ بشيءٍ.

وهذه أَبياتٌ حسانٌ، وغرضٌ صحيحٌ[2].

وقالَ أَبو تمامٍ أَيضًا:

عَـادَكَ الـزَّوْرُ لَيْلَـةَ الرَّمْـلِ مِـنْ ❊ رَمْلَـةٍ بَـيْنَ الحِمَـىٰ وبَـيْنَ المَطَـالِي

نَـمْ فَمـا زَارَكَ الخيـالُ ولَكِنْـ ❊ ـنَـكَ بـالفِكْرِ زُرْتَ طَيْـفَ الخَيَـالِ

وقد أَكثرَ أَصحابُ أَبي تمامٍ الفخرَ بهذا البيتِ، والتنويهَ بذكرِهِ، وأَفرطُوا في استحسانِهِ، وقالوا: كَشَفَ عن العلةِ في طُرُوقِ الخيالِ، وبَيَّنَ عن المعنىٰ.

والبيتُ حسنٌ، وإِنَّما أَخذَ معناهُ من قولِ جِرَانَ العَوْدِ[3]:

أَهْـلًا بِطَيْفِـكَ مِـنْ زَورٍ أَتَـاكَ بِـهِ ❊ حَـدِيثُ نَفْسِـكَ عنْـهُ وهْـو مَشْـغُولُ

---

(١) للشريف المرتضىٰ ـ وهو من أنصار أبي تمام ـ تعليق علىٰ الأبيات يدافع به عن أبي تمام ويرد علىٰ الآمدي. انظر طيف الخيال للشريف المرتضىٰ ص١٧ ـ ٢٠، تحقيق محمد سيد الكيلاني، شركة مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٩٥.

(٢) شرح الصولي: ٤٦٢/٣، شرح التبريزي: ٢٢٩/٤، وقد سبق البيت الثاني في ٢٣١/١، والبيتان من الخفيف.

(٣) «ص»: (وقال).

فقولُه: وهو مشغولٌ، أَي إِنَّه لم يزرْكَ على الحقيقةِ، فبنى من هذا قولَه: «ما زارَكَ الخيالُ» وبنى من قولِهِ: «أَتاك به حديث نفسك» ولكنَّك بالفكر زُرتَ [طيفَ][1] الخيالِ، فالمعنى كله لجرانَ، وإِنَّما غيَّرَ أبو تمامٍ اللفظَ وقد قالَ الكميتُ[2]:

فلَمَّـــا انْتَبَهْــتُ وَجَــدْتُ الخَيَـــالَ ❊ أَمَـــانِيَّ نَفْسِـــي وأَفْكَارَهَـــا

أَي وجدتُ الخيالَ أَنا الجالبُ له بأَمانيَّ وهذا ذلك المعنى بعينِهِ.

وقد أَوردَ أَبو تمامٍ المعنى على حَذْوِ ما قالَهُ جِرانُ سواءً فقالَ[3]:

اســـتزارَتْهُ فكرتـــي فـــي المنـــامِ ❊ فَأَتَـــانِي فـــي خِفْيَـــةٍ واكْتِتَـــامِ

[١٣٧/٢/أ] فذكرَ أَنَّ فكرَتَه أَتَتْهُ بالطيفِ زائرًا كما قال جِرَانُ: «أَتاكَ بهِ حديثُ نفسِكَ»[4].

ووصلَ أَبو تمامٍ بيتَهُ بأَنْ قالَ:

اللَّيَـــالِي أَحْفَـــى بِقَلْبِـــي إِذَا مَـــا ❊ جَرَحَتْـــهُ النَّـــوَى مِـــنَ الأَيَّـــامِ

يَـــا لهـــا زَوْرَةٌ تَنَزَّهَـــتِ الأَرْ ❊ وَاحُ فِيهَـــا سِـــرًّا مِـــنَ الأَجْسِـــامِ[5]

مَجْلِـسٌ لـــم يَكُـــنْ لَنـــا فِيـــه عَيْـــبٌ ❊ غَيْـــرَ أَنَّـــا فـــي دَعْـــوَةِ الأَحْـــلَامِ

ليسَ لهذهِ الأبياتِ حلاوةٌ، ولا عليها طلاوةٌ.

---

(١) زيادة لازمة السياق.

(٢) ديوان الكميت ص٥٥، جمع وشرح د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت سنة ٢٠٠٠. وفيه: (سقيا لزورك)، والبيت من البسيط.

(٣) شرح الصولي: ٤٦٥/٣، شرح التبريزي: ٢٦٢/٤، والبيت من الخفيف.

(٤) انظر رد الشريف المرتضى في طيف الخيال.

(٥) شرح الصولي والتبريزي: (يا لها لذة).

وقالَ أَبو تمامٍ(١):

حَمَتْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الوَلِيدِ ❁ خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الوَلِيدِ
رَآنَا مُشْعَرِي أَرَقٍ وحُزْنٍ ❁ وبُغْيَتُهُ لَدَىٰ الرَّكْبِ الهُجُودِ(٢)
سُهَادٌ يَرْجَحِنُّ الطَّرْفُ مِنْهُ ❁ ويُولِعُ كُلَّ طَيْفٍ بالصُّدُودِ(٣)

يرجحنُّ: أَي يتثاقلُ في حركتِهِ كالمُعَنَّىٰ في سَيْرِه المثقلِ إذا عَدَلَ يَمْنَةً وشَأْمَةً مِثلَ السَّحابةِ المُرْجَحِنَّةِ لكثرةِ مائها، وإِنَّما يريدُ ثِقَلَ أَجْفَانِه عندَ النظرِ من طولِ السَّهرِ.

ولا أَعرفُ لأَبي تمامٍ في طُروقِ الخيالِ غيرَ ما ذكرتُهُ.

فأَمَّا البحتريُّ فإِنَّه أُولعَ بذكر الخيالِ فقالَ فيهِ، وأَكثرَ، وأَجادَ، وأَبدعَ، وتصرَّفَ في معانٍ لم يأْتِ أَحدٌ بمثلِهَا، وقد استفتحَ قصائدَ كثيرةً بذكرِ الخيالِ؛ لشدَّة شغَفِهِ بهِ، فأَحسنَ في ابتداآتِهِ كلِّها، [٢/١٣٧/ب] وزادَ علىٰ الإِحسانِ، فمن ذلك قولُه(٤):

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطيفِ الطَّرُوبِ ❁ حبيبٌ جاءَ يُهْدَىٰ مِنْ حَبِيبِ

وقولُه(٥):

أَجِدَّكَ ما يَنْفَكُّ يَسْرِي لِزَيْنَبَا ❁ خيالٌ إذا آبَ الظلامُ تَأَوَّبَا

وقولُه(٦):

---

(١) شرح الصولي: ١/٤٣٥، شرح التبريزي: ٢/٣٣، والأبيات من الوافر.
(٢) قال الصولي: (لم يجيئنا طيفها لأنها لم تنم، وإنما يطلب من نام).
(٣) عند الصولي: (الطرف فيه).
(٤) ديوانه: ١/٩٨، والبيت من الوافر.
(٥) ديوانه: ١/١٩٦، والبيت من الطويل.
(٦) ديوانه: ١/٢٨٩، والبيت من الكامل.

قَـدْ كَـانَ طَيْفُـكَ مَـرَّةً يُغْـرَىٰ بِـي ❊ يَعْتَـادُ رَكْبِـي طارِقًـا ورِكَـابِي

وقولُه[1]:

طَيْـفٌ أَلَـمَّ فَحَيَّـا عِنْـدَ مَشْـهَدِهِ ❊ قَـدْ كَـانَ يَشْـفِي المُعَنَّىٰ مِـنْ تَلَـدُّدِهِ

وقولُه[2]:

مِثَالُـكَ مِـنْ طَيْـفِ الخَيَـالِ المُعَـاوِدِ ❊ أَلَـمَّ بِنَـا مِـنْ أُفْقِـهِ المُتَبَاعِـدِ

وقولُه[3]:

عَجَبًـا لِطَيْـفِ خَيَالِـكِ المُتَعَاهِـدِ ❊ ولِوَصْـلِكِ المُتَقَـارِبِ المُتَبَاعِـدِ

وقوله[4]:

قُـلْ لِلْخَيَـالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَـاوِدِ ❊ تُـدْنِي المَسَـافَةَ مِـنْ هَـوًىٰ مُتَبَاعِـدِ

وقولُه[5]:

هَجَـرَتْ وطَيْـفُ خَيَالِهَـا لَـمْ يَهْجُـرِ ❊ ونَـأَتْ بِحَاجَـةِ مُغْـرَمٍ لَـمْ يُقْصِـرِ

وقولُه[6]: [١٣٨/٢/أ]

أَلَمَّـتْ وَهَـلْ إِلْمَامُهَـا لَـكَ نَـافِعُ ❊ وزَارَتْ خَيَـالًا والعُيُـونُ هَوَاجِـعُ

وقولُه[7]:

---

(١) ديوانه: ٤٩٨/١، والبيت من البسيط.
(٢) ديوانه: ٦٢٢/١، والبيت من الطويل.
(٣) ديوانه: ٥٠٧/١، والبيت من الكامل.
(٤) ديوانه: ٥٥٠/١، والبيت من الكامل.
(٥) ديوانه: ٨٦٠/٢، والبيت من الكامل.
(٦) ديوانه: ١٣٠٢/٢، والبيت من الطويل.
(٧) ديوانه: ٥٦٩/١، والبيت من الخفيف.

بِـتُّ أُبْـدِي وَجْـدًا وأَكْـتُمُ وَجْـدَا ❊ مِـنْ خَيَـالٍ قَـدْ بَـاتَ لـي مِنْـكَ يُهْـدَىٰ

وقولُه(١):

بَــرَّحَ بِــي الطَّيْــفُ الــذي يَسْــرِي ❊ وزَادَنِـــي سُـــكْرًا إلـــىٰ سُـــكْرِ

وقولُه(٢):

سَرَىٰ مِـنْ خَيَـالِ المَالِكِيَّـةِ مَـا سَرَىٰ ❊ فَتَـيَّمَ ذَا القَلْـبِ المُعَنَّـىٰ وأَسْـهرَا

وقولُه(٣):

يَهْـدِي الخيـالُ لَنَـا ذِكْـرِىٰ إِذَا طَافَـا ❊ وَافَـىٰ يُخَادِعُنَـا والصُّـبْحُ قَـدْ وَافَـىٰ

وقولُه(٤):

مَرْحَبًـا بالخيَـالِ مِنْـكِ المُطِيـفِ ❊ فـي شُـمُوسٍ لَـمْ تَتَّصِـلْ بِكُسُـوفِ

وقولُه(٥):

أَمَّـا الخَيَـالُ فإِنَّـهُ لَـمْ يَطْـرُقِ ❊ إِلَّا بعُقْـبِ تَشَـوُّفٍ وتَشَـوُّقِ

وقولُه(٦):

هَــذَا الحبيــبُ فَمَرْحَبًــا بِخَيَالِــهِ ❊ أَنَّــىٰ اهْتَـدَىٰ والليـلُ فـي سِـرْبَالِهِ

[٢/١٣٨/ب] وقولُه(٧):

---

(١) ديوانه: ٢/١٠١٠، والبيت من السريع.

(٢) ديوانه: ٢/٩٣١، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٣/١٣٨٠، والبيت من البسيط.

(٤) ديوانه: ٣/١٣٣٦، والبيت من الخفيف.

(٥) ديوانه: ٣/١٤٧٩، والبيت من الكامل.

(٦) ديوانه: ٣/١٧٨٨، والبيت من الكامل.

(٧) ديوانه: ٣/١٩٢٧، والبيت من الطويل.

خَيَــالٌ مُلِــمٌّ أَوْ حَبِيــبٌ مُسَــلِّمُ ❁ وبَــرْقٌ مُجَلًّــى أَوْ حَرِيــقٌ مُضَــرَّمُ

وقوله[1]:

أَأَرَاكَ الحبيــبُ خَــاطِرَ وَهْــمٍ ❁ أَمْ أَزَارَتْكَــهُ أَضَــالِيلُ حُلْــمِ

وقولُه[2]:

خَيَــالٌ يَعْتَرِينِــي فــي المَنَــامِ ❁ لِسَــكْرَىٰ اللَّحْــظِ فَاتِنَــةِ الكَــلَامِ

وقولُه[3]:

طيفٌ تَــأَوَّبَ مِــنْ سُــعْدَىٰ فَحيَّــانِي ❁ أَهْــوَاهُ وَهْــوَ بُعَيْــدَ النَّــومِ يَهْــوَانِي

وقولُه[4]:

طيــفٌ لِعَلْــوَةَ مَــا يَنْفَــكُّ يَــأْتِينِي ❁ يَصْــبُو إِلــيَّ عَلَــىٰ خُلْــفٍ فَيُصْــبِينِي

وقولُه[5]:

طَيْــفُ الخَيَــالِ أَلَــمَّ مِــنْ عُدُوائِــهِ ❁ وبَعِيــدِ مَوْضِــعِ أَرْضِــهِ وسَــمائِهِ

وقولُه[6]:

أَحْبِــبْ إِلــيَّ بَطِيْــفِ سُــعْدَىٰ الآتِــي ❁ وطُرُوقِــهِ فــي أَكْثَــرِ الأَوْقَــاتِ

وقولُه[7]: [١٣٩/٢/أ]

---

(١) ديوانه: ١٩٤٠/٣، والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ١٩٣٢/٣، وفيه (فاتنة القوام)، والبيت من الوافر.

(٣) ديوانه: ٢١٧١/٤، والبيت من البسيط.

(٤) ديوانه: ٢٢٤٧/٤، وفيه: (علىٰ بُعْد).

(٥) ديوانه: ٢٣/١، وفيه: (طيف الحبيب)، (بعيد موقع)، والبيت من الكامل.

(٦) ديوانه: ٣٦٣/١، وفيه: (في أعجب)، والبيت من الوافر.

(٧) ديوانه: ١٣٦٧/٢، و(عينا) مستدركة في الهامش، وهو من جزء البسيط.

خَيَـــالُ مَاوِيَّـــةَ المُطِيـــفُ ❊ أَرَّقَ عَيْنَـــا لَهَـــا وَكِيـــفُ

وقولُه[1]:

أَرَجٌ لِرَيَّـــا طَلَّـــةٌ رَيَّـــاهُ ❊ لا يَبْعَـدُ الطيـفُ الـذي أَهْـدَاهُ

وما أَحسنَ ما قالَ مُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ[2]:

طيـفُ الخَيـالِ حَمِـدْنَا مِنْـكَ إِلْمَامـا ❊ دَاوَيْـتَ سُـقْمًا وقَـدْ هَيَّجْـتَ أَسْـقَامَا



---

(١) ديوانه: ٤/٢٤٠١، والبيت من الكامل.

(٢) شرح ديوان صريع الغواني ص٦١، والبيت من البسيط.

حسن الابتداآت



وهذا ما جاءَ عن البحتريِّ من وصفِ الخيالِ في وسطِ الكلامِ، قالَ[1]:

فَـلا وَصْـلَ إلَّا أنْ يُطِيـفَ خَيَالُهـا ✻ بِنَا تَحْتَ جُؤْشُوشٍ مِنَ اللَّيْل أَسْفَعِ
أَلَمَّـتْ بِنَـا بَعْـدَ الهُـدُوِّ فَسَـامَحَتْ ✻ بِوَصْلٍ متى تَطْلُبْهُ في الجِدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَيلُ فَانقَضَى ✻ وَأَعْجَلَهـا دَاعِـي الصَّبَاحِ المُلَمَّـعِ
فَوَلَّـت كَـأَنَّ البَيْنَ يَخْلِـجُ شَخْصَـها ✻ أَوَانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلُعِي[2]
وَرُبَّ لِقَـاءٍ لَـمْ يُؤَمَّـلْ وَفُرْقَـةٍ ✻ لِأَسْمَاءَ لَمْ تُحْـذَرْ وَلَـمْ تُتَوَقَّـعِ[3]
أَرانِـيَ لا أَنفَـكُّ فـي كُـلِّ لَيلَـةٍ ✻ تُعَـاوِدُ فيهـا المالِكِيَّـةُ مَضجَعي
أُسَـرُّ بِقُـرْبٍ مِـنْ مُلِـمٍّ مُسَـلِّمٍ ✻ وَأَشْجَى بِبَيْنٍ مِـنْ حَبِيـبٍ مُـوَدِّعِ
وَكـائِنْ لَنَـا بَعْـدَ النَـوى مِـنْ تَفَـرُّقٍ ✻ تُزَجِّيـهِ أَحْـلامُ الكَـرَى وتَجَمُّـعِ
وَمِـنْ لَوْعَـةٍ تَعْتَـادُ فـي إِثْـرِ لَوْعَـةٍ ✻ وَمِـنْ أَدْمُـعٍ تَـرْفَضُّ فـي إِثْـرِ أَدْمُـعِ

[١٣٩/٢/ب] فانظرْ إلى هذهِ العبارةِ الحسنةِ، وإخبارهِ إيَّاكَ بالشيءِ على ما كانَ.

ونحوُ ذلك في الحسنِ والصحةِ قولُه[4]:

وإنِّـي وإنْ ضَـنَّتْ عَلَـيَّ بِوُدِّهَـا ✻ لَأَرْتَـاحُ مِنْهَـا لِلخَيَـالِ المُـؤَرِّقِ

---

(١) ديوانه: ١٢٣٧/٣، والأبيات من الطويل.
(٢) ديوانه: (فولت كأن..).
(٣) «ص»: (لم تحدد) تحريف. والتصحيح من ديوانه.
(٤) ديوانه: ١٥٠٨/٣، والأبيات من الطويل.

يَعُـزُّ علَـىٰ الوَاشِـينَ لَـوْ يَعْلَمُونَهـا ❁ ليـالٍ لنـا نَـزْدَارُ فِيهـا ونَلْتَقِـي
فكَـمْ غُلَّـةٍ للشَّـوْقِ أطفَـأْتُ حَرَّهَـا ❁ بطَيفٍ متَىٰ يَطْرُقْ دُجَىٰ اللَّيلِ يَطْرُقِ
أَضَـمُّ عليـهِ جَفْـنَ عَيْنِـي تَعَلُّقًـا ❁ بِـهِ عِنْـدَ إجْـلاءِ النُّعَـاسِ المُرَنِّـقِ

فقولُه: «أَضمُّ عليه جَفْنَ عَيْني تَعَلُّقًا» من أَحسن كلامٍ، وأَصحِّ معنىٰ وأَصدقِهِ وأَكثرِهِ، وكثيرًا ما ينالُ أَكثرَ الناس ذلك عند إِجلاءِ النومِ، وابتداءِ اليقظةِ إِذا كانَ في رؤيا يَلَذُّها.

وقال أَيضًا(١):

أَجِـدَّكَ مـا يَنْفَـكُّ يَسْـرِي لِزَيْنَبَـا ❁ خيـالٌ إِذا آبَ الظَّـلَامُ تَأَوَّبَـا
سَرَىٰ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْلِبُه الكَرَىٰ ❁ هُبُوبَ نَسِيمِ الـرَّوْضِ تَجْلِبُـهُ الصَّبَا
ومَـا زَارَنِـي إِلَّا وَلِهْـتُ صَـبَابَةً ❁ إِليـك وإِلَّا قُلْـتُ أَهْـلًا وَمَرْحَبَـا(٢)
وَلَيْلَتَنَـا بـالجِزْعِ بَـاتَ مُسَـاعِفًا ❁ يُرِينِـي أَنَـاةَ الخَطْـوِ نَاعِمَـةَ الصِّبَا
أَضَـرَّتْ بِضَـوْءِ البدْرِ والبَدرُ طَالِعٌ ❁ وقامَـتْ مَقَـامَ البَـدْرِ لَمَّـا تَغَيَّبَـا

قولُه: «إِذا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا»، آبَ: أَي رجعَ، وتأَوَّبَ: تراجعَ.

يعني أَنَّ الطيف إِذا عادَ [١/٢/١٤٠] الظلامُ عادَ، وليسَ ذلك من التَّأْوِيبِ الذي هو سَيْرُ النهارِ كلِّه.

وقولُه: «سرىٰ من أَعالي الشام» بَيْتٌ في غايةِ الحسنِ والحلاوةِ.

وقالَ(٣):

---

(١) ديوانه: ١٩٦/١، والأبيات من الطويل.
(٢) ديوانه: (صبابة إليه).
(٣) ديوانه: ١٢٦٨/٢، والأبيات من الطويل.

أَمَا رَاعَكَ الحَيُّ الحَلَالُ بِهَجْرِهِمْ ❁ وهُـمْ لَـكَ غُـدْوًا بـالتَّفَرُّقِ أَرْوَعُ
بَلَـىٰ وخَيَـالٍ مِـنْ أَثِيلَـةَ كُلَّمَـا ❁ تَأَوَّهْـتُ مِـنْ وَجْـدٍ تَعَـرَّضَ يُطْمِـعُ
إِذَا زَوْرَةٌ منه تَقَضَّـتْ مَـعَ الكَـرَىٰ ❁ تَنَبَّهْـتُ مِـنْ وَجْـدٍ لَـهُ أَتَفَـزَّعُ(١)
تَـرَىٰ مُقْلَتِـي مَـا لَا تَـرَىٰ فـي لِقَائِـهِ ❁ وتَسْمَعُ أُذْنِي منه ما ليس تَسْمَعُ(٢)
ويَكْفِيكَ مِـنْ حَـقٍّ تَخَيُّـلِ باطـلٍ ❁ تُـرَدُّ بـهِ نَفْـسُ اللَّهِيـفِ فَتَرْجِـعُ

ولستُ أَقولُ في هذا إِلا ما كانَ البحتريُّ يقوله، وحدَّثنا به أَبو علي محمدُ ابن العلاءِ السِّجِسْتَانِيُّ: إِنَّه كانَ إِذا شرِبَ وسَكَرَ أَنشدَ مثلَ هذهِ الأَبياتِ وأَشباهِهَا من شعرِه، وقالَ: أَلا تسمعون؟ أَلا تعجبون؟

وقالَ(٣):

أَخَيَـالَ عَـزَّةَ كَيْـفَ زُرْتَ وعِنْـدَنَا ❁ أَرَقٌ يُشَـرِّدُ بالخَيَـالِ الزَّائِـرِ
طَيْـفٌ أَلَـمَّ لهـا وَنَحْـنُ بِمَهْمَـهٍ ❁ قَفْـرٍ يَشُـقُّ عَلَـىٰ المُلِـمِّ الخَـاطِرِ(٤)
حتـىٰ إِذا نَزَعُـوا الـدُّجَىٰ وتَسَـرْبَلُوا ❁ مـن نـور هَلْهَلَـةَ الصَّبَاحِ النَّـائِرِ(٥)
ورَنَـوا إِلَـىٰ شُـعَبِ الرِّحَـالِ بـأَعْيُنٍ ❁ يَكْسِرْنَ مِـنْ نَظَـرِ النُّعَـاسِ الفَـاتِرِ(٦)
أَهْـوَىٰ فَأَسـعَفَ بالتَّحِيَّـةِ خِلْسَـةً ❁ والشـمسُ تَلْمَـعُ فـي جَنَـاحِ الطَّـائِرِ

---

(١) «ص»: (زورة يتوىٰ) تحريف.
(٢) في الديوان: (إذني رجع).
(٣) ديوانه: ١٠١٦/٢.
(٤) ديوانه: (ألم بنا).
(٥) ديوانه: (من فضل).
(٦) ديوانه: (ورموا).

[٢/١٤٠/ب] سِرْنَا وأَنْتِ مُقِيمةٌ ولَرُبَّمَا ❊ كـانَ المُقِـيمُ عَلاقَـةً للسَّـائِرِ

وهذا ـ واللهِ ـ الكلامُ العربيُّ، والمذهبُ الذي يَبْعُدُ على غيرِهِ أَنْ يأْتيَ بمثلِهِ.

وقالَ(١):

إذا مـا الكَـرَى أَهْـدَى إِلَـيَّ خَيالَـهُ ❊ شَـفَى قُرْبُـهُ التَّبْـرِيحَ أَوْ نَقَـعَ الصَّـدَى

إذا انْتَزَعَتْـهُ مِـنْ يَـدَيَّ انْتِبَاهَـةٌ ❊ عَـدَدْتُ حَبِيبًـا رَاحَ مِنِّـي أَوْ غَـدَا

ولَـمْ أَرَ مِثْلَيْنَـا ولا مِثْـلَ شَـأْنِنَا ❊ نُعَـذَّبُ أَيْقَاظًـا ونَـنْعَمُ هُجَّـدَا

وقالَ(٢):

أَقَامَـتْ عَلَـى الجِهْـرَانِ مـا إِنْ تَجُـوزُهُ ❊ وخَالَفَها بالوَصْـلِ طيـفٌ لَهَـا يَسْـرِي

فَكَـمْ فـي الـدُّجَى مِـنْ فَرْحَـةٍ بِلِقَائِهَـا ❊ وكـمْ تَرْحَـةٍ بـالبَيْنِ مِنْهَـا لَـدَى الفَجْـرِ

إذا الليـلُ أَعطانَـا مِـنَ الوَصْـلِ بُلْغَـةً ❊ ثَنَتْنَـا تَبَاشِـيرُ الصَّـبَاحِ إِلَـى الهَجْـرِ(٣)

ولـم أَنْـسَ إِسْـعَافَ الكَـرَى بِـدُنُوِّهَا ❊ وزَوْرَتِهـا بَعْـدَ الهُـدُوِّ وَمَـا تَـدْرِي

وقالَ(٤):

إِنَّ رَيَّـا لَـمْ تَسْـقِ رِيًّـا مِـنَ الوَصْـ ❊ ـلِ وَلَـمْ تَـدْرِ مَـا جَـوَى العُشَّـاقِ

بَعَثَـتْ طَيْفَهَـا إِلَـيَّ وَدُونِـي ❊ وَخْـدُ شَـهْرَيْنِ للمَهَـارَى العِتَـاقِ

زَارَ وَهْنًـا مِـنَ الشَّـامِ فَحَيَّـا ❊ مُسْـتَهَامًا صَـبًّا بِـأَعْلَى العِـرَاقِ

---

(١) ديوانه: ٢/٦٧٠، والأبيات من الطويل.

(٢) ديوانه: ٢/١٠٠٤، والأبيات من الطويل.

(٣) ديوانه: (تباشير النهار).

(٤) ديوانه: ٣/١٤٦١، والأبيات من الخفيف.

فَقَضَىٰ مَا قَضَىٰ وعَادَ إِليهَا ❊ والدُّجَىٰ فِي بُرُودِهَا الأَخْلَاقِ
[١٤١/٢/أ] قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِي بِحَظٍّ ❊ والتَّلَاقِي فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِي

وهذا حسنٌ جدًّا.

وأَلطفُ وأَحسنُ وأَحلىٰ قولُه(١):

وَزَائِرٍ زَارَ مِنْ أَعِقَّتِهِ ❊ يَمِيلُ وَزْنًا بأُنْسِهِ ذُعُرُهْ
كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَةً ❊ وَبِتُّ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهْ
لَمْ أَنْسَهُ مُوشِكًا عَلَىٰ وَجَلٍ ❊ مُدَامِجًا للحديثِ مُخْتَصِرُهْ(٢)
كأَنَّمَا الكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا ❊ مَكَانَهُ أَوْ أَتَاهُمُ خَبَرُهْ(٣)

وقالَ(٤):

تَدْرِيَن كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ ❊ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الخَطِيرَ ومَا دَرَىٰ
غابَ الوَشَاةُ فَبَاتَ يَسْهُلُ مَطْلَبٌ ❊ لو يشهدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
كانَ الكَرَىٰ حَظَّ العُيونِ ولَمْ أَخَلْ ❊ أَنَّ القُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ في الكَرَىٰ
دَمْعٌ تَعَلَّقَ بِالشُّئُونِ فَلَمْ يَزَلْ ❊ بَرْقُ الغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّىٰ جَرَىٰ

---

(١) ديوانه: ١٠٣٢/٢، والأبيات من المنسرح.
وفي «ص»: (من أعتقد) تحريف.
(٢) في الديوان: (علىٰ المحل)، (يختصره).
(٣) قال الشريف المرتضىٰ في طيف الخيال، ص ٢٤:
(قوله: «يميلُ وزناً بأنسه ذعره» فإنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من أنسه. وأما قوله: «لقد خرصوا مكانه» يريد أنهم قد حَزَرُوا مكانه ....، وهذه الأبيات ليست خالصة لوصف الطيف، بل يجوز أن يكون المراد بها زائرًا زار في اليقظة، فالكلام محتمل في الطيف وغيره).
(٤) ديوانه: ٩٧٤/٢، والأبيات من الكامل.

قَامَــتْ تُمَنِّينِــي الوِصَــالَ لِتَبْتَلِــي ❁ جَـذَلِي وَحَاجَـةُ أَكْمَـهٍ أَنْ يُبْصِـرَا
مَنَّيْتِنَــا عَلَـــلًا وَمَـــا أَنْهَلْتِنَـــا ❁ والوَقْـتُ لَـيْسَ يُحِيـلُ حَتَّـى يُشْـهِرَا
تَــاللهِ لَــمْ أَرَ مُــذْ رَأَيْــتَ كَلَيْلَتِــي ❁ في «العَلْثِ» إِلَّا لَيْلَتِي في «عُكْبَرَا»[1]
أَهْــوَى الظَـلامَ وأَنْ أُمَــلَّاهُ وَقَــدْ ❁ حَــدَرَ الصَّــبَاحُ نِقَابَــهُ أَوْ أَسْـفَرَا

[٢/١٤١/ب] وهذا لعمري هو القولُ الذي لوْ وَرَدَهُ الظمآنُ لَرَوِيَ؛ لكثرةِ مائِهِ.

وقالَ[2]:

بِــتُّ أُبْــدِي وَجْـدًا وأَكْـتُمُ وَجْـدَا ❁ لِخَيَـالٍ قَـدْ بَـاتَ لـي مِنْـكَ يُهْدَى[3]
أَقْسِـمُ الظَّـنَّ فيـه أَنَّـى تَخَطَّـى الـرْ ❁ رَمْـلَ مِـنْ عَـالجٍ وأَنَّـي تَهَـدَّى
خَطَــأً مَــا أَزَارَنَــاهُ طُرُوقًــا ❁ أَمْ تَوَخِّيــهِ للزِّيَــارَةِ عَمْــدَا
لا تَخَيــبُ الــبلادُ تَخْطِـرُ فِيهــا ❁ رُسُـلُ الشَّـوْقِ مِنْ خَيَالاتِ سُعْدَى
وَعَــدَتْنَا فَمَــا وَفَــتْ بِوِصَــالٍ ❁ ووَفَـتْ حِـينَ أَوْعَـدَتْ أَنْ تَصُـدَّا
قَــرَّبَ الطيــفُ مُنْتَوَاهَــا فَأَصْبَحَــ ❁ ــتْ حـدِيثًا بِنَـاقِضِ العَهْـدِ عَهْـدَا

قولُه: «لا تَخَيبُ البلادُ تَخْطِرُ فِيها» بيتٌ حسنٌ جدًّا؛ جعلَ الخيالاتِ رَسُولًا للشوقِ.

وقال في قصيدتِهِ التي أَوَّلُها[4]:

---

(١) ديوانه: (بَرْح الغرام).

(٢) العلث: قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء. عكبرا: بليدة من نواحي دخيل، قرب صريفين وأوانا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٣) ديوانه: ٥٦٩/١، والأبيات من الخفيف.
وفي الديوان: (لخيال من النجيلة).

(٤) ديوانه: ٥٩٦/١، وعجز البيت: بين إعواز طالب ووجوده =

بـــانَ عهــدُ الصِّــبَا وبــاقي جديــدِهْ

مِنــك طيــفٌ أَلَــمَّ والأُفْــقُ مَــلآ ✤ نُ مِــنَ الفَجْــرِ واعْتــرَاضِ عَمُــودِهْ
زَائِـــرٌ أَشْـــرَقَتْ لِرُؤْيَتِـــه أَغْـــ ✤ ـــوَارُ أَرْضِ العِـرَاقِ بَعْـدَ نُجُـودِهْ(١)
أَرَبُ الـــنَّفْسِ كُلُّـــهُ ومَتَـــاعُ الْـــ ✤ ـعَـيْنِ فــي خَــدِّهِ وَفِــي تَوْرِيــدِهْ
مُعْطِيًــا مِــنْ وِصَــالِه فِـي كَـرَىٰ النَّــوْ ✤ مِ الـذي كـانَ مُعْطِيًـا مِـنْ صُـدُودِهْ(٢)
يَقَظَــاتُ المُحِــبِّ ســاعاتُ بَؤْسَــا ✤ هُ، ونَعْمَــاءُ عَيْشِــهِ فــي هُجُــودِهْ

[١٤٢/٢/أ] وقالَ(٣):

وما انْفَكَّ دَاعِي البَيْنِ حَتَّىٰ تَزَايَلَتْ ✤ قِبَـــابٌ بَنَاهَـــا حَاضِـــرٌ وخِيَـــامُ
عَشِـيَّةَ مَـا بِـي عَـنْ شُـبيْثٍ تَرَحُّـلٌ ✤ فَأَمْضِـي وَلَا لِـي فـي شُـبَيثَ مَقَـامُ(٤)
فَمَـا نَلْتَقَـي إِلَّا عَلَـىٰ حُلـمِ هَاجِـدٍ ✤ يُحِـلُّ لَنَـا جَـدْوَاكِ وهْـوَ حَـرَامُ(٥)
إِذا مَــا تَبَاذَلْنَــا النَّفَــائِسَ خِلْتَنَــا ✤ مِــنَ الجِــدِّ أَيْقَاظًــا ونَحْــنُ نِيَــامُ

وهذا قولٌ ليسَ بينَهُ وبينَ القلبِ حِجَابٌ.

وقالَ(٦):

= وفي الديوان: (بات). والأبيات من الخفيف.
(١) الديوان: (لزورته).
(٢) الديوان: (في صدوده).
(٣) ديوانه: ٤/٢٠٦٦، والأبيات من الطويل، وقد جاءت في فهرس ديوانه الكامل.
وفي «ص»: (قيام بناها) تحريف.
(٤) شبيث: جبل من نواحي حلب. والزيادة من الديوان.
(٥) ديوانه: (وهي حرام).
(٦) ديوانه: ٣/١٦١١، والأبيات من الطويل.

أُرَجِّمُ فـي لَيْلَـىٰ الظُّنُـونَ وأَرْتَجِـي ❁ أَوَاخِـرَ حُـبٍّ أَخْلَفَتْنِـي أَوَائِلُـهْ
ولَيْلَـةَ هَوَّمْنَـا علـىٰ العِيسِ أَرْسَـلَتْ ❁ بِطَيْـفِ خَيـالٍ يُشْـبِهُ الحَـقَّ بَاطِلُـهْ
فَلَـوْلَا بَيَـاضُ الصُّـبْحِ طَـالَ تَشَـبُّثِي ❁ بِعِطْفَـيْ غَـزَالٍ بِـتُّ وَهْنًـا أُغَازِلُـهْ
وَكَـمْ مِـنْ يَـدٍ لِلَّيْـلِ عِنْـدِي حَمِيـدَةٍ ❁ وللصُّـبْحِ مِـنْ خَطْـبٍ تُـذَمُّ غَوَائِلُـهْ

وهذا كلُّهُ إِنَّما حَسُنَ هذا الحسنَ وقَبِلَتْهُ النُّفُوسُ لأَنَّه اعتمدَ أَنْ يُخبِرَ بالأَمرِ علىٰ ما هو، مع حُسْنِ عِبَارَتِهِ وبَرَاعَةِ نَسْجِهِ وجودةِ تلخيصِهِ، ومتخيَّرِ أَلفاظِهِ.

وقد ذهبَ البحتريُّ مذهبًا آخرَ، وأَحسنَ فيه كل الإِحسانِ، وهو أَنْ شبَّهَ الزائرَ الذي زارَهُ بالخيالِ؛ لشدَّةِ فرحِهِ، وخوفِهِ أَن لا يكونَ له حقيقةٌ.

وقالَ في قصيدتِهِ التي أَوَّلُها(١): [٢/١٤٢/ب]

بِـوُدِّي لَـوْ يَهْـوَىٰ العَـذُولُ ويَعْشَـقُ

وَزَوْرٍ أَتَـانِي طَارِقًـا فَحَسِـبْتُهُ ❁ خَيَـالًا أَتـىٰ مِـنْ آخِـرِ الليـلِ يَطْـرُقُ
أُقَسِّـمُ فيـه الظَّـنَّ: طَـوْرًا مُكَـذِّبًا ❁ بِـهِ أَنَّـهُ حَـقٌّ وطَـوْرًا أُصَـدِّقُ
أَخـافُ وَأَرجُـو بُطْـلَ ظَنِّـي وصِـدْقَهُ ❁ فَلِلَّـهِ شَـكِّي حِـينَ أَرْجُـو وَأَفْـرَقُ
وقَـدْ ضَـمَّنَا وَشْـكُ التَّلَاقِـي ولَفَّنَـا ❁ عِنَـاقٌ عَلَـىٰ أَعْنَاقِنَـا ثُـمَّ ضَـيِّقُ
فَلَـمْ تَـرَ إِلَّا مُخْبِـرًا عَـنْ صَـبَابَةٍ ❁ بِشَـكْوَىٰ وإِلَّا عَبْـرَةً تَتَـدَفَّقُ(٢)
فَأَحْسِـنْ بِنَـا والـدَّمْعُ بالـدَّمْعِ وَاشِـجٌ ❁ تَمَازُجُـهُ والخَـدُّ بالخَـدِّ مُلصَـقُ(٣)

---

(١) ديوانه: ١٥٣٤/٣، والأبيات من الطويل.
وعجز البيت: «فيعلم أسباب الهوىٰ كيف تعلَقُ»
(٢) ديوانه: (عبرة تترقرق).
(٣) «ص»: (يمازجه) تصحيف.

ومِـنْ قُبَـلٍ قَبْـلَ التَّشَـاكِي وبَعْـدَهُ ❁ نَكـادُ بهـا مِـنْ شِـدَّةِ اللَّثْمِ نَشْـرَقُ[1]
فَلَـوْ فَهِـمَ النَّـاسُ التَّلَاقِـي وَحُسْـنَهُ ❁ لَحُبِّـبَ مِـنْ أَجْـلِ التَّلَاقِـي التَّفَـرُّقُ

وقالَ في نحو هذا[2]:

حَبِيبٌ سَرَىٰ في خِفْيَـةٍ وعَلَـىٰ ذُعْـرِ ❁ يَجُوبُ الدُّجَىٰ حتىٰ الْتَقَيْنَا عَلَىٰ قَدْرِ
تَشَـكَّكْتُ فِيـهِ مِـنْ سُـرُورٍ وخِلْتُـهُ ❁ خَيَالًا أَتَىٰ في النَّوْمِ مِنْ طَيفِه يَسْرِي
وأَفْرَطْـتُ مِـنْ وَجْـدٍ بِـه فَـدَرَىٰ بِنَـا ❁ عَلَىٰ سَاعَةِ الهِجْرَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي

وقالَ[3]:

أَمَا مُعِينٌ عَلَىٰ الشَّوقِ الذي غَرِيَتْ ❁ بِـهِ الجَـوَانِحُ والبَـيْنُ الـذي أَفِـدَا
[١٤٣/٢/أ]كيفَ اللقاءُ وقَدْ أَضحَتْ مُخَيِّمَةً ❁ بالشَّـامِ لا كَثَبًـا مِنْهـا ولَا صَـدَدَا[4]
تَهَـاجُرٌ أَمَـمٌ لَا وَصْـلَ يَخْلِطُـهُ ❁ إِلَّا تَـزَاورُ طَيْفِينَـا إِذَا هَجَـدَا
وقَـدْ يُزِيـرُ الكَـرَىٰ مَـنْ لَا زِيَارَتُـهُ ❁ قَصْدٌ، وَيُدْنِي الهَوَىٰ مِنْ بُعْدِ مَنْ بَعُدَا[5]
بِتْنَـا عَلَـىٰ رِقْبَـةِ الوَاشِـينَ مُكْتَنِفَـيْ ❁ صَـبَابَةٍ نَتَعَـاطَىٰ البَـثَّ والكَمَـدَا
إِمَّـا سَـأَلْتَ بِشَخْصَـيْنَا هُنَـاكَ فَقَـدْ ❁ غَابَـا وأَمَّـا خَيَالَانَـا فقَـدْ، شَـهِدَا
ولَـم يَعُـدْنِي لَهَـا طَيْـفٌ فَيَفْجَـؤنِي ❁ إِلَّا عَلَـىٰ أَبْـرَحِ الوَجْـدِ الـذي عُهِـدَا

لو كانَ قالَ: «إلا تَزَاوُرُ طيفينا إِذا هَجَدْنَا» كانَ عندي أَجودُ فكأَنَّ المعنىٰ

(١) (من شدة الوجد).
(٢) ديوانه: ١٠٥٢/٢، والأبيات من الطويل.
(٣) ديوانه: ٧١٧/٢، والأبيات من البسيط.
(٤) ديوانه: (لا كثبًا منا).
(٥) «ص»: (زيارته من قصب) تحريف، وفي الديوان: (من بعدما بعدا).

[إذا] هجدتْ رأيتُها في النومِ فكأنَّ نفسي ونفسَها اجتمعتَا، وكذلك إذا هَجَدَتْ ترىٰ مثلَ ما رأيتُ، ويكونُ طيفينَا محمولًا[1] علىٰ معنىٰ نَفْسَيْنَا؛ لأَنَّ النفسَ هي التي ترىٰ ما ترىٰ في النومِ، وهي التي تَمَثَّلَ أيضًا ما تَتَمَثَّلُهُ في اليَقَظَةِ.

وقد يسوغُ مع هذا أيضًا قولُه: «إذا هجدا» أَنْ يريدَ النفسين؛ لأَنَّ نفسَ الإنسانِ هي التي تنامُ كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[2] فهذا سائغٌ ولكنَّ الغلطَ وقع عليهِ في قولِهِ[3]:

هَجَرَتْنَـا يَقْظَـىٰ وكـادَتْ عَلَـىٰ عَـا ❊ دَتِهـا فـي الصُّـدُودِ تَهْجـرُ وَسْـنَىٰ

إِنَّما أَرادَ طيفَها، وهو يرىٰ طيفَها في نومِهِ يقظىٰ كانت أَو نائمةً[4].

وقالَ[5]: [١٤٣/٢/ب]

طَيْـفٌ تَـأَوَّبَ مِـنْ سُـعَدَىٰ فَحَيَّـانِي ❊ أَهْـواهُ، وهْـوَ بُعَيْـدَ النَّـوْمِ يَهْـوانِي

فَيَـا لَهَـا زَوْرَةً يُشْـفَىٰ الغليـلُ بهـا ❊ لَـو أَنَّهـا جَلَبَـتْ يَقْظَـىٰ لِيَقْظَـانِ

مَهْـزُوزَةٌ إِنْ مَشَـتْ لَـمْ تُلْـفَ هِزَّتُهَـا ❊ فـي الخَيْـزُرَانِ ولَـمْ تُوجَـدْ مَـعَ البَانِ

يُدْنِي الكَرَىٰ شَخْصَها مِنِّي ويُوقِظُنِي ❊ وَجْـدٌ فَيَبْعِـدُ عَنِّـي شَخْصَـهَا الـدَّانِي

وقالَ[6]:

أَمَّـا الخيـالُ فإِنَّـهُ لَـمْ يَطْـرُقِ ❊ إِلَّا بِعُقْـبِ تَشَـوُّفٍ وتَشَـوُّقِ

---

(١) «ص»: (ويكون طيفينا علىٰ معنىٰ نفسينا محمولًا).

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٣) سبق البيت والتعليق عليه في: ٧٤/٢، «ص»: (هجرتني).

(٤) انظر: «أبو تمام بين ناقديه» للمحقق، ص٤٠٧ وما بعدها.

(٥) ديوانه: ٢١٧١/٤، والأبيات من البسيط.

(٦) ديوانه: ١٤٧٩/٣، والأبيات من الكامل.

قَـدْ زَارَ مِـنْ بُعْـدٍ فَنَهْنَـهَ مِـنْ جَـوًى ❊ ضَـرِمٍ، وسَـكَّنَ مِـنْ فُـؤَادٍ مُقْلَـقِ[1]
ولَرُبَّمَـا كَـانَ الكَـرَىٰ سَـكَنًا لَهَـا ❊ بَعْـدَ الفِـرَاقِ إِلـىٰ اللِّقَـاءِ فَنَلْتَقِـي[2]

وقالَ[3]:

مِثَالُـك مِـنْ طَيـفِ الخَيـالِ المُعَـاوِدِ ❊ أَلَـمَّ بنَـا مِـنْ أُفْقِـهِ المُتَبَاعِـدِ
يُحَيِّـي هُجُـودًا مُنْتَشِـينَ مِـنَ الكَـرَىٰ ❊ وَمَـا نَفْـعُ إِهْـدَاءِ السَّـلَامِ لِهَاجِـدِ؟
إذا هِـي مَالَـتْ لِلعِنَـاقِ تَقَطَّعَـتْ ❊ تَعَطُّـفَ أُمْلُـودٍ مِـنَ البَـانِ مَائِـدِ
إذا وَصَـلَتْنَا لَـمْ تَصِـلْ عَـنْ تَعَمُّـدٍ ❊ وإِنْ هَجَـرَتْ أَبْـدَتْ لَنَـا هَجْـرَ عَامِـدِ

وقالَ [من قصيدَتِهِ التي أَوَّلُها][4]:

قَالَـتِ: الشَّـيْبُ أَتَـىٰ قُلْـتُ: أَجَـل

خَطَـرتْ فـي النَّـوْمِ مِنْهـا خَطْـرَةٌ ❊ خَطْـرَةَ البَـرْقِ بَـدَا ثُـمَّ اضْـمَحَلْ[5]
[١٤٤/٢/أ] أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَىٰ ❊ ومُلَـمٌّ مِنْـكِ لَـوْ حَقًّـا فَعَـلْ
يَتَـراءَىٰ والكَـرَىٰ فـي مُقْلَتِـي ❊ فـإذا فَارَقَهَـا النَّـوْمُ بَطَـلْ

---

(١) ديوانه: (فيرد من حشا).
(٢) ديوانه: (ولربما كان الكرىٰ سببًا لنا).
(٣) ديوانه: ٦٢٢/١، والأبيات من الطويل.
(٤) الزيادة من «ر»، والأبيات في ديوانه: ١٧١٥/٣، وعجز البيت:
«سبق الوقت ضرارًا وعجَلْ»
والأبيات من الرمل.
(٥) الزيادة من «ر»، والأبيات في ديوانه: ٩٧٠/٢، وعجز البيت:
«بعد وجدي بها وغلة صدري»
والأبيات من الخفيف.

وقالَ [من قصيدتِهِ التي أَوَّلُهَا]:

شَـدَّمَا أُغْرِيَـتْ ظَلُـومٌ بِهَجْـرِي

طَرَقَتْنَـا وفـي الخَيَـالَاتِ سُـقْمٌ ❋ أُمُّ بَكْــرٍ فَأَسْـعَفَتْ أُمُّ بَكْــرِ[1]

فـي بُـدُوٍّ مِـنَ الشَّـبَابِ عَلَيْهَـا ❋ وَرَقٌ مِـنْ جَدِيـدِهَا المُسْــبَكِرِّ[2]

كَمُلَـتْ أَرْبَـعٌ لَهَـا بَعْـدَ عَشْـرٍ ❋ وَمَـدَىٰ البَـدْرِ أَرْبَـعٌ بَعْـدَ عَشْـرِ

خَلَّفَـتْ جَارَهَـا بِحُـزْوَىٰ وبَاتَـتْ ❋ بَيْنَ سَحْرِي شَرْوَىٰ الضَّجِيعِ ونَحْرِي

لـو دَرَتْ مَـا أَتَـتْ لَمَنَّـتْ بِنُجْحٍ ❋ لـم يُكَـذِّبْ ونَائِـلٍ غَيْـرِ نَـزْرِ[3]

وقالَ[4]:

قُــلْ للخيــالِ إِذا أَرَدْتَ فَعَــاوِدِ ❋ تُـدْنِ المَسَـافَةَ مِـنْ هَـوًىٰ مُتَبَاعِـدِ

فَلأَنْـتَ فـي نَفْسِـي وإِنْ عَنَّيْتَنِـي ❋ وبَعَثْـتَ لِي الأَشْجانَ أَحْلَـىٰ وَافِـدِ

بَاتَـتْ بِـأَحْلَامِ النِّيَـامِ تَغرُّنِـي ❋ رُوْدُ التَّثَنِّــي كالقَضِــيبِ المَائِــدِ

ضَـاهَتْ بِحُلَّتِهَـا تَلَهُّـبَ خَـدِّهَا ❋ حتَـىٰ غَـدتْ فـي أُرْجُـوَانٍ جاسِـدِ

وقالَ[5]:

بِعَيْنَيْـكِ إِغْـوَالِي وطُـولُ شَـهِيقِي ❋ وإِخْفَـاقُ عَيْنِـي مِـنْ كَـرًىٰ وخُفُـوقِ

عَلَىٰ أَنَّ تَهْوِيمًا إِذَا عَارَضَ اطَّبَىٰ [٢/١٤٤/ب] ❋ سُرَىٰ طَارِقٍ في غير وَقْتِ طُرُوقِ[6]

---

(١) ديوانه: «وفي الخيالات نُعمىٰ».

(٢) ديوانه: «من جديدة».

(٣) ديوانه: «لم يكدره».

(٤) ديوانه: ١/٥٥٠، والأبيات من الكامل.

(٥) ديوانه: ١٥٢٩/٣، والأبيات من الطويل.

(٦) «اطبىٰ»: دعا.

سَرَىٰ جَائِبًا للخَرْقِ يَخْشَىٰ ولَمْ يَكُنْ ❖ مَلِيًّـا بِإِسْـرَاءٍ وجَـوْبِ خُـرُوقِ
فَبَاتَ يُعَاطِينِي عَلَىٰ رِقْبَةِ العِدَىٰ ❖ ويَمْـزُجُ رِيقًـا مِـنْ جَنَـاهُ بِرِيقِـي
وبِـتُّ أَهَـابُ المِسْـكَ مِنْـهُ وأَتَّقِـي ❖ رُدَاعَ عَبِيـرٍ صَـائِكٍ وخَلُـوقِ[1]
أَرَىٰ كَذِبَ الأَحْلَامِ صِدْقًا وكَمْ صَغَتْ ❖ إِلَـىٰ خَبَـرٍ أُذْنَـايَ غَيْـرِ صَـدُوقِ
ومَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وبُطْلٍ فَقَدْ شَفَىٰ ❖ حَـرَارَةَ مَتْبُـولٍ وخَبْـلَ مَشُـوقِ

وحسبُكَ بهذا حُسْنًا وحلاوةً.

وقالَ[2]:

أَحْبِبْ إِلَيَّ بِطَيْـفِ سُـعْدَىٰ الآتِـي ❖ وطُرُوقَـهُ فـي أَعْجَـبِ الأَوْقَـاتِ
أَنَّـىٰ اهْتَـدَيْتَ لمُحـرِمين تَصَـوَّبُوا ❖ لِسُـفُوحِ مَكَّـةَ مِـنْ رُبَـىٰ عَرَفَـاتِ
ذَكَّرْتَنَـا عَهْـدَ الشَّـآمِ وعَيْشَـنَا ❖ بَـيْنَ القنـانِ السُّـودِ والهَضَـبَاتِ
إِذْ أَنـتَ شَـكْلُ مُخَـالِفٍ ومُوَافِـقٍ ❖ والـدَّهْرُ فيـكَ مُمَـانِعٌ ومُـوَاتِ
لـولا مُكَـابَرَةُ الخطـوبِ ونحتُهَـا ❖ مـن جـانبيَّ لكنـتَ مـن حاجـاتي[3]

وما علمتُ أَحدًا من القدماءِ قالَ في طُرُوقِ الخيالِ أَحسنَ من قولِ قيْسِ بنِ الخَطِيمِ، قالَ[4]:

أَنَّـىٰ سَـرَبْتِ وكُنْـتِ غَيْـرِ سَـرُوبِ ❖ وَتُقَـرِّب الأَحْـلَامُ غَيْـرُ قَرِيـبِ

---

(1) «رداع العبير»: أثره في الجسد، «الصائك» من المسك والعبير: اللاصق.

(2) ديوانه: ١/٣٦٣، والأبيات من الكامل.

(3) ديوانه: «لولا مكاثرة».

(4) ديوان قيس بن الخطيم ص٥٥، تحقيق د. ناصر الدين الأسد دار صادر، بيروت، والبيت من الكامل.

مـــا تَمْنَعـــي يَقْظَـــىٰ فَقَـــدْ تُؤْتِينَـــهُ ✤ فـــي النَّـــوْمِ غَيْـــرَ مُصَـــرَّدٍ مَحْسُـــوبِ

[١/٢/١٤٥] ثم جاءَ البحتريُّ فأَبَرَّ علىٰ قَيْسٍ وكلِّ أَحَدٍ ولم أَستقصِ ههنا كلَّ ما قالَه فيهِ لكثرتِهِ.

وما أَحسنَ ما قال عَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ[١]:

يَصْـــطَادُ يَقْظَـــانَ الرِّجـــالِ حَـــدِيثُهَا ✤ وتَطِيـــرُ بَهْجَتُهـــا بِـــرُوحِ الحَـــالِمَ

وقالَ البحتريُّ[٢]:

إِذَا نَسِـيتُ هَـوَىٰ ليلـىٰ أَطَـافَ بـهِ ✤ طَيْفٌ سَرَىٰ في سَوَادِ اللَّيلِ إِذْ جَنَحَا

دَنَـــا إِلـــيَّ عَلَـــىٰ بُعْـــدٍ فَـــأَرَّقَنِي ✤ حتَّـىٰ تَـبَلَّجَ ضَـوْءُ الصُّـبْحِ فاتَّضَـحَا

عَجِبْتُ مِنْـهُ تَخَطَّـىٰ القَـاعَ مِـنْ إِضَـمٍ ✤ وجَـاوَزَ الرَّمْـلَ مِـنْ خَبْـت ومَـا بَرِحَـا

قال: «تخَطَّىٰ القَاعَ من إِضَمٍ وجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ» فكيف يقولُ: وما بَرِحَا؟

أَرادَ ما برحَ علىٰ الحقيقةِ.

فإِنْ قيلَ: هي لم تبرحْ علىٰ الحقيقةِ فأَمَّا خيالُها إِذا طَرَقَ وهي بعيدةٌ نائيةٌ فقد برحَ.

قيلَ: خيالُها إِنَّما هو صورتُها التي تتصوَّرُ في النفسِ، والصورةُ أَيضًا غيرُ نازحةٍ علىٰ الحقيقةِ، فقولُهم: طَرَقَ الخيالُ، وزارَ الخيالُ مَجازٌ.

---

(١) ديوان عدي بن الرقاع، ص١٢٣، وفيه: (وتطير لذتها). والبيت من الكامل.

(٢) ديوانه: ١/٤٤٠. والأبيات من البسيط.
وفي ديوانه: (أشاد به).

ويجوزُ أَنْ يكونَ قوله: «وما برحا» أَي ما برحتْ هي وجعلَ خيالَها بدلًا منها[1]، ووضعَهُ في موضِعِهَا؛ لأَنَّه هي، أَلا ترىٰ إِلىٰ قولِ جريرٍ[2]:

طَرَقَتْكَ صَـائِدَةُ القُلُـوبِ ولَـيْسَ ذَا ❁ وَقْـتَ الزِّيَـارَةِ فـارْجِعِي بِسَـلَامِ

[٢/١٤٥/ب] قيل: إِنَّه أَرادَ خيالَها فوضعَهَا في موضعِهِ؛ لأَنَّ خيالَها ليسَ هو شيئًا غيرَ صورتِها.

وقد استجفىٰ الناسُ قولَه: «فارجعي بسلام»، وإِنَّما قالَ هذا لأَنَّه عَاتِبٌ عليها، أَلا ترىٰ إِلىٰ قوله بعد هذا:

لَـوْ كَـانَ عَهْـدُكِ كالَّـذِي عَاهَـدْتِنَا ❁ لَوَصَـلْتِ ذَاكَ فكَـانَ غَيْـرَ رِمَـامِ[3]

أَو لم يمنعْهُ طردُهُ الخيالَ أَنْ قالَ بعدَ هذا:

تُجْـرِي السِّـوَاكَ عَلَـىٰ أَغَـرَّ كَأَنَّـهُ ❁ بَـرَدٌ تَحَـدَّرَ مِـنْ مُتُـونِ غَمَـامِ

وهذا وإِنْ كانَ الناسُ قد تقدَّموهُ بتشبيهِ الثَّغْرِ [بالبَرَدِ][4] فإِنَّ هذا لفظٌ وسبكٌ في غايةِ الجودةِ والحلاوةِ والبراعةِ.

وأَوَّلُ من طَرَدَ الخيالَ طَرَفَةُ فقالَ[5]:

فَقُـلْ لِخَيَـالِ الحَنْظَلِيَّـةِ يَنْقَلِـبْ ❁ إِليها فـإِنِّي وَاصِـلٌ حَبْـلَ مَـنْ وَصَـلْ

وهذا أَعْذَرُ من جريرٍ لأَنَّه قالَ: «فإِنِّي واصلٌ حبْلَ مَنْ وَصَل»، فدلَّ علىٰ

(١) «ص»: (أي ما برحية هي، وجعل أي ما برحت هي، وجعل خيالها بدلا منها).

(٢) ديوانه، شرح محمد بن حبيب ٢/٩٩٠، تحقيق د. نعمان محمد طه، دار المعارف بمصر، والبيت من الكامل.

(٣) ديوانه (كالذي حدثتنا).

(٤) زيادة لإقامة العبارة.

(٥) ديوانه: جمع عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ص ٧٠. والبيت من الطويل.

أَنَّ الحَنْظَلِيَّةَ هَجَرَتْهُ وواصلَهُ غيرُها فطردَ خيالَها.

وقد دعا الأَعْشَىٰ علىٰ الخَيالِ فقالَ(١):

هَـذَا النَّهـارُ بَـدَا لَهَـا مِـنْ أَمْرِهَـا ❊ مَـا بَالُهَـا باللَّيْـلِ زَالَ زَوَالُهَـا

أي أَزَالَهُ كزَوَالِه.

وما أَظنُّ جَرِيرًا، ولا الأَعْشَىٰ قبلَهُ كَرِهَا الخيالَ علىٰ الحقيقةِ، وإِنَّما أَرادا أَنَّ زيارَتَهُ في غيرِ وقتِهَا شاغلةٌ لنا عن حالنا التي نحنُ عليهَا.

وقالَ البحتريُّ(٢): [١٤٦/٢/أ]

أَمِنْـكَ تَـأَوُّبُ الطَّيْـفِ الطَّـرُوبِ ❊ حبيـبٌ جـاءَ يُهْـدَىٰ مِـنْ حَبِيـبِ

تَخَطَّـىٰ رقْبَـةَ الواشِـينَ وَهْنًـا ❊ وَبُعْـدَ مسافَةِ الخَـرْقِ المَجُـوبِ(٣)

يُكَـاذِبُنِي وأَصْـدُقُهُ وِدَادًا ❊ ومِـنْ كَلَـفٍ مُصَـادَقَةُ الكَـذُوبِ



(١) ديوانه، ص ٢٧، وفيه: (من همها).

(٢) ديوانه: ٩٨/١، والأبيات من الوافر.

(٣) «ص»: (رقبة الواشين حتىٰ وهنا). تحريف.

ما قالاهُ في الشَّيبِ والشَّبابِ
ووصفِ الكِبَرِ والعُزُوفِ عن الصِّبَا، ونحوِ ذلك[1]



وأفتتحُ هذا البابَ بما لهما من ابتداآتِ القصائدِ في نحوِ معانيه.

قالَ أبو تمامٍ[2]:

نَسَجَ المَشيبُ لَهُ لِفَاعًا مُغْدِفا ❊ يَقَقًا فَقَنَّعَ مِذْرَوَيْهِ ونَصَّفَا

قولُه: «لِفَاعًا» يريدُ لباسًا، يقالُ: لَفَعَ المشيبُ رأْسَه: إذا شَمَلَهُ وعلاهُ.

والمُغْدِفُ: المسبلُ، يقالُ: أَغْدفْتُ السَّترَ إذا أسبلتُهُ، ومِذْرَوَاهُ ها هنا: فَوْدَا، ومِذْرَوا كلِّ شيءٍ: ناحِيَتَاهُ وقد استعمَلا كثيرًا في أَطرافِ الأَلْيَتَيْنِ حتى صارا كالاسم لهما.

وقولُه: «نَصَّفَا» أَي قَنَّعَ جانبيْ رأْسِهِ حتى بلغَ النِّصفَ منهُ.

وقد قيلَ: إِنَّما أَرادَ بقولِهِ: «نَصَّفا» النَّصِيفُ، وهو قِنَاعٌ لطيفٌ؛ يكونُ مثلَ نِصْفِ القِنَاعِ الكبيرِ، وقد ذكرَهُ النَّابِغَةُ فقالَ[3]:

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ

فإِنَّ ذلك لا وجهَ لهُ[4] بعدَ ذكرِ القناعِ، وإِنَّما أَرادَ أَبو تمامٍ ما أَرادَهُ الآخرُ

---

(١) أورد الشريف المرتضى معظم آراء الآمدي وعلق على بعضها في كتابه: الشهاب في الشيب والشباب.

(٢) شرح الصولي: ٣/٤٣٠، شرح التبريزي: ٤/٤٧٠، والبيت من الكامل.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٩٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، وعجزه: «فتناولته واتقتنا باليد»

(٤) «ص»: (كان ذلك لا وجعله).

بقوله[1]: [١٤٦/٢/ب]

أَصْبَحَ الشَّيْبُ في المَفَارِقِ شَاعًا ❊ واكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيبٍ قِنَاعَا

فالمعنى مُكْتَفٍ بقولِهِ: «قَنَّع مِذْرَوَيْه»، وقولُه: «نَصَّفا» أَي بلغَ نصفَ رأْسِهِ.

وقالَ أبو تمامٍ[2]:

يَضْحَكْنَ مِنْ أَسَفِ الشَّبَابِ المُدْبِرِ ❊ يَبْكِينَ مِنْ ضَحكاتِ شَيْبٍ مُقْمِرِ

وهذا بيتٌ رديءٌ، وما سمعتُ بضحكٍ من الأَسفِ إِلَّا في هذا البيتِ، وكأَنَّه أَرادَ قولِ الآخرِ[3]:

وشَرُّ الشدائدِ ما يُضْحِكُ

فلم تهتدِ لمثلِ هذا الصوابِ.

---

(١) البيت لإسحاق الموصلي ومعه بيت آخر وهو قوله:

وتولى الشباب إلَّا قليلا ❊ ثم يأبى القليل إلا وداعا

والبيت من الخفيف.

(٢) شرح الصولي: ٥٠٥/٣، شرح التبريزي: ٤٥٧/٤. وفيه: (ضاحكن ❊ وبكين)، والبيت من الكامل.

وللآمدي تعليق على هذا البيت في كتابه المفقود: «تفسير معاني أبيات أبي تمام»، انظره في: «الآمدي الحسن بن بشربين الموازنة وآثار له نادرة» للمحقق، ص ١٤٥.

(٣) لم أعرف صاحبه، غير أنِّي وجدته مع بيت آخر في كتاب النظام لابن المستوفي (مخطوط) ٨١/١، والبيتان هما قوله:

ولما تولوا بإخراجهم ❊ وظلت بهم عيسهم ترتكُ

ضحكت من البيت مستهزئًا ❊ وشر المصائب ما يُضْحِكُ

والبيتان من المتقارب.

وانظر: الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى ص٦ وما بعدها، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، سنة ١٣٠٢هـ.

وقولُه: «من ضحكات شيب مقمر» ليسَ بالجيِّدِ أَيضًا، ولو كانَ ذكرُ الليلِ على الاستعارةِ لَحَسُنَ أنْ يقولَ مقمِرٌ؛ لأنَّه كانَ يجعلُ سوادَ الشَّعرِ ليلًا، وبياضَه بالمشيبِ إقمارُه، لأنَّ قائلًا لو قالَ: أقمرَ ليلُ رأسِك، كانَ من أصحِّ الكلامِ وأحسنِهِ، وإنْ لم يذكُرِ الليلَ أَيضًا حتى يقولَ: قد أقمرَ عارضاكَ، أو فؤادَكَ لكانَ حسنًا مستقيمًا، وهو دونَ الأولِ في الحسنِ؛ وذلك أنَّه قد علمَ أنَّهما كانَا مُظْلِمَيْنِ فاستنارَا.

وسقى اللهُ البحتريَّ الغيثَ إذ يقولُ(١):

لَيالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا ❊ أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ

وإنَّما أَرادَ أَبو تمامٍ قولَ دعبلٍ(٢):

ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فأفسدَ المعنى(٣).

(١) ديوانه: ١٤٩٣/٣، والبيت من الطويل.

(٢) ديوان دعبل بن علي الخزاعي ص٢٠٤، تحقيق عبد الكريم الأشتر، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق، وصدر البيت:

«لا تعجبي يا سلم من رجل»

(٣) ونقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي ـ وهو من كتابه المفقود «تفسير معاني أبيات أبي تمام» على هذا البيت فقال:
قال الآمدي:
(وقد قال أبو تمام في موضع آخر:

يضحكن من أسف الشباب المدبر ❊ يبكين من ضحكات شيب مقمر

فقوله: يضحكن من أسف الشباب غاية الرداءة؛ لأنه غير معروف في كلامهم الضحك من الأسف، بل الضحك يكون منهن استهزاء وسُخرًا، والبكاء منهنَّ قليل في مثل هذا، وإنما يبكي على الشباب صاحبه، فأما المرأة فليس إلا الصدود والإعراض والمقت والانحراف، هكذا طريقة=

وقالَ[1]:

أَبْدَتْ أَسًىٰ أَنْ رَأَتْنِي مُخْلِسَ القُصَبِ ❁ وآل مَا كانَ مِنْ عُجْبٍ إِلىٰ عَجَبِ

[١٤٧/٢/أ] يقال: رَأْسٌ مُخْلِسٌ، وخلِيسٌ: إذا اختلطَ بهِ الشيبُ، والقُصَبُ: هي خُصْلَةُ الشَّعْرِ.

«وآلَ ما كانَ من عُجبٍ»، أَي عُجْبٍ ومَحَبَّةٍ، «إلىٰ عَجَب» أي عَجَبٍ من شيءٍ.

وقالَ في العُزُوفِ عن الصِّبَا[2]:

أَبَىٰ: فَلَا شَنَبًا يَهْوَىٰ ولَا فَلَجَا ❁ ولَا احْوِرَارًا يُرَاعِيهِ ولَا دَعَجَا

وهذان ابتداآنِ صالحانِ.

وللبحتريِّ في هذا البابِ ابتداآتٌ كثيرةٌ تصرَّفَ فيها أَحسنَ تصرُّفٍ، وافْتَنَّ فيها أَحلىٰ افْتِنانٍ، وذلك قولُه[3]:

أَبَعْدَ المَشِيبِ المُنْتَضَىٰ في الذَّوَائِبِ ❁ أُحَاوِلُ لُطْفَ الوُدِّ عِنْدَ الكَوَاعِبِ

وقالَ[4]:

= القوم في هذا المعنىٰ وهو الحقيقة، فأما قول الأخطل:

لما رأت بدل الشباب بكت له ❁ إن المشيب لأرذل الأرذال

فإنما أراد بكت للشباب وذهابه لا غير.

النظام جـ١ لوحة ٨٢.

(١) في «ص»: (فقال)، تحريف والبيت في شرح الصولي: ٢٢٢/١، وفيه: (أإذ رأتني)، وشرح التبريزي: ١٠٩/١ والبيت من البسيط.

(٢) شرح الصولي: ٣٥٩/١، شرح التبريزي: ٣٢٩/١، وسقطت كلمة: (أبىٰ) من مطلع البيت، وهو خطأ مطبعي، والبيت من البسيط.

(٣) ديوانه: ١٠٨/١، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ٣٦٩/١، وفيه: (ولم تنتظر بي نوىٰ)، والبيت من الطويل.

رأَت وخطَ شيبٍ في عِذاري فَصَدَّتِ ❊ ولـم تُنْظِرَنّـي مِـنْ جـوًى قَـدْ أَجَـدَّتِ

وقولُه[1]:

غَلَّـسَ الشَّـيْبُ أَو تَعَجَّـلَ وِرْدُهْ ❊ واسْـتَعَارَ الشَّـبَابَ مَـنْ لَا يَـرُدُّهْ

وقولُه[2]:

أَمَّـا الشَّـبابُ فَقَـدْ سُـبِقْتَ بِغَضِّـهِ ❊ وحَطَطْـتَ رَحْلَـكَ مُسِرعًا مِـن نقضـهِ

وقولُه[3]:

تَـرَكَ الشَّـبَابَ لِلابِسِـيهِ وبَيَّضَـا ❊ ونَضَـا مِـنَ السِّـتِّينَ عَنْـهُ مَـا نضَـا

[٢/١٤٧/ب] وقوله[4]:

لَابـسٌ مِـنْ شَـبِيبَةٍ أَمْ نَـاضٍ ❊ ومُلِـيحٌ مِـنْ شَـيبَةٍ أَمْ رَاضٍ

وقولُه[5]:

شَـرْخُ الشبابِ أَخُـو الصِّبا وأَلِيفُـهُ ❊ والشـيبُ تَزْجِيَـةُ الهَـوَى وخُفُوفُـهُ

وقولُه[6]:

هَـا هُـوَ الشـيبُ لائِمًـا فَـأَفِيقِي ❊ واتْرُكِيـهِ إِنْ كَـانَ غَيْـرَ مُفِيـقِ

وقولُه[7]:

(١) ديوانه: ١/٥٠٦، والبيت من الخفيف.
(٢) ديوانه: ٢/١١٩٥، والبيت من الكامل، وفيه: (عن نقضه).
(٣) ديوانه: ٢/١١٩٨، والبيت من الكامل، وفيه: (ترك السواد).
(٤) ديوانه: ٢/١٢٠٧، والبيت من الخفيف.
(٥) ديوانه: ٣/١٤٢٢، والأبيات من الكامل.
(٦) ديوانه: ٣/١٤٨٥، والبيت من الخفيف. يوجد خطأ في مكان الحاشية
(٧) ديوانه: ٣/١٧١٦، وفيه: (قالت الشيب بدا)، والبيت من الرمل.

قَالـت: الشيبُ أَتَـى، قُلْـتُ: أَجَـلْ ❊ سَـبَقَ الوقــتَ ضِــرارًا وعَجِــلْ

وقولُه[1]:

تَقَضَّــى الصِّــبَا إِلَّا تَلَــوُّمُ رَاحِــلِ ❊ وأَغْنَـى المَشِـيبُ عَـنْ مَـلَامِ العَـوَاذِلِ

وقولُه[2]:

أَكَــانَ الصِّــبَا إِلَّا خَبَــالًا مُسَــلِّمَا ❊ أَقَــامَ كَرَجْــعِ الطَّــرْفِ ثُــمَّ تَصَــرَّمَا

وقولُه[3]:

لَا جَدِيــــدُ الصِّــــبَا ولَا رَيْعَانُـــــهْ ❊ رَاجِــــعٌ بَعْــــدَمَا تَقَضَّـــى زَمَانُـــــهْ

وقولُه[4]: [١٤٨/٢/أ]

بَــانَ عَهْـدُ الصِّـبَا وبـاقِي جَدِيـدِهْ ❊ بَــيْنَ أَعْــوَانِ طَالِــبٍ ووُجُــودِهْ

وقولُه[5]:

خَطَتْهُ فَلَمْ تَحْفِلْ بِهِ الأَعْيُنُ الوُطْفُ ❊ وكَــانَ الصِّـبا إِلْفًــا فودَّعَــهُ الإِلْــفُ

وقالَ في العُزُوفِ عن الصِّبا[6]:

إِليـكِ مـا أَنَـا عَـنْ لَهْـوٍ ولَا طَـرَبِ ❊ مُنِيــتِ مِنِّــي بِقَلْــبٍ غَيْــرِ مُنْقَلِــبِ

وقالَ[7]:

---

(١) ديوانه: ١٨٦٢/٣، والبيت من الطويل.

(٢) ديوانه: ٢٠٨٧/٤، والبيت من الطويل.

(٣) ديوانه: ٢٢٩٤/٤، والبيت من الخفيف.

(٤) ديوانه: ٥٩٦/١، وفيه: (بات)، والبيت من الخفيف. [ووجدت في الديوان «إعواز طالبٍ» وأظنه الصواب] الشرقاوي.

(٥) ديوانه: ١٣٥٥/٣، وفيه: (ففارقه الإلف)، والبيت من الطويل.

(٦) ديوانه: ١١٩/١، وفيه: (من لهو)، والبيت من البسيط.

(٧) ديوانه: ٤٤٠/١، وفيه: (من سكر الهوى). والبيت من البسيط.

أَطَـاعَ عَاذِلَـه فـي الحـبِّ إِذْ نَصَـحَا ❊ وكَانَ نَشْوَانَ مِنْ سُكْرِ الصِّبَا فَصَحَا

وقالَ(١):

في الشيبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ ❊ وَوَاعِـظٌ مِنْـهُ لَـوْلَا أَنَّـهُ حَجَـرُ

وقالَ(٢):

أَنِزَاعًـا فـي الحـبِّ بَعْـدَ نُـزُوعٍ ❊ وَذَهابًـا فـي الغَـيِّ بَعْـدَ رُجُـوعِ

وقالَ(٣):

لِأَيَّـةِ حَـالٍ أَعْلَـنَ الوَجْـدَ كاتِمـهْ ❊ وأَقْصَـرَ عَـنْ دَاعِـي الصَّبَابَةِ لَائِمُـهْ

وقال(٤):

إِنِّـي تَرَكْـتُ الصِّـبا عَمْـدًا فَلَـمْ أَكَـدِ ❊ مِـنْ غَيْـرِ شَـيْبٍ ولا عَـذْلٍ ولا فَنَـدِ

[٢/١٤٨/ب] وهذا بابٌ أبرَّ فيه البحتريُّ علىٰ أبي تمامٍ.

قولُه: «أَبَعْد المَشِيبِ المنْتَضىٰ(٥)» يقالُ(٦): نَضَا الحنَّاءَ عن اليدِ يَنْضُو، ونَضَا ثوبه عنه يَنْضُوه، أَي نزعَهُ، وانْتَضىٰ السيفَ: انتزعَهُ من غِمْدِه، فجعلَ الشيبَ منتضىٰ في الذوائبِ أَي مشهورًا فيها علىٰ الاستعارةِ، كأَنَّه جعلَهُ سيفًا سُلَّ في رأْسِهِ.

وأجودُ من هذا قولُه(٧):

وَدِدْتُ بَيَـاضَ السَّـيْفِ يَـوْمَ لَقِينَنِـي ❊ مَكَـانَ بَيَـاضِ الشَّـيبِ كَـانَ لِمَفْرِقـي

---

(١) ديوانه: ٢/٩٥٣، والبيت من البسيط.

(٢) ديوانه: ٢/١٢٧٩، والبيت من الخفيف، والنزاع: الاشتياق، والنزوع: الكف والانتهاء.

(٣) ديوانه: ٣/١٩٥٣، والبيت من الطويل.

(٤) ديوانه: ١/٥٧٣، والبيت من البسيط.

(٥) سبق في ٢/٤٩٢.

(٦) «ص»: (ويقال).

(٧) ديوانه: ٢/١٥٠٩، والبيت من الطويل.

ما جاءَ عنهما في وسط كلامهما من ذكرِ الشَّيبِ والشَّبابِ ووصفِ الشَّيبِ وذمِّهِ



قالَ أبو تمام(١):

غَـدا الهَـمُّ مُختَطًّـا بِفَـوْدَيَّ خُطَّـةً ❁ طَرِيقُ الرَّدَىٰ مِنْها إِلىٰ المَوْتِ مَهْيَعُ

هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَىٰ وَالمَعاشِرُ يُجتَوىٰ ❁ وَذُو الإِلْفِ يُقْلىٰ وَالجَدِيدُ يُرَقَّعُ(٢)

لَـهُ مَنْظَـرٌ فـي العَـينِ أَبْـيَضُ نَاصِـعٌ ❁ وَلَكِنَّـهُ فـي القَلْـبِ أَسْـوَدُ أَسْـفَعُ

وَنَحْـنُ نُرَجِّيـهِ عَلـىٰ الكُـرْهِ وَالرِّضـا ❁ وَأَنْفُ الفَتَىٰ مِنْ وَجْهِهِ وَهْوَ أَجْدَعُ(٣)

وهذه كلُّها معانٍ جيدةٌ صحيحةٌ مستقيمةٌ.

وقالَ(٤):

شُـعْلَةٌ فـي المَفَـارِقِ اسْـتَوْدَعَتْنِي ❁ فـي صَـمِيمِ الأَحْشَـاءِ حُزْنًـا صَـمِيمَا

---

(١) شرح الصولي: ٢/٩، شرح التبريزي: ٢/٣٢٤، وفيهما: (إلىٰ النفس)، والأبيات من الطويل.

(٢) عند الصولي والتبريزي: (والمعاشر)، ورواية الموازنة تتفق مع النسخة الأندلسية.

(٣) كذا في «ص»: (نرجيه)، بإهمال الراء، وهي عند الصولي والتبريزي: (نزجيه)، وشرحها أبو العلاء كما نقل التبريزي:

(نحمله وعرفه إلىٰ أن نسير، ونحن علىٰ سخطه راضون به)

ولأن سياق العبارة أوضح من نزيجه (بالزاي)، وهي كذلك في النسخة الأندلسية التي جاء فيها أن القصيدة قد صَحَّت بخط أبي التمام، فيغلب علىٰ ظني أن الكلمة قد اعتورها التصحيف.

(٤) شرح الصولي: ١/٣٩٩، وشرح التبريزي: ٣/٢٢٣، وفيهما: (حميم الفؤاد ثكلًا صميمًا) والأبيات من الخفيف.

تَسْتَثِيرُ الهُمُومَ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا ❊ صُعُدًا وَهْيَ تَسْتَثِيرُ الهُمُومَا
غُرَّة مُرَّةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْـ ❊ ـتُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا [١٤٩/٢/أ]
رِقَّةٌ في الحياةِ تُدْعَىٰ جَلَالًا ❊ مِثْلَمَا سُمِّي اللَّدِيغُ سَلِيمَا[١]
حَلَّمَتْنِي زَعَمْتُمُ وأَرَانِي ❊ قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيم كُنْتُ حَلِيمَا

وهذه كلُّها أَيضًا أبياتٌ جيدةٌ، والأغراضُ فيها حسنةٌ مستقيمةٌ.

وقولُه: «تستثير الهموم ما اكتنَّ منها» يريدُ أَنَّها لمَّا بدتْ حَزِنْتُ، واهتممتُ، فصارَ اهتمامي يزيد فيها، لأَنَّ الهمَّ ـ علىٰ كلِّ حالٍ ـ يشيبُ.

وقولُه: «وهي تَسْتَثِيرُ الهُمُوما» قولٌ صحيحٌ أَيضًا؛ لأَنَّه كلَّما بدا منها شيءٌ زادَ همُّهُ، فالهمُّ يَجْلِبُها، وهي تَجْلِبُ الهمَّ.

وأخذَ البحتريُّ قولَه:

غُرَّةٌ مُرَّةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْـ ❊ ـتُ أَغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا

فقالَ[٢]:

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ القَذَالِ وإِنَّمَا ❊ تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ

وقالَ البحتريُّ[٣]:

وَكُنتُ أُرَجِّي في الشَّبابِ شَفَاعَةً ❊ وَكَيفَ لِبَاغِي حَاجَةٍ بِشَفِيعِهِ
مَشِيبٌ كَبَثِّ السِرِّ عَيَّ بِحَمْلِهِ ❊ مُحَدِّثُهُ أَوْ ضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ[٤]

---

(١) عند الصولي والتبريزي: (دقة).
(٢) ديوانه: ١٤١٦/٣، والبيت من الكامل.
(٣) ديوانه: ١٢٧٦/٢، والأبيات من الطويل.
(٤) ديوانه: (كنثُ السر)، ومعناهما واحد

تَلَاحَـقَ حَتَّـىٰ كـادَ يَـأتي بِطِيئُـهُ ❁ لِحَـثِّ اللَّيَـالِي قَبْـلَ أَتْـي سَـرِيعِهِ[1]

وهذا أَيضًا في وصفِ الشَّيبِ حسنٌ جدًا.

وقالَ البحتريُّ[2]: [٢/١٤٩/ب]

رُدِّي عَلَـيَّ الصِّـبَا إنْ كُنْـتِ فَاعِلَـةً ❁ إِنَّ الصِّـبَا لَـيْسَ مِـنْ شَـأْنِي وَلَا أَرَبِـي

جـاوَزْتُ حَـدَّ الشَّبابِ النَّضْرِ مُلْتَفِتًـا ❁ إِلىٰ بَنَاتِ الرَّدَىٰ تَرْكُضْنَ في طَلَبِي[3]

وَالشَّـيْبُ مَهْـرَبُ مَـنْ جَـارَىٰ مَنِيَّتَـهُ ❁ وَلا نَجَـاءَ لَـهُ مِـنْ ذَلِـكَ الهَـرَبِ

وَالمَـرْءُ لَـوْ كَانَـتِ الشِّعْرَىٰ لَـهُ وَطَنًـا ❁ صُبَّتْ عَلَيهِ صُروفُ الدَهرِ مِن كَثَبِ[4]

وقال[5]:

لابِـسٌ مِـنْ شَـبِيبَتي أَمْ نَـاضِ ❁ وَمُلِـيحٌ مِـنْ شَـيْبَةٍ أَمْ رَاضِ

وإِذَا مـا امْتَعَضْـت مِـنْ وَلَـعِ الشَّيْـ ❁ ـبِ بِرَأْسِي لَـمْ يَثْنِ ذَاكَ امْتِعَاضِـي

لَـيْسَ يَرْضَـىٰ عَـنِ الزَّمَـانِ مُـرَوٌّ ❁ فِيـهِ إِلَّا عَـنْ غَفْلَـةٍ أَوْ تَغَـاضِ

بَـاكَرَتْ لِمَّتـي وَنَـاكَرْتُ مِنْهَـا ❁ سُـوْءَ هَـذِي الأَبْـدَالِ والأَعْـوَاضِ

شَـعَرَاتٌ أَقصُّـهُنَّ ويَرْجِعـ ❁ ـنَ رُجُـوعَ السِّهامِ فـي الأَغْـرَاضِ

وأَبَـتْ تَرْكِـيَ الغُـدَيَّاتِ والآ ❁ صَـالِ حتَّـىٰ خَضبْتُ بـالمِقْرَاضِ

غَيـرَ نَفْـعِ إِلَّا التَّعَلُّـلَ مِـنْ شَخْـ ❁ ـصِ عَـدُوٍّ لَـمْ يَعْـدُهُ إِبْغَاضِـي

---

(١) ديوانه: (بحث الليالي).

(٢) ديوانه: ١/١١٩، وفيه: (إن الهوىٰ)، والأبيات من البسيط.

(٣) ديوانه: (بناتِ الصبا).

(٤) ديوانه: (حطت عليه) (من صبب).

(٥) ديوانه: ٢/١٢٠٧، وفيه: (لابس منه شبيبة)، والأبيات من الخفيف.

وَرُوَاءُ المَشِيبِ كالبخْصِ في عَيْـ ❁ ـنِي فَقُلْ فيهِ في العُيُونِ المِرَاضِ[1]

طِبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وما سَوْ ❁ وَدَ مِنْ صِبْغِ بُرْدِهِ الفَضْفَاضِ

فَهَلِ الحَادِثَاتُ يابْنَ عُوَيفٍ ❁ تَارِكَاتي وَلُبْسَ هَذَا البَيَاضِ

[١٥٠/٢/أ] وهذا هو الذي يأْخذُ بمجامعِ القلبِ، ويستولي علىٰ النفسِ، ومن حِذْقِ الشاعرِ أَن يُصَوِّر لك الأَشياءَ بصُوَرِها، ويعبِّر عنها بأَلفاظِها المستعملةِ فيها واللائقةِ بها، وذلك مذهبُ البحتريِّ وصناعتُهُ؛ ولهذا ما كَثُرَ الماءُ والرَّوْنَقُ في شعرِهِ، وقالوا لِشِعْرِهِ ديباجةٌ وما قيل ذلك في شعرِ أَحدٍ من المتأَخرين غيرِه.

وقالَ[2]:

ومَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَا ❁ بِ وعَلْوةَ إِذْ عَيَّرتني الكِبَرْ

وقولُه: «ما أَنْس لا أَنْسَ» جُزِمَ: لأَنَّه شَرطٌ وجزاءٌ.

كَوَاكِبُ شَوْقٍ عَلِقْنَ الصِّبَا ❁ فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرْ[3]

وإِنِّي وَجَدْتُ - فَلَا تَكْذِبَنَّ - ❁ سَوَادَ الهَوَىٰ في بَيَاضِ الشَّعَرْ

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدىٰ اثْنَتَيْـ ❁ ـنِ: إِمَّا الشَّبَابُ وإِمَّا العُمُرْ

قولُه:

ولا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَىٰ اثْنَتَيْـ ❁ ـنِ: إِمّا الشَّبَابُ وإِمَّا العُمُرْ

عليهِ في هذا البيت مُعَارَضَةٌ. وهو أَنْ يقالَ: إِنَّ من ماتَ شابًّا فقد فارقَ الشبابَ، وهو مفارقٌ للعمر لا محالةَ، فهو أيضًا تاركٌ لهما جميعًا، وقولُه: إِمَّا

(١) «ص»: (كالنحص) تصحيف.

(٢) ديوانه: ٨٤٨/٢، والأبيات من المتقارب.

(٣) ديوانه: (كواكب شيب).

الشَّبابُ وإِمَّا العمر لا يوجبُ إِلا أَحدهما.

والعُذْرُ للبحتريِّ أَن يقالَ: إِنَّ(١) من ماتَ شابًّا فإِنما فارقَ الشبابَ وحدَه؛ لأَنَّه لم يُعَمَّر فيكونَ مفارقًا للعمرِ. أَلا تراهم يقولون: فلانٌ عُمِّرَ: إِذا أَسَنَّ، وفلان لم يُعَمَّر: [٢/١٥٠/ب] إِذا ماتَ شابًّا أَو هو في حدودِ الشبابِ، ومن شابَ وعمّر ثم ماتَ لم يكنْ مفارقًا للشبابِ في حالِ موتِهِ [لأَنَّه قد قطعَ أَيَّامَ الشبابِ وتقدمتْ مفارقتُهُ له، وإِنَّما يكونُ في حالِ موتِهِ] مفارقًا للعمر وحدَهُ، فإِلىٰ هذا ذهبَ البحتريُّ، وهو صحيحٌ، ولم يردْ [المدةَ القصيرةَ التي يعمُرُها الإنسانُ، وإِنَّما أرادَ](٢) بالعمرِ ههنا: الكِبَرُ، كما قال زُهَيْر(٣):

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ❊ تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

ومثلُه قولُ آخرَ(٤):

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا ❊ لِلْمَوْتِ كَأْسٌ والمَرْءُ ذَائِقُهَا

هذا أَجودُ من بيتِ زهيرٍ ومن بيتِ البحتريِّ؛ لأَنَّه جَمَعَ المعنيين في المصراعِ الأَوَّلِ، وهو مستغْنٍ عن المصراعِ الثاني.

ولولا قولُه:

«مَشِيبٌ كَبَثِّ السر».

---

(١) (من) مستدركة في هامش: «ص».

(٢) ما بين المعقوفين من أمالي المرتضىٰ: ٦٢٦/١.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمىٰ، شرح الأعلم الشنتمري، المكتبة التجارية بمصر، ص١٣، والبيت من الطويل

(٤) البيت في ديوان أمية بن أبي الصلت، من قصيدة تروىٰ له ولغيره، ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق د. سميح الجبيلي، دار صادر، بيروت سنة ١٩٩٨، ص١٦٩، والبيت من المنسرح.

و«فَهَل الحادِثَاتُ يابن ، عُوَيْفِ» لفضَّلتُ أَبا تمامٍ عليه ، ولكنِّي أَجعلهما متكافئين.



كُرْهُ النِّسَاءِ لِلْمَشِيبِ

قالَ أَبو تمامٍ(١):

أَلَــمْ تَــرَ آرَامَ الظِّبَــاءِ كأَنَّمَــا ❊ رَأَتْ بِيَ سِيدَ الرَّمْلِ والصُّبْحُ أَدْرَعُ

لَـئِنْ جَـزِعَ الوَحْشِـيُّ مِنْهـا لِرُؤْيَتِـي ❊ لإِنْسِـيُّها مِـنْ شَـيْبِ رَأْسِـيَ أَجْـزَعَ

وهذا غايةٌ في حسنِهِ وصحةِ معناه.

قولُه: «سِيدُ الرَّمل» يريدُ الذِّئبَ، وقولُه: «والصُّبْحُ أَدْرَعُ» أَي أَوَّلُهُ مختلطٌ بسوادِ الليل، يريدُ وقتَ طلوعِ [١٥١/٢/أ] الفجرِ، وكلُّ ما اسودَّ أَوَّلُهُ، وابيضَّ آخرُهُ فهو أَدْرَعٌ، وشاةٌ دَرْعَاءُ للتي اسودَّ رأْسُها وعنُقُها، وسائِرُها أَبيضُ.

وإِنَّما قالَ ذلك لأَنَّ الظِّباءَ تخافُ الذئبَ في ذلك الوقتِ، لأَنَّ لونَه يخفىٰ فيه لغُبْشَتِهِ، فلا تكادُ تراهُ حتىٰ يخالطَها، وهو الوقتُ الذي تنتشرُ(٢) فيه الظباءُ، وتخرجُ من كُنُسِهَا لطلبِ المرعىٰ(٣)، والغنمُ يُخْرِجُها أَهلُها بعدَ هذا الوقتِ.

وقالَ أَبو تمامٍ(٤):

---

(١) شرح الصولي: ٨/٢، شرح التبريزي: ٣٢٢/٢، والبيتان من الطويل.

(٢) «ص»: (تعثر)، والتصويب من كتاب الشهاب في الشيب والشباب ص٨، وانظر تعليقه هناك.

(٣) نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي مختلفًا في نصه عما ورد هنا.
قال ابن المستوفي: قال الآمدي:
(الأدرع: الأسود الرأس، كأنه أراد الوقت الذي هو قبل وضوح الفجر، وأشد ما كان الوحش خوفًا من الذئب في ذلك الوقت؛ لأنها تبتدئ في الانتشار وطلب المرعىٰ، ولونه يخفىٰ في ذلك الوقت لأنه لونَ الأرض، فيدهمها قبل أن تراه). النظام جـ٢ لوحة ١٣٦.

(٤) شرح الصولي: ٢٥٠/١، شرح التبريزي: ١٥٨/١، وفيهما: (لعب الشيب). والأبيات من الخفيف.

لَعِبَ البَيْنُ بالمَفَارِقِ بَلْ جَدْ ❁ دَ، فَأَبْكَىٰ تُمَاضِرًا ولَعُوبَا
خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَىٰ لُؤلُؤ العِقْـ ❁ ـدِ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتي خَضِيبَا
كُلُّ داءٍ يُرجَىٰ الدَّوَاءُ لَهُ ❁ إِلَّا الفَظِيعَيْنِ: ميتَةً، ومَشِيبَا
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَىٰ ❁ حَسَنَاتِي عِنْدَ الحِسَانِ ذُنُوبَا
ولَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْـ ❁ ـكَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعِيبَا
أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لكَفَىٰ بالشَّـ ❁ ـيْبِ بَيْنِي وبَيْنَهُنَّ حَسِيبَا
لَوْ رَأَىٰ اللهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلًا ❁ جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ في الخُلْدِ شِيبَا

وهذا البيتُ الأَخيرُ من شعرِهِ الجيِّد المشهورِ.

ومن يتعصَّبْ عليهِ يقولُ: إِنَّه ناقضَ في هذهِ الأَبياتِ؛ لقولِهِ: «فأَبْكَىٰ تُمَاضِرًا ولَعُوبَا» وقولُه: «خَضَبت خَدَّها إِلىٰ لُؤْلُؤ العِقْدِ دَمًا». ثم قال:

يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَىٰ ❁ حَسَنَاتِي، [٢/١٥١/ب] عنْدَ الحِسَانِ ذُنُوبَا

وقولُه: «ولَئِنْ عِبْنَ مَا رَأَيْنَ».

وقالوا كيفَ يَبْكِينَ دَمًا علىٰ مَشِيبِهِ ثم يَعِبْنَه؟

وليسَ هاهنا تناقضٌ؛ لأَنَّ الشَّيْبَ إِنَّما أَبكىٰ تُمَاضرًا ولعوبًا أَسفًا علىٰ شبابه، والحسانُ اللواتي عِبْنَه غَيْرُ هاتين المرأَتين، فيكونُ مَنْ أَشْفَقَ عليهِ مِن الشَّيْبِ منهنَّ وأَسِفَ علىٰ شبابه بَكَىٰ، كما قالَ الأَخْطَلُ(١):

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبابِ بَكَتْ لَهُ ❁ إِنَّ المَشِيبَ لأَرْذَلُ الأَبْدَالِ

(١) ديوان الأخطل ص١٥٨، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٤، وفيه: (والشيب أرذل هذه الأبدال)، والبيت من الكامل.

ولم تكُ هذه حالُ مَنْ عابَهُ[١]. وهو مستقيمٌ صحيحٌ[٢].

وقولُ الأخطلِ: بَكَتْ لَهُ أَي الشبابَ، ولكنَّ أَبا تمامٍ لم يرضَ أَنْ يقولَ بكتْ فيكون أمرًا قريبًا مشبهًا، حتىٰ قال: «بكت الدم» علىٰ مذهبِهِ في الخروجِ عن الحدِّ في كلِّ شيءٍ.

وقالَ[٣]:

رَاحَتْ غَـوَانِي الحَـيِّ عنـكَ غَوَانِيـا ❁ يَلْبَسْـــن نَأْيًـــا تَـــارَةً وصُـــدُودَا

مِـنْ كُـلِّ سَـابِغَةِ الشَّبَابِ إِذا بَـدَتْ ❁ تَرَكَـتْ عَمَيـدَ القَـرْيَتَيْنِ عَمِيـدَا[٤]

---

(١) «ص»: (ومن لم تك هذه حالة عابه) تحريف.

(٢) نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي علىٰ هذه الأبيات من كتاب الآمدي المفقود «تفسير معاني أبيات أبي تمام» فقال:

قال الآمدي:

(ومما يسأل عنه من معانيه قوله: «وأنشد الأبيات الأربعة». فيقال: كيف يقول إنَّها بكت وإنَّها خضبت نحرها دمًا ثم يقول: إن حسناته صرن ذنوبًا، وإنهن عبن ما رأين؟ وكيف تكون باكية علىٰ شبابه، وعائبة له في حال واحدة؟

الجواب: أنها إنما بكت أسفًا علىٰ الشباب، وهربًا من الشيب، فقد تبكي الغانية إذا عرضت علىٰ الأشيب، وتقول: لا أريده، وقد يجوز أن يكون أضرب عن هذه الباكية وعن معنىٰ البيت الأول إلىٰ حبايب أخر عبنه وزرين عليه، وقد يجوز أن تكون الباكية عليه هي العائبة؛ لأنها تبكي عليه في حال، وتضحك منه في حال أخرىٰ، كما قال الوليد بن عبيد البحتري:

رأت طالعًـا للشـيب فابتسـمت لـه ❁ وقالـت نجـوم لـو طلعـن بأسـعد

أراد أنها هزئت منه، فالمعنيان صحيحان لا يتناقضان).

(٣) شرح الصولي: ١/٤٠٣، شرح التبريزي: ١/٤٠٨، والأبيات من الكامل.

(٤) نقل التبريزي شرح أبي العلاء لهذا البيت فقال:

(«سابغة الشباب» أي قد جرىٰ شبابها في جميع جسدها، (وعميد القريتين) رئيسهما، و«عميدا»: من قولك: عمده الحب، إذا ذهب بقلبه).

أَرْبَبْنَ بالمُرْدِ الغَطَارِفِ بُدَّنًا ❊ غِيدًا أَلِفْنَهُمُ لِدَانًا غِيدَا[1]

أَحْلَىٰ الرِّجَال مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا ❊ مَنْ كان أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

قولُه: «أَرْبَبْنَ بالمُرْدِ» هو من أَرَبَّ بالشيءِ إذا لَزِمَه وأَقامَ عليهِ، يقالُ: أَرَبَّ بهِ، وَأَلَبَّ إِذا لَزِمَهُ، يريدُ أَنهنَّ أَرْبَبْنَ هَوَىٰ المُرْدِ، وأَقمنَ عليه.

ورواهُ قومٌ «أَرْبَيْنَ بالمردِ»، من الرِّبَا الذي معناهُ الزِّيادَةُ يقالُ[2]: قد أَرْبىٰ الرجلُ إذا زادَ، فيقولُ: «أَرْبَيْنَ بالمُرْدِ [٢/٢/١٥٢/أ] أَي زِدْنَ علينا بهم، أَي جعلنَ المُرْدَ زِيادةً اخترنَها علينا فما يقبلُ الرجلُ الزيادةَ في الشيءِ الذي يُعْطَاهُ فَاضِلًا مِنْ حَقِّه، ويرغبُ فيه يقال: قد أَرْبَىٰ، فإِلىٰ هذا ذهبَ من قال: أَرْبَيْنَ، لا إِلىٰ قولهم: أَنا أَرْبَأُ بكَ عن كذا، لأَنَّ هذا مَهْمُوزٌ مَعْنَاهُ: أَنا أَرتفعُ بك، أَو أَرْفَعُكَ عن كذا، من الرَّبِيئَةِ والارْتِبَاء وهو الذي يصعدُ لأَصحابِهِ إِلىٰ شَرَفٍ عَالٍ فيرصدُ أَعداءَهم[3] إِذا قصدوهم فيراهم من بُعْدٍ فَيُنْذِرَهم بهم، فكأَنَّ قوله: «أَرْبيْن بالمُرْدِ» أَي أَخذن المُرْدَ رِبًا علينا لِمَا فيهم من الزيادةِ التي اخترنَ[4] علينا وتركنَنا.

والمعنىٰ الأَوَّلُ أَقربُ لفظًا.

وعلىٰ أَيِّ الوجهينِ كانت اللفظةُ فهي غيرُ حسنةٍ، ولا لائقةٍ، ولا هذا الموضعُ موضُعها بالباءِ كانت [أَم] بالياءِ.

---

(١) عند التبريزي: (أولعن بالمرد...)، وقال الصولي: («أربين» يقول: زدن علىٰ المرد الذين ألفنهم لدانًا عنيدًا).

(٢) «ص»: (فقال).

(٣) «ص»: (أعدادهم).

(٤) «ص»: (اخترنا).

وقيلَ: أَخذَ قولَه: «أَحْلَى الرّجالِ من النساءِ مَوَاقِعًا» من قولِ الأَعْشَى[١]:

وأَرَىٰ الغَـوَانِي لَا يُوَاصِـلْنَ امْـرأً ❁ فَقَـدَ الشَّـبَابَ وقَـدْ يَصِـلْن الأَمْـرَدَا

وقالَ مَنْصُورٌ النَّمَرِيُّ[٢]:

كَـرِهْنَ مِـنَ الشَّـيبِ الـذي لَـوْ رَأَيْتَـهُ ❁ بِهِـنَّ رأَيْـتَ الطَّـرْفَ عَـنْهُنَّ أَزْوَرَا

ونحوُ هذا قولُ آخرَ[٣]:

أَرَىٰ شَـيْبَ الرِّجَـالِ مِـنَ الغَـوَانِي ❁ بِمَوْقِـعِ شَـيْبِهِنَّ مِـنَ الرِّجَـالِ

[٢/١٥٢/ب] وقالَ البحتريُّ[٤]:

تَعِيـبُ الغَانِيَـاتُ عَلَـيَّ شَـيْبِي ❁ ومَـنْ لِـي أَنْ أُمَتَّـعَ بالمعِيـبِ

ووَجْـدِي بالشَّـبَابِ وإن تَقَضَّـىٰ ❁ حَمِيـدًا دُونَ وَجْـدِي بِالمَشِـيبِ[٥]

وهذا من فاخرِ هذا البابِ وعجيبِ مذاهبِهِ، ومن إحسانِ أَبي عبادةَ المشهورِ.

وقالَ البحتريُّ أَيضًا[٦]:

---

(١) ديوان الأعشىٰ: ص٢٢٧، وفيه: (إن الغواني).

(٢) ديوان منصور النمري: ص ٨٤.

(٣) منسوب إلىٰ منصور النمري: وهو في ديوانه: ص١٢٠.
وقلت في كتابي «أبو تمام بين ناقديه قديمًا وحديثًا»:
(أما ميل النساء إلىٰ الأمرد، فقصيدته معروفة مشهورة، ولا يحتاج أبو تمام إلىٰ التقاطها من قول الأعشىٰ (البيت)، فقول أبي تمام يختلف في صياغته، وحتىٰ في معناه، الذي لا يشبه إلا جملة: «وقد يصلن الأمردا».
انظر أبو تمام بين ناقديه قديمًا وحديثًا، ص٢٩٢، د. عبد الله محارب، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٤) ديوان البحتري: ٩٩/١، وفي «ص»: (بالمشيب)، والبيتان من الوافر.

(٥) ديوانه: (وإن تولىٰ..).

(٦) ديوانه: ١٨٤/١، والأبيات من الكامل.

أَعَداوَةً كانت؟ فَمِنْ عَجَبِ الهَوَىٰ ❁ أَنْ يَصْطَفِي فيه العَدُوُّ حَبِيبَا
أَمْ وَصْلَةٌ صُرِفَتْ فعَادَتْ هجْرَةً ❁ أَنْ عَادَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ مَشِيبَا
أَرَأَيْتِه مِنْ بَعْدِ جَثْلٍ فَاحِمٍ ❁ جَوْنَ المَفَارِقِ بالنَّهَارِ خَضِيبَا
فَعَجِبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ مِنْهُمَا ❁ رَيْبُ الزَّمَانِ ومَا رَأَيْتِ عَجِيبَا
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُه ❁ سَبَقَ الطَّلُوبَ وأَدْرَكَ المَطلُوبَا

قولُه: «جَوْنَ المَفارِق»، والجَوْنُ ها هنا: الأَبيضُ؛ فلذلكَ قالَ: «بالنَّهار خَضِيبًا» وخِضَابُ البياض غيرُ معروفٍ ولا جرتْ بمثلِهِ عادةٌ، وإنَّما الخضابُ بالسَّوادِ والصُّفرةِ، وذلك أنَّ الخضابَ إنَّما هو صبغٌ، والبياضُ ليسَ بصبغٍ ولكنْ هو المصبوغُ، والبحتريُّ إِنَّما جعله خضابًا لأنَّه لونٌ حدثَ بعدَ لونٍ قَبْلَهُ فلهذا ما جَعَلَهُ كالخضابِ.

وقالَ[1]: [١٥٣/٢/أ]

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا ❁ وقَالَتْ: نُجُومٌ لو طَلَعْنَ بِأَسْعُدِ
أَعَاتِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرِّبِي ❁ إِليكِ فأَلْحىٰ الشَّيْبَ إِذ كانَ مبعدي
تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا ازْدَدْتُ لَوْعَةً ❁ طِلَابًا لِأَنْ أُرْدَىٰ فها أَنَا ذا رَدِي[2]
مَتَىٰ أُدْرِك العَيْشَ الذي فَاتَ آنِفًا ❁ إِذَا كانَ يَوْمِي فِيك أَحْسَنَ مِنْ غَدِي[3]؟

وهذا معنىٰ في غايةِ الحسنِ والحلاوةِ.

وقولُه: «فابتسمت لها»، يريدُ استهزأت، وبهذا [جرتْ عادةُ النِّساءِ أَنْ

---

(١) ديوانه: ٧٧١/٢، والأبيات من الطويل.
(٢) «ص»: (تردين كلما اردت) تحريف.
(٣) ديوانه: (متىٰ الحق).

يضحكْنَ من المشيبِ ويستهزئنَ لا أَنْ[1]] يبكينَ كما قالَ أبو تمامٍ ولم يقنعْ إِلَّا ببكاءِ الدَّمِ.

وقالَ البحتريُّ[2]:

عَنَتْ كَبِدِي قَسْوةٌ مِنْكِ ما إن ✽ تَزَالُ تُجَدِّدُ فيها نُدُوبَا

وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشيبِ ✽ حَتَّىٰ كَأَني ابْتدعْتُ المَشِيبَا

ومن يطَّلِعْ شَرَفَ الأربعينَ ✽ يُلاقِ من الشَّيْبِ زورًا غريبا[3]

عهدي بالشيوخِ من أَهلِ العلمِ بالشِّعرِ إِذا تذاكروا ما قيلَ في الشَّيبِ لا يقدِّمونَ علىٰ قولِهِ:

وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشيبِ

وقال[4]:

وقَدْ دَعَانَا ناهِيًا فَأَسْمَعَني ✽ وَخْطٌ علىٰ الرأْسِ مُخْلسٌ شَعَرُهْ

شيبٌ أرتني الأسىٰ أوائلُهُ ✽ فليت شعري ماذا تُري أخَرُهْ

صَغَّرَ قَدْرِي في الغَانِياتِ وَمَا ✽ صَغَّرَ صَبًّا تَصْغِيرَهُ كِبَرُهْ

وقالَ[5]: [٢/١٥٣/ب]

---

(١) الزيادة من الشهاب في الشيب والشباب ص ١٧.

(٢) ديوانه: ١/١٥٠، وفي «ص»: (ما إن تزال) تحريف، والأبيات من المتقارب.

(٣) ديوانه: (يحيِّ من الشيب).

(٤) ديوانه: ١/١٠٣٤، والأبيات من المنسرح.

(٥) ديوانه: ١/٥٠٢، والأبيات من الخفيف. وفيه:
(أيعود الشباب أم يتولىٰ)

أَيْثَنَّـــىٰ الشَّـــباب أَمْ مَـــا تَـــوَلَّىٰ ✤ منــه فــي الــدَّهْرِ دَوْلَــةٌ مَــا تَعُــودُ
لا أَرَىٰ العــيشَ والمَفَــارِقَ بِــيضٌ ✤ أُسْــوَةَ العَــيْشِ والمفَــارِقُ سُــودُ
وأَعُــدُّ الشَّــقِيَّ جِــدًّا ولَــوْ أُعْــ ✤ طِــيَ غُنْمًــا حتــىٰ يُقَــالَ سَــعِيدُ[1]
مَــنْ عَدَتْــهُ العُيُــونُ وانْصَــرَفَتْ عَنْــ ✤ ــهُ الْتِفَاتًــا إِلــىٰ سِــوَاهُ الخُــدُودُ

وقالَ[2]:

رَاعَنِـي مَـا يَـرُوعُ مِـنْ وافِـدِ الشَّيْـ ✤ ـبِ طُرُوقًـا ورَابَنِـي مَـا يَرِيـبُ
شَـعراتٌ سُـودٌ إِذا حُلْـنَ بِيضًـا ✤ حالَ عَنْ وُصْلَةِ الحبيبِ الحبيبُ[3]
مَـرَّ بَعْـد السَّـوَادِ مَـا كَـانَ يَحْلُـو ✤ مُجْتَنَـاهُ مِـنْ عَيْشِـنَا ويَطِيـبُ

وقالَ[4]:

أَجـدَّك مـا وصـلُ الغـواني بمُطْمِـعٍ ✤ ولا القلـبُ مـن رِقِّ الغـواني بمعتِـقِ
وَدِدْتُ بَيَـاضَ السَّـيْفِ يَـوْمَ لَقِينَنِـي ✤ مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمفْرَقِي[5]

وقالَ[6]:

عَمْـرُ الغَـوَانِي لَقَـدْ بَـيَّنَّ مـن كَثَـبٍ ✤ هَضِـيمَةً فـي مُحِـبٍّ غَيْـرِ مَحْبُـوبِ
إِذا مَـدَدْنَ إِلـىٰ أَغْرَاضِـهِ سَـبَبًا ✤ وقَـيْنَ مِـنْ كُرْهِـهِ الشُّـبَّانَ بالشِّيْبِ

(١) (ولو) سقطت من الديوان.
(٢) ديوانه: ١/١١٢، والأبيات من الخفيف.
(٣) «ص»: (مال عن)، وفي الديوان: (المحب الحبيب).
(٤) ديوانه: ٣/١٢٠٩، والبيتان من الطويل.
(٥) «ص»: (وددت بياض الشيب) تحريف.
(٦) ديوانه: ١/٩٣، والبيتان من البسيط.

وقالَ[1]: [١٥٤/٢/ب]

خَلِّيَـاهُ وجِـدَّةَ اللَّهْـوِ مَـا دَا ❊ مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيـدَا
إِنَّ أَيَّامَـهُ مِـنَ البِيضِ بِيضٌ ❊ مَا رَأَيْنَ المَفَارِقَ السُّودَ سُودَا

وقالَ[2]:

قَـدْكِ مِنِّي فَمَا جَوَىٰ السُّقْمِ إِلَّا ❊ في ضُلُوعٍ عَلَىٰ جَوَىٰ الحُبِّ تُحنَىٰ
لَـو رَأَتْ حَادِثَ الخِضَابِ لأَنَّتْ ❊ وَأَرَنَّتْ مِـن احْمِرارِ اليَرَنَّا[3]
كَلَفُ البِيضِ بِالمُعَمَّرِ قَـدْرًا ❊ حِينَ يَكْلَفْـنَ وَالمُصَغَّرِ سِنًّا[4]
يَتَشَاغَفْنَ بِالغَرِيرِ المُسَمَّىٰ ❊ مِن تَصَابٍ دُونَ الخَلِيلِ المُكَنَّىٰ[5]

وقالَ[6]:

تَـرَكَ السَّوادَ لِلَابِسِيهِ وَبَيَّضَا ❊ وَنَضَا مِـنَ السِّتِّينَ عَنْـهُ مـا نَضَا
وَشَـآهُ أَغْيَدُ فـي تَصَرُّفِ لَحْظِهِ ❊ مَرَضٌ أَعَلَّ بِـهِ القُلُوبَ وَأَمْرَضَا
وَكَأَنَّـهُ وَجَدَ الصِّبَا وَجَدِيدَهُ ❊ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُـهُ أَنْ يُقْتَضَىٰ[7]
أَسْيَانُ أَثْرَىٰ مِـنْ جَوًىٰ وَصَبَابَةٍ ❊ وَأَسَافَ مِنْ وَصْفِ الحِسَانِ وَأَنفَضَا[8]

---

(١) ديوانه: ٥٩٠/١، والبيتان من الخفيف.
(٢) ديوانه: ٢١٤٤/٤، والأبيات من الخفيف.
(٣) اليرنا: الخضاب.
(٤) في الديوان: (بالمغَّمر)، وهو الذي لم يجرب الأمور، بيِّن الغمارة، من قوم أغمار.
(٥) ديوانه: (دون الجليل). يتشاغفن: من شغف به، أي: أولع، والغرير: المغرور، الشاب لا تجربة له، الفتاء: الشباب.
(٦) ديوانه: ١١٩٨/٢، والأبيات من الكامل.
(٧) ديوانه: (وكأنه ألفىٰ).
(٨) الأسيان والأسوان: الحزين، أثرىٰ: كثر ماله، أساف: ذهب ماله، وهي هنا بمعنىٰ: فقد وصل الحسان. أنفض: فنىٰ زاده، وهلكت أمواله.

شأه: سَبَقَهُ أَغْيَدُ الشبابِ الناعمِ، وغلبَهُ على وُدِّ الحسانِ.

وأَسافَ الرَّجلُ إذا ذهبَ ما في يدِهِ فافتقرَ، وكذلك أَنفضَ.

وقالَ(1):

أُخَـــيَّ: إنَّ الصِّـــبَا اسْـــتَمَرَّ بِـــهِ ❁ سَـــيْرُ اللَّيَـــالِي فَأَنْهَجَـــتْ بُـــرُدُه

[2/154/ب] تَصُدُّ عَنِّي الحِسَانُ مُبْعِدَةً ❁ إِذْ أَنَـــا لا قُرْبُـــهُ وَلَا صَـــدَدُهْ(2)

شَـــيْبٌ عَلَـــىٰ المَفْـــرِقَيْنِ بَارِضُـــهُ ❁ يَكْثُرُنِـــي أَنْ أُبِينَـــهُ عَـــدَدُه

تَطْلُـــبُ عِنْـــدِي الشَّـــبَابَ ظَالِمَـــةٌ ❁ بُعَيْـــدَ خَمْسِـــينَ حِـــينَ لا تَجِـــدُهْ(3)

لا عَجَـــبٌ إِن مَلِلْـــتِ خُلَّتَنَـــا ❁ فَافْتَقَـــدَ الوَصْـــلَ مِنْـــكِ مُفْتَقِـــدُهْ

مَـــن يَتَطَـــاوَل عَلَـــىٰ مُطاوَلَـــةِ العِيـــ ❁ ـــشِ تَقَعْقَـــعْ مِـــنْ مَلَّـــةٍ عَمَـــدُهْ(4)

أَنْهَجَتْ بُرُدُه: يريد بُرُودَه، وفُعْل لا يجمع علىٰ فُعُل.

والبَارِضُ: أَولُ ما يطلعُ من النباتِ وهو غَضٌّ، يريدُ أَنَّ أَوائلَ الشَّيْبِ قد زادتْ عليه في الكثرةِ حتىٰ لا يقدرُ علىٰ عددِهَا بعدَ أَنْ كانَ يعدُّ الشعراتِ البيضَ في أَولِ طلوعِ الشَّيْبِ.

وقوله: «تَقَعْقَعْ من مَلَّةٍ عَمَدُه» أَي عظامُه يجيءُ لها صوتٌ إِذا قامَ أَو قعدَ من الكِبَرِ والضَّعْفِ.

---

(1) ديوانه: 2/735، والأبيات من المنسرح.

(2) ديوانه: (عني الحسناء).

(3) ديوانه: (حيث لا تجده)، و(حين) مصححة في هامش نسخة: «ص».

(4) ديوانه: (من يتجاوز).

وقولُه: «مِنْ ملَّة»: أي من تملَّى العيشَ، يريدُ طولَهُ ودوامَهُ، ومنه تملَّيْتُ حبِّيك[1].

وأخذَ قولَه[2]:

تَطْلُب عِنْدِي الشبابَ ظَالمةٌ ❁ بُعَيْدَ خَمْسِينَ حِينَ لا تجدُهْ[3]

[من] قولِ بشَّارٍ[4]:

يا مَنْظرًا حَسنًا رَأَيْتُهْ ❁ مِنْ وَجْهِ جَارِيةٍ فَدَيْتُهْ

لَمَعَتْ إِليَّ تَسُومُنِي ❁ شَرْخَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهْ[5]



(١) انظر تعليق الشريف المرتضى ١/٦٢٤، وابن المستوفي ١/٢٧٠.

(٢) «ص»: (ومنه قوله).

(٣) «ص»: (ثم لا تجده).

(٤) ديوان بشار بن برد ٢/٢٤، شرح الأستاذ: محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر.

(٥) في الديوان (لعب الشباب).

نزولُ الشيبِ قبلَ حينِهِ



قالَ أبو تمامٍ[1]: [١٥٥/٢/أ]

أَبْدَتْ أَسًى أَنْ رَأَتْنِي مُخْلَسَ القُصَبِ ✽ وآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلىٰ عَجَبَ

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتْبَعُهَا ✽ إِلىٰ المَشِيبِ فَلَمْ تَظْلِمْ ولَمْ تَحُبِ[2]

فَلَا يُؤَرِّقْكِ إِيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ ✽ فإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ والأَدَبِ[3]

يقالُ: رَأسٌ مُخْلَسٌ وخَلِيسٌ: إِذا اختلطَ به الشَّيْبُ.

والقُصَبُ جمع قُصَبَة وهي خصلةُ الشَّعرِ، «وآل ما كان من عجب» بي ومحبةٍ «إلىٰ عجب» أي تَعَجُّبٍ من شيبي.

وقالَ[4]:

شَابَ رَأْسِي ومَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الْـ ✽ ـرَأسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ

وَكَذَاكَ القُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ ✽ ونَعِيمٍ طَلَائِعُ الأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِيَ البَيَاضَ وإِنْ عمْـ ✽ ـمِرْتُ شيئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

(١) شرح الصولي: ٢٢/١، وفيه: (إذوأت)، شرح التبريزي: ١٠٩/١، والأبيات من البسيط.

(٢) «ص»: (ولم تجب) تصحيف. قال التبريزي:

(يقول: تدعوني إلىٰ المشيب ست وعشرون سنة فأجيبها، ولم تدعني إلىٰ الشيب في غير وقته، فتكون ظالمة لي، جائرة علي، فإني قاسيت من الدهر ما لو شبت معه في المهد لم ينكر، والحوب: الإثم).

(٣) «ص»: (فلا يروقك)، تصحيف.

(٤) شرح الصولي: ٣٧٥/١، وشرح التبريزي: ٣٥٧/١، والأبيات من الخفيف.

زَارَنِـــي شَخْصُـــه بِطَلْعَـــةِ ضَـــيْمٍ ❁ عَمَّـــرَتْ مَجْلِسِـــي مِـــنَ العُـــوَّادِ
نَـــالَ رَأْسِـــي مِـــنْ ثُغْـــرَةِ الهَـــمِّ لَمَّـــا ❁ لَـــمْ يَنَلْـــهُ مِـــنْ ثُغْـــرَةِ المِـــيلَادِ(١)

فالأَبياتُ الثلاثةُ الأُولىٰ من فلسفتِهِ الحسنةِ الصحيحةِ المستقيمةِ، ومن مشهورِ إِحسانِهِ، وقد عابَهُ قومٌ بقوله: «شيب الفؤاد»(٢)، وليسَ عندي بعيبٍ؛ لأنَّه لمَّا كانَ الجالبَ للشَّيْبِ القلْبُ المَهْمومُ نسبَ الشيبَ إِليهِ علىٰ الاستعارةِ، وقد أَحسنَ عندي، ولم يسِئْ(٣).

وقولُه: «عَمَّرَتْ مَجْلِسي مِنَ العُوَّادِ» معنىً لا حقيقةَ لهُ؛ لأَنَّا ما رأَينا ولا سمعنا أَحدًا جاءَه عُوَّادٌ يعودونَهُ من الشَّيْبِ، ولا أَنَّ أَحدًا أَمْرَضَهُ الشَّيْبُ، [٢/١٥٥/ب] ولا عزَّاهُ المعزُّون عن الشبابِ(٤).

---

(١) شرح الصولي: (ما لم يشتمله)، شرح التبريزي: (ما لم يستغله).
(٢) جاء في الموشح للمرزباني، نقلًا من عبد الله بن المعتمد في رسالة له نبه فيها إلىٰ محاسن أبي تمام ومساوئه: (فيا سبحان الله، ما أقبح مشيب الفؤاد، وما كان أجرأه علىٰ الأسماع في هذا وأمثاله) الموشح للمرزباني ص٣٠٨، جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ. وجاء في أخبار أبي تمام للصولي ص ٢٣٢، أن أبا تمام عندما عيب عليه هذا البيت، زاد فيها من لحظته: وكذاك القلوب في كلِّ بؤس.... البيت.
(٣) نقل ابن المستوفي تعليقًا للآمدي علىٰ البيت يختلف في نصه عما ورد هنا قال:
(قال الحسن بن بشر الآمدي وليس هذا عندي بمعيب؛ لأنه أراد أن الشيب عاجله لكثرة هموم فؤاده، فلمَّا جعل منشأ الشيب إنما هو من قِبَلِ فؤاده نسب الشيب إلىٰ الفؤاد، وهذه فلسفة حسنة) قال: (وإن شئت أن تقول إنه إنما قابل لفظًا بلفظ، كم قال الله ﷻ: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾، فالسيئة لا تكون من الله ﷻ، فسمىٰ جزاء السيئة سيئة، وقال ﷻ: ﴿ومكروا ومكر الله﴾، والمكر لا يكون من الله؛ فسمىٰ جزاء المكر مكرا، والمعنىٰ الأول أصح وأثبت وأفصح، وهذه الأبيات الثلاثة من الفلسفة الحسنة الصحيحة المستقيمة ومن مشهور إحسانه).
(٤) نقل الشيخ السيد صقر ما قاله الشريف المرتضىٰ في أماليه ردًا علىٰ الآمدي ثم علق عليه، قال الشيخ: =

وقالَ ابنُ حازمٍ الباهليُّ[1]:

أَلْـــيس عَجِيبًـــا بِـــأَنَّ الفَتَـــىٰ ✤ يُصَــابُ بِـبَعْضِ الــذي فــي يَدَيْــهِ
فَمِـــنْ بــيْنِ بَــاكٍ لَــهُ مُوجَــعٍ ✤ وبَـــيْن مُعـــزٍّ مُغِـــذٍّ إِلَيْـــهِ
ويَسْــلُبُه الشَّــيبُ شَــرخَ الشــبابِ ✤ فَلَــيْسَ يُعَزِّيــهِ خَلْــقٌ عَلَيْــهِ

فَأَحَبَّ أَبو تمامٍ أَنْ يخرجَ عن عاداتِ بني آدمَ، ويكونَ أُمَّةً وحْدَهُ.

[فإنَّ قولَنَا عذرًا له قلنا إنَّ الشَّيْبَ جاءَهُ قبلَ وقتِهِ لكثرةِ همومِهِ، فلمَّا طلعَ

= قال المرتضىٰ في أماليه ٦١٣/١: «وهذا من الآمدي قلة نقد للشّعر، وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء، ولم يرد أبو تمام العيادة الحقيقية التي يغشىٰ فيها العوّاد مجالس المرضىٰ وذوي الأوجاع، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلىٰ الغرض خفية؛ فكأنه أراد أنّ شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي، والمتأسفون علىٰ شبابي، والمتوحشون من مفارقته، فكأنهم في مجلسي عوّاد لي، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجّع ويتفجع. وكنىٰ بقوله: «عمرت مجلسي من العوّاد عن كثرة من تفجع له وتوجّع من مشيبه. وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن، وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه. وكلام المرتضىٰ هذا في نهاية التفاهة والقبح، وكأنه أحس بسقوط فأعاده في الشهاب ١٢، وزعم أنه كافٍ شافٍ ولكن يمكن فيه وجه آخر، وهو أن يريد بقوله: «عمرت مجلس من العواد» الإخبار من عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به، فجعل ما يجب أن يكون كائنًا ـ واقعًا. وهذ له نظائر كثيرة في القرآن وفي كلام العرب وأشعارهم، قال الله ﷻ: (ومن دخله كان آمنا) وإنما المعنىٰ: أنه يجب أن يأمن، فجعل قوة الوجوب واللزوم كأنه حصول ووقوع!!! وهذا الوجه أشد تفاهة من سابقه وأشنع قبحًا.
ولقد أثبت المرتضىٰ بنقده هذا علىٰ أنه أجدر بالوصف الذي وصف به الآمدي: من قلة النقد للشعر وضعف البصيرة بدقائق معاني الشعراء).
الشيخ ﷺ كان محقًا في رأيه في ضعف بصيرة المرتضىٰ بدقائق ومعاني الشعراء.

(١) الأبيات في ديوانه: جمع محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق سنة ١٩٨٢، ص١٠٧.
والأبيات كذلك في البيان والتبيين منسوبة لمحمود الوراق: ١٩٧/٣، كذلك في العقد الفريد: ٣٢٢/٢، وفي الكامل للمبرد: ٧٠٥/٢، وأمالي القالي: ١٤١/١، وكلها نسبت الأبيات لمحمود الوراق، إلا الآمدي، وأخذ منه الشريف المرتضىٰ وأماليه.

عليه ازدادَ همًا فمرضَ، فجاءَهُ العُوَّادُ لمرضِهِ لا للشَّيْبِ، وهذا تحمُّلٌ ضعيفٌ بعيدٌ، لأنَّ الشَّيْبَ لا يأتي دفعةً واحدةً فيوجبُ ذلك الهمُّ ما تقعُ معه عيادة، وقد يمرضُ حتىٰ يؤثِّرَ في وجودِهِ تأثيرًا لا يبلغُهُ الهَمُّ بالشيبِ ولا يُفارقُهُ، فلا يوجبُ ذلك عيادةً، وما أحسنَ قولَه في البيتين(١):

بـهِ علَّـةٌ للبـينِ صـمَّاء لـم تُصِـخْ ❊ لبُرْءٍ، ولـم توجـبْ عيـادةَ عائـدِ(٢)

وأحسنُ منه قولُ البحتريِّ(٣):

والحـبُّ شَـكْوٌ للنُّفُـوسِ يَسُـرُّني ❊ سَـهْوُ العَوَائِـدِ عَنْـهُ والعُـوَّادِ](٤)

وقولُه: «نَالَ رَأْسي مِنْ ثُغْرَة الهَمِّ...» بيتٌ رديءٌ، بعيدُ المعنىٰ. ولكِنَّهُ يَقْرُبُ ويتخلَّصُ إذا وقعَ التَّأَنِّي للعبارة عنهُ، فأقولُ: إنَّ الثُّغْرَةَ هي: الفرجةُ والثلمةُ تكونُ في الشيءِ؛ ولذلك سُمِّي كلُّ بلدٍ جَاوَرَ عَدُوًّا ثَغْرًا، كأَنَّ معناه أَنَّهُ مكشوفٌ للعدوِّ فلذلك قيلَ: قد سُدَّ الثغرُ بالرجالِ، وأَصله ـ واللهُ أعلمُ ـ من ثَغْرِ الإِنسانِ؛ لأَنَّه أَوَّلُ ما يقابلُكَ من أَسنَانِهِ، وأَوَّلُ ما يظهرُ عند الكلامِ، وأَولُ ما يسقطُ فيُرىٰ موضعُهُ مَثْلُومًا، فَشَبَّه الثَّغْرَ الذي هو البَلَدُ بهِ، وقالوا: قد أَثْغَرَ الصَّبيُّ واثَّغَرَ، وسميت تلكَ الثُّغْرَةُ فُرْجَةً في موضعِ السِّنِّ وفي كلِّ موضعٍ منفرجٍ، ومنه ثُغْرَةُ النَّحْرِ.

فأرادَ بقولِهِ: «نالَ رأسِي مِنْ ثُغْرَةِ الهَمِّ»، أَي وَجَدَ الشَّيْبُ من الهَمِّ فرجةً دخلَ علىٰ رأسي منها، جاءَ به علىٰ مذهبِهِ في الاستعارةِ، والهمُّ يشيبُ لا محالةَ.

---

(١) شرح الصولي: ٤٥٩/١، شرح التبريزي: ٦٩/٢، والبيت من الطويل.

(٢) من قوله: «وما أحسن...» إلىٰ «عيادة عائد» مستدركة في هامش النظام.

(٣) ديوان البحتري: ٧٣١/٢، والبيت من الكامل.

(٤) هذه فقرة نقلها ابن المستوفي مع أولها الذي جاء في أصل الموازنة، وهي متممة لها، النظام جـ١ لوحة ٢٧٠.

وقولُه: «لَمَّا لَمْ يَنَلْهُ مِنْ ثُغْرَةِ المِيلَادِ»، يذهبُ في ثُغْرَةِ الميلادِ إلىٰ الوقتِ [١٥٦/٢/أ] الذي يهجمُ عليهِ[١] فيه الشَّيْبُ من عمرِهِ؛ لأنَّه يجدُ السبيلَ في ذلك الوقتِ إلىٰ الحلولِ برأسِهِ، فجعَلَهُ ثُغْرَةً حينئذٍ، فيقولُ: إن المشيبَ حلَّ برأسِهِ من جهةِ همومِهِ وأَحزانِهِ لَمَّا لَمْ يبلغْ السِّنَّ الذي يُوجِبُ حُلولَه بهِ من جهةِ كبرِه[٢].

وكانَ وجهُ الكلامِ أَن يقولَ: من ثُغْرَةِ الكِبَرِ، أو من ثُغْرَةِ السِّنِّ، لا من ثُغْرَةِ الميلادِ[٣].

وكانَ يجبُ أَيضًا أَنْ يقولَ: حَلَّ برأَسي، أَوْ نَزَلَ؛ فإنَّ هذه اللفظةَ هي المستعملةُ في مثلِ هذا دونَ قولِهِ: «نالَ»، كأَنَّه يجعلُ الشَّيْبَ لم يَزَلْ يَتَرَصَّدُه، ويَتَطَلَّب فُرْصَةً منه ينْتهزُها في الدخولِ عليهِ وذلك لبعدِهِ كان عن الأَفراحِ والمَسَارِّ[٤]، وكثرةِ أَحزانِهِ وهمومِهِ، وليسَ لِثُغْرَةِ الصَّبِي وهو إِثْغَارُه إذا سقطَ سِنُّهُ ها هنا وجهٌ؛ لأَنَّ الإِنسانَ قد يشيبُ وهو حديثُ السِّنِّ فأَمَّا في ذلك الوقتِ فلا.

وقالَ[٥]:

نَسَجَ المَشِيبُ لَهُ قِنَاعًا مُغْدِفًا ❊ يَقَقًا فَقَنَّعَ مِذْرَوَيْهِ وَنَصَّفَا

---

(١) «ص»: (يهجم علي).

(٢) نقل المرتضىٰ في أماليه، كثيرًا من شروح الآمدي دون عزو، ومنها هذا الموضع: ٦١٢/١.

(٣) نقل المرتضىٰ كلام الآمدي وأشار إليه، وعلق عليه قائلًا:

(وهذا منه ليس بصحيح، لأن العبارات الثلاث بمعنىٰ واحد ويقوم بعضها مقام بعض، لأن الميلاد عبارة عن السن، فمن تقادم سنه تقادم ميلاده، ومن قربت سنه وقصرت قصر وقرب زمن ميلاده).

(٤) «ص»: (والمسان) تحريف.

(٥) شرح الصولي: ٥٢٩/٣، شرح التبريزي: ٤٧٠/٤، والأبيات من الكامل، وقد سبق البيت الأول في ٤٨٩/٢.

نَظَــرُ الزَّمَــانِ إِلَيــهِ قَطَّــعَ دُونَــهُ ❁ نَظَــرَ الشَّــفِيقِ تَحَسُّــرًا وَتَلَهُّفَــا[1]
ما اسْوَدَّ حَتَّىٰ ابْيَضَّ كَالكَرْمِ الَّذِي ❁ لَــم يَــأْنِ حَتَّــىٰ جِــيءَ كَيْمَــا يُقْطَفَــا
لَمَّــا تَفَوَّفَــتِ الخُطُــوبُ سَــوَادُهَا ❁ بِبَياضِــها عَبَثَـــتْ بِــهِ فَتَفَوَّفَــا
مــا كَــانَ يَخْطُــرُ قَبْــلَ ذَا فــي فِكْــرِهِ ❁ فــي البَــدْرِ قَبْــلَ تَمامِــهِ أَنْ يَكْسِــفَا

قولُه: نَظَرُ الزَّمانِ إِليه، أي: نَظَرُهُ بالشَّيْبِ قَطَّعَ دُونَه نَظَرَ الشفيقِ عن [٢/١٥٦/ب] أَنْ ينظرَ إِليه فيتحسَّرَ عليه ويتلهَّفَ، وإنما أَرادَ «قَطَعَ دُونه» خفيفةً فثقَّلها ليستويَ له الوزنُ، وقد يجوزُ أَنْ يكونَ أَرادَ التثقيلَ، أَي أَنَّ الشَّفِيقَ الذي كانَ يُدِيمُ النظرَ إليهِ ويُوَاصِلُه إعجابًا بهِ صَارَ لا يملأُ طرفَهُ لَمَّا شَابَ تَحَسُّرًا وتَأَسُّفًا، كلَّما نظرَ إِليه أَعرضَ عنهُ إِعراضَ آسفٍ عليهِ، لا إِعْرَاضَ بِغْضَةٍ وشَنَاءَةٍ، فجعلَ ذلك الإِعراضَ عنهُ في أَوقاتِهِ تَقْطيعًا للنظرِ إليهِ.

وقولُه: «ما اسودّ حتىٰ ابيضّ»، يريدُ سرعةَ مشيبِهِ.

وقولُه: «كالكَرْمِ الذي لَمْ يَأْنِ حتَّىٰ جِيءَ كَيْمَا يُقْطَفَا»[2] كلامٌ في غاية القُبْحِ والغَثَاثَةِ والبردِ، كأَنَّهُ جعلَ مَجِيءَ القاطفِ إلىٰ الكَرْمِ الذي لم يُدْرِكْ لِيقْطفَهُ كَحُلُولِ الشَّيْبِ برأسهِ قبلَ أَوانِهِ ليفنىٰ عمرُهُ.

وقولُه: «لَمَّا تَفَرَّقَت الخُطُوبُ سَوَادُهَا بِبياضها»، أَي لَمَّا اختلفتْ عليهِ بالخيرِ والشرِ فَوَّفَتْ رأسَهُ أَي خَلَطَتْ سوادَهُ ببياضِ الشَّيْبِ.

وقولُه: «ما كان[3] يَخْطُر قَبْلَ ذَا في فِكْرِهِ...» بيتٌ لفظُهُ ومعناهُ في غايةِ

(١) عند الصولي والتبريزي: (نظر الشقيق) بقاف مثناة، والشرح عند الصولي علىٰ (الشفيق)
(٢) «ص»: (يقطعا) تحريف.
(٣) «ص»: (ما كاد) تحريف.

الاضطرابِ والسَّخَافةِ[1].

وقالَ البحتريُّ[2]:

أَقُــولُ لِلِمَّتِــي إِذْ أَسْــرَعَتْ بِــي ❊ إِلىٰ الشَّـيبِ اخْسَـرِي فيـه وخِيبِـي
مُخَالَفَــةً بِضَــرْبٍ بَعْــدَ ضَــرْبٍ ❊ ومَـا أَنَـا واخْتِلَافَـات الضُّـرُوبِ[3]
وَكَــانَ جَدِيــدُها فيهــا غَرِيبًــا ❊ فَصَــارَ قَــدِيمُهَا حَــقَّ الغَرِيــبِ[4]

قولُه: وكانَ جديدُها فيها غريبًا من قولِ أبي تمامٍ[5]: [١٥٧/٢/أ]

طَــالَ إِنكــارِيَ البَيَــاضَ وإِنْ عُمْــ ❊ ـمِـرْتُ شَـيْئًا أَنْكَـرْتُ لَـوْنَ السَّـوَادِ

وبيتُ أَبي تمامٍ أَجودُ.

وقولُ البحتريِّ: «مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ» في غايةِ الحسنِ والصحةِ والبراعةِ.

وقالَ البحتريُّ[6]:

هَـلْ أَنْـتَ صَـارِفُ شَـيْبَةٍ إِنْ غَلَّسَـت ❊ فـي الوَقْـتِ أَوْ عَجِلَـتْ عَـنِ المِيعَـادِ
جَــاءَتْ مُقَدمَــةً أَمَــامَ طَوَالِــعٍ ❊ هَــذِي تُرَاوِحُنــي وَتِلْــكَ تُغَــادِي
وَأَخُــو الغَبِينَــةِ تَــاجِرٌ فــي لِمَّــةٍ ❊ يَشْــرِي جَدِيــدَ بَيَاضِــها بِسَــوَادِ

(١) انظر تعليقات المرتضىٰ في كتابه الشهاب في الشيب والشباب علىٰ هذه الأحكام من الآمدي ص٤ وما بعدها.
(٢) ديوانه: ٩٩/١، والأبيات من الوافر. وفي «ص»: (إلىٰ الشيب فيه) تحريف.
(٣) «ص»: (واختلاف).
(٤) ديوانه: (وكان حديثها).
(٥) سبق في ٥١٣/٢.
(٦) ديوانه: ٧٣١/٢.

لَا تَكْــذِبَنَّ فَمَــا الصَّــبا بِمُخَلِّــفٍ ❊ لَهْــوًا وَلا زَمَــنُ الصِــبا بِمُعَــادِ[1]
وَأَرىٰ الشَّـبابَ عَلَـىٰ غَضَـارَةِ حُسْـنِهِ ❊ وَجَمَالِــهِ عَــدَدًا مِــنَ الأَعْــدَادِ

قولُه: «يشري» أي يبيعُ «جديدَ بياضِها بسوادِ» يريدُ الخضابَ ؛ لأَنَّه قالَ: «لا تكْذبنَّ فما الصِّبا بمُخلّفٍ»[2].

وقولُه: «عَدَدًا مِنَ الأَعْدَادِ» ، أَي عَدَدًا قليلًا يسيرًا .

وقالَ[3]:

مَـا كَـانَ شَـوْقِي بِبِـدْعٍ يَـوْمَ ذَاكَ وَلَا ❊ دَمْعِـي بـأَوَّلِ دَمْـعٍ فـي الهَـوَىٰ سُـفِحَا
ولمَّــةٍ كُنْــتُ مَشْــغُوفًا بِجِــدَّتِهَا ❊ فَمَا عَفَا الشيبُ لي عَنْهَا ولَا صَفَحَا

وهذا من إحسانِهِ المشهورِ .

---

(١) ديوانه: (بمخلف فينا) .

(٢) في مواضع كثيرة من كتابي الشريف المرتضىٰ الأمالي والشهاب تحامل شديد علىٰ الآمدي ، فهو يتجاهل ذكر اسمه عندما يكون الشرح جيدًا وينسبه لنفسه ، ويتوصل إلىٰ ذمه وإن أسقط عبارة تؤدي إلىٰ تبرئة الآمدي من ادعاء الشريف ومنها هذا الموضع ؛ إذ قد تجاوز قول الآمدي: (لأنه قال «لا تكذبنَّ فما الصبا بخلفٍ....») ، وقال في الشهاب ص ٢١: (ووجدت الآمدي قد زل في معنىٰ قوله: «يشري»: يبيع ، وأراد: أن الغبين من باع جديد بياضه بسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، والأمر بخلاف ما ذكره وما جرىٰ للخضاب ذكر (!!!) ، ولا ههنا موضع للكناية عنه ، ومعنىٰ يشري ههنا: يبتاع ، لأن قولهم: شريت يستعمل في البائع والمبتاع جميعًا....) إلىٰ أن قال: (وإنما ذهب علىٰ الآمدي لفظة: يشري تقع علىٰ الأمرين المتضادين ، فتمحَّل ذكر الخضاب ، الذي لا معنىٰ لا معنىٰ له ههنا) .
والتحامل واضح هنا من المرتضىٰ ضد الآمدي الذي أشار إلىٰ البيت التالي في قوله: «لا تكذبن...» وهذا مراد به الخضاب ، ومن غير المتصور أن يذهب علىٰ الآمدي اللغوي النحوي الذي أجمع العلماء علىٰ سبقه في النحو واللغة من خلال مؤلفاته فيها ، أن يذهب عليه أن لفظة: «يشري» من الأضداد!!!

(٣) ديوانه: ١/٤٤٠ ، والبيتان من البسيط .

ووجدتُ في ديوانِ أَبي تمامٍ في الخضابِ، وهو يشبه كلامَهُ[1]، وأظنُّه منحولاً[2]:

فـإِنْ يَكُـنِ المَشِـيبُ طَـرَا عَلَيْنَـا ❁ وأَوْدَىٰ بِالبَشَاشَـــةِ والشَّـــبَابِ[3]

[٢/١٥٧/ب] فـإِنِّي لَسْـتُ أَدْفَعُـهُ بِشَـيءٍ ❁ يكُـونُ عليـه أَثْقَـلُ مِـن خِضَـابِ[4]

أَراد بــــأَنَّ ذاكَ وذا عـــــذابٌ ❁ فينـتقمُ العـذابُ مـن العـذابِ[5]

وقالَ البحتريُّ[6]:

لَـوْ رأَت حـادِثَ الخِضَـابِ لأَنَّـتْ ❁ وأَرَنَّـتْ مِـن احْمِـرَارِ اليرَنَّـا

وقالَ[7]:

قالـتْ الشَّـيْبُ أَتـىٰ قُلْـتُ أَجَـلْ ❁ سَـبَقَ الوَقْـتَ ضِـرَارًا وعَجِـلْ

وَمَـعَ الشَّـيبِ عَلَـىٰ عِلَّاتِـهِ ❁ مُهْلَـةٌ لِلمَـرْءِ حِينًـا والغَـزَلْ[8]

خَيَّلَـــتْ أَنَّ التَّصَـــابِي خَـــرقٌ ❁ بَعْـدَ خَمْسِـينَ ومَـنْ يَسْـمَعْ يَخَـلْ

وقالَ[9]:

---

(١) قد تكون العبارة: (وهو لا يشبه كلامه)!

(٢) الأبيات في ديوان محمود الوراق نقلًا عن معجم الأدباء لياقوت ص٧٧، جمع وتحقيق د. وليد قصاب، سنة ١٩٩١، والأبيات من الوافر.

(٣) ديوان الوراق: (وولىٰ بالبشاشة).

(٤) ديوان الوراق: (فإني لا أعاقبه)، (يكون علي أهون...).

(٥) ديوان الوارق: (رأيت بأن...).

(٦) سبق في ٢/٥١٠.

(٧) سبق البيت الأول ٢/٤٩٤.

(٨) ديوانه: (مهلة للهو).

(٩) ديوانه: ٢/٩٩٨، والأبيات من الطويل.

تَزَيــدُنِيَ الأَيّــامُ مَغْبُــوطَ عِيشَــةٍ ❁ فَيَنْقُصُــنِي نَقْــصَ اللَّيَــالِي مُرُورُهــا
وَأَلْحَقَنِــي بِالشَّــيْبِ فــي عُقْــرِ دَارِهِ ❁ مَنَاقِـلُ فـي عَـرْضِ الشَّـبابِ أَسِـيرُهَا
مَضَتْ في سَوَادِ اللَّيْل أُوْلَىٰ بَطَالَتِي ❁ فَدَعْنِي يُصَاحِبْ وَخْطَ شَيْبِي أَخِيرُها[1]

يقولُ: إذا زادَتْنِيَ الأيام شيئًا من غبطةِ العيشِ اجتمعتْ مع الليالي علىٰ انتقاصِه، أي ارتجاعِهِ، والمناقِلُ: جمعُ مَنْقَلَةٍ، وهي المرحلةُ من مراحلِ السَّفرِ.

وعَقْر الدارِ، وعُقْرها ـ بالفتح والضمِّ ـ أَصْلُها.

وهذا من بارعِ لفظِهِ وفصيحِهِ وبليغِهِ.

[١٥٨/٢/أ] ومن هذا البابِ، ويصلحُ أنْ يُثْبَتَ في البابِ الذي بعدَهُ قولُ آخرٍ[2]:

نَــزَلَ المشــيبُ بِعَارِضَيْــ ❁ ـيَ وضِـقْتُ ذَرْعًـا بالمشـيبْ
وبكيــتُ إِذْ رَحَــلَ الشَّــبا ❁ بُ بكا المُحِبِّ علىٰ الحَبِيبْ
داءٌ عَيَــاءٌ لَــيْسَ مِمْــ ❁ ـمَا ما أَشْتَكِيهِ إِلىٰ الطَّبِيبْ
مَــا لِلْمَشِــيبِ بَكَيْــتُ لَــ ❁ ـكِنْ خَشْيَةَ الأَجَلِ القَرِيـبْ

وما أَحسنَ ما قالَ عَمْرُو بنُ المُبَارَكِ الخُزَاعِيُّ في هذا[3]:

مَــنْ لِأُذْنِــي بِمَــلَامِ ❁ ولِكَفِّــي بِمُــدَامِ
رَقَّ عَظْــمُ الجَهْــلِ مِنِّــي ❁ وانْحَنَــىٰ مَــتْنُ عُرَامِــي[4]

---

(١) ديوانه: (مضت في سواد الرأس). وانظر الشهاب للمرتضىٰ ص ٢٢.
(٢) لم أعرف قائلها ولم أجدها فيما بين يدي من مصادر والأبيات من مجزوء الكامل.
(٣) الأبيات لعمرو بن المبارك، مولىٰ خزاعة في أمالي اليزيدي ص ١٢٣، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٣٢٦/٢. والأبيات من مجزوء المتقارب.
(٤) اليزيدي: (مني عظامي)، ابن قتيبة: (شن عرامي).

وتَمَشّى السيفُ مِنْ شَيْـ ❊ ـبي إلى شَيْبِي التُّؤَامِ[1]
نَظْمَكَ الدُّرَّ إلى الدُّرْ ❊ رَةِ في سِلْكِ النِّظَامِ[2]

وممَّا لا شيءَ أَجودُ منه في معناهُ قولُ الآخرِ، ولا تَشِينُه شُهْرَتُه[3]:

أَلْقَى عَصَاهُ وأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ ❊ وقَالَ ضَيْفٌ فقُلْتُ الشَّيْبُ قَالَ أَجَلْ
فَقُلْتُ أَخْطَأْتَ دَارَ الحَيِّ قَالَ لَقَدْ ❊ تَمَّتْ لَكَ الأَرْبَعون الوْفَر ثمَّ نَزَلْ[4]
فَمَا شَجيتُ بِشَيءٍ مَا شجيتُ بِهِ ❊ كأَنَّمَا اعْتَمَّ مِنْهُ مَفْرِقي بِجَبَلْ[5]

وقد تصرَّفَ البحتريُّ في هذا البابِ تصرُّفًا حسنًا.

ولولا قولُ أَبي تمامٍ: [١٥٨/٢/ب] «فلا يُؤَرِّقْكِ إِيمَاضُ القَتيرِ بِهِ».

وقولُه: «شَابَ رأسي»، والبيتان بعدَهُ لفضَّلتُ البحتريَّ عليهِ في افتنانِهِ، وبراعةِ لفظهِ، وسلامةِ معناه، لكنِّي أَجعلهما متكافئين.



(١) اليزيدي: وابن قتيبة: (وتمشى الفذ).
(٢) اليزيدي: (في سلك العظام).
(٣) الأبيات في ديوان دعبل ص ٤١٤، نقلا عن الشهاب، ولم أجدها في ديوان علي بن جبلة.
(٤) الشهاب وديوان دعبل: (قال: ولم؟ مضت لك..).
(٥) «ص»: (بجمل) تحريف.

البكاءُ على الشَّبابِ والتعزِّي عنهُ والعزوفُ عن الصِّبا



قالَ أَبو تمامٍ[(١)]:

أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ الشَّبابِ هَشِيمَا ❊ وغَدَتْ رِيحُهُ البَليلُ سَمُومَا

وقالَ البحتريُّ[(٢)]:

خَلَقُ العَيْشِ في المشيبِ وإِنْ كَا ❊ نَ نَضِيرًا وفي الشباب جَدِيدُهْ
لَيْتَ أَنَّ الأَيَّامَ قَامَ عَلَيْها ❊ مَنْ إِذَا مَا انْقضَى زَمَانٌ يُعِيدُهْ
ولو أَنَّ البَقَاءَ يَخْتَارُ فِينَا ❊ كانَ ما تَهْدِمُ اللَّيَالِي تَشِيدُهْ
شَيَّبَتْنِي الخطوبُ إِلَّا بَقَايَا ❊ مِنْ شَبابٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شريدُهْ[(٣)]
لَا تُنَقِّبْ عَنِ الصِّبَا فَخَلِيقٌ ❊ إِنْ طَلَبْنَاهُ أَنْ يَعِزَّ وُجُودُهْ

وهذا من الحلاوةِ والحسنِ على ما تراهُ.

وقالَ وقد مضتْ في بابٍ آخر[(٤)]:

أَيُثَنَّى الشَّبَابُ أَمْ ما تَوَلَّى ❊ مِنْهُ في الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
لَا أَرَى العَيْشَ والمفَارِقُ بِيضٌ ❊ أُسْوَةَ العَيْشِ والمفَارِقُ سُودُ

---

(١) شرح الصولي: ٢/٣٩٩، وفيه: (ريحة البلول)، وشرح التبريزي: ٣/٢٢٣، وقال التبريزي: (قد تردد ذكره البليل) من الرياح، وهي التي فيها شيء من مطر. وربما قيل هي الباردة، والأول أشبه بالاشتقاق. والبيت من الخفيف.

(٢) ديوانه: ٢/٧٥٢، والأبيات من الخفيف.

(٣) «ص»: (شيبتني المشيب)، تحريف، وفي الديوان: (شيختني).

(٤) سبق في ٢/٥٠٩.

ومن جيِّدِ هذا الباب قولُ كُثيِّرٍ(١):

[١٥٩/٢/أ]وَكَانَ الصِّبَا خِدْنَ الشَّبَابِ فَأَصْبَحَا ❊ وقَـدْ تَرَكَـانِي فـي مَغَانِيهِمَـا وَحْـدِي

فَــوَاللهِ مَــا أَدْرِي أَطَــائِفُ جِنَّــةٍ ❊ تـأَوَّبَنِي أَمْ لَـمْ يَجِـدْ أَحَـدٌ وَجْـدِي

وقالَ البحتريُّ(٢):

أَوَاخِــرُ العَــيْشَ أَخْبَــارٌ مُكَــرَّرَةٌ ❊ وأَقْـرَبُ العَـيْشِ مِـنْ لَهْـوٍ أَوَائِلُـهُ

يَجْـرِي الشَّـبَابُ إِذَا مَـا تَـمَّ تَكْمِلَـةً ❊ والشــيءُ يُنْفِــدُهُ نَقْصًــا تكامُلُــهُ(٣)

ويُعقــبُ المَــرْءِ بُــرْءًا مِــنْ صَــبَابَتِهِ ❊ تَجَـرُّمُ العَـامِ يَمْضِـي ثُـمَّ قَابِلُـهُ(٤)

إِنْ فَـرَّ مِـنْ عَنَـتِ الأَيَّـامِ حَازِمُها ❊ فَــالحَزْمُ فَــرُّك مِمَّــنْ لا تُقاتِلُــهُ

وإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الوِدَادِ فَكَمْ ❊ أَمْسَـيْتُ أَحْـذَرُ مَـا أَصْـبَحْتُ آمُلُـهُ

وقالَ(٥):

أَمَّــا الشَّــبَابُ فَقَــدْ فَنِيــت بِغَضِّــهِ ❊ وحَطَطْـتَ رَحْلَـكَ مُسْرِعًا عَـنْ نُقْضِـهِ

وأَقَــامَ مُشْــتَاقٌ وأَقْصَــر عَــاذِلٌ ❊ أَرْضَاهُ فِيكَ الشَّيْبُ إِذْ لَمْ تُرْضِهِ(٦)

شَـعَرٌ صَـحِبْتُ الـدَّهْرَ حتَّـىٰ جَـازَنِي ❊ مُسْـوَدُّهُ الأَقْصَـىٰ إِلَـىٰ مُبْيَضِّـهِ(٧)

---

(١) ديوان كثير عزة ص٤٤٥، جمع وتحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، والبيتان من الطويل.

(٢) ديوانه: ١٨٢٨/٣، والأبيات من البسيط.

(٣) ديوانه: (والشيء يرجعه نقصًا).

(٤) ديوانه: (يأتي ثم..).

(٥) ديوانه: ١١٩٥/٢، والأبيات من الكامل. وفي الديوان: (فقد سبقت).

(٦) ديوانه: (أفاق مشتاق).

(٧) ديوانه: (حتىٰ حاز بي).

فَعَلىٰ الصِّبَا الآنَ السَّلامُ وَلَوْعَةٌ ❁ تَثْنِي عَلَيْهِ الدَّمْعَ في مُرْفَضِّهِ[1]
وَلْيُقْنَ تُفَّاحُ الخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ ❁ تَقْبِيلِهِ غَزِلًا وَلَا مِنْ غَضِّهِ

أَي فعليه السلامُ وعليهِ لَوْعَةٌ.

وقالَ[2]: [١٥٩/٢/ب]

وِصَالٌ سَقَانِي الخَبْلَ صِرْفًا وَلَمْ يَكُنْ ❁ لِيَبْلُغَ مَا أَدَّتْ عَقَابِيلُهُ الهَجْرُ
وبَاقِي شَبابٍ في مَشيبٍ مُغَلَّبٌ ❁ عليه اخْتِتَاءُ اليَوْمِ يَكْثُرُه الشَّهْرُ[3]
وَلَيْسَ طَلِيقًا مَنْ يُرَوِّحُ أَوْ غَدَا ❁ يَسُومُ التَّصَابِي والمَشِيبُ لَهُ أَسْرُ[4]
تَطَاوَحَنِي العَصْرَانِ في رَحَوَيْهِمَا ❁ يُسَيِّبُنِي عَصْرٌ ويَقْلَعُنِي عَصْرُ[5]
مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا اسْتَبَدَّ بجِدَّتِي ❁ وأَعظمُ جُرْمِ الدَّهْرِ أَنْ يُمْتِعَ الدَّهرُ[6]

قولُه: «وِصَالٌ سَقَانِي الخَيْلُ صِرْفًا»، يريدُ أَنَّه لمَّا جادَه المشيبُ حزنَ علىٰ الوصلِ، وأَسفَ أَسفًا شديدًا؛ لأَنَّه ليسَ يَجدُ له مثلَ ما كانَ، ولأَنَّ محبوبَهُ إِنْ وَاصَل وَاصَلَ تكَلُّفا، وإِنَّ ذلك لا بقاءَ لهُ، وإِنَّه ذاهبٌ حتىٰ إِن عقابيلَهُ ـ وهي أَواخره وبقاياه ـ لو كانَ مكانَها الهجرُ لما بلغَ من خَبْلِهِ ما بَلَغَت.

وقوله: «مُغَلَّبٌ عَلَيْهِ اخْتِتَاءُ اليَوْمِ»، فالاخْتِتَاءُ: الانْخِزَالُ والتَّهَيُّبُ من

---

(١) ديوانه: (في مرفضه).
(٢) ديوانه: ٨٧٠/٢، والأبيات من الطويل، وفي «ص»: (عقابيله الدهر).
(٣) الاختتاء: الذل والانكسار، يريد: أن اليوم يذل أمام تفاخر الشهر بكثرته.
(٤) ديوانه: (وليس طليق القوم من راح...).
(٥) «ص»: (يشيبني) تصحيف.
(٦) ديوانه: (متاع من الدهر).

الشيءِ، والخشوع لَهُ، يريدُ كاخْتِتَاءِ اليومِ إِذا كاثَرَهُ الشَّهْرُ فكَثَرَهُ؛ لأَنَّ يومًا لا يكونُ كشهرٍ في المُكاثَرَةِ والْمَفاخَرَةِ.

وقالَ(١):

تَقَضَّـى الصِّـبا إِلَّا تَلَـوُّمَ رَاحِـلِ ❊ وأَغْنَـى المشيبُ عَـنْ مَـلامِ العَـوَاذِلِ
وتَأْبَى صُرُوفُ الدَّهْرِ سُودًا شُخُوصُهَا ❊ عَلى البيضِ أَنْ يَحْظَيْنَ مِنْهُ بِطَائِلِ(٢)
يُحَـاوِلْنَ عِنْـدِي صَـبْوَةً وإِخَـالُنِي ❊ عَلَـى شُـغُلٍ مِمَّـا يُحَـاوِلْنَ شَـاغِلِ(٣)
[١٦٠/٢/أ] رَمَيَّ رَزَايَا صَائِباتٍ كَأَنَّنِي ❊ لِمَـا أَشْـتَكِي مِنْهَـا رَمِـيُّ جَنَـادِلِ

وقالَ(٤):

فـي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَـهُ لـو كَـانَ يَنْزَجِرْ ❊ وَوَاعِـظٌ مِنْـهُ لَـوْلَا أَنَّـهُ حَجَـرُ
ابْيَضَّ مَا اسْوَدَّ مِنْ فَوْدَيْهِ وارْتَجَعَتْ ❊ جَلِيَّـةُ الصُّـبْحِ مَـا قَـدْ أَغْفَـلَ السَّـحَرُ
ولِلْفَتَـى مُهْلَـةٌ فـي العَـيشِ وَاسِـعَةٌ ❊ مَا لَمْ يَمُتْ في نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعَرُ(٥)

قولُه: «ارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ» قريبٌ من قولِهِ(٦):

تَزِيـدُني الأَيَّـامُ مَغْبُـوطَ عِيشَـةٍ ❊ فتنقصُـنِي نَقْـصَ اللَّيَـالي مُرُورُهـا

وقالَ(٧):

(١) ديوانه: ١٨٦٢/٣، والأبيات من الطويل.
(٢) ديوانه: (مني بطائل).
(٣) ديوانه: (عما يحاولن).
(٤) ديوانه: ٩٥٣/٢، والأبيات من البسيط.
(٥) ديوانه: (مهلة في الحب).
(٦) سبق ٥٢٢/٢.
(٧) ديوانه: ١٠٦١/٢، والأبيات من الطويل.

أَيَا صَاحِبِي إِمَّا أَرَدْتَ صحَابَتِي ❊ فَكُنْ مُقْصِرًا أَوْ مُغْرَمًا مِثْلَ مُقْصِرِ
فَإِنِّيَ إِنْ أُزْمِعْ غُدُوًّا لِطِيَّتِي ❊ أُغَلِّسْ وَإِن أُجْمِعْ رَوَاحًا أُهَجِّرِ
وَمَا يَقْرَبُ الطَّيْفُ المُلِمُّ رَكَائِبِي ❊ وَلا يَعْتَرِينِي الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ يَعْتَرِي
سُقينَا جَنَىٰ السُّلْوَانِ أَمْ شَغَلَ الهَوَىٰ ❊ عَلَيْنَا بَنُو العِشْرِينَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرِ

وما قيلَ في هذا البابِ كقولِ ابنِ حَازِمٍ[1] البَاهِليِّ، ومنصورٍ النَّمَرِي.

قال ابنُ حَازِمٍ[2]:

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لي حَزَنًا ❊ مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِي ثَكَلُ
[١٦٠/٢/ب] لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعها ❊ مِنَ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ
يَكْفِيك بالشَّيبِ ذَنْبًا عند غَانِيَةٍ ❊ وبالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ[3]

وقالَ منصورٌ[4]:

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي ولَا جَزَعُ ❊ إِذا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيس يُرْتَجَعُ
بَانَ الشَّبَابُ وفَاتَتْنِي بِشِرَّتِهِ ❊ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ
مَا كِدْتُ أُوفِي شَبَابِي كُنْهَ غُرَّتِهِ ❊ حتىٰ انْقَضَىٰ فإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ[5]

---

(١) «ص»: (ابن الحازم).
(٢) ديوان الباهلي: ص ٨٧، مع اختلاف في ترتيب الأبيات، وهي من البسيط.
(٣) في الديوان: (كفاك بالشيب عيبًا).
(٤) ديوان منصور النمري، ص٩٥ وما بعدها، جمع الطيب العشاش، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨١. والأبيات من البسيط.
(٥) ديوانه: (كنه عزته).

وأَنشدَ إِسحقُ الموصليُّ[1]:

لَعَمْرِي لئِنْ حُلِّئْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا ✤ لَقَـدْ كُنْـتُ وَرَّادًا لِمَشْـرَبِهِ العَـذْبِ
ليـالِيَ أَمْشِـي بَـيْنَ بُـرْدَيّ لَاهيًـا ✤ أَمِيسُ كَغُصْنِ البَانةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سَلامٌ عَلَىٰ سَيْرِ القِلَاصِ مع الرَّكْبِ ✤ وَوَصْـلِ الغَـوانِي والمُدَامَـةِ والشَّـرْبِ
سـلامُ امْـرِئٍ لَـمْ تَبْـقَ مِنْـهُ بَقِيَّـةٌ ✤ سِوَىٰ نَظَرِ العَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ القَلْبِ



(١) الأبيات في الكامل للمبرد لإسحاق ٢/٨٤٥، والأبيات من الطويل.

الاعتذارُ من الشَّيْبِ

قالَ البحتريُّ(١):

رُبَّ عَـيْشٍ لَنَـا بِرَامَـةَ رَطْـبٍ ❊ ولَيَـالٍ فِيهـا طِـوَالٍ قِصَـارِ
قَبْـلَ أَنْ يُقْبِـلَ المَشِـيبُ وَتَبْـدُو ❊ هَفَـواتُ الشَّـبَابِ فـي إِدْبَـارِ
[١٦١/٢/أ] كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ولَكِنْ ❊ أَعْـوزَ العُـذْرُ مِـنْ بَيَـاضِ العِـذَارِ
كَـانَ حُلْـوًا هَـذَا الهَـوَىٰ وأَرَاهُ ❊ صَـارَ مُـرًّا والسُّـكْرُ قَبْـلَ الخُمْـارِ(٢)

قوله: «كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْب» مقبولٌ ونافعٌ ناجعٌ سوىٰ العذرِ من الشَّيبِ، أَو كلِّ عُذْرٍ من كلِّ ذنب موجودٌ ممكنٌ، غيرَ العذرِ من الشيبِ، فإِنَّه غيرُ موجودٍ وهذا أَليقُ وأَشبَهُ.

وقالَ(٣):

وحُمِّلْـتُ عِنْـدَكِ ذَنْـبَ المَشِيـ ❊ ـبِ حتَّـىٰ كـأَنِّي ابْتَـدَعْتُ المَشِـيبَا



(١) ديوانه: ٢/٩٨٧، والأبيات من الخفيف.

(٢) ديوانه: (عاد مرًّا).

(٣) ديوانه: ١/١٥٠، والبيت من المتقارب.

مدحُ الشَّيْبِ والتعزّي عنهُ

قالَ البحتريُّ[1]:

عَيَّرَتْنِـي المشـيبَ وَهْـيَ بدَتْـهُ ❊ فـي عِـذَارِي بالصَّـدِّ والاِجْتِنَـابِ
لا تَرَيْـهِ عَـارًا فَمَـا هُـوَ بالشَّيْـ ❊ ـبِ ولَكِنَّـهُ جِـلَاءُ الشَّـبَابِ
وَبَيَـاضُ البَـازِيِّ أَصْـدقُ حُسْـنًا ❊ لَـوْ تأَمَلْـتِ مِـنْ سَـوَادِ الغُـرَابِ[2]

قولُه: «بَدَتْهُ»، أَرَادَ بدأَتْهُ فتركَ الهمزَ، يقالُ: بدأتُ بالأَمرِ، وأبدأتُه.

وقولُه: «ولكنّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ» من معانيه التي تُستحسنُ.

وقالَ أَبو تمامٍ[3]:

أَبْدَتْ أَسًى إِذْ رَأَتْنِي مُخْلَسَ القُصَبِ ❊ وعادَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلىٰ عَجَبِ
ستٌّ وعشْـرُونَ تَـدْعُونِي وأَتْبَعُهـا ❊ إِلىٰ المَشِيب ولَـمْ تَظْلِـمْ ولَـمْ تَحُـبِ
[٢/١٦١/ب] فلا يُؤَرِّقْكِ إِيماضُ القُتيرِ بِهِ ❊ فـإِنَّ ذَاكَ ابْتِسـامُ الـرَّأْيِ والأَدَبِ[4]

وقد مرَّتْ في باب «نزول الشيب قبل حينه»[5].

وقولُه: «فإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ والأَدَبِ» أَحسنُ من قولِ البحتريِّ:

---

(١) ديوانه: ١/٨٤، والأبيات من الخفيف، وفي «ص»: (وهي جنية).

(٢) ديوانه: (إن تأملت).

(٣) شرح الصولي: ١/٢٢٢، شرح التبريزي: ١/١٠٩، وفيهما: (وآل ما كان..). والأبيات من البسيط.

(٤) «ص»: (فلا يحدقك) تحريف.

(٥) انظر ٢/٥١٣.

«جِلَاء الشَّبَابِ»، وأَجودُ وأَبرعُ وأَصحُّ معنىٰ.

وقالَ البحتريُّ[1]:

هَـا هُـوَ الشَّـيْبُ لَائِمًـا فَـأَفِيقِي ✽ واتْرُكِيـهِ إِنْ كَـانَ غَيْـرَ مُفِيـقِ
فَلَقَـدْ كَـفَّ مِـنْ عَنَـاءِ الْمُعَنَّـىٰ ✽ وتَلَافَـىٰ مِـن اشْـتِيَاقِ المَشُـوقِ
عَـذَلَتْنَا فـي عِشْـقِها أُمُّ عَمْـرٍو ✽ هَـلْ سَـمِعْتُمْ بالعَـاذِلِ المَعْشُـوقِ
ورَأَتْ لِمَّـةً أَلَـمَّ بهـا الشَّيْـ ✽ ـبُ فَرِيعَـتْ مِنْ ظُلْمَـةٍ فـي شُـرُوقِ
ولَعَمْـري لَـوْلَا الأَقَاصِـي لأَبْصَـرْ ✽ تِ أَنِيـقَ الرِّيَـاضِ غَيْـرَ الأَنِيـقِ[2]
وسَـوَادُ العُيُـونِ لَـوْ لَـمْ يُكَمَّـلْ ✽ بِبيَـاضٍ مَـا كَـانَ بـالَمْرمُوقِ[3]
ومِـزاجُ الصَّـهْبَاءِ بالمـاءِ أَمْلَـىٰ ✽ بِصَـبوحٍ مُسْتَحْسَـنٍ وغَبُـوقِ
أَيُّ لَيْـلٍ يَبْهـىٰ بِغَيْـرِ نُجُـومٍ ✽ أَوْ سَـحَابٍ يَنْـدىٰ بِغَيْـرِ بُـرُوقِ

هذا إِنَّما يُخْرِجُه الشاعرُ وأَشباهُهُ مخرَجَ النَّادرةِ فَيُسْتَحْسَنُ.

وأَخذَ قولَه: «أَيُّ ليل يَبْهَىٰ بغيرِ نُجُوم» من قولِ الآخرِ[4]:

---

(١) ديوانه: ١٤٨٥/٣، والأبيات من الخفيف.

(٢) ديوانه: (غير أنيق). والأقاحي: جمع أقحوان، زهر أبيض تشبه به الأسنان، وهو هنا يشبه به الشيب.

(٣) ديوانه: (لو لم يحسَّن).

(٤) البيتان في الحماسة الشجرية، ٨٢٧/٢، تحقيق عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي، وزارة الثقافة، دمشق سنة ١٩٧٠. وهما منسوبان فيها إلىٰ البحتري (!!).
والبيت الثاني في: مجموعة المعاني ٥٨١/١، وعيون الأخبار ٥٢/٤ منسوب للفرزدق، وفي شعر محمد بن وُهيب الحميري، في شعراء عباسيون، ص٨٩، د. يونس أحمد السامرائي، مكتبة النهضة العربية، بيروت سنة ١٩٨٦. والبيتان من الطويل.

أَشِيبُ وَلَـمْ أَقْـضِ الشبابَ حُقُوقَـهُ ❊ ولَـمْ يَمْـضِ مـن عَهْـدِ الشَّبَابِ قَـدِيمُ
[١٦٢/٢/أ] تَفَارِيقُ شَيْبٍ في السَّوَادِ لَوَامِعٌ ❊ وَمَـا خَيْـرُ لَيْـلٍ لَـيْسَ فِيـهِ نُجُـومُ[١]

وقالَ آخرُ في مدحِ الشَّيْبِ[٢]:

لَا يَرُعْكِ المَشِيبُ يـا ابْنَـةَ عَبْدِ اللْـ ❊ ـلــــه فالشَّـــيْبُ حِلْيَـــةٌ وَوَقَـــارُ
إِنَّمـــا تَحْسُـــنُ الرِّيَـــاضُ إِذَا مَـــا ❊ ضَـــحِكَتْ فـــي خِلَالِهَـــا الأَنْـــوَارُ

وما أَحسنَ ما قالَ امرؤُ القَيْسِ، وأَجودَه وأَصَحَّه في التعزِّي عن المشيبِ[٣]:

أَلَا إِنَّ بَعْـــدَ الْعُـــدْمِ لِلمَـــرْءِ قِنْـــوَةً ❊ وبَعْـدَ المَشيب طُـوْلَ عُمْـرٍ وَمَلْبَسَـا

وقالَ آخرُ، ومن هذا أخذَ هو وغيرُه[٤]:

والشَّـــيْبُ إِنْ يَحْلُـــلْ فـــإِنْ وَرَاءَهُ ❊ عُمْـــرًا يكُـــونُ خِلالَـــهُ مُتَـــنَفَّسُ



---

(١) قال المرتضىٰ بعد أن نقل كلام الآمدي:
(وقد قلنا إنَّه لا ينبغي أن يقال أخذ فلان كذا من فلان، وإنما يقال في البيتين: إنهما يتشابهان، ويتشاكلان، وإن هذا نظير ذاك ولا يزاد علىٰ هذا).
وقد صدق المرتضىٰ في هذا، لأن الذوق النقدي قد تطور بعد أكثر من خمسين عامًا من وفاة الآمدي، ولم تعد تهمة السرقة مسلطة علىٰ الشعراء المحدثين، كما كانت في عصر الآمدي وما قبله.

(٢) البيتان لعلي بن الجهم، وهما في ديوانه الذي عني بتحقيقه خليل مردم بك ص١٣٩، دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٨٠، وفي ديوانه (هيبة ووقار). والبيتان من الخفيف.

(٣) ديوانه: ص ١٠٨، وهو من الطويل.

(٤) في عيون الأخبار لغيلان بن سلمة ٤/٥٢، وفي الأغاني لشاعر ثقيف في الجاهلية: ٢/٢١٠، ٥/٢٦٤، والبيت من الكامل.

ذِكْرُ الكِبَرِ وشكوى الدَّهرِ وتغيُّرِ الحالِ

قالَ أبو تمامٍ[١]:

... ... ❁ ... ...

... ... ❁ ... ...

[١٦٢/٢/ب] وقالَ البحتريُّ[٢]:

فَــإِنْ ســتٌّ وسِــتُّونَ اسْــتَقَلَّتْ ❁ فَـلَا كَـرَّتْ بطَلْعَتِهَـا الخُطُـوبُ
لَقَـدْ سَـرَّ الأَعَـادِي فِـيَّ أَنِّـي ❁ بِـرَأْسِ العَـيْنِ مَحْـزُونٌ كئيـبُ
وأَنِّـي اليـومَ عَـنْ وَطَنِـي شَـرِيدٌ ❁ وشُـبَّتْ دُونَ بُغْيَتِـيَ الحُـرُوبُ[٣]
عَلَـىٰ حِـينَ اسْـتَتَمَّ الـوَهْنُ عَظْمِـي ❁ وأُعْطِـي فَـيَّ مَـا احْـتَكَمَ المَشِـيبُ
وقَـدْ يَـردُ المَنَاهِـلَ مـن يُحَـلَّا ❁ عَلَـىٰ ظَمـإٍ ويَغْـنَمُ مَـنْ يَخيـبُ
وأَيْسَـرُ فَائِـت خَلفًـا سَـرِيعًا ❁ رقَـابُ المَـال يُرْزَؤُهـا الكَسُـوبُ
فَمَـنْ ذَا يَسْـأَلُ البَجلِـيَّ عَمَّـا ❁ يَـذُمُّ مِـنَ اخْتِيـاري أَوْ يَعيـبُ
يُعَنِّفُنِـي عَلَـىٰ بَغَتَـات عَزْمِـي ❁ وكُنْـتُ ولَا يُعَنِّفنِـي الأَرِيـبُ
وقَـدْ أَكْـدَىٰ الصَّـوَابُ عَلَـيَّ حَتَّـىٰ ❁ وَدِدْتُ بـأَنَّ شَـانِئِيَ المُصِـيبُ

---

(١) بياض في النسختين، «ص»، «ر»، وجاء في هامش «ر»: هنا بياض في الأصل، وهذا يدل علىٰ أن النسختين أصلهما واحد.

(٢) ديوانه: ٢٥٨/١، وفيه: (برجعتها)، والأبيات من الوافر.

(٣) وفي الديوان وقع اضطراب هنا، فسقط عجز هذا البيت وظهر البيت التالي، وضم عجزه هنا.

لَعَــلَّ أخــاك يَرْقُــبُ أَنْ تُطَــاطِي ❁ لَــهُ مِنِّــي النَّوَائِــبُ إذْ تَنُــوبُ[1]
فَــأَيْنَ الــنَّفْسُ ذَاتُ العَــزْمِ عَمَّــا ❁ تَسَــكَّعَ فيــهِ والصَّــدْرُ الرَّحيــبُ[2]

وقالَ[3]:

سَيُثْلِجُ صَدْري اليَأْسُ واليَأْسُ مَنْهلٌ ❁ مَتَـىٰ تَغْتَـرِفْ مِنْـهُ الجَـوَانِحُ تَـثْلَجِ
قَنِعْـتُ عَلَـىٰ كُرْهٍ وطَأْطَـأْتُ نَـاظِري ❁ إِلَىٰ رَنْقِ مَطْرُوقٍ مِنَ العَيْشِ حَشْرَجِ[4]
[١٦٣/٢/أ]ولَجْلَجْتُ فِي قَوْلِي وكنتُ مَتَىٰ أقُلْ ❁ بمَسْــمَعةٍ فــي مَجْمَــعٍ لا أُلَجْلِــجِ
يَظُــنُّ العِــدَىٰ أَنِّــي فَنِيــتُ وإِنَّمَــا ❁ هي السِّنُّ في بُرْدٍ مِنَ الشَّيْبِ مُنْهَجِ[5]
نَضَوْتُ الصِّبَا نَضْوَ الرِّدَاءِ وسَاءَنِي ❁ مُضِيُّ أَخِي أُنْسٍ مَتَىٰ يَمْضِ لا يَجِي
مَضَــىٰ جَعْفَـرٌ والفَـتْحُ بَـيْنَ مَرَمَّــلٍ ❁ وبَـيْن ضَـجيعٍ بالـدِّمَاءِ مُضَـرَّجِ[6]
أَأَطْلُـبُ أَنْصَـارًا عَلَـىٰ الـدَّهْرِ بَعْـدَمَا ❁ ثَوَىٰ مِنْهُمَا في التُّرْب أَوْسِي وَخَزْرَجِي
أُولئــكَ سَــادَاتِي الــذِين بــرَأْيِهِمْ ❁ حَلَبْـتُ أَفَـاوِيقَ الرَّبيـعِ المُـثَجَّجِ[7]
مَضَـوْا أمَمًـا قَصْـدًا وخُلِّفْـتُ بَعْـدَهُمْ ❁ أُخَاطِـبُ بالتَّـأمِيرِ والـيَ «مَنْـبجِ»

وهذا من إحسانه المشهور.

---

(١) بياض في «ص»، والتصحيح من «ر».
(٢) ديوانه: (ذات الفصل).
(٣) ديوانه: ٤١٧/١، والأبيات من الطويل.
(٤) رنق: الماء الكدر، الحشرج: الحِسِيُّ يجتمع فيه الماء.
(٥) البرد المنهج: الثوب الخَلِقُ البالي.
(٦) ديوانه: (صبيغ في الدماغ).
(٧) ديوانه: (الذين بفضلهم).

وقالَ(١):

ومُعَيِّـرِي بالـدَّهْرِ يَعْلَـمُ فـي غَـدٍ ❊ أَنَّ الحَصَـادَ وَرَاءَ كُـلِّ نَبَـاتِ
أبُنَـيَّ إنِّـي قَـدْ نَضَـوتُ بَطَـالَتِي ❊ فَتَحَسَّـرَتْ وصَـحَوْتُ مِـنْ سَـكَرَاتِي
نَظَـرَتْ إلـيَّ الأَرْبَعُـونَ فَأَصْـرَخَتْ ❊ شَـيْبِي وهَـزَّتْ لِلْحُنُـوِّ قَنَـاتِي
وأَرَىٰ لِـدَاتَ أَبِـي تَتَـابَعَ كُثْـرُهُمْ ❊ فَمَضَـوْا وكَـرَّ الـدَّهْرُ نَحْـوَ لِـدَاتِي
ومِـنَ الأَقَـارب مَـنْ يُسـرُّ بمِيتَتِـي ❊ سَـفَهًا وعِـزُّ حَيَـاتِهِمْ بِحَيَـاتِي

وقالَ(٢):

عَلَقْـتُ فَوَدَّعْـتُ التَّصَـابِي وإِنَمَـا ❊ تَصَـرُّمُ لَهْـوِ المَـرْءِ أَنْ يَكْمُـلَ العَقْـلُ
أَرَىٰ الحِلْمَ بُؤْسي في المَعِيشَةِ لِلْفَتَىٰ ❊ ولا عَـيْشَ إِلَّا مَـا حَبَـاكَ بِـهِ الجَهْـلُ

[٢/١٦٣/ب] وهذا إحسان البحتري الذي لا يفِي ببراعةِ مَعْنَاهُ شيء.



(١) ديوانه: ١/٣٦٤، والأبيات من الكامل.
(٢) ديوانه: ٣/١٦١٦، والبيتان من الطويل.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مساوئُ البحتريِّ	٥
سرقاتُ البحتريِّ	٧
وهذا ما أخذَهُ البحتريُّ من معاني أبي تمامٍ خاصةً	٢١
وهذا الآنَ ما أخطأَ فيه البحتريُّ منَ المعاني	٧٢
وهذا ما عِيبَ بهِ البحتريُّ وليسَ بعيبٍ	٨٢
وهذا بابٌ في اضطرابِ الأوزانِ	١٠٨
بابٌ في فضلِ أبي تمامٍ	١١٩
باب في فضلِ البحتريِّ	١٢٢
الابتداءَاتُ بذكرِ الوقوفِ على الديارِ	١٢٩
التسليمُ على الديارِ	١٤١
ما ابتدْأَ بهِ من ذكرِ تعفيةِ الدهورِ والأَزمانِ للديارِ	١٤٥
وفي إِقواءِ الديارِ أيضًا وتعفّيها	١٤٧
تعفيةُ الر ياحِ للديارِ	١٤٩
وفي البكاءِ على الديارِ	١٥٢
سؤالُ الديارِ واستعجامُها عن الجوابِ	١٥٧
فيما يختلفُ الظاعنينَ في الديارِ من الوحشِ وما يقاربُ معناهُ	١٦٢
وفيما تهَيِّجهُ الديارُ وتبعثُهُ من جوى الواقفينَ بها	١٦٤
الدعاءُ للدارِ بالسقيا	١٦٦

الموضوع	الصفحة
في لومِ الأصحابِ في الوقوفِ على الديارِ	١٧٠
ما قالاهُ في أوصافِ الديارِ والبكاءِ عليها	١٧٨
وهذا بابٌ في وصفِ أطلالِ الديارِ وآثارِها	١٨٨
محوُ الرِّ يا حِ للديارِ	١٩٩
ما قالاهُ في سؤالِ الديارِ واستعجامِها عن الجوابِ والبكاءِ عليها أيضًا	٢٠٧
بابٌ آخرُ من وصفِ الديارِ وساكنيها	٢١٨
الدعاءُ للديارِ بالسُّقيا والخصبِ والنباتِ	٢٣٧
ما يخلفُ الظاعنينَ في الديارِ من الوحشِ وغيرِها	٢٤٦
ما قالاه في مخاطبةِ الأصحابِ في الوقوفِ	٢٥٤
وفي تعنيفِ الأصحابِ إياهما على ذلك	٢٥٤
ما جاءَ عنهما في تركِ البكاءِ على الديارِ والنهيِ عنهُ	٢٧٩
ذِكْرُ الفراقِ والوداعِ والترحُّلِ عن الديارِ والبكاءِ على الظاعنين	٢٨٤
ما قالاهُ في البكاءِ على الظاعنين	٢٨٤
ما لأبي تمامٍ في البكاءِ على النساءِ المفارقاتِ	٢٨٦
ومنْ ابتداآتهما منْ بابِ الفراقِ في معانٍ شتَّى	٢٩٠
البكاءُ على الظاعنينَ	٣٠٢
بكاءُ النساءِ المفارقاتِ	٣١١
ما ذَكَرَهُ من استيلاءِ النَّوىٰ على الأحبابِ المفارقينَ	٣٢٦
ذكرُ الأنفاسِ والحُرَقِ والزَّفَرَاتِ عندَ الفراقِ	٣٢٩
زوالُ الصبرِ وقلةُ التجلُّدِ	٣٣٣

الموضُوع	الصّفحة
ما قالاه في قتلِ الفراقِ للمفارقِ وسفكِ دَمِهِ	٣٣٧
ما قالاه في الغزلِ من أوصافِ النساءِ ونُعوتهنَّ، وشدةِ الشوقِ، والتَّذَكُّرِ، والوجدِ، والغرامِ	٣٤٥
ذكرُ ابتداآتهما بتشبيهِ النساءِ بالظباءِ والبقرِ	٣٤٥
ابتداآتهما بذكرِ الثغورِ	٣٥٠
ابتداآتهما بذكرِ البكاءِ والدموعِ	٣٥٢
ابتداآتهما بذكرِ السهرِ وطولِ الليلِ	٣٥٥
بابٌ آخرُ من الابتداآتِ	٣٥٧
ومما جاءَ في ابتداآتِهِ في ذكرِ العيونِ	٣٦٢
ومن ابتداآتِ البحتريِّ في التشوُّقِ	٣٦٦
ومن ابتداآتِ البحتريِّ في معانٍ شتَّى وهي كثيرةٌ	٣٦٨
ذكرُ ما قالاهُ في الجمالِ والبهجةِ وحُسْنِ الوجوهِ وتشبيهِ النساءِ بالشموسِ، والبدورِ، والنجومِ، وغيرِ ذلك	٣٧٠
ما قالاه في وَصْفِ الثُّغُورِ	٣٩٥
ما قالاهُ في وصفِ القدودِ، والخصورِ، والأخصافِ، وثِقَلِ الأردافِ، وحُسْنِ المشي	٤٠٠
ما قالاهُ في: شِدَّةِ الحُبِّ، والوَجْدِ، والتَّشَوُّقِ، والغَرامِ، والحُزنِ، وانتجازِ المواعيدِ، وإخلافِها، ونحوِ ذلك	٤١٢
في الحزنِ والوجدِ	٤١٢
وفي الشَّوقِ والصَّبابةِ	٤١٤

الموضوع	الصفحة
ما قيل في ائتلاف المحبين	٤٣١
بابٌ في نوحِ الحمامِ	٤٣٥
بابٌ في وصفِهما للأيَّام التي خَلَتْ، والأَزمانِ التي حَمَدَاها، والتَّذكّر لها، والأسىٰ عليها ويتَّصلُ بذلك شيءٌ من ذكرِ النساءِ وأَوصافِهِنَّ	٤٥٤
ما جاءَ عنهُمَا في وسطِ كلامِهِمَا من هذا البابِ	٤٥٥
ما جاءَ عنهُمَا في طُروقِ الخيالِ	٤٦٥
مَضَتْ الابتداآتُ	٤٧٣
ما قالاهُ في الشَّيبِ والشَّبابِ ووصفِ الكِبَرِ والعُزُوفِ عن الصِّبَا، ونحوِ ذلك ...	٤٨٩
ما جاءَ عنهما في وسط كلامهما من ذكرِ الشَّيبِ والشَّبابِ ووصفِ الشَّيبِ وذمِّهِ	٤٩٦
كُرْهُ النِّسَاءِ للمَشِيبِ	٥٠٢
نزولُ الشيبِ قبلَ حينِهِ	٥١٣
البكاءُ علىٰ الشَّبابِ والتعزِّي عنهُ والعزوفُ عن الصِّبا	٥٢٤
الاعتذارُ منَ الشَّيْبِ	٥٣٠
مدحُ الشَّيْبِ والتعزِّي عنهُ	٥٣١
ذكرُ الكِبَرِ وشكوىٰ الدَّهرِ وتغيُّرِ الحالِ	٥٣٤
فهرس الموضوعات	٥٣٧

